

نسخة جديدة

Agatha Christie®

أجاثا كريستي

جلسة استحضار الأرواح الأخيرة

قصة الظواهر الخارقة للطبيعة

مكتبة

t.me/soramnqraa

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
For Sale & Reservations
بنت سويح

جلسة استحضار الأرواح الأخيرة

أجاثا كريستي

قصص الظواهر الخارقة الطبيعة

مكتبة
t.me/soramnqraa

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ... إننا نكثر من مكتبة

المحتويات

1	الجلسة الأخيرة
24	في المرأة القاتمة
35	استغاثة
63	مغامرة المقبرة المصرية
88	الرجل الرابع
117	منزل عشروت العجيب
139	الغجرية
155	منزل فيلوميل
193	المصباح
207	الحلم
250	المذباغ
274	المرأة المتدينة
286	لغز الوعاء الأزرق
318	حالة السيد آرثر كارمايكل الغربية
351	زهرة الغرنوقي الزرقاء
378	نداء الأجنحة
402	مذهب جديد
432	الإشارة الحمراء
466	دمية الخياطة
498	كلب الموت
527	المراجع

الجلسة الأخيرة

عبر راؤول دوبراي نهر السين، وهو يدندن بلحن خافت مع نفسه، كان مهندساً فرنسياً وسيماً في الثانية والثلاثين من عمره تقريباً، ذا وجه متورد، وشارب أسود صغير، وصل في الوقت المناسب إلى شارع كاردونييه، واستدار عند الباب رقم 17، فنظرت حارسة المنزل إليه، بينما كانت تجلس على أريكتها، وحيته على مضض، قائلة: "صباح الخير"، ولكنه رد إليها التحية بوجه بشوش، ثم صعد الدرج إلى شقة في الطابق الثالث، وبينما كان يقف عند الباب منتظراً أن يجيبه أحدهم بعد أن قرع الجرس، أخذ يدندن مرة أخرى بلحنه الخافت، فقد كان راؤول دوبراي يشعر ببهجة غير عادية هذا الصباح، ففتحت له الباب عجوز فرنسية بدت على وجهها المجعد ابتسامة عندما رأت الزائر.

حيته قائلة: "صباح الخير يا سيدي".

فرد إليها التحية، قائلاً: "صباح الخير يا إيليز".

دخل الردهة، وهو يخلع قفازه.

سألها في قلق، قائلاً: "تتوقع السيدة وصولي، أليس

كذلك؟".

فأجابته: "نعم، بالفعل يا سيدي".

أجاثا كريستي

أغلقت إيليز الباب الأمامي، واستدارت نحوه، قائلة: "إذا انتقل سيدي إلى الصالون الصغير، فستأتي إليه سيدتي خلال بضع دقائق، فقد كانت تأخذ قسطاً من الراحة".

نظر إليها راؤول بحدة، قائلاً لها: "أليست بخير؟"
فقالت: "بخير".

وتنهدت إيليز، وهي تمر من أمام راؤول؛ لتفتح له باب الصالون الصغير، فدلف إليه، وتبعته.

واصلت كلامها، قائلة: "بخير، وأنى لها الخير، أيها المسكين؟ جلسات تحضير أرواح، جلسات تحضير أرواح، هي منغمسة دائماً في جلسات تحضير الأرواح! ليس هذا صائباً ولا طبيعياً، فليس هذا ما يريده الله منا، وانني أقولها صراحة إنها تتحالف مع الشيطان".

ربت راؤول كتفها مطمئناً إياها.

ثم قال لها بكل هدوء: "اهدئي، اهدئي يا إيليز، لا تخيفي نفسك، ولا تنسبي كل شيء لا تعرفينه إلى الشيطان".

فهزت إيليز رأسها بارتياب.

وأخذت تهمهم قائلة: "أه، حسناً، يستطيع سيدي أن يقول ما يحلو له، ولكن هذا لا يروقني، انظر إلى سيدتي، إن وجهها يزداد شحوباً، وجسدها يزداد نحولاً يوماً بعد يوم، ولا يفارقها الصداع أبداً".

رفعت إيليز يديها، وهي تقول: "أه، لا، إن كل الأعمال الروحانية ليست جيدة على الإطلاق، وبخاصة تحضير الأرواح! فالأرواح الطيبة في الجنة، والأرواح الشريرة في النار".

قال راؤول بينما كان يرتمي على المقعد: "إن رؤيتك عن الحياة الآخوية بعد الموت بسيطة للغاية يا إيليز".
رفعت السيدة العجوز هامتها، قائلة: "إنني امرأة صالحة يا سيدي".

صمتت للحظة واتجهت نحو الباب، ثم توقفت وهي تضع يدها على المقبض.

وقالت له في تضرع: "عندما تتزوجان في النهاية يا سيدي، فلن يستمر... كل هذا، أليس كذلك؟".

فابتسم لها راؤول بمودة، قائلاً لها: "أنت امرأة وفيه وطيبة يا إيليز، ومخلصة لسيدتك، لا تخافي، فبمجرد أن تصبح زوجتي، ستنتهي كل هذه "الأعمال الروحانية" كما تسمينها، ولن تجري السيدة دوبراي أية جلسات تحضير أرواح أخرى".
فتهللت أسارير إيليز.

وسألته بلهفة قائلة: "هل ما تقوله صحيح؟".

فأوماً إليها بالإيجاب في تأكيد شديد.

قال بنبرة خفيضة، وكأنه يتحدث إلى نفسه أكثر مما يتحدث إليها: "نعم، لا بد من أن ينتهي كل هذا، إن سيمون تتمتع بموهبة رائعة، وهي تستخدمها بحرية، ولكنها الآن أدت واجبها، فكما قلت بالضبط يا إيليز إنها تزداد شحوباً ونحولاً يوماً بعد آخر، إن حياة الوسيط الروحاني شاقة ومتعبة للغاية، وتنطوي على إجهاد عصبي شديد، ولكن على الرغم من كل شيء يا إيليز، فإن سيدتك هي أفضل وسيط روحاني في باريس، بل في فرنسا كلها،

أجاثا كريستي

حيث يأتي إليها الناس من جميع أنحاء العالم؛ لأنهم يعرفون أنها ليست مخادعة ولا غشاشة".

أصدرت إيليز صوتاً يدل على الاستهجان، قائلة: "مخادعة! بالطبع لا، فسيدي لا تستطيع خداع طفل رضيع، حتى لو حاولت فعل ذلك".

قال الشاب الفرنسي بحماس: "إنها ملاك، ولا بد من أن أبدل كل ما في وسعي لكي أجعلها سعيدة، أليس كذلك؟".

رفعت إيليز هامتها، وقالت بنبرة تنم عن المهابة: "لقد خدمت سيدي سنوات عديدة، يا سيدي، ومع كامل احترامي، إنني قد أقول إنني أحبها، وإذا لم أكن على يقين بأنك تحبها حباً جماً كما تستحق هي، أليس كذلك يا سيدي! لكنت مزقتك إرباً".

فضحك راؤول، وقال: "أحسنت يا إيليز! أنت صديقة مخلصية، ولا بد من أن تثقي بكلامي الآن، عندما أقول لك إن سيدتك لن تجري المزيد من جلسات تحضير الأرواح".

وتوقع أن تتلقى السيدة العجوز هذا الخبر السعيد بمرح شديد، لكنها ظلت متجهمّة؛ ما أثار دهشته.

ثم قالت بتردد: "ولنفترض يا سيدي أن عالم الأرواح لم يكف عنها".

حدّق راؤول إلى وجهها.

وقال لها: "ماذا! ماذا تقصدين؟".

كررت إيليز ما قالته: "لقد قلت لنفترض أن عالم الأرواح لم يكف عنها".

فقال لها: "ولكنني أعتقد أنك لم تؤمني بالأرواح يا إيليز، أليس كذلك؟".

قالت إيليز بعناد: "وما زلت لا أومن بها، فمن حماقة الإيمان بذلك، لكن على الرغم من ذلك..."
فقال: "حسنًا، ماذا؟".

أضافت قائلة: "يستعصي عليّ توضيح ما أقصده يا سيدي، فكما تعرف أنتي أظن دائمًا أن هؤلاء الوسطاء الروحانيين - كما يسمون أنفسهم - هم مجرد مخادعين، يحتالون على التعساء الذين فقدوا عزيزًا لديهم ليكسبوا النقود منهم، لكن سيدتي ليست كذلك، فسيدتي طيبة، وأمينة، و..."

خففت صوتها، وتحدثت بنبرة يملؤها الرعب: "هناك أمور غريبة تحدث، إنها ليست خداعًا، فهناك أمور غريبة تحدث؛ لذلك أنا خائفة؛ لأنني متأكدة من هذا يا سيدي، فهذا ليس أمرًا صائبًا أو طبيعيًا، ولا بد من أن يدفع أحد ثمن هذا".

نهض راؤول من مقعده، وتوجه إليها، وربت كتفها، قائلاً وهو يبتسم لها: "هدئي من روعك يا إيليز الطيبة، سأخبرك ببعض الأخبار السارة، اليوم ستكون آخر جلسة لتحضير الأرواح، فلن تكون هناك جلسات أخرى بعد اليوم".

تساءلت المرأة العجوز بارتياح، قائلة: "إذن، هناك جلسة اليوم؟".

فقال لها: "هي الأخيرة يا إيليز، الأخيرة".

هزت إيليز رأسها بحزن.

ثم قالت: "إن سيدتي ليست على ما يرام لكي..."

أجاثا كريستي

لكن حديثها قُطع، حيث فُتح الباب، ودخلت امرأة طويلة، حسناء، نحيفة الجسم، حسنة المظهر، ذات وجه جميل، فتهللت أسارير راؤول، وانسحبت إيليز بشكل سريع وحذر. فقال راؤول: "سيمون!"

وأمسك بيديها الطويلتين الجميلتين وقبّلهما، فرددت اسمه برفق قائلة: "عزيزي راؤول". وقبّل يديها مرة أخرى، ونظر باهتمام شديد إلى وجهها، وقال لها: "وجهك شاحب للغاية يا سيمون! لقد أخبرتني إيليز بأنك كنت تستريحين قليلاً، لست مريضة يا حبيبتي، أليس كذلك؟"

فقال في تردد: "لا، لست مريضة..."

فأجلسها على الأريكة، وجلس إلى جانبها.

وقال لها: "ولكن أخبريني بالمزيد".

ابتسمت الوسيطة الروحانية ابتسامة خافتة.

وهمست قائلة: "ستعتقد أنني حمقاء".

قال لها: "أنا؟ أعتقد أنك حمقاء؟ مستحيل".

سحبت سيمون يدها من قبضته، وجلست صامتة دقيقة أو دقيقتين، وهي تحدّق إلى السجادة، ثم قالت بصوت خفيض وسريع: "إنني خائفة يا راؤول".

أطرق راؤول السمع للحظة أو اثنتين، وهو يتوقع أن تكمل حديثها، ولكنها لم تقل شيئاً، فقال بنبرة تنم عن الشجاعة: "نعم، ممّ تخافين؟"

فأجابته قائلة: "خائفة فحسب، هذا كل شيء".

فقال: "ولكن..."

ونظر إليها في حيرة، فأجابت نظراته المتحيرة سريعاً. قالت: "نعم، إنه أمر سخيف، أليس كذلك؟ ومع ذلك أشعر بهذا الشعور، فأنا خائفة فقط، ليس أكثر، ولا أعرف من ماذا، أو لماذا، ولكن طوال الوقت تستحوذ عليّ فكرة أن شيئاً مروعاً للغاية سيحدث لي..."

حدقت أمامها، فلف راؤول ذراعه حولها، قائلاً: "عزيزتي، لا بد من أن تكلمي، لا تتوقفي، أعرف ما تمرين به، إنه التوتريا سيمون؛ التوتريا الذي يحيط بحياة الوسطاء الروحانيين، فكل ما تحتاجين إليه هو الراحة والهدوء".

نظرت إليه بامتنان، وقالت: "نعم يا راؤول، أنت محق، فأنا في حاجة إلى الراحة والهدوء".

وأغلقت عينيها، وأسندت رأسها إلى ذراعه.

فهمس في أذنها، قائلاً: "والسعادة كذلك".

فقرَّب ذراعه إليها، وكانت سيمون لا تزال تغلق عينيها، وأخذت نفساً عميقاً.

وهمست قائلة: "نعم، عندما تلتف ذراعك حولي أشعر بالأمان، وأنسى حياتي؛ تلك الحياة الرهيبة التي يعيشها الوسطاء الروحانيون، ولعلك تعرف الكثير يا راؤول، لكنك لا تعرف ما يعنيه كل هذا".

فشعر بجسدها يتصلب بين ذراعيه، وفتحت عينيها مرة أخرى، وحدقت أمامها قائلة: "يجلس المرء في حجرة صغيرة مظلمة ينتظر، والظلام مرعب يا راؤول، لأنه ظلام الفراغ

أجاثا كريستي

والعدم، حيث يسلم المرء نفسه لشخص آخر يتحكم فيه، وبعد ذلك لا يعرف المرء شيئاً، ولا يشعر بشيء، وبعد أن يفتق ببطء وألم من هذا السبات، يشعر بإرهاق شديد؛ إرهاق شديد للغاية".

فهمس راؤول، قائلاً: "أعلم ذلك يا عزيزتي، أعلم ذلك".

فهمست مرة أخرى، قائلة: "إرهاق شديد للغاية".

وبدا جسدها واهناً وهي تردد تلك الكلمات.

فقال لها: "ولكنك رائعة يا سيمون".

أمسك بيديها، وحاول أن يرفع معنوياتها حتى تشاركه

حماسته.

وقال لها: "أنت فريدة، أنت أعظم وسيطة روحانية عرفها

العالم".

هزت رأسها، وهي تضحك قليلاً مما قاله.

فحاول راؤول تأكيد ما قاله، فردد قائلاً: "بلى، بلى، أنت

كذلك".

وأخرج خطابين من جيبه، قائلاً لها: "انظري هنا، هذا

الخطاب من البروفيسور روش من سالتيرير، أما الآخر فمن

الدكتور جينير من مدينة نانسي، كلاهما يطلب منك أن تعلمي

وسيطرة روحانية معه من حين إلى آخر".

وقفت سيمون فجأة، وهي تقول: "أه، لا".

وأردفت قائلة: "لن أفعل ذلك، لقد انتهى الأمر، لقد انتهيت

من هذا العمل، لقد وعدتني بذلك يا راؤول".

حدّق راؤول إليها في دهشة، وهي تقف مترددة، وتنظر

إليه نظرات شخص واقع في مشكلة كبيرة، فنهض من مكانه،

وأمسك بيديها، وقال لها: "نعم، نعم، مفهوم، قد انتهى هذا

العمل بكل تأكيد، ولكنني فخور بك يا سيمون، وهذا ما دفعني إلى أن أعرض عليك هذين الخطابين".

نظرت إليه سيمون بطرف عين في ارتياب، ثم سألته قائلة: "ألن تطلب مني أن أجري جلسة تحضير أرواح مرة أخرى من أجلك؟".

فأجابها راؤول قائلاً: "لا، لا، إلا إذا أردت أن تفعل ذلك من حين إلى آخر من أجل بعض الأصدقاء القدامى...".
لكنها قاطعته، وهي تتحدث بحماس: "لا، لا، لن أقوم بذلك مرة أخرى، فهناك خطر، وأنا على يقين بذلك، وأستطيع أن أشعر به، إنه خطر عظيم".

وضعت يدها على جبينها لحظة، ثم اتجهت نحو النافذة. وقالت بصوت أكثر هدوءاً، وهي تدير ظهرها له: "عدني بألا يحدث هذا مرة أخرى".

فتبعها راؤول إلى النافذة، ووضع يده حول كتفها، وقال بنبرة رقيقة: "عزيزتي، أعدك بألا تكوني وسيطة روحانية بعد جلسة اليوم".

وأحس بقشعريرة تسري في جسدها.

فهممت قائلة: "اليوم، آه، حسناً، نسيت السيدة إيكسي".
نظر راؤول إلى ساعته، وقال: "من المفترض أن تأتي في أية لحظة، ولكنك قد تستطيعين يا سيمون إذا لم تكوني على ما يرام أن...".

لم تكن سيمون في الواقع مصغية إلى ما يقول، كانت تتابع ما يدور في عقلها من أفكار...

أجاثا كريستي

ثم قالت له: "إنها سيدة غريبة يا راؤول، سيدة غريبة للغاية، ولا أخفيك سرًا أنني أخاف منها كثيرًا".

فقال لها: "سيمون".

وكانت هناك نبرة عتاب في صوته، وقد شعرت بذلك سريعًا. فقالت: "نعم، نعم، أعرف أنك مثل بقية الفرنسيين يا راؤول، فالأم لها منزلة عظيمة عندكم، ومن غير اللائق أن أشعر نحوها بتلك المشاعر في الوقت الذي تشعر فيه الأم باللوعة على ابنتها المفقودة، لكنني لا أستطيع أن أشرح ذلك، تلك السيدة ضخمة، وذات بشرة سوداء، ويدها... ألم تلاحظ يديها يا راؤول؟ إنها كبيرتان، وقويتان، كأنهما يدا رجل، يا إلهي".

ارتجفت سيمون، وأغمضت عينيها، وسحب راؤول ذراعه التي كانت تحيط بها، وقال بنبرة باردة: "لا أستطيع حقًا أن أفهمك يا سيمون، فلا بد من أنك - باعتبارك امرأة - تشعرين بالتعاطف مع امرأة أخرى... امرأة حُرمت من ابنتها الوحيدة".

أومأت سيمون إيماءة تدل على نفاذ صبرها، ثم قالت: "أه، إنك أنت من لا تريد أن تفهمني يا صديقي! هذه أمور خارجة على إرادة الإنسان... منذ اللحظة الأولى التي رأيت فيها تلك السيدة شعرت..."

ثم لوحت بيديها، وقالت: "الخوف! لقد ترددت طويلًا قبل أن أوافق على أن أجري لها جلسة تحضير أرواح، لقد شعرت منذ اللحظة الأولى بأن تلك السيدة ستجلب لي الشؤم".

هز راؤول كتفيه باستهجان، وهو يقول بنبرة جافة: "ومع هذا فقد كانت في الحقيقة على خلاف ذلك معك، ولم تجلب

لك أي شؤم، لقد جرت جميع الجلسات بنجاح شديد، واستطاعت روح الصغيرة أميلي أن تسكنك في الحال، وتسيطر عليك، وكان التجسيد مذهلاً، وكان لا بد من أن يحضر البروفيسور روش الجلسة الأخيرة".

قالت سيمون بصوت خفيض: "التجسيد، قل لي يا راؤول (أنت تعرف أنني لا أعلم شيئاً عما يحدث من حولي عندما أكون غائبة عن الوعي)، هل يبدو تحضير الأرواح رائعاً؟".

فأوماً برأسه في حماس، وأخذ يشرح لها الأمر، قائلاً: "في الجلسات القليلة الأولى كان شكل الفتاة يتراءى في هيئة ضبابية، ولكن في الجلسة الأخيرة..."

فسألت متعجبة: "حقاً؟".

فأجابها بنبرة رقيقة: "لقد كانت الطفلة التي تجسدت أمامنا يا سيمون حقيقية تماماً، من لحم ودم، حتى إنني لمستها، ولكنني لم أسمح للسيدة إيكسي بأن تلمسها هي الأخرى؛ لأنني أعرف أن اللمس يؤلمك بشدة، وخشيت أن تفقد السيطرة على نفسها، فتسبب في إيذائك".

استدارت سيمون مرة أخرى ناحية النافذة، وهمست قائلة: "لقد شعرت بالتعب الشديد عندما استيقظت يا راؤول، فهل أنت واثق بأن كل ما فعله صحيح؟ هل تعرف أن عزيزتي إيليز العجوز تعتقد أنني أتحالف مع الشيطان؟".

وضحكت ضحكة تنم عن الارتياح.

فقال راؤول بنبرة حادة: "أنت تعرفين ما أؤمن به يا سيمون، إن التعامل مع المجهول ينطوي دائماً على خطر، ولكن الدافع

نبيل بكل تأكيد؛ لأن الدافع الحقيقي هو العلم، فهناك من ضحوا بحياتهم من أجل العلم في جميع أنحاء العالم، وبادروا بالتضحية بحياتهم؛ لكي يمهّدوا الطريق لمن يأتي بعدهم؛ ليتبع خطاهم في أمان، فأنت تعملين من أجل العلم منذ عشر سنوات، وأنت تتحملين ما تتعرضين له من مجهود عصبي، أما الآن فقد أديت واجبك، ومن الآن فصاعداً أنت حرة لتتمتعى بالسعادة".

ابتسمت له بمودة، واستعادت هدوءها، ثم ألقت نظرة خاطفة على الساعة، ثم قالت: "لقد تأخرت السيدة إيكسي، قد لا تأتي". قال راؤول: "بل أعتقد أنها ستأتي، يبدو أن ساعتك غير مضبوطة يا سيمون".

تحركت سيمون في الغرفة، وأخذت ترتب التحف وقطع الأثاث هنا وهناك.

وقالت متسائلة: "إنني أتساءل عمن السيدة إيكسي هذه، من أين أنت؟ من عائلتها؟ من الغريب أننا لا نعرف عنها أي شيء؟". هز راؤول كتفيه، قائلاً: "يحاول معظم الأشخاص الذين يطلبون تحضير الأرواح أن تظل شخصياتهم مجهولة بالنسبة إلى الوسيط، إنه احتياط واجب".

فاتفقت معه سيمون بشيء من اللامبالاة، قائلة: "أعتقد ذلك".

وانزلقت مزهرية صغيرة من الخزف من بين يديها، وتحطمت إلى أجزاء صغيرة على بلاط المدفأة، فنظرت بحدة إلى راؤول، وقالت له: "أترى؟ إن أعصابي متوترة للغاية يا

راؤول، هل تظن أنني سأكون جبانة للغاية إذا أخبرت السيدة
إيكسي بأني لن أستطيع أن أكون وسيطة روحانية اليوم؟"
تسببت نظراته التي تدل على الدهشة الممزوجة بالألم في
احمرار وجهها.

بدأ يقول لها بنبرة هادئة: "لقد وعدتها يا سيمون بأن..."
فأسندت سيمون ظهرها إلى الحائط، وقالت: "لن أفعل ذلك
يا راؤول، لن أفعل ذلك".

ولكن نظرت الرقيقة الممزوجة بالتأنيب جعلتها تنكمش
على نفسها.

فقال لها راؤول: "ليس المال هو ما أفكر فيه يا سيمون، على
الرغم من أنك لا بد من أن تدركي أن المال الذي عرضته عليك
تلك السيدة نظير إجراء جلسة أخيرة ترى فيها ابنتها يعد مبلغًا
كبيرًا للغاية".

قاطعته سيمون في تحدٍ قائلة: "هناك أشياء أكثر أهمية من
المال".

فقال متفقدًا معها بشدة: "بالتأكيد هناك أشياء أهم، وهذا
ما أقوله أنا أيضًا، ولكن فكري في أن هذه السيدة أم؛ أم فقدت
ابنتها الوحيدة، فإذا لم تكوني متعبة حقًا، وكان الأمر مجرد
رغبة لديك، فبإمكانك أن تحرمي تلك السيدة الغنية مما تتوق
إليه، ولكن هل تستطيعين أن تحرمي أمًا من إلقاء نظرة أخيرة
على ابنتها الوحيدة؟".

مدت الوسيطة الروحانية يدها أمامها في حركة تدل على
اليأس، وهمست قائلة: "آه، إنك تعذبني يا راؤول، ومع ذلك أنت

أجاثا كريستي

محقّ فيما تقول، سأفعل لك ما تريد، لكنني أعرف الآن ما أخاف منه؛ إنها كلمة "أم"؟".

فقال لها متعجباً: "سيمون!".

فقالت: "هناك بعض القوى البدائية الأولية يا راؤول، لقد دمرت الحضارة معظم تلك القوى، لكن الأمومة ظلت قوية كما كانت منذ البداية، ويتساوى في هذه العاطفة الحيوانات والبشر، فحب الأم ابنها لا يعادله أي شيء آخر في العالم، إنه لا يعرف أي قانون، ولا شفقة، بل هي عاطفة تتخطى كل شيء، وتسحق كل شيء يقف في طريقها بلا رحمة".

توقفت عن الحديث، وهي تلهث قليلاً، ثم التفتت إليه بابتسامة سريعة في استسلام، وقالت له: "إنني أبدو حمقاء اليوم يا راؤول، أنا أعرف ذلك".

فأمسك بيديها.

وقال لها: "فلتستريحي دقيقة أو دقيقتين حتى تأتي".

قالت: "حسناً"، وابتسمت له، وغادرت الغرفة.

ظل راؤول مدة دقيقة أو دقيقتين غارقاً في التفكير، ثم سار نحو الباب، وفتحه، وسار نحو القاعة الصغيرة، ثم عبرها إلى الغرفة التي تقع على الجانب الآخر من المنزل، وكانت غرفة جلوس تشبه إلى حد كبير الغرفة التي غادرها، ولكن توجد في ركن منها خلوة فيها كرسي كبير، وقد أحاطت بتلك الخلوة ستائر مخملية سوداء، وكانت إيليز مشغولة بترتيب الغرفة، حيث وضعت بالقرب من الخلوة مقعدين وطاولة صغيرة

مستديرة، وكان يوجد على الطاولة دف، وبوق، وبعض الورق وأقلام الرصاص.

همست إيليز بارتياح يشوبه بعض الإحباط، قائلة: "الجلسة الأخيرة، آه يا سيدي، كنت أتمنى لو أن هذا العمل قد انتهى بالفعل".

دوى الرنين الحاد للجرس الكهربائي في المكان. تابعت المرأة العجوز قائلة: "ها قد أتت تلك المرأة الضخمة التي تشبه رجال الشرطة، يا إلهي، لماذا لا تذهب إلى دار العبادة وتصلي بشكل لائق من أجل روح طفلتها الصغيرة، وتتضرع إلى الله بالصدقات؟ ألا يعلم الله ما هو خير لنا؟".

قال راؤول بنبرة حاسمة: "افتحي الباب يا إيليز". رمقته بنظرة حادة، ولكنها ذهبت لتفعل ما أمرها به، وعادت بعد دقيقة أو دقيقتين تتقدم الزائرة.

وقالت لها: "سأخبر السيدة أنك قد أتيت يا سيديتي". هم راؤول بأن يصفح السيدة إيكسي، وقد استعاد كلمات سيمون مرة أخرى في ذاكرته: "يدان كبيرتان، وسوداوان للغاية".

فقد كانت امرأة ضخمة للغاية، وكان زي الحداد الفرنسي الأسود الثقيل أمراً مبالغاً فيه في حالتها تقريباً، وبدا صوتها عميقاً للغاية عندما بدأت التحدث، حيث قالت: "أخشى أن أكون قد تأخرت قليلاً يا سيدي".

قال لها راؤول وهو يبتسم: "بضع دقائق فقط، إن السيدة سيمون كانت ترتاح قليلاً، ويؤسفني أن أخبرك بأنها ليست على ما يرام تماماً، فهي عصبية للغاية، ومجهددة كذلك".

أجاثا كريستي

أطبقت فجأة على يديه بقوة، بعد أن كانت تسحب يدها من يده، وقالت له بحدة: "لكنها ستُجري جلسة اليوم، أليس كذلك؟".

أجابها قائلاً: "بلى، يا سيدتي".

تنفست السيدة إيكسي الصعداء، وغرقت في المقعد، وأرخت أحد حاجبيها الأسودين الثقيلين المُسدلين على وجهها، وهمست قائلة: "أه يا سيدي! لا يمكنك أن تتخيل أو تتصور ما أشعر به من دهشة ومنتعة وأنا أحضر هذه الجلسات! صغيرتي! أميلي! أتمنى أن أراها، وأسمعها، ربما، نعم، ربما أستطيع أن أمد يدي وألمسها".

تحدث راؤول سريعاً وبصراحة، قائلاً: "سيدة إيكسي، كيف يمكنني أن أشرح لك الأمر؟ على أية حال يجب ألا تفعل أي شيء إلا بتوجيهات صريحة مني، وإلا سيكون هناك خطر قد يصل إلى الموت".

فسألته قائلة: "خطر على حياتي أنا؟".

قال راؤول: "لا يا سيدتي، خطر على الوسيط الروحاني، ويجب أن تفهمي يا سيدتي أن العلم يفسر الظواهر التي تحدث بطريقة معينة، وسأحاول أن أصوغ لك الأمر ببساطة شديدة دون استخدام مصطلحات علمية: لكي تستطيع الروح أن تظهر أمام الآخرين، لا بد من أن تستخدم المادة الجسدية الفعلية للوسيط، ولقد رأيت بنفسك البخار السائل المنبعث من شفتي الوسيطة، وهذا البخار يتكثف ويتراكم ليصبح على هيئة الجسم المادي لروح الشخص الميت، لكن هذه المادة الروحية، التي

تسمى الإكتوبلازم، تتكون من جسد الوسيط، ونأمل أن نثبت ذلك يوماً ما من خلال وزن تلك المادة واختبارها بدقة، لكن الصعوبة الكبيرة تكمن في الخطر والألم اللذين يشعربهما الوسيط عند التعامل مع هذه الظاهرة، وإذا قام أي شخص بالتعرض للروح المستحضرة قد تنتج عن ذلك وفاة الوسيط على الفور."

كانت السيدة إيكسي تستمع إليه باهتمام شديد، قائلة له: "هذا أمر مثير للغاية يا سيدي، فقل لي، ألن يأتي الوقت الذي يتقدم فيه التجسيد الروحي، فتتفصل الروح المتجسدة عن الوسيط؟"

قال لها: "هذه تصورات رائعة يا سيدتي."

لكنها أصرت، وقالت: "ولكن أليس هذا ممكناً في الواقع؟" فأجابها قائلاً: "هذا أمر مستحيل للغاية اليوم."

فاعودت السؤال: "ولكن قد يحدث هذا الأمر في المستقبل؟"

أنقذ الشاب من الإجابة عن هذا السؤال دخول سيمون في تلك اللحظة، وقد بدا عليها الشحوب والوهن، ولكن من الواضح أنها استعادت السيطرة الكاملة على نفسها، فتقدمت وصافحت السيدة إيكسي، على الرغم من أن راؤول لاحظ الرعشة التي سرت في جسدها وهي تفعل ذلك.

قالت السيدة إيكسي لها: "أسفة يا سيدتي؛ لأنك تشعرين بالتعب الشديد."

قالت سيمون بفضاظة: "إنه إرهاق بسيط، فهل نبدأ الآن؟"

أجاثا كريستي

توجهت نحو الخلوة، وجلست في المقعد، ولكن راؤول شعر فجأة بموجة من الخوف تسري في جسده.

فتحدث إلى سيمون، قائلاً: "لست قوية بالدرجة الكافية، ومن الأفضل أن نلغي جلسة اليوم يا سيمون، وسوف تتفهم السيدة إيكسي الأمر".

وقفت السيدة إيكسي، قائلة بنبرة حادة: "سيدي!". فقال لها: "حسنًا، حسنًا، من الأفضل ألا نجريها، أنا متأكد من ذلك".

فقالت له: "ولكن السيدة سيمون قد وعدتني بأن تكون هذه هي الجلسة الأخيرة".

فقالت سيمون بنبرة هادئة: "هكذا إذن، وأنا على استعداد للوفاء بوعدتي".

فقالت لها السيدة إيكسي: "وأنا في انتظار أن تضي به يا سيدتي".

قالت سيمون بنبرة باردة: "أنا لا أحنث بوعدتي يا سيدتي"، ثم أضافت بنبرة ودود: "لا تخف يا راؤول، على أية حال إنها آخر جلسة، آخر جلسة والحمد لله".

وبعد إشارة منها، سحب راؤول الستائر السوداء الثقيلة ليغطي الخلوة، كما سحب ستائر النافذة بحيث تكون الغرفة في حالة شبه مظلمة، وأشار إلى السيدة إيكسي بالجلوس على أحد المقعدين، وأعد نفسه ليجلس على المقعد الآخر، ومع ذلك، ترددت السيدة إيكسي في الجلوس، قائلة: "معذرة يا سيدي، ولكنك تعرف جيدًا أنني أو من تمامًا بنزاهتك ونزاهة السيدة

سيمون، ولكن لكي تكون شهادتي ذات قيمة كبيرة؛ فإنني أعطيت نفسي الحرية بإحضار هذا الشيء معي".

وأخرجت من حقيبة يدها حبلاً رقيقاً.

فصاح راؤول قائلاً: "سيدتي! هذه إهانة".

فقالت له: "لا، إنه احتياط".

فقال لها مرة أخرى: "بل أكرر كلامي، إنها إهانة".

قالت السيدة إيكسي بنبرة باردة: "أنا لا أستطيع أن أفهم

وجه اعتراضك يا سيدي، فإذا لم يكن هناك أي خداع، فلا داعي

للخوف على الإطلاق".

ضحك راؤول بازدراء، وقال: "أستطيع أن أؤكد لك أنني لا

أخشى شيئاً يا سيدتي، فلتقيدي يديّ وقدمي إن شئت".

لم يكن لكلامه الأثر الذي كان يرجوه، حيث همست السيدة

إيكسي في ثبات، وهي تقترب منه ممسكة بالحبل: "شكراً لك يا

سيدي".

فصرخت سيمون فجأة من خلف الستار، قائلة: "لا، لا يا

راؤول لا تدعها تفعل ذلك".

فضحكت السيدة إيكسي بسخرية، قائلة: "إن السيدة

خائفة".

فقالت سيمون: "نعم، أنا خائفة".

فصاح راؤول قائلاً: "تذكري ما كنت تقولينه يا سيمون،

يبدو أن السيدة إيكسي تظن أننا محتالان".

قالت السيدة إيكسي بعبوس: "لا بد من أن أتأكد".

ومضت في تقييد راؤول بإحكام في مقعده.

أجاثا كريستي

فقال متهكماً منها بعد أن انتهت: "لا بد من أن أهنئك على تقييدي بهذا الإحكام، فهل تشعرين بالرضا الآن؟".

لم تجب السيدة إيكسي، وأخذت تتجول في أرجاء الغرفة تتفحص جدرانها من كذب، ثم أغلقت الباب المؤدي إلى الصالة، وأخذت المفتاح، وعادت إلى مقعدها.

وقالت بصوت شنيع: "أنا مستعدة الآن".

مرت الدقائق، وجاء صوت تنفس سيمون ثقيلًا، وأكثر حدة من خلف الستار، ثم خفت أصوات التنفس تمامًا، أعقبها سلسلة من الأنين، ثم خيم الصمت مرة أخرى بعض الوقت، ثم اخترقه صوت مفاجئ للدف، ثم طار البوق من فوق الطاولة على الأرض، ثم سُمع صوت ضحكات ساخرة، وبدأت ستائر الخلوة كأنها تُسحب إلى الخلف قليلاً، وكان جسد الوسيطة الروحانية مرئياً من خلال فتحة الستار، وكان رأسها يميل إلى الأمام على صدرها، وفجأة شهقت السيدة إيكسي بحدة، فكان هناك تيار من الضباب يشبه الشريط يصدر من فم الوسيطة، وأخذ الضباب يزداد كثافة، وبدأ تدريجياً يتخذ شكلاً معيناً؛ شكل طفل صغير. قالت السيدة إيكسي: "أميلي! صغيرتي أميلي!".

أصدرت السيدة إيكسي همساً بصوت أجش، وأخذ الشكل الضبابي يزداد كثافة، وحدث راوول إلى المشهد وهو لا يكاد يصدق ما يراه، فلم يحدث أن تجسدت روح بمثل هذا الوضوح من قبل، حيث تظهر طفلة حقيقية الآن، من لحم ودم، تقف هناك.

قالت الطفلة بصوت طفولي رقيق: "أمي".

فصاحت السيدة إيكسي قائلة: "ابنتي! ابنتي!".

وهمت بالوقوف من مقعدها لتمسك بالطفلة.

فصاح راؤول محذراً إياها: "احذري يا سيدتي".

اقتربت الروح المجسدة من الستائر بتردد؛ إنها طفلة تقف

هناك تمد ذراعيها إلى الأمام، وتقول: "أمي!".

صرخت السيدة إيكسي قائلة: "أه!".

وهمت بالوقوف مرة أخرى من مقعدها لتمسك بالطفلة.

فصاح راؤول محذراً إياها: "سيدتي، لا تنسي أن الوسيطة...".

فصرخت السيدة إيكسي بصوت أجش، قائلة: "لا بد من أن

ألمسها".

وتقدمت خطوة إلى الأمام.

فصاح راؤول قائلاً: "أستحلفك بالله يا سيدتي أن تحاولي أن

تتحكمي في نفسك".

تملكه شعور بالخوف الشديد الآن.

وقال لها: "اجلسي في الحال".

قالت الأم: "ابنتي الصغيرة، لا بد من أن ألمسها".

فقال لها: "سيدتي إنني أمرك بالجلوس".

وكان يتلوى بشدة وهو يجلس على الكرسي مربوطاً بالحبل،

لكن السيدة إيكسي كانت قد شدت وثاقه بإحكام، فكان يشعر

بالعجز، وقد اجتاحه شعور رهيب بوقوع كارثة وشيكة.

وصاح مرة أخرى، قائلاً: "أستحلفك بالله يا سيدتي،

اجلسي! تذكري الوسيطة الروحانية".

لم تعبأ السيدة إيكسي به على الإطلاق، وبدت كأنها قد

تحولت، فرُسمت النشوة والبهجة بوضوح على وجهها، ولمست

أجاثا كريستي

بيدها ذلك الجسد الصغير الذي يقف عند فتحة الستائر، فأصدرت الوسيطة أنينا مريعاً.

وصرخ راؤول قائلاً: يا إلهي! يا إلهي! هذا مريع. الوسيطة...". استدارت إليه السيدة إيكسي وهي تضحك ضحكة مجنونة، وصرخت قائلة: "ولماذا أهتم بأمر وسيطتك هذه؟ إنني أريد طفلي".

فصرخ قائلاً: "لقد جننت!".

فقالت له: "أقول لك ابنتي، ابنتي! إنها جزء من لحمي ودمي! ابنتي الصغيرة قد عادت إلي من الموت، إنها حية وتتنفس".

فتح راؤول فمه، لكن الكلمات هربت من بين شفثيه، فلم يستطع أن يقول أية كلمة، فقد كانت تلك المرأة رهيبة، عديمة الرحمة، متوحشة، تقودها عاطفتها. وانطلقت الطفلة تنادي للمرة الثالثة، وهي تردد الكلمة ذاتها: "أمي!".

فصرخت السيدة إيكسي قائلة: "تعالى إذن يا طفلي".

وضمت الطفلة بين ذراعيها بشدة، وانطلقت من وراء الستار صرخة ألم طويلة.

فصاح راؤول: "سيمون! سيمون!".

كان لا يكاد يدرك أن السيدة إيكسي قد اندفعت أمامه، فسمع صوت المفتاح وهو يفتح الباب، وصوت اندفاع قدميها، وهي تهبط الدرج.

كانت لا تزال تلك الصرخة المروعة العالية تدوي من وراء الستار؛ صرخة لم يسمع راؤول مثلها من قبل، كانت تلك

الصرخات تتلاشى مع حشجة رهيبة، ثم دوى صوت جسم يسقط على الأرض...

كان راؤول يحاول كالمجنون أن يحرر نفسه من القيد، واستطاع بتلك القوة الجنونية أن يتخلص من الحبل، وبينما كان يكافح للوقوف على قدميه، اندفعت إيليز إلى الداخل، وهي تصرخ قائلة: "سيدتي!"

صاح راؤول: "سيمون!"

واندفعاً معاً إلى الخلوّة، وفتحاً الستار.

تراجع راؤول إلى الخلف.

وأخذ يقول: "يا إلهي! ما هذا الاحمرار؟ لقد أصبح لون جسدها كله أحمر..."

جاء صوت إيليز إلى جانبه حاداً مرتعشاً، وهي تقول: "هكذا ماتت سيدتي، انتهى أمرها، ولكن أخبرني يا سيدي، ماذا حدث؟ لماذا انكمش حجم سيدتي؟ لماذا تبدو في نصف حجمها الطبيعي؟ ما الذي كان يحدث هنا؟"

أجابها راؤول: "لا أدري!"

ثم أضاف وصوته يرتفع إلى حد الصراخ: "لا أدري، لا أدري، لكنني أظن أنني سأصاب بالجنون. سيمون! سيمون!"

في المرأة القاتمة

لا أجد تفسيراً لهذه القصة، ولا نظرية تكشف عن أسبابها وبواعثها، فليست سوى مجرد حدث وقع.

ومع ذلك أتساءل أحياناً كيف كانت ستسير الأمور لو كنت قد لاحظت في ذلك الوقت أحد التفاصيل الأساسية التي لم أقدرها قط حينذاك إلا بعد مرور سنوات عديدة بعد ذلك، فلو أنني لاحظت ذلك، لتغيرت حياة ثلاثة أشخاص تماماً؛ إنها فكرة مخيفة للغاية.

ولكي أبدأ القصة، لا بد أن أعود إلى صيف عام 1914، قبل الحرب مباشرة، عندما نزلت في منزل بادجوورثي مع صديقي نيل كارسليك، الذي كان أعز أصدقائي بالنسبة إليّ، وكنت أعرف شقيقه آلان أيضاً، لكن معرفتي به لم تكن جيدة تماماً، أما سيلفيا أختهما، فإنني لم أقابلها قط، وكانت تصغر آلان بسنتين وتصفّر نيل بثلاث سنوات، وبينما كنا في المدرسة معاً، اعتزمتُ مرتين أن أقضي جزءاً من العطلات مع نيل في بادجوورثي، وفي المرتين كان يحدث شيء ما يحول دون حدوث هذه الزيارة، وهكذا لم أتمكن من زيارة آلان وبيل في منزلهما للمرة الأولى إلا عندما كنت في الثالثة والعشرين من عمري.

وكنا سنجتمع مع مجموعة كبيرة هناك، حيث كانت سيلفيا شقيقة نيل قد خطبت من فوراً لزميل يدعى تشارلز كرولي،

وقد أخبرني نيل بأنه كان أكبر منها كثيرًا، لكنه كان رجلًا طيب الخلق، وميسور الحال.

وأذكر أننا وصلنا إلى المنزل في نحو الساعة السابعة مساءً، وذهب كل منا إلى غرفته لتغيير ملابسه استعدادًا لتناول العشاء، فصحبني نيل إلى الغرفة المخصصة لي في منزل بادجوورثي الذي كان منزلًا متشعبًا عتيقًا جذابًا، فخلال القرون الثلاثة الماضية أضيف إلى هذا المنزل العديد من الغرف، لذا كان مليئًا بالسلالم الصاعدة والهابطة غير المتوقعة، ولم يكن من السهل على أي شخص أن يجد طريقه في هذا المنزل بسهولة، وأذكر أن نيل قد وعدني بأن يأتي ليصحبني في طريقه إلى قاعة الطعام لتناول العشاء، وكنت أشعر بالخجل قليلًا من مشهد لقاء عائلته للمرة الأولى، وأذكر أنني قلت له مازحًا إن هذا المنزل من النوع الذي يتوقع المرء أن يقابل فيه الأشباح في الممرات، فقال بلا مبالاة إنه يُقال إن المكان مسكون بالأشباح، ولكن لم يرَ أيًا منها على الإطلاق، كما أنه لا يعرف الشكل الذي يمكن أن تتجسد فيه الأشباح.

ثم خرج نيل مسرعًا وتركني لأفتح حقيبتني لإخراج الملابس التي سأرتديها في المساء، ولم تكن عائلة كارسليك ميسورة الحال، فلم يحافظوا إلا على منزلهم القديم، ولم يكن هناك أي خدم يفرغون الحقائب للضيوف، ويقومون على خدمتهم.

وأخيرًا وصلت من فوري إلى آخر مرحلة من ارتداء ملابسني، فكنت واقفًا أمام المرأة، واستطعت أن أرى فيها وجهي وكتفي وخلفهما جدار الغرفة، وهو جدار ممتد يوجد في وسطه باب،

وبمجرد أن أوشكت على الانتهاء، لاحظت أن الباب بدأ ينفث رويداً رويداً.

لا أعلم لماذا لم أستدر، فأظن أنه كان من الطبيعي أن أفعل ذلك، وعلى أية حال لم أفعل ذلك، فقد ظللت أراقب الباب وهو ينفث ببطء، وعندما فُتح رأيت ما بداخل الغرفة التي تقع خلفه. لقد كانت غرفة نوم أكبر من غرفتي، وبها سريران، وفجأة حبست أنفاسي.

فقد رأيت عند طرف أحد السريرين فتاةً وحول عنقها يدا رجل، وكان يدفعها إلى الخلف ببطء وهو يخنقها، وبدأت الفتاة تلفظ أنفاسها الأخيرة ببطء.

لم يكن هناك ولو احتمال بسيط لوجود سوء فهم من جانبي، فما رأيتُه كان واضحاً تماماً، فما وقع هو جريمة قتل. تمكنت من رؤية وجه الفتاة بوضوح، وشعرها الذهبي اللامع، والرعب الذي كان بادياً على وجهها الجميل الذي أخذ الدم يتلاشى منه ببطء، ولم أستطع أن أرى من ملامح الرجل سوى ظهره ويديه وندبة كانت ممتدة على الجانب الأيسر من وجهه حتى عنقه.

استغرق الأمر بعض الوقت لأصف لكم ما حدث، ولكنه لم يستغرق في الحقيقة سوى لحظة أو اثنتين فقط بينما كنت أهدق مذهولاً، ثم استدرت بسرعة لكي أطلب النجدة ...

فلم أجد على الحائط من خلفي - الحائط المنعكس في المرآة - سوى خزانة ملابس من الخشب الماهوجني الذي يرجع إلى العصر الفيكتوري، فليس هناك باب مفتوح ولا مسرح

للعنف، فاستدرت مرة أخرى إلى المرأة، فوجدتها لا تعكس سوى خزانة الملابس .

أخذت أفرك عيني بيدي، ثم انطلقت عبر الغرفة وحاولت سحب خزانة الملابس إلى الأمام، وفي تلك اللحظة دخل نيل من الباب الآخر المطل على الممر، وسألني مندهشاً عما كنت أحاول فعله.

لا بد أنه ظن أنني قد جننت قليلاً عندما اندفعت إليه وسألته إذا كان هناك باب خلف خزانة الملابس، ولكنه قال لي نعم، حيث كان هناك باب يؤدي إلى الغرفة المجاورة، فسألته من يشغل هذه الغرفة، فقال عائلة تسمى عائلة أولدام وهي مكونة من الرائد أولدام وزوجته، فسألته بعد ذلك عما إذا كانت السيدة أولدام ذات شعر ذهبي، وعندما قال لي بطريقة جافة إن شعرها أسود، بدأت أدرك أنني أجعل نفسي أحمق أمام الآخرين، فاستجمعت شتات نفسي، وبررت له هذه الأسئلة ببعض المسوغات غير المنطقية، وذهبنا إلى الطابق السفلي معاً. أخبرت نفسي بأنني لا محالة قد أصبت بنوع من الهذيان، وشعرت بالخجل بشكل عام من نفسي وبأنني أحمق للغاية.

ثم قال نيل وهو يقدمني إلى أخته: "أختي سيلفيا"، فرأيت الوجه الجميل لتلك الفتاة التي رأيتها من فوري تختنق حتى الموت ... ثم قدمني إلى خطيبها، كان رجلاً طويلاً أسود الشعر، لديه ندبة على الجانب الأيسر من وجهه.

حسنًا، هكذا الأمر إذن، وأود منك أن تفكر وتقول ماذا كنت لتفعل لو كنت في مكاني. هذه هي الفتاة، هي بعينها، وهذا هو

الرجل الذي رأيتَه يخنقها، وكانا سيتزوجان في غضون شهر تقريباً ...

هل كانت لديّ قدرة تنبؤية بالمستقبل، أم أن الأمر ليس كذلك؟ هل يمكن أن تأتي سيلفيا وزوجها إلى هنا ليقضيا بعض الوقت في المستقبل، ويُمنحا تلك الغرفة باعتبارها (أفضل غرفة خالية)؟ وهل سيتحقق هذا المشهد المريع الذي رأيتَه في الواقع؟

ما الذي كان يجب عليّ أن أفعله حيال ذلك؟ هل يمكنني أن أفعل أي شيء؟ وهل يمكن أن يصدقني نيل، أو أن تصدقني الفتاة نفسها؟

أخذت أقلب هذه المسألة في ذهني مراراً وتكراراً طوال الأسبوع الذي كنت فيه هناك، فهل أخبرهم أم لا؟ ولكن حدث أمر آخر زاد الأمور تعقيداً، فقد وقعت في حب سيلفيا كارسليك منذ الوهلة الأولى التي رأيتها هنا ... وأصبحت أكثر ما أتوق إليه في هذه الدنيا ... ووجدت أن هذا الأمر يقيدني بطريقة ما.

ومع ذلك إذا لم أقل شيئاً، فستتزوج سيلفيا من تشارلز كرولي الذي سيقتلها ...

ظللت على هذه الحال إلى أن حل اليوم السابق لمغادرتي المنزل، وصارحتها بكل شيء، وقلت لها إنني أتوقع أنها ستظن أنني قد أصبت بالجنون أو شيء من هذا القبيل، لكنني أقسمت لها أنني رأيت المشهد تماماً كما أخبرتها به، وأنني شعرت بأنه يجب عليّ أن أحكي لها هذا المشهد الغريب، ما دامت عازمة على الزواج بكرولي.

استمعت إليّ بهدوء شديد، وكان في عينيها شيء لم أفهمه، فلم تكن غاضبة على الإطلاق، وعندما انتهيت، شكرتني بشدة، فأخذت أقول لها مراراً وتكراراً مثل الأحمق: "لقد رأيت هذا المشهد. لقد رأيته حقاً"، فقالت لي: "أنا متأكدة أنك رأيته، فإذا كنت تقول ذلك، فإنني أصدقك".

وفي النهاية غادرت منزلهم دون أن أعرف ما إذا كنت قد فعلت الصواب أم كنت مجرد شخص أحمق، وبعد ذلك بأسبوع فسخت سيلفيا خطبتها من تشارلز كرولي.

مر زمن طويل حيث اندلعت الحرب، ولم يكن هناك وقت فراغ كبير للتفكير في أي شيء آخر. ولقد حدث أن رأيت سيلفيا مرة أو مرتين عندما كنت في إجازة، ولكن تجنبتها قدر الإمكان. كنت أحبها وكنت أريد الارتباط بها بشدة، لكنني شعرت بطريقة ما أن الأمر لن يسير هكذا كما أردت، لم تفسخ خطبتها من كرولي إلا بسببي، وظللت أقول لِنفسي إنه لا يمكنني تبرير ما فعلت إلا من خلال اتخاذ موقف حيادي ولا أهتم بها أبداً.

ثم في عام 1916، قُتل نيل في الحرب، وطلب مني وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن أخبر سيلفيا بما حدث له في لحظاته الأخيرة في الحياة. ولم يكن من الممكن بعد هذا الأمر أن تظل علاقتنا كما كانت من قبل، فكانت سيلفيا تحب نيل كثيراً، وكان هو أعز صديق لي، وكانت هي جميلة للغاية حتى في حزنها. وتمكنت من الإمساك بلساني، وخرجت مرة أخرى وأنا أدعو الله أن تصيبنني رصاصة لتنتهي حياتي التعيسة هذه؛ فالحياة من دون سيلفيا لم تكن تستحق أن تُعاش.

أجاثا كريستي

لم تقتلني رصاصاً في الحرب، ولكن أصابتنى واحدة أسفل أذني اليمنى، واصطدمت أخرى بعلبة سجائر في جيبى، لكنني خرجت من الحرب سالمًا، وقُتل تشارلز كرولي في الحرب في بداية عام 1918.

وقد أحدث ذلك فارقاً بطريقتي أو بأخرى، وعدتُ إلى الوطن في خريف عام 1918 قبل الهدنة، وذهبت مباشرة إلى سيلفيا وأخبرتها بأنني أحبها، ولم يكن لديّ أمل كبير في أنها ستهتم بهذا الأمر على الفور، ولك أن تتخيل مدى الدهشة التي شعرت بها عندما سألتني لماذا لم أخبرها من قبل، فأخذت أهمهم ببعض كلمات عن كرولي، فقالت لي: " لكن لماذا تعتقد أنني قد فسخت خطبتي به؟"، ثم أخبرتني بأنها وقعت في غرامى منذ اللحظة الأولى كما حدث معي تمامًا.

قلت لها إنني اعتقدت أنها فسخت خطبتها بسبب القصة التي أخبرتها بها، فضحكت بسخرية، وقالت إن المرأة إذا أحببت رجلاً بصدق، فلن تكون جبانة هكذا، وتحدثنا مرة أخرى عن ذلك المشهد القديم الغريب الذي رأيته، واتفقنا على أنه كان مشهداً غريباً، ولم نزد على ذلك.

لا يتبقى الكثير لأقوله عما حدث بعد ذلك، فقد تزوجت أنا وسيلفيا، وكنا سعيدين للغاية، لكنني أدركت، بمجرد أن أصبحت ملكي حقًا، أنني لم أستطع أن أكون لها خير زوج. لقد أحببت سيلفيا حبًا جمًّا، لكنني كنت أشعر بالغيرة إلى درجة السخافة من أي شخص كانت تبتسم له، فكانت تسعد بذلك في البداية، بل أعتقد أنها كانت تفضل ذلك، فقد أثبت لها ذلك على الأقل كم كنت مخلصًا لها.

بالنسبة إليّ، أدركت تمامًا، وبشكل لا لبس فيه، أنني لم أكن أضرب نفسي فحسب، بل كنت أعرض ما تشعر به من سلام وسعادة في حياتنا معًا للخطر. كنت أدرك ذلك، ولكنني لم أستطع أن أتغير، ففي كل مرة كانت سيلفيا تتلقى رسالة، ولا تريني إياها، كنت أسألها عن أرسل إليها هذه الرسالة، وإذا ضحكت أو تحدثت مع أي رجل، كنت أجد نفسي أشعر بالاستياء وأراقب الأمر من كذب.

كما قلت، كانت سيلفيا في البداية تضحك على ذلك، فكانت تظن أن هذا مجرد مزاح مسلل للغاية، ثم أدركت في النهاية أنه ليس مزاحًا على الإطلاق.

بدأت تبتعد عني شيئًا فشيئًا، وليس بعدًا جسديًا، وإنما أصبحت تخفي عني ما يدور في عقلها، ولم أعد أعرف أفكارها، وكانت لطيفة، لكنها كانت حزينة، وتناهى بنفسها بعيدًا عني.

لقد أدركت شيئًا فشيئًا أنها لم تعد تحبني، فقد مات حبها لي، وكنت أنا القاتل...

كانت الخطوة التالية حتمية، وجدت نفسي أنتظرها، وأخشاها...

ثم ظهر ديريك واينرايت في حياتنا، وكان يتمتع بكل شيء أفقر إليه، فكان يتمتع بالذكاء وطلاقة اللسان، وكان وسيماً أيضاً، وانني مضطر للاعتراف بأنني كنت شخصاً عادياً تماماً، وبمجرد أن رأيتته قلت لنفسي: "هذا هو الرجل الوحيد المناسب لسيلفيا...".

أجائنا كريستي

أما سيلفيا فقد قاومت هذه الفكرة، وأعلم أنها كانت تعاني بشدة ... لكنني لم أساعدها، إذ لم يكن ذلك بمقدرتي، وكنت منغمساً في تكتمي وكأبتي، وكنت أتعذب عذاباً شديداً، ولم أستطع أن أمد حتى إصبعي لإنقاذ نفسي، ولم أساعدها، بل إنني جعلت الأمور تزداد سوءاً، حتى إنني انفجرت فيها ذات يوم، وأخذت أسبها وأسيء إليها إساءة شديدة، لقد جننت تقريباً من الغيرة والبؤس. لقد كانت الكلمات التي قلتها قاسية وغير صحيحة، وكنت أعرف ذلك تمام المعرفة بينما كنت أقولها، ومع ذلك كنت أستمتع بقولها استمتاعاً غريباً.

أتذكر كيف احمرّ وجه سيلفيا وانكلمت في مكانها...

لقد دفعتهما إلى حالة جعلتها لم تعد تقوى على الاحتمال بعد الآن.

أتذكر أنها قالت لي: "إن هذا لا يمكن أن يستمر...".

عندما عدت إلى المنزل في تلك الليلة كان المنزل فارغاً، وكانت قد تركت لي رسالة تقليدية كما هي الحال في مثل هذه المواقف.

قالت لي فيها إنها سوف تتركني إلى الأبد، وأنها ستذهب إلى منزل بادجوورثي لمدة يوم أو يومين، بعد ذلك ستذهب إلى الشخص الذي يحبها ويحتاج إليها، وعلمت أنها النهاية.

وأظن أنني حتى هذه اللحظة لم أكن أعتبر الشكوك التي كانت تدور بخاطري حقيقية، ولكنها أكدت تلك الشكوك بهذا الخطاب الذي تركته لي؛ ما أثار جنوني، فتوجهت إلى بادجوورثي بأقصى سرعة يمكن للسيارة أن تقلني بها.

أتذكر أنني عندما اقتحمت عليها الغرفة، كانت قد فرغت من تغيير فستانها استعداداً لتناول العشاء، ورأيت وجهها الجميل وقد بدت عليه علامات الذهول والخوف.

فقلت: "لا يمكن أن تكوني لأحد غيري، لا يمكن"، وأمسكت رقبته بين يدي، وأخذت أضغط عليها إلى الخلف.

وفجأة رأيت انعكاس صورتنا في المرأة؛ سيلفيا تختنق وأنا أخنقها بنفسي، وتظهر الندبة الموجودة على خدي حيث قد أصابتني الرصاصة تحت أذني اليمنى.

لا، لم أقتلها. إن هذه الصورة المفاجئة التي رأيتها في المرأة أصابتني بالشلل، وفككت قبضتي عن عنقها، وتركتها تهوي على الأرض ...

ثم انهرت على الأرض، فأخذت تهدئ من روعي ... نعم، أخذت تهدئ من روعي.

أخبرتها بكل شيء، وقالت لي إنها كانت تقصد بعبارة "الشخص الذي يحبها ويحتاج إليها" شقيقها آلان ... باح كل منا للآخر بمكنون قلبه في تلك الليلة، ولا أعتقد، منذ تلك اللحظة، أن ابتعد أحد منا عن الآخر مرة أخرى ... كان من المؤلم أن تستمر الحياة هكذا، ولكن لولا نعمة الله والمرأة، لكنت الآن قاتلاً ...

ولكن شيئاً واحداً مات في تلك الليلة، شيطان الغيرة الذي تملكني فترة طويلة ...

لكنني أتساءل في بعض الأحيان ماذا لو أنني لم أرتكب هذا الخطأ الخاص بتلك الندبة التي رأيتها على الخد الأيسر؟

أجاثا كريستي

فبينما كانت في الحقيقة على الخد الأيمن، بدت في الجانب الأيسر نتيجة انعكاسها في المرآة؛ فهل كان عليّ فعلاً أن أتأكد تماماً من أن الرجل كان تشارلز كرولي؟ هل كنت سأحذر سيلفيا؟ هل كانت ستتزوجني أم تتزوجه؟

أم أن الماضي والمستقبل هما شيء واحد؟

إنني مجرد رجل بسيط، ولا يمكنني التظاهر بفهم هذه الأمور، لكنني قصصت لكم ما رأيته، والذي بسببه ظلت أنا وسيلفيا معاً، وكما تقول العبارة التقليدية، لا يفرقنا إلا الموت، وربما نظل معاً لما بعد ذلك ...

استغاثة

قال السيد دينسميد بإعجاب: "آه!" .

ثم تراجع بضع خطوات إلى الوراء، وفحص المائدة المستديرة باستحسان، وتوهج ضوء الشموع على مفرش المائدة الأبيض الخشن مع السكاكين والشوك وباقي أدوات المائدة. تساءلت السيدة دينسميد في تردد قائلة: "هل كل شيء جاهز؟"، كانت امرأة هزيلة بعض الشيء، ذات وجه شاحب وشعر خفيف تمشطه للخلف فيكشف عن جبهتها، وكانت متوترة بشكل دائم.

أجابها زوجها بلطف شديد للغاية: "كل شيء جاهز". كان رجلاً ضخماً، ذا كتفين منحنيتين، ووجه متورد عريض، وكانت عيناه ضيقتين تتلألآن تحت حاجبيه الكثيفين، وله ذقن كبير حليق.

قالت السيدة دينسميد في صوت هامس: "هل تريد عصير الليمون؟".

هز زوجها رأسه بالنفي قائلاً: "بل أريد شاياً، فهو أفضل في كل الأحوال. انظري إلى الطقس، فهو عاصف وممطر؛ لذا فإن فنجاناً من الشاي الساخن هو ما يحتاج إليه المرء على العشاء في أمسية كهذه".

أجاثا كريستي

غمز بعينه بشكل مضحك، ثم أخذ يتفحص المائدة مرة أخرى، وقال: "طبق جيد من البيض ولحم البقر المحفوظ البارد والخبز والجبن، فهذا ما أريده على العشاء، لذا تعالي وجهزيه يا عزيزتي. إن شارلوت في المطبخ تنتظر أن تساعدك". نهضت السيدة دينسميد، ولفت بحرص بكرة الخيط التي كانت تستخدمها في الحياكة، وهممت قائلة: "لقد كبرتُ وأصبحت فتاة جميلة، بل فائقة الجمال".

قال السيد دينسميد: "نعم! لقد أصبحت صورة مطابقة لأمها! هيا انهضي ولا تضيعي مزيداً من الوقت".

أخذ يتجول في الغرفة وهو يهتم بينه وبين نفسه دقيقة أو دقيقتين، وبمجرد اقترابه من النافذة، نظر منها، وأخذ يحدث نفسه قائلاً: "الطقس سيئ للغاية، من غير المحتمل أن يأتي إلينا ضيوف في هذه الليلة". ثم غادر الغرفة.

وبعد نحو عشر دقائق، دخلت السيدة دينسميد وهي تحمل طبقاً من البيض المقلي، وتبعتها ابنتها وهما تحملان باقي الطعام، ثم تبعهما السيد دينسميد وابنه جوني وجلس الأول على رأس الطاولة.

ثم قال مازحاً: "إن المائدة عامرة بالأطعمة اللذيذة، فليحفظ الله ذلك الرجل الذي ابتكر فكرة الأطعمة المعلبة. أود أن أعرف ماذا كنا سنفعل، إذا لم تكن لدينا أطعمة معلبة نستخدمها من حين لآخر، ونحن على بعد أميال من أي مكان

قد نبتاع منه الطعام، أو عندما ينسى الجزار إحضار اللحم لنا في مواعده الأسبوعي؟".

ثم بدأ يقطع بمهارة لحم البقر المحفوظ.

قالت ابنته ماجدلين بتذمر: "إنني أتساءل من فكر يوماً في بناء منزل مثل هذا، على بعد أميال من أي مكان مأهول، إننا لا نرى حتى شخصاً واحداً".

قال والدها: "لا، لا نرى ولا شخصاً واحداً حتى".

قالت شارلوت: "لا أعرف ما الذي دفعك لشراء مثل هذا المنزل يا أبي".

فأجابها والدها قائلاً: "ألا تعرفين يا ابنتي؟ حسناً، لقد كانت لدي أسبابي، لقد كانت لدي أسباب بالفعل".

نظر إلى زوجته نظرة ماكرة، ولكنها عبست.

فقالت شارلوت: "كما أنه مسكون بالأشباح أيضاً، فلا أستطيع أن أنام بمفردي لأي سبب كان".

فقال لها والدها: "ما هذا إلا محض هراء، فأنت لم تري أي شيء بعينيك، أليس كذلك؟ قولي".

أجابته قائلة: "ربما لم أرى أي شيء على الإطلاق، ولكن...".
فبادرها قائلاً: "ولكن ماذا؟".

لم تُجب شارلوت، لكنها ارتجفت قليلاً، حيث هطلت الأمطار بغزارة وأخذت ترتطم بزجاج النافذة، وسقطت الملعقة من يدي السيدة دينسميد؛ ما أحدث رنيناً على الطبق.

قال السيد دينسميد: "لست متوترة الأعصاب يا عزيزتي، أليس كذلك؟ إن الطقس شديد السوء الليلة، وهذا كل ما في

الأمر. لا تقلقي، نحن بأمان هنا بجانب المدفأة، ومن غير المحتمل أن يزعجنا أي شخص من الخارج بزيارته. إنها معجزة إذا قدم أي شخص لزيارتنا هذه الليلة، والمعجزات لا تحدث"، ثم أضاف وهو يحدث نفسه وهو يشعر بنوع من الرضا الغريب قائلاً: "المعجزات لا تحدث".

وبمجرد أن انتهى من كلامه، سمعوا طرقاً مفاجئاً على الباب، فظل السيد دينسميد مكانه لا يحرك ساكناً. فهمس وقد فغر فاه من فرط الدهشة: "من يكون هذا الطارق؟".

فصاحت فيه السيدة دينسميد بتذمر، ولفتت الشال حولها، واندفعت الدماء إلى وجه ماجدلين، وانحنت إلى الأمام تتحدث إلى والدها قائلة: "لقد حدثت المعجزة، ومن الأفضل أن تذهب وتسمح للطارق أياً كان هو بالدخول".

منذ عشرين دقيقة كان مورتيمر كليفلاند واقفاً يتفحص سيارته تحت المطر والضباب، فقد صادفه سوء حظ شديد في هذه الليلة، فقد أصاب إطار السيارة ثقبان في غضون عشر دقائق فقط، وكان يقف هنا على بعد أميال من الأماكن المأهولة، وسط منحدرات ويلتشير الجرداء، وحل الظلام، ولم يكن يجد أي مأوى. كان من الأفضل بالنسبة إليه أن يجد طريقاً مختصراً، وليته يعرف فقط أين يجد الطريق الرئيسي! فقد ضل الطريق الآن، وكأنه يقف وسط مضممار للسيارات، وليس لديه أية فكرة إذا كانت هناك قرية قريبة من هذا المكان.

أخذ ينظر حوله في حيرة، ولفت نظره بصيص من الضوء ينبعث من فوق جانب التل، وبعد ثانية حجبته الضباب مرة أخرى، ولكنه انتظر في صبر حتى رأى بصيصاً آخر من الضوء. وبعد لحظة من التأمل، غادر السيارة وأخذ يصعد إلى جانب التل.

سرعان ما تجاوز الضباب، وتعرف على الضوء الذي يشع من النافذة المضيئة لكوخ صغير، وكان هذا بالنسبة إليه هو المأوى، فأخذ مورتيمر كليفلاند يسرع من خطاه، ثم حنى رأسه لمواجهة الرياح العاصفة والأمطار الغزيرة التي يبدو وكأنها تبذل قصارى جهدها لإبعاده عن هذا المأوى.

كان كليفلاند شخصاً مشهوراً بطريقته الخاصة، على الرغم من أن غالبية الناس كانوا يجهلون تماماً اسمه وإنجازاته، فكان بارعاً في العلوم العقلية، وألف كتابين رائعين عن العقل الباطن، كما أنه عضو في جمعية الأبحاث النفسية، وكان يدرس علم الفلك؛ ما أثر على استنتاجاته ومساره البحثي.

وكان بطبيعته شديد التأثر بالأجواء المحيطة به بشكل خاص، ومن خلال التدريب المتعمد زادت موهبته الطبيعية الخاصة. عندما وصل أخيراً إلى المنزل وطرق الباب، شعر بإثارة شديدة وسرعة انتباه كبيرتين كأن جميع قدراته العقلية قد سُحِذت فجأة.

كان لغط الأصوات بالداخل مسموعاً بشكل واضح له، وعند طرقه الباب ساد صمت مفاجئ بالداخل، ثم صدر صوت كرسي يُجر على الأرض. وفي غضون دقيقة أخرى فُتح الباب من قبل

أجاثا كريستي

صبي يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا تقريبًا، وكان بإمكان كليفلاند أن ينظر مباشرة من فوق كتفه على المشهد من الداخل.

ذَكَرَ هذا الأمر بتجمع أسري كان يرأسه سيد هولندي، حيث كانت هناك مائدة مستديرة يجتمع حولها جميع أفراد العائلة، وعليها شمعة أو شمعتان متوهجتان، ونار المدفأة تضيء المكان كله. وكان الأب، ذلك الرجل الضخم يجلس إلى أحد جوانب الطاولة، وتجلس في الجهة المقابلة له امرأة صغيرة الحجم ذات شعر رمادي وقد رُسمت على وجهها ملامح الخوف، وكانت هناك فتاة تجلس في مواجهة الباب وأخذت تنظر مباشرة إلى كليفلاند، ونظرت بعينيها المليئتين بالدهشة إلى عينيهِ، وكانت تمسك في يدها فنجانًا، وكانت تهتم بارتشاف رشفة منه، لكنها توقفت فجأة وهو في منتصف الطريق إلى شفيتها.

ومن النظرة الأولى وجد كليفلاند أنها فتاة جميلة من النوع غير المألوف للغاية، ف شعرها ذهبي مائل للحمرة، ويحيط بوجهها، ويحجب عنها الرؤية مثل الضباب، وكانت عيناها متباعدتين للغاية، وذات لون رمادي نقي، وكان فمها وذقنها يشبهان مادونا الإيطالية.

ساد صمت مطبق دقيقة، ثم دلف كليفلاند إلى الداخل وأخذ يشرح المأزق الذي وقع فيه، إلى أن انتهى من قصته السخيفة، وساد مرة أخرى صمت لم يفهمه. وفي النهاية نهض الأب، وكأنه بذل مجهودًا في النهوض.

وقال له: "تفضل يا سيد ... كليفلاند، هذا هو اسمك، أليس كذلك؟".

قال مورتيمر وهو يبتسم: "بالفعل هذا هو اسمي".
فقال له: "أه! نعم. تقدم يا سيد كليفلاند. إنها تمطر بغزارة في الخارج، أليس كذلك؟ تعال بجانب نار المدفأة. هلا أغلقت الباب يا جوني، أم ستقف هناك حتى منتصف الليل".
دخل كليفلاند، وجلس على مقعد خشبي بجوار المدفأة، وأغلق الصبي جوني الباب.

قال الرجل الذي تبدل تمامًا، فقد أصبح الآن لطيفًا للغاية: "اسمي دينسميد، وهذه هي زوجتي، وهاتان ابنتاي شارلوت وماجدلين".

رأى كليفلاند للمرة الأولى وجه الفتاة التي كانت تجلس موجهة ظهرها إليه، ورأى أنها تختلف تمامًا عن أختها، لكنها كانت جميلة مثلها تمامًا. كانت بشرتها داكنة، ووجهها شاحب، وأنفها معقوف قليلاً، وفمها كبير إلى حد ما. لقد كان جمالها نوعاً من الجمال المتجمد والصارم والبغيض تقريباً، ومالت برأسها عندما قدمها أبوها، ونظرت إليه نظرة متعمدة كانت تتأمل شخصيته، وبدت كأنها كانت تحاول أن تلخص صفاته، وتصدر حكماً عليه من خلال وجهة نظرها الشابة.

قال له السيد دينسميد: "هل تود أن تشرب أي شيء يا سيد كليفلاند؟".

قال مورتيمر كليفلاند: "شكراً، إن تناول فنجان من الشاي سيضي بالغرض تمامًا".

أجاثا كريستي

تردد السيد دينسميد دقيقة ثم التقط خمسة فناجين من الشاي واحداً تلو الآخر من فوق المائدة، ثم أفرغها في وعاء واسع.

ثم قال بهدوء: "هذا الشاي بارد، هلا أحضرت لنا غيره يا عزيزتي؟".

نهضت السيدة دينسميد بسرعة وأسرعت وهي تمسك بإناء الشاي، وخطر ببال مورتيمر أنها كانت سعيدة لمغادرتها الغرفة. أحضرت الشاي الساخن بعد ذلك بقليل، ووضع الكثير من الطعام أمام الضيف غير المتوقع.

أخذ السيد دينسميد يتحدث ويتحدث، فقد كان صريحاً ولطيفاً وثرثاراً. بدأ يخبر ذلك الشخص الغريب بكل شيء عن نفسه، فقد تقاعد مؤخراً عن العمل في مجال تجارة العقارات، وبالفعل استفاد منه بشكل جيد، ورأى هو وزوجته أنها يرغبان في القليل من الهواء النقي من خلال العيش في الريف، فهما لم يعيشا في الريف من قبل، فأتيا إلى هنا في وقت غير مناسب من العام، حيث شهري أكتوبر ونوفمبر، لكنهما لم يرغباً في الانتظار، وقال له: "الحياة غير مضمونة، كما تعلم يا سيدي"، لذا سكنوا هذا المنزل الذي يبعد ثلاثة عشر كيلومتراً من أي مكان يوجد به سكان، وثلاثين كيلومتراً من أي شيء يمكن أن تسميه مدينة، ولم يشكوا من هذا المنزل قط، لكن الضفائين وجدته مملأً بعض الشيء، لكنه هو وزوجته كانا مستمتعين بهذا الهدوء.

وأسهب في الحديث تاركاً السيد مورتيمر وكأنه واقع تحت تأثير التنويم المغناطيسي نتيجة تحدثه الهادئ. لا يوجد شيء غريب في هذا المنزل، بل كان يبدو مألوفاً، ومع ذلك استشعر مورتيمر من الوهلة الأولى عندما دخل إلى المنزل بأن هناك بعض التوتر والانفعال ينبعثان من أحد هؤلاء الأشخاص الخمسة، ولكنه لم يكن يعرف مَنْ منهم، ثم سرعان ما رأى أن ذلك مجرد حماقة، فكانت أعصابه متعبة قليلاً لقد شعر الجميع بالدهشة عند زيارته المفاجئة لهم، وهذا هو كل ما في الأمر.

تطرق إلى مسألة المأوى الذي سيلجأ إليه، وكان الرد جاهزاً، حيث قال له السيد دينسميد: "يجب عليك أن تبقى معنا هنا يا سيد كليفلاند، فلا يوجد مأوى آخر لمسافة عدة كيلومترات حولنا، ويمكننا أن نعطيك غرفة نوم، وعلى الرغم من أن ملابس النوم الخاصة بي قد تكون واسعة بالنسبة إليك، فهي خير من لا شيء، وستجف ملابسك في الصباح".

قال له كليفلاند: "هذا لطف منك".

قال الرجل الآخر بلطف: "على الإطلاق، فكما قلت لك من قبل، إنها تمطر بغزارة في الخارج، فلتنهضي يا شارلوت أنت وماجدلين ولتجهزا الغرفة".

غادرت الفتاتان الغرفة، وسمع مورتيمر وقع أقدامهما في الطابق العلوي من فوقه.

قال كليفلاند: "إنني أتفهم أن فتاتين جذابتين كابنتيك تجدان هذا المكان مملاً".

أجاثا كريستي

قال السيد دينسميد بفخر أبوي: "إنهما جميلتان، أليس كذلك؟ فهما لا تشبهان والدتهما ولا تشبهاني، فنحن زوجان قبيحان، ولكن كلاً منا متعلق بالآخر. إنني أؤكد لك ذلك يا سيد كليفلاند، أليس كذلك يا ماجي؟".

ابتسمت السيدة دينسميد في الحال ثم عادت إلى الحياكة مرة أخرى، وكانت الإبر تصدر صوتاً سريعاً، فقد كانت حائكة متمرسه وسريعة.

أما الآن فقد أعلنت الفتاتان أن الغرفة جاهزة بالفعل، وأعرب مورتيمر عن شكره مرة أخرى وأعلن عن رغبته في الذهاب إلى الغرفة.

سألت السيدة دينسميد فجأة من منطلق الفخر بمنزلها قائلة: "هل وضعتما زجاجة من الماء الساخن أسفل الفراش؟". فأجابتا: "نعم يا أمي وضعنا اثنتين".

فقالت السيدة دينسميد: "حسناً، اصعدا معه أيتها الفتاتان لتريا ما إذا كان في حاجة إلى أي شيء آخر".

سبقته ماجدلين على الدرج وهي تمسك بشمعتها وترفعها عالياً، وكانت شارلوت في الخلف.

كانت الغرفة رائعة للغاية وصغيرة وذات سقف مائل، لكن السرير بدا مريحاً، وكانت بعض قطع الأثاث القليلة التي يعلوها التراب مصنوعة من خشب الماهوجني القديم. كان هناك وعاء كبير من الماء الساخن يوجد بداخل طشت أسفل السرير، وكان يوجد رداء للنوم وردي ذو حجم كبير على المقعد، وكان السرير مجهزاً ومرتباً.

صعدت ماجدلين إلى النافذة وتأكدت من أنها مغلقة بإحكام، وألقت شارلوت نظرة أخيرة على أدوات الاغتسال، ثم بقيتا بجانب الباب.

قالت له ماجدلين: "طابت ليلتك يا سيد كليفلاند، هل أنت متأكد من أن هذا كل ما تحتاج إليه؟".

فأجابها قائلاً: "نعم، شكراً لك يا آنسة ماجدلين. إنني آسف لأنني كبدتكما الكثير من العناء، طابت ليلتكما".
فقالتا له: "طابت ليلتك".

ثم خرجتا وأغلقتا الباب خلفهما. أصبح مورتيمر كليفلاند وحده، فخلع ملابسه ببطء وبتأن، وعندما ارتدى رداء النوم الوري الخاص بالسيد دينسميد، جمع ملابسه المبللة الخاصة ووضعها أمام الباب كما قال له مضيفه، وكان بإمكانه سماع صوت السيد دينسميد مقبلاً من الطابق السفلي.

يا له من ثرثارا شخصية غريبة للغاية، ولكن في الواقع هناك شيء غريب يتعلق بالأسرة بأكملها، أم أن هذا مجرد تخيلات؟

عاد ببطء إلى حجرته وأغلق الباب، ووقف بجانب السرير غارقاً في الأفكار، ثم انطلق يتأمل الغرفة...

كانت الطاولة المصنوعة من الخشب الماهوجني الموجودة بجوار السرير مغطاة بالتراب، وكانت هناك كلمة مكتوبة على التراب ويمكن رؤيتها بوضوح وهي كلمة استغاثة.

أجاثا كريستي

أخذ مورتيمر يحدِّق وكأنه لا يكاد يصدِّق ما تراه عيناه، وكان ذلك تأكيداً لجميع تخميناته وهو اجسه المبهمة، فقد كان على حق، فهناك شيء مريب في هذا المنزل.

إن كلمة استغاثة هي كلمة لطلب المساعدة، ولكن من كتب بإصبعه هذه الكلمة في التراب؟ ماجدلين أم شارلوت؟ وتذكر أنهما وقفتا هناك لحظة أو اثنتين قبل أن تخرجا من الغرفة، فمن منهما سقطت يدها سرّاً على المنضدة وكتبت هذه الكلمة؟ وتراءى أمامه وجه الفتاتين، ماجدلين بوجهها الداكن المتحفظ، وشارلوت بعينيها الواسعتين المندهشتين ونظراتها المبهمة.

ذهب مرة أخرى إلى الباب وفتحه، وكان لا يزال يسمع صوت السيد دينسميد، وساد الصمت أرجاء المنزل.
أخذ يفكر بينه وبين نفسه قائلاً: "لا أستطيع أن أفعل أي شيء الليلة، حسناً، فليكن في الغد، سنرى".

استيقظ كليفلاند في وقت مبكر، ونزل من غرفته، ومر بغرفة المعيشة، ثم خرج إلى الحديقة. كان الصباح منعشاً وجميلاً بعد المطر، وكان هناك شخص آخر قد استيقظ مبكراً أيضاً، ففي الجزء السفلي من الحديقة كانت شارلوت تتكئ على السياج محدقة إلى بزوغ الفجر، فتسارع نبضه قليلاً عندما نزل للانضمام إليها، وطوال هذا الوقت كان مقتنعاً في قرارة نفسه بأن شارلوت هي التي كتبت الرسالة. عندما اقترب منها استدارت إليه، وقالت له: "صباح الخير"، فكانت عيناه صريحتين وطفوليتين، ولم يكن بهما أي شيء يدل على الغموض.

قال مورتيمر مبتسماً: "صباح جيد للغاية، إن الطقس هذا الصباح مختلف تماماً عن طقس ليلة أمس".
فأجابته قائلة: "نعم بالطبع".

كسر مورتيمر كليفلاند غصن شجرة بالقرب منه، ثم بدأ يرسم بواسطة ذلك الغصن على تلك الرقعة الرملية الملساء عند قدمه، كتب أولاً "است"، ثم "غا"، ثم "ثة"، وكان يراقب الفتاة عن قرب وهو يفعل ذلك، ولكنه لم يستطع أن يصل إلى أية إشارة تدل على فهم الفتاة لما كتبه.

فسألها فجأة: "هل تعرفين ما تشير إليه هذه الكلمة؟"
فتجهمت تشارلوت قليلاً وسألته قائلة: "أليست هذه الكلمة هي ما يرسلها ربابنة السفن عندما يتعرضون لأزمة؟"

أوماً مورتيمر برأسه وقال لها بهدوء: "كتبها أحدهم على الطاولة الموجودة بجوار سريري الليلة الماضية وظننت أنك أنت من تكونين قد فعلت ذلك".

نظرت إليه في دهشة وقد اتسعت عيناها وقالت له: "أنا؟"
أوه، لا".

كان مخطئاً إذن، وأصابته خيبة أمل شديدة، فقد كان متأكدًا للغاية من أنها هي من كتب هذه الكلمة، فلم يكن حدسه يخطئ في كثير من الأحيان.

فأصر قائلاً: "هل أنت متأكدة مما تقولين؟"
فقالت له: "نعم".

فاستدارا وسارا معاً ببطء باتجاه المنزل، وبدت شارلوت مشغولة البال بشيء ما، فردت بشكل عشوائي على الملاحظات

أجاثا كريستي

القليلة التي قالها، ثم اندفعت تقول فجأة بصوت سريع خفيض:
"إن سؤالك بشأن تلك الكلمة يبدو غريباً للغاية، فأنا لم أكتبها
بالطبع، ولكنني أرى أن هذا قد يحدث".

توقف وأخذ ينظر إليها، ولكنها استرسلت بسرعة قائلة:
"يبدو الأمر سخيفاً، أنا أعرف ذلك، لكنني كنت خائفة، كنت
مرعوبة للغاية، وعندما أتيت الليلة الماضية، بدا هذا لي أنه
إجابة عن شيء ما".

فسألها في عجالة: "مم تخافين؟"

فأجابته قائلة: "أنا لا أعرف".

قال لها: "لا تعرفين!".

أضافت قائلة: "أظن أنني خائفة من هذا المنزل، فمند أن
أتيت إلى هنا وخوفي يزداد ويزداد، لقد تغير الجميع بشكل ما؛
أبي وأمي وماجدلين، كلهم يبدوون مختلفين".

لم يتحدث مورتيمر على الفور، وقبل أن يفعل ذلك،
استرسلت شارلوت مرة أخرى، قائلة: "هل تعرف أن هذا المنزل
مسكون بالأشباح؟"

أثار هذا الأمر انتباهه، فسألها قائلاً: "ماذا؟"

فأجابته قائلة: "نعم، لقد قتل رجل زوجته هنا منذ عدة
سنوات مضت. لقد اكتشفنا هذا الأمر بعد أن سكنا هنا، ولكن
أبي قال ما الأشباح إلا محض هراء ولا وجود لها، ولكنني ... لا
أعرف".

بدأت الأفكار تتسارع في ذهن مورتيمر.

فقال في نبذة جادة: "أخبريني هل، وقعت جريمة القتل هذه في الغرفة التي كنت أنام فيها الليلة الماضية؟"
 قالت شارلوت: "أنا لا أعرف أي شيء عن هذا."
 قال مورتيمر وكأنه يتحدث إلى نفسه: "إنني أتساءل، ولكن نعم قد تكون هي هذه الغرفة".

نظرت إليه شارلوت ويبدو عليها عدم فهمها لما يقول.
 فسألها مورتيمر بلطف: "أنسة دينسميد، هل سبق لك أن اعتقدت أنك وسيطة روحانية لأحد الأرواح".
 أخذت تحدق إليه.

فاسترسل قائلاً بنبرة هادئة: "أعتقد أنك تعرفين أنك كتبت هذه الكلمة بالفعل الليلة الماضية، أه حدث ذلك وأنت غير واعية بالطبع، لقد حدثت جريمة وتلطخت الأجواء المحيطة بالدماء إن جاز التعبير، فقد يتصرف عقل حساس مثل عقلك بهذه الطريقة، لقد تقمصت شخصية الضحية وأعدت تجسيد أحاسيسها وانطباعاتها، فربما تكون الضحية قد كتبت كلمة استغاثة على المنضدة منذ عدة سنوات، وأعدت أنت، دون وعي، هذا التصرف الليلة الماضية.

بدأت الإثارة الشديدة على وجه شارلوت، وقالت له: "أفهم ما تقول، فهل تعتقد أن هذا هو تفسير ما حدث؟".

ثم أتى صوت من المنزل ينادي عليها، فمضت تاركة مورتيمر يذرع أرض الحديقة ذهاباً وإياباً. هل كان راضياً عن تفسيره؟ وهل هذا التفسير يوضح كل الحقائق التي عرفها؟ هل كان ذلك سبب التوتر الذي شعر به عند دخول المنزل الليلة الماضية؟

أجاثا كريستي

ربما كان لا يزال ينتابه شعور غريب بأن قدومه المفاجئ قد سبب شيئاً من الذعر في هذا المنزل، ففكر في قرارة نفسه قائلاً: " يجب ألا أبتعد عن الحقيقة من خلال هذا التفسير النفسي الذي قدمته، فهو قد يفسر سبب إنزعاج شارلوت فقط، ولكنه لا ينطبق على الجميع، لقد أصابهم مجيئي بالإحباط الشديد، جميعهم ما عدا جوني، فأياً ما كان الأمر، فإن جوني بعيد تماماً عنه " .

لقد كان متأكداً تماماً من ذلك، والغريب أنه كان ينبغي له التأكد من ذلك، ولكن كان الأمر كذلك بالفعل.

ففي تلك اللحظة خرج جوني بنفسه من المنزل واقترب من الضيف قائلاً له على نحو مرتبك: " الإفطار جاهز، فهلا أتيت " .

لاحظ مورتيمر أن أصابع الصبي كانت ملطخة كثيراً، وشعر جوني بنظراته، فضحك في أسى قائلاً: " أنا دائماً أعبت بالمواد الكيميائية، وهذا يثير غضب أبي ويجعله يعنفني بقوة، فهو يريدني أن أهتم بأعمال البناء، ولكنني أحب الكيمياء وعمل الأبحاث " .

ظهر السيد دينسميد من النافذة أمامهم، وكان يتسم ابتسامة عريضة ومرحة، وعندما أبصره مورتيمر، أثار ذلك بداخله الريبة والضعيفة. وكانت السيدة دينسميد تجلس على الطاولة بالفعل، وقالت له: " صباح الخير " بصوت فاتر، وشعر مورتيمر بأنها خائفة منه لسبب أو لآخر.

أتت ماجدلين أخيراً، وأومأت له إيماءة بسيطة وجلست في المقعد المقابل له.

وسألته فجأة: "هل نمت جيداً؟ هل كان سريرك مريحاً؟". نظرت إليه بجدية شديدة، وعندما أجابها بالإيجاب بأدب جم، لاحظ علامة خيبة الأمل تملو وجهها، وتساءل ما الذي توقعته أن يقوله؟

استدار إلى مضيفه، وقال له في سرور: "يبدو أن ابنك مهتم بالكيماة".

دوى صوت ارتطام، فقد سقط فنجان الشاي من يد السيدة دينسميد.

فقال لها زوجها: "ماذا إذن يا ماجي؟ ماذا إذن؟".

بدا لمورتيمر أنه كانت هناك نبرة عتاب في صوته، والتفت إلى ضيفه وأخذ يحدثه عن مزايا تجارة العقارات، وعدم ترك الأبناء الصغار يفعلون ما يحلو لهم.

بعد الإفطار خرج بمفرده إلى الحديقة ليدخن سيجارة، لقد حان وقت رحيله عن المنزل، فقد كان من المفترض أن يأوي إلى هذا المنزل ليلة واحدة فقط، ولا يمكن أن يمكث أكثر من ذلك دون أية أعذار، وما العذر الذي يمكن أن يقدمه؟ ولكنه رغم ذلك كان يصر على عدم المغادرة.

وبعدما قلب الموضوع في رأسه مراراً وتكراراً، سلك طريقاً يؤدي إلى الجزء الآخر من المنزل، وكان نعل حدائه مصنوعاً من المطاط الخفيف، يكاد لا يصدر أي ضوضاء، وبينما كان يمر من أمام نافذة المطبخ، سمع كلمات دينسميد من الداخل

أجاثا كريستي

، وجذبت الكلمات انتباهه على الفور، فقد كان يقول: "إنه مبلغ كبير من المال".

أجابته السيدة دينسميد بصوت خافت للغاية، فلم يستطع مورتيمر سماع ما قالته، لكن دينسميد أجاب قائلاً: "لقد قال المحامي إن المبلغ 60000 تقريباً".

لم يكن لدى مورتيمر أية نية للتنصت، لكنه عاد من حيث أتى وهو يسير بعناية شديدة كي لا يسمعه أحد، ويبدو أن ذكر النقود يبلور الموقف؛ فالأمر يتعلق بشكل أو بآخر بموضوع المبلغ المالي الذي يبلغ 60000 جنيه إسترليني؛ لقد جعل الأمر أكثر وضوحاً وقبحاً كذلك.

خرجت ماجدلين من المنزل، لكن جاء صوت أبيها يناديها على الفور، فدخلت إلى المنزل مرة أخرى، وانضم السيد دينسميد إلى ضيفه.

فقال بلطف: "صباح لطيف وهذا أمر نادر، أمل أن تكون سيارتك على ما يرام".

قال مورتيمر في نفسه: "إنه يريد أن يعرف متى سأغادر". شكر السيد دينسميد مرة أخرى بصوت عالٍ على كرم ضيافته.

فقال السيد دينسميد: "العضو، العضو".

خرجت ماجدلين وشارلوت معاً من المنزل، وكانت كل منهما تمسك بذراع الأخرى إلى أن جلستا على مقعد خشبي على مسافة قريبة، فشكّل الشعر الداكن والذهبي تناقضاً

جميلاً، وقال السيد مورتيمر باندفاع: "إن ابنتيك مختلفتان تماماً كلتيهما عن الأخرى".

كان السيد دينسميد يشعل من فوره الغليون الخاص به، وهز رسغه ليطفئ عود الثقاب، ثم ألقاه بعيداً، متسائلاً: "هل تعتقد ذلك؟، حسناً، أنا الآخر أرى ذلك".

كان مورتيمر يتمتع بسرعة البديهة. فاستطرد قائلاً: "لكن بالطبع ليست كلتاها ابنتيك". رأى السيد دينسميد ينظر إليه، وتردد دقيقة، ثم قرر أن يتحدث معه في هذا الأمر.

فقال لمورتيمر: "هذا ذكاء منك يا سيدي، بالفعل إن إحداهما قد أخذناها من أمها عندما كانت طفلة وربيناها، وهي ليس لديها أدنى فكرة عن الحقيقة"، ثم تنهد وأضاف: "لكن لا بد أن تعرف قريباً".

فقال له مورتيمر في هدوء: "هل الأمر يتعلق بالميراث؟". فنظر السيد دينسميد إليه نظرة تنم عن الشك. ثم قرر أن يتحدث معه بصراحة هو أفضل حل، وأصبح أسلوبه صريحاً وواضحاً للغاية.

وقال: "من الغريب أن نتحدث في مثل هذه الأمور يا سيدي".

قال مورتيمر وهو يبتسم: "إن الأمر مجرد توارث خواطر، أليس كذلك؟".

فأجابه قائلاً: "إنها هكذا يا سيدي. لقد ربيناها لإجبار الأم على دفع تعويض مادي لنا، حيث كنت في ذلك الوقت مبتدئاً في

تجارة العقارات. وقبل بضعة أشهر، لاحظت إعلاناً في إحدى الصحف، وبدأ لي أن الطفل الوارد وصفه في هذا الإعلان هي ماجدلين، وذهبت لمقابلة المحامين، ودارت بيننا العديد من الأحاديث بطريقة أو بأخرى، وكان ينتابهم الشك تجاهي، وهذا أمر طبيعي، كما تعتقد، لكن كل شيء أصبح واضحاً الآن، حيث سأصبح الفتاة بنفسها إلى لندن الأسبوع المقبل، وهي لا تعرف شيئاً عن ذلك حتى الآن. يبدو أن والدها كان أحد هؤلاء السادة الأثرياء. لقد عرف أن ابنته ما زالت موجودة قبل وفاته ببضعة أشهر، وعين وكلاء لتعقبها والبحث عنها، وترك كل أمواله لها عندما يعثرون عليها".

كان مورتيمر يستمع إليه باهتمام شديد، ولم يكن لديه سبب واحد يجعله يشك في قصة السيد دينسميد، فهي تفسر سر جمال ماجدلين الصارم، كما أنها تفسر أيضاً تصرفاتها المختلفة عنهم، ومع ذلك على الرغم من أن القصة نفسها قد تكون صحيحة، فإن هناك شيئاً خلفها لم يُفصح عنه بعد.

لكن مورتيمر لم تكن لديه نية لإثارة شكوك السيد دينسميد، بل يجب عليه أن يبذل قصارى جهده لتبيدها.

فقال له: "إنها قصة ممتعة يا سيد دينسميد، وإنني أهنئ الآنسة ماجدلين على جمالها وميراثها، فأمامها المزيد من العمر".

اتفق معه والدها بحرارة قائلاً: "إن أمامها المزيد من العمر بالفعل، وإنها لفتاة طيبة بالفعل قلما يوجد مثلها في هذه الأيام يا سيد كليفلاند".

كان هناك دليل على حبه الشديد لها من خلال تحدثه عنها بأسلوب يملؤه الود.

قال مورتيمر: "حسناً، أعتقد أنني لا بد أن أرحل الآن، لا بد أن أشكرك مرة أخرى يا سيد دينسميد على كرم ضيافتك إياي في الوقت المناسب".

وذهب برفقة مضيفه إلى داخل المنزل ليودع السيدة دينسميد، وكانت تقف بجوار النافذة وكان ظهرها مواجهاً لهما ولم تسمعهما عند دخولهما، وعندما قال لها زوجها بمرحه المعتاد: ها هو السيد كليفلاند جاء ليودعك: بدت عصبية وترنحت، وأسقطت شيئاً كانت تحمله في يدها، فالتقط مورتيمر الشيء الذي أسقطته من يديها، وكانت صورة مصغرة لشارلوت يبدو أنها كانت منذ نحو خمسة وعشرين عاماً. كرر لها مورتيمر الشكر الذي قدمه بالفعل لزوجها، ولاحظ مرة أخرى الخوف الذي كان بادياً عليها، ونظراتها الخبيثة التي كانت توجهها إليه كالرصاص.

لم تظهر الفتاتان في المشهد، ولكن لم يكن جزءاً من سياسة مورتيمر أن يبدو متلهفاً لرؤيتهما، كما كانت لديه فكرته الخاصة، والتي سرعان ما ثبتت صحتها.

لقد سار نحو نصف كيلومتر من المنزل إلى حيث ترك سيارته الليلة الماضية، لكن كان هناك شخص يدفع الشجيرات التي كانت موجودة على جانبي الطريق، وفجأة ظهرت ماجدلين من بينها ووقفت أمامه.

قالت له: "كان لا بد أن أراك".

أجاثا كريستي

قال مورتيمر: "لقد توقعت قدومك، أنت من كتبت كلمة استغاثة على المنضدة الموجودة في الغرفة في الليلة الماضية، أليس كذلك؟".

أومات ماجدلين برأسها.

فسألها مورتيمر بلطف: "لماذا فعلت ذلك؟".

فاستدارت الفتاة وبدأت تقطف أوراق الشجيرات وهي تقول:

"أنا لا أعرف، صدقًا لا أعرف".

قال مورتيمر: "أخبريني".

أخذت ماجدلين نفسًا عميقًا، وقالت: "أنا إنسانة واقعية،

ولست من النوع الذي يتخيل الأشياء أو يتوهمها. وإنني أعلم

أنك تؤمن بالأشباح والأرواح، أما أنا فلا أعترف بذلك، وعندما

أقول لك إن هناك شيئًا ما مريبًا في ذلك المنزل"، أشارت إلى

أعلى التل ثم أكملت: "فإنني أعني أن هناك خطأ ما ملموسًا

وواضحًا. إنه ليس مجرد صدى للماضي، بل إنه شيء أخذ

يتزايد منذ أن أتينا إلى هنا. وكل يوم يزداد الأمر سوءًا، ويصير

أبي مختلفًا أكثر وكذلك أمي وشارلوت أيضًا".

فقاطعتها مورتيمر وسألها قائلاً: "وهل أصبح جوني مختلفًا

أيضًا؟".

نظرت إليه ماجدلين، وقد بدا في عينيها تقديرها لسؤاله،

وأجابته قائلة: "لا، لا بد أن أفكر الآن في هذا الأمر، جوني لا

يبدو مختلفًا، فهو الوحيد الذي لم يمسه أي شيء، فلم يبدو

مختلفًا قط ليلة أمس عند تناولنا الشاي".

فسألها مورتيمر قائلاً: "وماذا عنك؟".

أجابته قائلة: "أنا كنت خائفة، خائفة للغاية مثل الأطفال دون أن أعرف ما الذي يخيفني، وأبي كان غريباً، فلا توجد كلمة أخرى يمكن وصفه بها سوى كلمة غريب. لقد كان يتحدث عن المعجزات، ثم دعوت الله أن تحدث معجزة، وبالفعل طرقت أنت الباب".

توقفت فجأة، وأخذت تحدّق إليه، ثم استطردت قائلة في تحدّ: "أعتقد أنني أبدو مجنونة بالنسبة إليك".
قال مورتيمر: "لا، بل بالعكس تبدين في كامل قواك العقلية، فكل العقلاء يرون إشارات تحذّهم باقتراب الخطر منهم".

قالت له ماجدلين: "أنت لا تفهم، أنا لست خائفة... على نفسي".

فسألها قائلاً: "إذن، على من تخافين؟"
ولكنها هزت رأسها بطريقة تنم عن الحيرة قائلة: "لا أدري".
واسترسلت قائلة: "لقد كتبت كلمة استغاثة بدافع داخلي، واعتقدت دون شك أنهم لن يتركوني أتحدث إليك؛ أعني باقي أفراد الأسرة، ولا أعرف ما الذي كنت أريدك أن تفعله، وما زلت لا أعرف".

قال مورتيمر: "لا عليك، لا بد أن أساعدك".
فسألته قائلة: "ما الذي يمكنك أن تفعله؟".
ابتسم مورتيمر قليلاً، وقال لها: "يمكنني أن أفكر".
فنظرت إليه في شك.

أجاثا كريستي

فقال لها مورتيمر: "نعم، فالأمور التي يمكن فعلها أكثر مما تعتقدين، أخبريني: هل كان هناك أية كلمة أو عبارة جذبت انتباهك قبل تناول الطعام الليلة الماضية؟"

تجهمت ماجدلين قائلة: "لا أعتقد، لقد سمعت والدي يقول لأمي إن شارلوت نسخة مطابقة لها، وضحك ضحكة غريبة، ولا يوجد أي شيء غريب في هذا، أليس كذلك؟"

أجابها مورتيمر قائلاً: "لا يوجد شيء غريب في ذلك، إلا إذا كانت شارلوت لا تشبه أمك؟"

ظل غارقاً في أفكاره دقيقة أو دقيقتين، ثم رفع رأسه ليجد ماجدلين تنظر إليه في شك، فقال لها: "أذهبي إلى المنزل يا عزيزتي، ولا تقلقي، واطركي الأمر لي". فتوجهت إلى أعلى التل نحو المنزل، وسار مورتيمر مسافة أبعد قليلاً، ثم استلقى على العشب الأخضر، وأغمض عينيه، وفصل نفسه عن التفكير أو الجهد الواعي، وسمح لسلسلة من الصور بالتدفق في عقله.

جونني دائماً ما يعود ليفكر في جونني، فإن جونني بريء تماماً، بعيد عن دائرة الشك والريبة، ولكن مع ذلك له دور محوري يدور حوله كل شيء. وتذكر سقوط الفنجان من يد السيدة دينسميد فوق الصحن عند الإفطار في ذلك الصباح، فما الذي تسبب في إثارتها هكذا؟ هل كان ذلك بسبب إشارته لعشق الفتى للكيمياء؟ لم يكن ينتبه في تلك اللحظة إلى السيد دينسميد، لكنه رآه الآن بوضوح، وهو جالس ممسكاً بفنجان الشاي الخاص به في منتصف الطريق إلى شفتيه.

أعاده ذلك إلى التفكير في شارلوت مرة أخرى، عندما رآها عندما فتح له الباب الليلة الماضية، فقد جلست تحدق إليه من فوق حافة فنجان الشاي الخاص بها. وسرعان ما تبعت ذلك ذكرى أخرى في رأسه، حيث تذكر السيد دينسميد وهو يفرغ فناجين الشاي الواحد تلو الآخر، ويقول "هذا الشاي بارد".

تذكر البخار الذي كان يتصاعد منه، فمن المؤكد أن الشاي لم يكن باردًا للغاية على أية حال؟

بدأ شيء ما يدور في رأسه، حيث تذكر شيئًا ما قرأه منذ وقت ليس ببعيد ربما منذ شهر، حيث قرأ عن عائلة تسمت بأكملها بسبب إهمال فتى، عندما تساقطت قطرات من علبة الزرنيخ التي كانت موجودة في الخزانة فوق الخبز الذي كان موجودًا بالأسفل. لقد قرأ ذلك في الصحيفة، فربما يكون السيد دينسميد قد قرأه أيضًا.

بدأت الأمور تتضح بالفعل ...

وبعد مضي نصف ساعة، هب مورتيمر كليفلاند واقفًا على قدميه في خفة.

حل المساء مرة أخرى في المنزل، وتم إعداد البيض المسلوق الليلة وعلبة من اللحم البقري المحفوظ. في ذلك الوقت جاءت السيدة دينسميد من المطبخ حاملة إبريقًا كبيرًا من الشاي، وأخذ أفراد الأسرة أماكنهم حول الطاولة.

قالت السيدة دينسميد وهي تنظر من النافذة: "إن الطقس اليوم مختلف عن طقس أمس قليلًا".

أجاثا كريستي

قال السيد دينسميد: "نعم، إن الجو هادئ تماماً الليلة، حتى إن بإمكاننا سماع صوت وقوع الإبرة على الأرض، والآن فلتصبي لنا الشاي يا عزيزتي".

ملأت السيدة دينسميد الفناجين ووزعتها حول الطاولة، ثم عندما وضعت إبريق الشاي، صرخت فجأة صرخة صغيرة، ووضعت يدها على قلبها، فأخذ السيد دينسميد يتلفت من فوق مقعده في الاتجاه الذي تنظر إليه عيناها المرعوبتان، فكان مورتيمر كليفلاند يقف عند المدخل.

تقدم إلى الداخل، وقدم اعتذاره بطريقة لطيفة، حيث قال: "أخشى أن أكون قد أفزعتم، لقد عدت من أجل شيء ما".

صاح السيد دينسميد وقد تغير لون وجهه، وانتفضت أوداجه قائلاً: "رجعت من أجل ماذا؟ لا بد أن أعرف".

قال مورتيمر: "من أجل بعض الشاي".

وفي حركة سريعة أخرج شيئاً من جيبه، وأخذ أحد فناجين الشاي من فوق المائدة، وأفرغ بعضاً منه في أنبوب اختبار يمسكه بيده اليسرى.

أخذ السيد دينسميد يقول وهو يلهث: "ماذا؟ ماذا تفعل؟"، وقد شحب وجهه تماماً، واختفى اللون الأحمر الذي كان يكسو وجهه تماماً، وصرخت السيدة دينسميد صرخة حادة ومخيفة.

قال مورتيمر: "أعتقد أنك تقرأ الجرائد يا سيد دينسميد، أليس كذلك؟ أنا متأكد من أنك تفعل. أحياناً ما نقرأ عن عائلة تسمت بأكملها، بعضها يتعافى والبعض الآخر لا يتعافى، أما في هذه الحالة فلن يتعافى أحد، وسيكون تفسير التسمم هو

علبة اللحم البقري المحفوظ التي تتناولونها، ولكن ماذا لو كان الطبيب شخصاً شاكاً بطبعه، لا يقتنع بسهولة بنظرية الطعام المعلب المسموم؟ هناك علبة من الزرنوخ في خزانك، وفي الرف الأسفل منها توجد علبة الشاي، كما توجد فتحة مناسبة في الرف العلوي، وهل هناك شيء أقرب إلى التفسير الطبيعي من حدوث تسرب من علبة الزرنوخ إلى الشاي بشكل غير مقصود؟ سيُلام ابنك جوني فقط، لا شيء أكثر من ذلك".

شهق السيد دينسميد، وقال: "أنا، أنا لا أعرف عم تتحدث".

قال له مورتيمر: "بل أعتقد أنك تعرف"، ثم أخذ فنجاناً ثانياً من الشاي وملاً أنبوبة اختبار ثانية، ولصق شريطاً أحمر على واحدة، وشريطاً أزرق على الأخرى.

قال: "إن الأنبوبة التي بها شريط أحمر بها شاي من فنجان ابنتك شارلوت، أما الأخرى فبها شاي من فنجان ابنتك ماجدلين. وإنني على استعداد لأن أقسم بأن الأنبوبة الأولى تحتوي على أربعة أو خمسة أضعاف كمية الزرنوخ الموجودة في الأنبوبة الأخرى".

قال دينسميد: "أنت مجنون".

قال كليفلاند: "أه لا يا عزيزي إنني لست مجنوناً. لقد أثبت لي اليوم يا سيد دينسميد أن ماجدلين هي ابنتك، وأن شارلوت هي الطفلة التي توليت رعايتها منذ صغرها؛ تلك الطفلة التي كانت تشبه أمها، حتى إنني عندما أمسكت في يدي صورة مصغرة للأم، أخطأت الظن وظننتها صورة لشارلوت نفسها. كان من المفترض أن ترث ابنتك الحقيقية هذه الثروة، وبما أنه قد

يكون من المستحيل إبقاء ابنتك غير الحقيقية شارلوت بعيداً عن الأنظار، حيث خشيت أن يراها أحد ويكون على معرفة بأمرها، فيدرك حقيقة التشابه الكبير بينهما، لذا قررت أن تضيف قليلاً من الزرنيخ الأبيض في قاع فنجان الشاي".

صرخت السيدة دينسميد صرخة مفاجئة وعالية، وأخذت ترتعش بشكل هستيري.

وقالت بصوت مرتفع: "الشاي، هذا ما قاله، الشاي وليس عصير الليمون".

صرخ فيها زوجها في غضب قائلاً: "أمسكي عليك لسانك، ألا تستطيعين فعل ذلك؟".

رأى مورتيمر شارلوت تنظر إليه عبر الطاولة بعينين واسعتين يملؤهما التساؤل والتعجب، ثم شعر بيد تمسك بذراعه، حيث سحبتة ماجدلين بعيداً عن هذه الضوضاء.

أشارت إلى الأنوبيتين قائلة: "هاتان الأنوبيتان، يا أبي، إنك لم تكن تنوي أن..."

وضع مورتيمر يده على كتفها، وقال لها: "عزيزتي أنت لا تؤمنين بالماضي، ولكني أوّمن به، كما أوّمن بالأجواء السائدة في هذا المنزل، فلولا ذلك الأمر فربما - أقول ربما - لم يكن أبوك ليفكر في مثل هذه الخطة التي وضعها. سأحتفظ بهاتين الأنوبيتين الآن وفي المستقبل من أجل أن أحمي شارلوت. وبصرف النظر عن ذلك، لا يسعني أن أفعل أي شيء لليد التي كتبت كلمة استغاثة سوى أن أتقدم لها بالشكر.

مغامرة المقبرة المصرية

كثيراً ما كنت أرى أن تلك المغامرة التي اشتركت في التحقيق فيها مع بوارو بشأن تلك السلسلة الغريبة من الوفيات التي أعقبت اكتشاف مقبرة الملك مين - هير - رع وفتحها هي واحدة من أكثر المغامرات التي اشتركت فيها معه إثارةً وتشويقاً.

لم يمضِ وقت طويل بعد أن اكتشف اللورد كارنارفون مقبرة الملك توت عنخ آمون، حتى بدأ السير جون ويلارد والسيد بليبنر من نيويورك، في متابعة أعمال التنقيب في منطقة أهرامات الجيزة، وهي ليست بعيدة عن القاهرة، وقد كشفت أعمالهما بشكل غير متوقع عن العديد من غرف الدفن، وأثار اكتشافهما أكبر قدر من الاهتمام، فقد اتضح أن المقبرة لملك يدعى مين - هير - رع، وهو أحد الملوك الذين لا نعرف عنهم الكثير وهو ينتمي للأسرة الثامنة، وقد شهدت تلك الحقبه تدهور المملكة القديمة. ولم يكن يُعرف الكثير عن تلك الحقبه، وقد نُشرت الأخبار الخاصة بتلك الاكتشافات بشكل كامل في الصحف.

وسرعان ما وقع حدث ألقى بأثره الهائل على الرأي العام، فقد مات السير جون ويلارد فجأة متأثراً بأزمة قلبية.

وانتهزت الصحف الأكثر إثارة الفرصة في الحال لإحياء جميع القصص الخرافية القديمة المرتبطة بلعنة البحث عن الكنوز المصرية، فقد أُثيرت مرة أخرى قصة المومياء

أجاثا كريستي

المشئومة الموجودة في المتحف البريطاني ذات الشعر الكستنائي التي استخرجت وسط مشاعر الحماس المتأججة، ولكن القائمين على المتحف نفوا تلك القصة نفيًا تامًا، ومع ذلك فقد طفت قصتها على السطح مرة أخرى.

وبعد أسبوعين، توفي السيد بليبنر نتيجة تسمم حاد بالدم، وبعدها بأيام قليلة أطلق ابن أخيه النار على نفسه في نيويورك. وأصبح الحديث عن "لعنة الملك مين - هير-رع" هو حديث الساعة، وأخذ الناس ينظرون إلى القوى الخارقة والغامضة المرتبطة بالملوك المصريين القدامى نظرة تبجيل وصلت إلى حد الهوس.

في ذلك الوقت، تلقى بوارو رسالة موجزة من السيدة ويلارد، أرملة عالم الآثار المتوفى، تطلب منه أن يذهب لرؤيتها في منزلها في ميدان كنسينجتون، ورافقته في هذه الزيارة. كانت السيدة ويلارد امرأة طويلة ونحيفة ترتدي ثياب الحداد، وكان وجهها الشاحب يعكس ما تشعر به من أسى عميق. تحدثت إلى بوارو قائلة: "إنه للطف منك أن تحضر إلى هنا بهذه السرعة يا سيد بوارو."

فقال لها: "أنا في خدمتك سيدي ويلارد، هل ترغبين في الحصول على مشورتي في أمر ما؟"

فأجابته قائلة: "إنني أعلم أنك محقق، ولكنني لا أريد أن أستشيرك بصفتك محققًا فقط، فأنت رجل سديد الرأي، وأعلم أنك قوي الخيال، ذو خبرة واسعة؛ لذا فلتخبرني يا سيد بوارو، ما وجهة نظرك في الأمور الخارقة للطبيعة؟"

تردد بوارو للحظة قبل أن يجيبها، فبدأ أنه كان يفكر تفكيراً عميقاً، ثم أجابها في النهاية قائلاً: "لنتجنب وقوع إساءة الفهم بيننا يا سيدة ويلارد. إن السؤال الذي توجهينه إليّ ليس سؤالاً عاماً، بل إنه يتعلق بتجربتك الشخصية، إنك تشيرين بشكل غير مباشر إلى موت زوجك الراحل، أليس كذلك؟".

واعترفت بذلك قائلة: "نعم، إن الأمر كذلك بالفعل".

فسألها قائلاً: "هل تريدين مني أن أحقق في ملابسات موته؟".

فأجابت: "أريدك أن تؤكد لي مدى صدق ما تتداوله تلك الصحف من أخبار في هذا الشأن، وإلى أي مدى يمكن التأكد من كل هذه الأمور التي تُثار. لقد وقعت ثلاث وفيات يا سيد بوارو، ويمكن تفسير كل واحدة منها على حدة، لكن إذا نظرنا إليها جميعاً، لا يمكن أن نصدّق بكل تأكيد أنها وقعت مصادفةً، لقد حدث كل ذلك في غضون شهر من افتتاح المقبرة! قد يكون الأمر مجرد خرافة، وقد يكون لعنة قوية من الماضي تعمل بطريقة ما لا يستطيع العلم الحديث أن يجد لها تفسيراً حتى الآن، لكن تبقى الحقيقة؛ وهي أن هناك ثلاثة موتى! وأنا خائفة يا سيد بوارو خائفة للغاية، فقد لا ينتهي الأمر عند هذا الحد".

فسألها بوارو قائلاً: "على من تخافين؟".

فأجابته: "أخاف على ابني، فعندما وردت الأنباء بوفاة زوجي، كنت مريضة، وسافر ابني إلى مصر وكان قد عاد من فوره من أوكسفورد، وأحضر جسد والده إلى وطنه، لكنه الآن يريد أن يعود مرة أخرى رغم توسلاتي له بالأفعال؛ إنه مفتون للغاية

أجاثا كريستي

بالعمل الذي كان يؤديه والده، لدرجة أنه ينوي أن يحل محله ويواصل عمليات الاستكشاف والتنقيب. قد تظنني امرأة حمقاء وساذجة، ولكنني خائفة يا سيد بوارو، فماذا لو أن روح الملك الميت لم تهدأ بعد؟ ربما يبدو لك ما أقوله محض هراء... "

فقال بوارو بسرعة: "لا يا سيدة ويلارد، فأنا أيضاً أؤمن بالقوة الخارقة، فهي واحدة من أعظم القوى التي عرفها العالم."

نظرتُ إليه في دهشة، فلم أعهد قط يؤمن بالقوة الخارقة، ولكن يبدو أن ذلك الرجل القصير كان جاداً فيما يقول.

وأضاف قائلاً: "إنك تطلبين مني أن أحمي ولدك، أليس كذلك؟ سأبذل كل ما بوسعي لأحميه من أي ضرر."

فأجابته قائلة: "نعم، أنت تستطيع فعل ذلك في الظروف العادية، ولكن ماذا ستفعل أمام تلك القوة الخفية؟"

فقال لها: "سوف تجددين في مجلدات العصور الوسطى يا سيدة ويلارد العديد من الطرق لمواجهة تلك القوى الخارقة، وربما كان العلماء آنذاك يعرفون أكثر مما نعرف نحن الآن بخصوص هذا الشأن رغم ما يفتخر به العلم الآن من الحداثة والتقدم. لنركز الآن على الحقائق التي قد توجهنا إلى الطريق الصحيح. لقد وهب زوجك نفسه لدراسة علم المصريات، أليس كذلك؟"

فأجابته قائلة: "نعم، منذ شبابه، فقد كان واحداً من أعظم الخبراء في هذا المجال."

فقال لها متسائلاً: "وعلى حد علمي، كان السيد بليبنر مجرد هاو".

فأجابته قائلة: "آه، نعم، لقد كان رجلاً ثرياً للغاية يمارس بحرية أية هواية تأسر اهتمامه، ولقد شجَّعه زوجي على الاهتمام بعلم المصريات، وقد ساعدت ثروته على تمويل البعثة الاستكشافية".

فسألها قائلاً: "وماذا عن ابن أخيه؟ ماذا تعرفين عن ميوله؟ هل كان مشتركاً في العمل مع هذه البعثة؟".

فأجابته قائلة: "لا أظن ذلك، في الحقيقة لم أعرف بوجوده معهم، حتى علمت بوفاته من الصحف، فلا أظن أنه كانت هناك علاقة طيبة بينه وبين السيد بليبنر، فلم يكن ذلك السيد يتحدث عن وجود أقارب له".

فسألها قائلاً: "ومن هم بقية أعضاء البعثة؟".

فأجابته قائلة: "كان هناك الدكتور توسويل، وهو مسئول صغير يعمل في المتحف البريطاني، والسيد شنايدر من متحف المتروبوليتان في نيويورك، وشاب أمريكي صغير يعمل سكرتيراً، والطبيب أميس الذي يرافق البعثة بصفته المهنية، وحسان؛ وهو مصري الجنسية وكان الخادم المخلص لزوجي".

فقال لها: "هل تتذكرين اسم الشاب الأمريكي الذي كان يعمل سكرتيراً؟".

فأجابته قائلة: "أعتقد أن اسمه هاربر، ولكنني لست متأكدة؛ فأنا أعلم أنه لم يعمل مع السيد بليبنر فترة طويلة، وقد كان شاباً لطيفاً للغاية".

أجاثا كريستي

فقال لها: "شكرًا يا سيدة ويلارد".

فقالت له: "هل لديك أية أسئلة أخرى...؟"

فقال لها: "ليس هناك أي شيء حتى هذه اللحظة، فلتتركي الأمر لي الآن. وتأكدي أنني سأبذل كل ما في إمكاني البشرية من أجل حماية ابنك".

لم تكن كلماته مطمئنة تمامًا بالنسبة إليها، فقد لاحظت ذلك على وجه السيدة ويلارد وينس وهو ينطق كلماته الأخيرة، ولكن في الوقت نفسه كانت حقيقة عدم محاولة استخفافه بمخاوفها في حد ذاتها مصدر طمأنينة بالنسبة إليها.

من ناحيتي، لم أكن أظن من قبل أن بوارو يؤمن في أعماقه بوجود قوى خارقة؛ لذا تحدثت معه عن هذا الأمر بينما كنا في طريق عودتنا إلى المنزل، وكان أسلوبه جادًا للغاية.

وقال لي: "نعم يا هاستنجز، إنني أؤمن بمثل هذه الأشياء، ويجب ألا تقلل من شأن القوى الخارقة".

فسألته قائلاً: "ماذا سنفعل حيال هذا الأمر؟".

فأجابني قائلاً: "أنت دائماً رجل عملي يا هاستنجز الطيب! إذن، في البداية سنرسل برقية إلى نيويورك لنحصل على معلومات مفصلة عن وفاة السيد بليبنر الصغير".

لقد أرسل البرقية بالفعل، وأتاه الرد كاملاً ودقيقاً، فقد عاش الشاب روبرت بليبنر في فقر مدقع عدة سنوات، حيث عمل في تنظيف الشواطئ وفي إيصال بعض الحوالات إلى المهاجرين في العديد من جزر بحر الجنوب، لكنه عاد إلى نيويورك قبل عامين، حيث ازدادت أحواله سوءاً، وأما الشيء الأكثر أهمية

من وجهة نظري فهو أنه تمكّن مؤخرًا من اقتراض ما يكفي من المال ليسافر إلى مصر. ولقد قال إنه اقترض هذا المال من أحد أصدقائه المقربين، ومع ذلك ذهبت كل أحلامه وخططه سدى؛ حيث عاد إلى نيويورك وهو يلعن عمه الذي كان يهتم بعظام قدماء الملوك الموتى أكثر من أقاربه الذين هم من لحمه ودمه. وخلال فترة إقامته في مصر، توفي السير جون ويلارد، وانغمس روبرت مرة أخرى في حياة الضياع في نيويورك، ثم، ودون سابق إنذار، أطلق النار على نفسه وترك وراءه رسالة تحتوي على بعض العبارات الغريبة، ويبدو أنه قد كتبها في إحدى اللحظات التي شعر فيها بالندم، فقد وصف نفسه بالأبرص المنبوذ، وأنهى الرسالة بأن قال إن الموت أفضل لمن هم على شاكلته.

قفزت إلى ذهني نظرية غامضة، فلم أكن أوّمن حقًا بانتقام ملك مصري مات منذ زمن بعيد، وإنما أرى أن الأمر أقرب إلى جريمة حديثة. لنفترض أن هذا الشاب قد قرر التخلص من عمه وفضل أن يكون ذلك بالسم، ولكن عن طريق الخطأ، يتناول السير جون ويلارد الجرعة القاتلة، ويعود الشاب إلى نيويورك تلاحقه جريمته. ويصله خبر وفاة عمه، ويدرك أن جريمته ليست ذات فائدة، فتخلص من حياته بعد أن شعر بالندم.

أوضحت لبوارو وجهة نظري هذه، وكان مهتمًا بها حقًا. وقال لي: "إن تلك الفكرة التي توصلت إليها هي فكرة عبقرية، بالتأكيد هي فكرة عبقرية. وقد يكون هذا صحيحًا بالفعل، لكنك لا تضع في اعتبارك التأثير المميت للمقبرة".

أجاثا كريستي

فهزرت كتفي باستهجان قائلاً: "أما زلت تعتقد أن لها علاقة بالأمر؟".

فأجابني قائلاً: "إنني أميل إلى الاعتقاد بهذا الأمر كثيراً يا صديقي، سنبدأ رحلتنا إلى مصر غداً".
فصحتُ في دهشة قائلاً: "ماذا؟".

بدا على وجه بوارو تعبيرات تنم عن الشجاعة والثقة، وقال: "لقد قلت ما سمعته"، ثم تأوه قائلاً: "أه، البحر، البحر، البحر البغيض".

وبعد مرور أسبوع، كانت أقدامنا قد وطئت الرمال الذهبية للصحراء المصرية، وكانت الشمس ترسل أشعتها الحارقة فوق رؤوسنا، وكان بوارو بجانيي يمثل صورة للبوؤس، فلم يكن ذلك الرجل القصير كثير السفر، فقد مثلت رحلتنا من مارسيليا إلى مصر والتي استمرت أربعة أيام معاناة كبيرة بالنسبة إليه، وعندما وطئت قدماه أرض الإسكندرية بدا كأنه شبح لنفسه، حتى إنه تخلى عن أناقته المعتادة، وعندما وصلنا إلى القاهرة، توجهنا على الفور إلى فندق مينا هاوس الذي يقع على مقربة من الأهرامات.

أما أنا فقد استولى عليّ جمال مصر، على عكس بوارو الذي كان يرتدي الملابس نفسها التي كان يرتديها في لندن، وكان يحمل معه فرشاة صغيرة لتنظيف الملابس وكان يشن بها حرباً متواصلة على الغبار الذي كان يتراكم على ملابسه الداكنة.

صاح بوارو في تدمر قائلاً: "وحدائي، انظر إليه يا هاستنجز إنه مصنوع من الجلد اللامع، هل تذكر كيف كان يبدو براقاً لامعاً دائماً. هل ترى تلك الرمال التي تسربت إليه إنها تؤلمني كثيراً، وكذلك تلك الرمال التي تتراكم عليه من الخارج إنها تثير غضبي، كما أن الحرارة تتسبب في جفاف شاربي وارتخائه".

فقلت له: "انظر إلى أبي الهول، إنني أستطيع أن أشعر بالغموض والجاذبية اللذين يعكسهما".

نظر إليه بوارو بسخط، وقال: "إنه لا يشعر بالسعادة، وكيف يشعر بها ونصفه مدفون في الرمال بشكل غير منظم، أه من تلك الرمال الملعونة".

قلت له: "هناك الكثير من الرمال في بلجيكا أيضاً"، مذكراً إياه بتلك العطلة التي قضيناها في مدينة كنوك سور مير وسط "الكتبان الرملية" كما وصفها الدليل الإرشادي الذي كنا نحمله.

فقال بوارو: "ألم يكن ذلك في بروكسل؟"، ثم قال وهو ينظر إلى الأهرامات بتمعن: "صحيح أنها تتخذ شكلاً صلباً وهندسياً كذلك، إلا أن سطحها غير مستو، وهي ليست جميلة كذلك، وحتى أشجار النخيل التي تحيط بها لا تروقني على الإطلاق، رغم أنها مزروعة في صف واحد".

قطعت عليه شكواه وتدمره واقترحت أن نبدأ بالذهاب إلى المعسكر، وكان من المفترض أن نذهب إلى هناك بالجمال التي كانت تجثو على ركبها في صبر تنتظرنا أن نركب فوق ظهورها

أجاثا كريستي

وكان يمسك بها مجموعة من الصبية الرائعين يرأسهم مرشد متمرس.

نظرت بسرعة إلى بوارو وهو يركب على ظهر أحد الجمال، وبدأ الرحلة بالأنين والتذمر وأنهاها بالصراخ والدعاء والتضرع إلى الله، وهبط من فوق ظهر الجمل على نحو مخز، وأكمل الرحلة وهو يمتطي حماراً صغيراً. يجب أن أعترف بأن الركوب على ظهر جمل سريع ليس مزحة للهواة؛ فقد ظل جسدي متيبساً عدة أيام.

وصلنا أخيراً إلى موقع التنقيب، وجاء لمقابلتنا رجل ذو لحية رمادية، وقد لفحت الشمس وجهه، وكان يرتدي ملابس بيضاء ويضع خوذة على رأسه قائلاً لنا: "أنتما السيد بوارو والكابتن هاستنجز، أليس كذلك؟ لقد تلقينا برقيتكما، إنني أعتذر إليكما إذ لم يكن هناك أحد في استقبالكما فور وصولكما إلى القاهرة، فقد وقع حدث غير متوقع أفسد خططنا تماماً".

شحب وجه بوارو، وتجمدت يداها اللتان كانتا في طريقهما لإحضار فرشاة الملابس، وقال وهو يلهث: "هل وقعت وفاة جديدة؟".

فأجاب الرجل: "نعم".

فصرخت قائلاً: "هل هو السير جاي ويلارد؟".

فأجابني قائلاً: "لا يا كابتن هاستنجز؛ إنه زميلي الأمريكي شنايدر".

فسأله بوارو قائلاً: "وما أسباب الوفاة؟".

فأجاب قائلاً: "التيتانوس".

تجمدت في مكاني من هول ما شعرت به من رعب، فشعرت بأن الأجواء من حولي يسودها الشر والخطر، وانتابتنى فكرة خطيرة سيطرت عليّ تمامًا، فماذا لو كنتُ أنا التالي؟

قال بوارو بصوت خفيض للغاية: "يا إلهي، أنا لا أفهم هذا، إنه أمر مريع للغاية. قل لي يا عزيزي، هل التيتانوس هو السبب الحقيقي للوفاة بالفعل؟"

فأجاب قائلاً: "لا أعتقد ذلك، ولكن الطبيب أميس سيخبرك بأكثر مما يمكنني أن أخبرك به."

فقال له بوارو: "نعم بالطبع، فأنت لست طبيباً".

فقال له الرجل: "اسمي توسويل".

هذا إذن هو الخبير البريطاني الذي وصفته لنا السيدة ويلارد، وقالت إنه مسئول صغير في المتحف البريطاني، وقد خالجنى في الحال بشأنه شعور خطير وقوي.

أضاف الدكتور توسويل قائلاً: "إذا أتيتما معي، فسوف أصحبكما إلى السيد جاي ويلارد، فقد كان حريصاً للغاية على أن نبلغه فور وصولكما".

صحبنا إلى الجانب الآخر من معسكر البعثة، حيث كانت هناك خيمة كبيرة، حيث رفع الدكتور توسويل قماش الباب ودخلنا، وكان هناك ثلاثة رجال يجلسون في الداخل.

قال توسويل: "لقد وصل كل من السيد بوارو والكابتن هاستنجز يا سيد جاي".

هَبَّ أصغر الرجال الثلاثة واقفاً وتقدم لتحيتنا، وكان هناك اندفاع غريب في طريقة تصرفه ذكرني بوالدته. لم

أجاثا كريستي

تكن الشمس قد لفتت وجهه بأشعتها الحارقة مثل الآخرين، ولكن أحاط بعينه بعض الهالات السوداء التي جعلته يبدو أكبر من عمره وهو ابن الثانية والعشرين، وقد بدا عليه أنه يحاول الصمود تحت وطأة ضغط نفسي شديد.

قدم لنا رفيقيه، الطبيب أميس؛ وهو رجل في الثلاثينيات من عمره وتبدو عليه أمارات الذكاء، وقد خالط الشعر الرمادي فوديه، والسيد هاربر السكرتير، وهو شاب نحيل لطيف يرتدي نظارة ذات إطار سميك مرسوم عليه الشعار الوطني.

وبعد بضع دقائق من تبادل أطراف حديث عبثي خرج الأخير، وتبعه الطبيب توسويل، وتركنا وحدنا مع السير جاي والطبيب أميس.

قال السيد ويلارد: "من فضلك، اطرح عليّ أية أسئلة تريد أن تطرحها يا سيد بوارو، نحن في حالة ذهول شديدة نتيجة هذه السلسلة من الأحداث الغريبة التي وقعت، لكنها ليست كذلك، فلا يمكن أن تكون إلا مجرد مصادفة."

كان أسلوبه يتسم بعصبية تناقض مضمون كلامه، ولاحظت بوارو وهو يتفحصه بعناية.

وسأله قائلاً: "هل تحب هذا العمل وتقدم عليه بحماس شديد يا سيد جاي؟"

فأجابه قائلاً: "مهما حدث ومهما نتج عن هذا العمل، فإنه سيستمر، ولتضع ذلك في اعتبارك."

التفت بوارو إلى الرجل الآخر، وقال له: "ما رأيك في هذا الأمر، سيدي الطبيب؟"

تحدث الطبيب ببطء قائلاً: "حسناً، أنا ضد توقف العمل".
تجهم وجه بوارو، وقال: "إذن، ودون شك لا بد أن ندرس
الموقف جيداً، متى وقعت حادثة وفاة السيد شنايدر؟"
فقال الطبيب: "منذ ثلاثة أيام".

فسأله بوارو قائلاً: "هل أنت متأكد أن الوفاة كانت نتيجة
التيتانوس؟".

فأجابه قائلاً: "نعم بكل تأكيد".
فسأله بوارو: "ألا يمكن أن تكون حالة تسمم بمادة
الإستركنين السامة مثلاً؟".

فأجابه: "لا يا سيد بوارو، إنني أفهم قصدك، لكنها حالة
وفاة واضحة نتيجة التيتانوس".

فسأله بوارو: "ألم تحقن المريض بمصل مضاد؟".
فأجابه الطبيب بنبرة جافة: "لقد بذلت كل ما في وسعي،
لقد حاولت القيام بكل ما يمكنك أن تتخيله لإنقاذه".

فسأله بوارو: "هل كان المصل المضاد موجوداً معك؟".
فأجابه الطبيب: "لا، لقد طلبناه من القاهرة".
سأله بوارو: "هل كان هناك أية حالة إصابة أخرى
بالتيتانوس؟".

فأجابه: "لا، كانت هذه الحالة فقط".
قال بوارو: "هل أنت متأكد أن موت السيد بليبنر لم يكن
نتيجة التيتانوس؟".

فقال الطبيب: "متأكد تماماً. لقد أصيب إبهامه بجرح،
وتسمم هذا الجرح، فحدث بالتالي تسمم للدم نتيجة ذلك،

وقد حدث الأمر نفسه مع أحد العمال الآخرين، لكن الحالتين مختلفتان تمامًا."

فقال له بوارو: "إذن لدينا أربع حالات وفاة، وأسباب وفاتها جميعًا مختلفة، فواحدة ماتت بأزمة قلبية، والثانية بتسمم الدم، والثالثة نتيجة الانتحار، والأخيرة نتيجة للتيتانوس."

فقال الطبيب: "بالضبط يا سيد بوارو."

فسأله بوارو مرة أخرى: "هل أنت متأكد من أنه لا يوجد رابط مشترك بين حالات الوفاة الأربع هذه؟"

فقال له الطبيب: "أنا لا أفهمك تمامًا؟"

فأجابه بوارو: "سأوضح لك السؤال، هل صدر عن أي من هؤلاء الرجال الأربعة ما يشير إلى عدم احترامهم روح الملك مين - هير - رع؟"

فحدّق الطبيب إلى بوارو في دهشة كبيرة، وهو يقول: "أنت تفكر في أمور غريبة وغير مفهومة يا سيد بوارو، بالتأكيد أنت لا تؤمن بمثل تلك الخرافات، أليس كذلك؟"

فهمهم ويلارد في غضب قائلاً: "إنه محض هراء."

لم يحرك بوارو ساكنًا، وأخذ يرمش قليلاً بعينه الخضراوين كعيني القطط، وتحدث إلى الطبيب قائلاً: "إذن أنت لا تؤمن بهذا يا سيدي الطبيب."

فأجابه الطبيب بشكل قاطع: "بالطبع لا، أنا رجل علم، ولا أؤمن إلا بما تعلمته فقط من خلال العلم."

سأله بوارو في هدوء قائلاً: "ألم يكن هناك علم في مصر القديمة؟"، فبدت الحيرة على وجه الطبيب أميس لحظة، ولكن

بوارو لم ينتظر أن يجيبه وبادره قائلاً: "لا، لا تجبني عن هذا السؤال، بل أخبرني برأي العمال المحليين في هذا الأمر؟".

قال الطبيب أميس: "أعتقد أنه عندما يفقد الأجانب صوابهم، فلا بد أن يشعر العمال المحليون بالريبة، وانني أعترف بأنهم بدأوا يشعرون بالرعب الشديد، دون أن تكون لديهم أسباب لذلك".

قال بوارو دون إبداء أي تعليق على ما قاله الطبيب: "إنني مندهش!".

انحنى السيد جاي إلى الأمام، ثم صاح بشكل لا يصدق قائلاً: "بالتأكيد لا يمكنك التصديق في... آه، يا له من شيء سخيف! إذا كنت تؤمن بمثل هذا الهراء، فأنت لا تعرف شيئاً عن مصر القديمة".

لكي يجيب بوارو، أخرج كتيباً من جيبه، وكان كتيباً قديماً ممزقاً، وبينما كان يمسك الكتاب بين يديه قرأت عنوانه، وهو "القوى الخارقة لدى المصريين والكلدانيين"، ثم استدار وخرج من الخيمة، وأخذ الطبيب يحدق إليّ، وسألني قائلاً: "ما الفكرة التي يريد إيضاحها؟".

ابتسمت حينما سمعت شخصاً آخر يردد تلك العبارة المألوفة على شفتي بوارو.

فقلت له: "أنا لا أعرف بالضبط، أعتقد أن لديه خطة لطرد الأرواح الشريرة".

ذهبت للبحث عن بوارو، ووجدته يتحدث إلى سكرتير الراحل السيد بليبنر، وكان شاباً ذا وجه نحيل.

أجاثا كريستي

كان السيد هاربر يقول: "لا، فأنا أعمل مع البعثة هنا منذ ستة أشهر فقط، وبالفعل أنا أعرف أعمال السيد بليبنر تمام المعرفة".

فسأله بوارو قائلاً: "هل يمكن أن تذكر لي أي شيء يتعلق بابن أخيه؟".

فأجابه قائلاً: "لقد ظهر هنا ذات يوم فجأة، وكان شاباً وسيماً، لم أكن قد التقيت به من قبل، لكن بعض أعضاء البعثة كانوا قد التقوا به مثل الطبيب أميس والسيد شنايدر، ولم يكن الرجل العجوز سعيداً برؤيته على الإطلاق، وكانا يتشاجران دائماً، وكنت أسمع الرجل العجوز يقول له: "لن أعطيك سنتاً واحداً، لا الآن ولا بعد موتي، وسأترك أموالني لمتابعة العمل الذي وهبته كل حياتي، ولقد كنت أتحدث في ذلك الأمر مع السيد شنايدر اليوم" وأمور أخرى من هذا القبيل، ثم غادر الشاب بليبنر إلى القاهرة على الفور".

فسأله مرة أخرى قائلاً: "هل كان بصحة جيدة آنذاك؟".
فقال السكرتير: "هل تقصد الرجل العجوز؟".
فقال له بوارو: "لا، بل أقصد الشاب".
فأجابه السكرتير: "أظن أنه قد ذكر أنه يعاني شيئاً ما، ولكنني أعتقد أنه لم يكن مرضاً خطيراً، وإلا لكنت تذكرت ذلك".

فسأله بوارو: "سؤال آخ: هل ترك السيد بليبنر وصية؟".
فأجابه قائلاً: "بحسب علمنا حتى الآن، هو لم يترك وصية".

فسأله بوارو قائلاً: "هل ستظل مع البعثة يا سيد هاربر؟".

فأجابه قائلاً: "لا يا سيدي، لن أستمر هنا، فسأسافر إلى نيويورك بمجرد أن أنتهي من تسوية الأمور هنا. يمكنك أن تسخر مني إذا أردت، لكنني لن أكون الضحية التالية للملك مين - هير - رع، فسيقضي عليّ إذا استمرت هنا".

مسح الشاب العرق الذي كان يتصبب على جبينه، وأدار له بوارو ظهره، وابتسم ابتسامة غريبة قائلاً: "تذكر، أنه نال من إحدى ضحاياه في نيويورك".

فقال السيد هاربر بعصبية: "أم، يا إلهي!".

قال بوارو وهو يفكر ملياً: "هذا الشاب متوتر للغاية، إنه على حافة الهاوية، بالفعل على حافة الهاوية".

نظرت إلى بوارو بفضول، لكن ابتسامته الغامضة لم تخبرني بشيء. ذهبنا بصحبة السيد جاي ويلارد والدكتور توسويل إلى موقع التنقيب، ولقد نُقلت الآثار المكتشفة الأساسية إلى القاهرة، لكن بعض الأثاث الموجود في المقبرة كان مثيراً للاهتمام للغاية. كان حماس الشاب الصغير للعمل واضحاً، لكنني اكتشفت أنه عصبي من خلال طريقة تصرفه، وكأنه لا يستطيع التخلص من الشعور الدائم بالخوف من شيء ما يحيق به في كل مكان. عندما دخلنا الخيمة المخصصة لنا للاغتسال قبل الذهاب لتناول وجبة العشاء، رأينا رجلاً ذا بشرة سمراء يرتدي رداء أبيض يقف جانباً ليسمح لنا بالمرور بإيماءة لطيفة وتحية غامضة باللغة العربية، فتوقف بوارو، وقال له: "هل أنت حسان، خادم الراحل السيد جون ويلارد؟".

فاقترب منا وقال بصوت خفيض: "كنت أخدم سيدي السير جون، أما الآن فأنا أقوم بخدمة ابنه، ولقد سمعت أنك رجل حكيم، وتعلم كيفية التعامل مع الأرواح الشريرة، اجعل السيد الصغير يغادر من هنا، فالشر يحيط بنا من كل مكان".
وأوماً الرجل إيماءة مفاجئة، ولم ينتظر الرد وانصرف بعيداً.

قال بوارو: "الخطر في كل مكان، نعم، أنا أشعر به".
كانت الوجبة التي ستناولها مبهجة، وتركت الكلمة للدكتور توسويل، الذي تحدث باستفاضة عن الآثار المصرية، وبينما كنا نستعد للانصراف للراحة، أمسك السيد جاي بوارو من ذراعه، وأشار إلى شيء ما، فقد كان هناك شبح يتحرك وسط الخيام، ولم يكن شبحاً على هيئة إنسان؛ لقد استطعت أن أميزه بوضوح، حيث كان جسداً ما برأس كلب وكان يشبه الشكل المنحوت على جدران المقبرة.

تجمدت الدماء في عروقي عند مشاهدتي هذا المنظر.
همس بوارو وهو يهمهم ببعض الأدعية قائلاً: "يا إلهي! أنوبيس الذي له رأس ابن آوى، إله الموت عند المصريين القدماء".

صاح الدكتور توسويل وهو يهب واقفاً في غضب قائلاً:
"يحاول أحدهم أن يخدعنا".

فهمهم السيد جاي وقد شحب وجهه تماماً: "لقد ذهب إلى خيمتك يا سيد هاربر".

قال بوارو وهو يهز رأسه بالنفي قائلاً: "كلا، لقد ذهب إلى خيمة الطبيب أميس".

نظر إليه الطبيب باستنكار، ثم كرر كلمات الدكتور توسويل، وصاح قائلاً: "هناك شخص ما يحاول خداعنا، هيا سنقبض على هذا الرجل المخادع".

واندفع بقوة يبحث عن ذلك الشبح الغامض، وانطلقت وراءه، ولكننا لم نجد أي أثر لأي كائن حي مر من هنا، فعدنا ونحن نشعر بالقلق الشديد لنجد بوارو يتخذ الاحتياطات اللازمة بطريقته الخاصة لضمان سلامته الشخصية. كان يدور حول خيمتنا بنشاط ويرسم على الرمال رسوماً بيانية ونقوشاً مختلفة، وميزت من بين تلك الأشكال النجمة الخماسية التي رسمها عدة مرات. وكما كان معتاداً، أخذ بوارو في الوقت نفسه يلقي محاضرة مرتجلة عن أعمال الدجل والشعوذة، مع إشارات للروح، وكتاب الموتى عند المصريين القدماء.

يبدو أن هذا التصرف أثار شعور الاحتقار لدى الدكتور توسويل الذي جذبني من ذراعي وانتحى بي جانباً وهو يصدر بعض الأصوات التي تنم عن غضبه، وقال: "هراء يا سيدي، إنه هراء محض، وهذا الرجل دجال، إنه لا يعرف الفرق بين خرافات العصور الوسطى ومعتقدات مصر القديمة. لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا القدر من الجهل والسذاجة".

هدأت من روع الخبير التائر، وذهبت للانضمام إلى بوارو في الخيمة، وكان صديقي الصغير يبتهج في مرح، وهو يقول:

أجاثا كريستي

"نستطيع أن ننام في سلام الآن، رأسي يؤلمني للغاية، آه، أتوق الآن لكوب من الشاي".

وكان أمنيته قد تحققت، فقد فُتح باب الخيمة، وظهر حسان وهو يحمل كوباً من الشاي عرضه على بوارو، واتضح أنه شاي البابونج، وهو مشروب يحبه بوارو كثيراً. بعد أن شكر بوارو حسان، ورفضت عرضه بتناول كوب من الشاي، تركنا وحدنا مرة أخرى. وقفت عند باب الخيمة بعض الوقت بعد أن خلعت ملابسني وأخذت أنظر إلى الصحراء، ثم قلت بصوت مرتفع: "يا له من مكان رائع، ويا له عمل رائع. إنني أشعر بالجاذبية الموجودة في هذه الصحراء التي تقع في قلب الحياة المتحضرة، لا بد أنك تشعر بهذا القدر من الانجذاب يا بوارو، أليس كذلك؟".

لم ألقَ منه أية إجابة، والتفت إليه وأنا أشعر بقليل من الغضب، ولكن ما لبث أن تحول غضبي إلى قلق؛ حيث كان بوارو مستلقياً على الأريكة، وكان وجهه ممتعاً بشكل فظيع، وبجانبه كوب الشاي الفارغ، فاندفعت إليه، ثم غادرت الخيمة بسرعة وتوجهت إلى خيمة الطبيب أميس.

وأخذت أصرخ قائلاً: "أيها الطبيب أميس، فلتحضر إلى هنا في الحال".

قال الطبيب الذي ظهر وهو يرتدي لباس النوم: "ماذا حدث؟".

أجبت قائلاً: "إن صديقي مريض، إنه يحتضر، شاي البابونج، لا تدع حسان يغادر المعسكر".

انطلق الطبيب بسرعة البرق إلى خيمتنا، وكان بوارو راقداً في الوضع نفسه الذي تركته عليه.

صاح الطبيب أميس قائلاً: "شيء غير عادي، يبدو وكأنه في نوبة صرع، ما الذي قلت إنه قد شربه؟"، ثم التقط الكوب الفارغ.

فانطلق صوت بنبرة هادئة: "ولكنني لم أتناوله".

فالتفتنا في دهشة، فوجدنا بوارو يجلس على السرير ويبتسم.

واستطرد في لطف قائلاً: "أنا لم أشربه، فبينما كان صديقي المقرب هاستينجز يناجي نفسه بالليل، استغللت الفرصة لأصب محتوى الكوب، ليس في حلقي، ولكن في زجاجة صغيرة. ستذهب تلك الزجاجة الصغيرة إلى المعمل الكيميائي لتحليلها"، فاندفع الطبيب في حركة مفاجئة، فقال له بوارو: "لا، إنك رجل عاقل تتفهم أن العنف ليس له أي جدوى. خلال غياب هاستينغز لجلبك، كان لدي وقت لوضع الزجاجة في مكان آمن. آه، قيد حركته بسرعة يا هاستنجز!".

لم أستطع فهم قلق بوارو، ونظراً لحماسي الشديد لإنقاذ صديقي، وقفت أمامه، لكن حركة الطبيب السريعة كان لها معنى آخر، حيث وجه يده نحو فمه بسرعة وفاحت في الهواء رائحة لوز مر نفاذة، وأخذ يترنح وسقط على الأرض.

قال بوارو على نحو جاد: "ضحية أخرى، ولكنها الضحية الأخيرة، ربما كانت هذه هي أفضل طريقة، ولكن دماء ثلاث ضحايا في رقبتة".

صرخت في دهشة تنم عن سذاجتي قائلاً: "الطبيب أميس؟ لكنني أعتقد أنك كنت تؤمن بالقوة الخارقة، أليس كذلك؟".

فأجابني بوارو قائلاً: "لقد أسأت فهمي يا هاستنجز، ما حدث أنني كنت أقصد أنني أو من بالقوة المرعبة للقوى الخارقة، فبمجرد أن يؤمن الجميع إيماناً شديداً بأن تلك السلسلة من الوفيات بفعل قوى خارقة للطبيعة، يمكنك أن تطعن رجلاً ما في وضح النهار، ويعزى ذلك إلى لعنة تلك القوى الخارقة. إن هذه الخرافات متأصلة في الجنس البشري. لقد شككت منذ البداية أن هناك شخصاً ما يستفيد من هذه الغريزة، وأعتقد أن الفكرة قد طرأت على ذهنه عند وفاة السيد جون ويلارد، وتصاعدت فكرة القوى الخارقة إلى الأذهان على الفور. وحسبما أعتقد لا يمكن لأحد أن ينتفع من موت السيد جون ويلارد، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للسيد بليبنر، فقد كان رجلاً ثرياً، فقد كانت المعلومات التي تلقيتها من نيويورك تحتوي على العديد من النقاط الكاشفة، ففي البداية قيل إن الشاب بليبنر له صديق جيد في مصر يستطيع أن يقترض منه بعض المال، وقد فهمت ضمناً أنه كان يقصد عمه، ولكن بدا لي أن في تلك الحالة كان سيقول ذلك صراحة، ولكن الكلمات كانت تشير إلى صديق عزيز له، والأمر الآخر أنه دبر ما يكفي من المال ليسافر إلى مصر، ورفض عمه أن يدفع له بنساً واحداً، لكنه تمكن من دفع تكاليف رحلة عودته إلى نيويورك، إذن لا بد أن شخصاً ما قد أقرضه المال".

فاعترضتُ قائلاً: "ولكن كل هذه الحقائق لا تشكل أدلة كافية".

فأضاف قائلاً: "ولكن هناك المزيد يا هاستنجز: غالباً ما يطلق المعنى الحقيقي ويراد به المعنى المجازي، كما يمكن أن يحدث العكس أيضاً. في هذه الحالة، أطلق المعنى المجازي وأريد به المعنى الحقيقي، فعندما كتب الشاب بليبنر بوضوح شديد: "أنا أبرص"، لم يكن أحد يدرك أنه أطلق النار على نفسه؛ لأنه اعتقد أنه أصيب بمرض البرص".

فصحت في دهشة قائلاً: "ماذا؟".

قال بوارو: "لقد كان ذلك اختراعاً ذكياً من عقل شيطاني، فكان الشاب بليبنر يعاني بعض المشكلات الجلدية الطفيفة، حيث كان يعيش في جزر البحر الجنوبي، حيث كان هذا المرض منتشراً للغاية، وكان أميس صديقاً قديماً له، وطبيباً معروفاً، ولم يكن ليكذب أي كلمة من كلماته. وعندما وصلتُ إلى هنا، انقسمت شكوكي بين هاربر والطبيب أميس، لكنني سرعان ما أدركت أن الطبيب فقط هو الذي يمكن أن يرتكب الجرائم ويخفيها، وقد علمت من هاربر أنه كان يعرف في السابق الشاب بليبنر، ولا شك أن هذا الأخير في وقت ما كتب وصية لصالح هذا الطبيب أو أمن على حياته لصالحه، فرأى الفرصة سانحة أمامه للاستيلاء على الثروة، فكان من السهل عليه أن يحقن السيد بليبنر بالجراثيم القاتلة، ثم قام ابن أخيه الذي تغلب عليه اليأس من الأخبار الفضيحة التي نقلها إليه صديقه، بإطلاق

النار على نفسه، ولم يكتب السيد بليبنر - أيًا كانت نواياه - أي وصية، ومن ثم تنتقل ثروته إلى ابن أخيه ومنه إلى الطبيب".
وسألته قائلاً: "وماذا عن السيد شنايدر؟".

فأجابني قائلاً: "لسنا متأكدين تمامًا، فقد كان يعرف الشاب بليبنر أيضًا، وربما يكون قد شك في شيء ما، وقد يعتقد الطبيب أن وقوع وفاة أخرى دون وجود حافز أو دافع وراءها يمكن أن يحفز فكرة القوة الخارقة. علاوة على ذلك، سأخبرك بحقيقة نفسية مثيرة للاهتمام يا هاستنجز، وهي أن القاتل لديه دائماً رغبة قوية في تكرار جريمته الناجحة، حيث يرى مدى نجاح أدائه في القيام بها، ومن هنا نما خوفي على الشاب ويلارد. لقد كان حسان هو من يتقمص شخصية أنوبيس التي رأيتها الليلة، وكان ذلك بناءً على أوامري، فكنت أرغب في معرفة ما إذا كنت أستطيع تخويف الطبيب، لكن كان يبدو أن الأمر يتطلب ما هو أكبر من الأمور الخارقة للطبيعة لإخافته، لقد رأيت أنه لم يقتنع تمامًا بادعائي بالإيمان بالقوى الخارقة، ولم ينخدع بذلك الموقف الهزلي الذي اختلقته لخداعه، وكنت أظن أنه سيحاول التخلص مني لأكون أنا ضحيته التالية. آه ولكن على الرغم من رحلة البحر المتعبة والحرارة القاسية والرمال البغيضة، ما زالت خلايا المخ الرمادية الصغيرة تعمل!".

لقد ثبت أن بوارو كان محقاً في استنتاجاته، فقد كتب الشاب بليبنر منذ بضع سنوات في إحدى نوبات السُّكْر وصية من باب المزاح، وقال إنه يترك "علبة السجائر التي تعجبني كثيراً، وكل

شيء أمتلكه يؤول إلى صديقي المفضل روبرت أميس الذي
أنقذني من الغرق ذات مرة".

وحُفظت القضية في أقصى حد ممكن من السرية، وحتى
يومنا هذا يتحدث الناس عن سلسلة الوفيات الغربية المتعلقة
باكتشاف مقبرة الملك مين - هير - رع بوصفها دليلاً على
انتقام الملك الغائب ممن دنسوا مقبرته، وهو اعتقاد، كما أشار
إلى ذلك بوارو، يتعارض مع كل معتقدات المصريين وأفكارهم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الرجل الرابع

أخذ رجل الدين بارفيت يلهث قليلاً، فلم تكن ملاحقة القطارات أمراً مناسباً لرجل في مثل سنه، ويرجع ذلك إلى سبب واحد، هو أن هيئته لم تكن مناسبة لذلك، كما أن وزنه قد زاد كثيراً؛ ما أدى إلى معاناته ضيق التنفس، وكان هذا هو الأمر الذي اعتاد رجل الدين الإشارة إليه دائماً بكل فخر، قائلاً: "إنه قلبي، كما تعلم!".

خاص في إحدى زوايا عربة الدرجة الأولى، وهو يتنهد عميقاً لالتقاط الأنفاس، وكان دفاً تلك العربة ملائماً له إلى حد كبير، فقد كان الثلج يتساقط في الخارج، ومن حسن حظه أنه حصل على مقعد في إحدى الزوايا في رحلة ليلية طويلة، وإلا لكان سيشعر بالبوؤس الشديد لو لم يحظ بذلك، فلا بد من أن تكون هناك حجرة بها أسرة للنوم في هذا القطار.

كانت الزوايا الثلاث الأخرى مشغولة بالفعل، وبعدما أدرك رجل الدين بارفيت هذه الحقيقة، وجد أن هناك رجلاً في الزاوية البعيدة يبتسم له ابتسامة لطيفة، تدل على معرفته السابقة به، وكان رجلاً حليق الذقن، ذا وجه تعلوه تعبيرات ساخرة، وقد شاب شعره، وكانت مهنته واضحة للغاية، فلا يمكن لأي شخص أن يخطئ في معرفة أنه محام. وفي الواقع، كان السيد جورج دوراند محامياً مشهوراً للغاية.

تحدث إلى بارفيت بلطف، قائلاً: "حسناً يا بارفيت، أنت تفضل ركوب القطار، أليس كذلك؟".

فأجابه بارفيت، قائلاً: "للأسف إنه مضر للغاية بقلبي، ولكنها مصادفة جميلة أن أقابلك يا سيد جورج، هل أنت مسافر إلى أقصى الشمال؟".

أجابه السيد جورج باقتضاب، قائلاً: "إلى نيوكاسل، بالمناسبة، هل تعرف الطبيب كامبل كلارك؟".

كان هذا الرجل يجلس في الجانب نفسه من العربة، حيث أشار له رجل الدين برأسه في لطف.

فاستطرد المحامي، قائلاً: "لقد التقينا على رصيف محطة القطار، وهي مصادفة أخرى".

نظر رجل الدين بارفيت إلى الطبيب كامبل كلارك باهتمام كبير، فكثيراً ما سمع هذا الاسم، فقد كان الطبيب كلارك من الأطباء المميزين؛ حيث عمل طبيباً متخصصاً في الأمراض العقلية، وكان كتابه الأخير، مشكلة العقل اللاواعي، هو الكتاب الأكثر إثارة للمناقشة في ذلك العام.

رأى بارفيت رجلاً ذا فك عريض، وعينين زرقاوين هادئتين، وشعر أحمر لم يمسه الشيب، ولكنه خفيف للغاية، وقد كوّن عنه انطباعاً بأن شخصيته قوية للغاية.

ومن خلال التسلسل الطبيعي للأفكار، نظر رجل الدين إلى المقعد المقابل له، وتوقع أن يتلقى نظرة تنم عن معرفة هذا الشخص به أيضاً، ولكن ثبت أن المسافر الرابع الموجود في العربة غريب تماماً، شخص أجنبي كما اعتقد بارفيت، كان رجلاً

أجاثا كريستي

ذا بشرة تميل إلى السمرة، متواضع الهيئة، وبدا متفوقاً في معطفه الكبير، واتضح أنه يغط في نومه.

سأله الطبيب كامبل كلارك بلطف قائلاً: "هل أنت رجل الدين بارفيت المسئول عن برادشستر؟".

بدا رجل الدين سعيداً بهذا الإطراء، فقد حققت مجموعة كتبه التي كانت بعنوان "العظمت العلمية" نجاحاً كبيراً، خاصة عندما تناولتها الصحافة بالنشر. حسناً، هذا ما كانت تحتاج إليه دار العبادة والمجتمع كذلك، مجموعة من الكتب المعاصرة الجيدة المواكبة للعصر.

قال رجل الدين: "لقد قرأت كتبك باهتمام كبير يا دكتور كلارك، على الرغم من أنها متخصصة للغاية، لدرجة أنني عانيت في فهمها".

قاطع دوراند حديثهما، وسأل رجل الدين، قائلاً: "هل تفضل الحديث أم النوم يا رجل الدين؟ إنني أعترف بأنني أعاني حالة من الأرق؛ لذا أفضل النوم".

قال رجل الدين: "آه! بالتأكيد، إنني نادراً ما أنام في الرحلات الليلية، كما أن الكتاب الذي أقرؤه ممل للغاية".
قال الطبيب بابتسامة: "على أية حال، إننا نمثل الدين، والقانون، والطب".

قال دوراند، وهو يضحك: "إذن، يمكننا أن نبدي رأينا في كثير من الموضوعات فيما بيننا، أليس كذلك؟ حيث يقوم رجل الدين بمعالجة الأمور الروحية، وأنا أقدم بعض وجهات النظر الدنيوية والقانونية البحتة، أما أنت أيها الطبيب، فتمثل أوسع

المجالات نطاقًا، بدءًا من علم الأمراض حتى علم النفس) وإني أظن أن بإمكاننا نحن الثلاثة أن نغطي أي موضوع بشكل كامل".

قال الطبيب كلارك: "ليس بشكل كامل كما تتخيل، هناك وجهة نظر أخرى قد أغفلتها كما تعلم، ولكنها غاية في الأهمية".

فتساءل المحامي قائلًا: "ماذا تقصد؟".

أجابه قائلًا: "وجهة نظر رجل الشارع".

فقال له: "وهل هذه مهمة للغاية؟ إن رجل الشارع مخطئ عادة، أليس كذلك؟".

فأجابه قائلًا: "آه، بل في معظم الأحوال! لكنه دائمًا ما يكون لديه ذلك الشيء الذي يفتقر إليه الخبراء، وهو وجهة النظر الشخصية، ففي النهاية، كما تعلم، لا يمكنك الهروب من العلاقات الشخصية، واكتشفت ذلك من خلال مهنتي، فمع كل مريض يأتيني نتيجة مرض يعانيه، هناك خمسة على الأقل يأتون وهم لا يعانون أي شيء سوى عدم قدرتهم على العيش بسعادة مع رفقاتهم في المنزل نفسه، وقد يشتكون أمورًا مختلفة، بدءًا من التهاب الركبة حتى تشنج اليدين، ولكنها في النهاية تكون بسبب شيء واحد، وهو الاحتكاك بين العقلين".

قال رجل الدين باستخفاف، بينما كان يبدو متحكمًا في أعصابه على نحو رائع: "أعتقد أن لديك العديد من المرضى الذين يعانون اضطرابات عصبية".

التفت الرجل الآخر إليه بسرعة كبيرة، وقال له: "أه! ماذا تعني بذلك؟ اضطرابات عصبية! يستخدم الناس هذه الكلمة ثم يضحكون بعدها، كما فعلت، ويقولون "لا يوجد شيء ما، مجرد اضطرابات عصبية"، ولكن فلتحمد الله يا رجل، فقد كنا نعاني الكثير من المشكلات في السابق! حيث لم يكن في الإمكان سوى تشخيص المرض العضوي، وإيجاد علاج له، أما اليوم فأصبحنا نعلم الأسباب الغامضة للكثير من الأمراض العصبية بشكل أكبر مما كانت عليه الحال في عهد الملكة إليزابيث".

قال رجل الدين بارفيت، وقد بدا مرتبكاً قليلاً بعد هذا الهجوم: "هل الأمر كذلك يا عزيزي؟".

استطرد الطبيب كامبل كلارك، قائلاً: "فكر في الأمر، إنها نعمة من الله، ففي السابق كنا نرى أن الإنسان عبارة عن شهوة، وجسد، ونفس معرضة للتوتر والضغط".

فصحح له رجل الدين ما قاله بشكل معتدل، قائلاً: "جسد، ونفس، وروح".

قال الطبيب وهو يتسم بغرابة: "روح؟ ماذا تقصدون أنتم يا رجال الدين بكلمة روح بالضبط؟ فكما تعلم أنتم لستم واضحين بشأنها على الإطلاق، وقد امتنعتم على مدار العصور عن تقديم تعريف لها".

سعل رجل الدين استعداداً للحديث، ولكن لسوء حظه لم تتح له الفرصة، حيث استمر الطبيب في الحديث، قائلاً: "هل نحن متأكدون من أن الكلمة هي روح، ألا يمكن أن تكون أرواحاً؟".

تساءل السيد جورج دوراند، وقد رفع حاجبيه في دهشة،
قائلًا: "أرواح؟".

تحول كامبل كلارك بنظره إليه، وأخذ يحدق إليه، وانحنى
إلى الأمام، وأخذ يربت برفق صدر الرجل الآخر، وقال: "نعم"،
ثم استطرد بجديّة، قائلًا: "هل أنت متأكد أن هناك ساكنًا
واحدًا يقيم في ذلك المسكن؛ فهذا هو كل ما تعلمه، فقد أضيف
المزيد من قطع الأثاث إلى هذا المسكن الجذاب طوال سبع
سنوات، أو إحدى وعشرين سنة، أو إحدى وأربعين، أو إحدى
وسبعين، أيًا كان عدد السنوات؟ وفي النهاية يقوم المستأجر
بنقل أغراضه شيئًا فشيئًا من المنزل، ثم يخرج ويغادره تمامًا،
ثم ينهار المنزل، ويصبح كتلة من الدمار والخراب، نحن نعرف
بأنك أنت سيد المنزل، ولكن ألم تشعر قط بوجود أشخاص
آخرين غيرك، مثل خدم هادئين، يعملون في صمت، من الصعب
أن تلاحظ وجودهم إذا لم يؤديوا أي عمل، عمل تلاحظ وجوده
وقيام أحدهم به؟ أو أصدقاء؛ كالحالات المزاجية التي تؤثر
فيك تمامًا، وتجعلك "شخصًا مختلفًا" كما يُقال؟ أنت ملك
القلعة، ولكن كن متأكدًا أن هناك "أوغادًا حقراء" موجودين من
حولك أيضًا".

قال المحامي: "عزيزي كلارك، أنت تجعلني أشعر بعدم
الارتياح على نحو إيجابي، فهل ذهني حقًا ساحة قتال بين
الشخصيات المتصارعة، هل هذا هو آخر ما توصل إليه العلم
الحديث؟".

كان هذا دور الطبيب ليهز كتفيه في استنكار، ويقول بنبرة جافة: "إن جسدك كذلك، وإذا كان جسدك كذلك، فلم لا يكون عقلك هو الآخر على هذا النحو؟".

قال رجل الدين بارفيت: "مدهش، آه علم رائع، حقاً علم رائع".

وأخذ يتحدث في قرارة نفسه، قائلاً: "يمكنني استغلال هذه الفكرة لتكون موضوع العظة الأسبوعية".

لكن الطبيب كامبل كلارك عاد ليسترخي مرة أخرى في مقعده، بعد أن انقضت هذه الإثارة التي شعر بها لحظة.

ثم قال بأسلوب مهني جاف: "في الواقع، إن قضية ازدواج الشخصية هي التي جعلتني أتوجه إلى نيوكاسل الليلة، وهي حالة مثيرة للغاية، إنها تتعلق بالمرض العصبي بالفعل، لكنها حقيقية تماماً".

قال السيد جورج دوراند، وهو يفكر ملياً: "ازدواج الشخصية، أعتقد أنها ليست حالة نادرة، كما أن هناك حالة من فقدان الذاكرة ترتبط بها، أليس كذلك؟ أعرف أن هذه القضية قد أثيرت في محكمة بروبات ذات يوم".

أوماً الطبيب كلارك برأسه، وقال: "تلك القضية الكلاسيكية بالفعل التي تخص فيليسي بولت، هل سمعت بها يا بارفيت؟".

قال رجل الدين بارفيت: "بالطبع، لقد قرأت عنها في الصحف، ولكن منذ فترة طويلة، منذ سبعة أعوام على الأقل".

أوماً الطبيب كلارك برأسه، وقال: "لقد أصبحت تلك الفتاة واحدة من أشهر الشخصيات في فرنسا، كان العلماء يأتون من

جميع أنحاء العالم لرؤيتها، وكان لديها ما لا يقل عن أربع شخصيات مختلفة، وكانت تعرف بأسماء فيليسي 1، وفيليسي 2، وفيليسي 3... إلخ".

سأل السيد جورج في حذر، قائلاً: "ألم يكن هناك أي احتمال بأنها تتعمد خداع الآخرين؟".

اعترف الطبيب قائلاً: "لقد كانت شخصيتا فيليسي 3 وفيليسي 4 موضع شك، لكن الحقائق الأساسية ثابتة، لقد كانت فيليسي بولت ابنة أحد الفلاحين في بروتاني، وكانت الابنة الثالثة لعائلة مكونة من خمسة أشخاص، حيث كان أبوها سكيراً، وكانت أمها مختلة عقلياً، وفي إحدى نوبات سكره خنق الأب الأم، وفر هارباً على ما أتذكر، وكانت فيليسي حينذاك تبلغ من العمر خمسة أعوام، وقد اهتم بعض أهل الخير بتربية الأطفال، بينما قامت سيدة إنجليزية بتربية فيليسي وتعليمها، وكان لدى هذه السيدة منزل لرعاية الأطفال الفقراء، لكنها أساءت معاملة فيليسي، كانت تصف الفتاة بأنها بطيئة وغبية للغاية، فقد تعلمت القراءة والكتابة بصعوبة بالغة، ولم تكن تتقن استخدام يديها، وحاولت تلك الأنسة التي تُدعى سلاتران تهيئ الفتاة للقيام بأعمال الخدمة المنزلية عندما بلغت السن المناسبة لذلك، لكنها لم تمكث طويلاً في أي مكان؛ بسبب غبائها وكسلها الشديد".

توقف الطبيب مدة دقيقة، فوضع رجل الدين إحدى ساقيه فوق الأخرى مجدداً، وأعاد لف دثار السفر الخاص به حوله، وضبطه جيداً، وفي تلك الأثناء أدرك فجأة أن الرجل المقابل

أجاثا كريستي

له قد تحرك بشكل طفيف للغاية، وفتح عينيه اللتين كانتا مغلقتين من قبل، وكانتا تنمآن عن شيء مبهم وغامض، أثار حيرة رجل الدين، وبدا الأمر كأن الرجل كان يستمع ويسخر سرًا مما يسمعه.

تابع الطبيب قائلاً: "هناك صورة التقطت لـ فيليسي بولت في سن السابعة عشرة، تظهرها بوصفها فتاة ريفية بدينة، ولم يكن هناك في الصورة ما يشير إلى أنها سرعان ما ستصبح واحدة من أشهر الأشخاص في فرنسا".

واستطرد قائلاً: "وبعد خمس سنوات، عندما كانت في الثانية والعشرين من عمرها، صارت فيليسي بولت تعاني مرضاً عصبياً شديداً، وعند التعافي بدأت الظواهر الغريبة تظهر، وإليك فيما يلي حقائق يشهد عليها العديد من العلماء البارزين، فكانت الشخصية التي تسمى فيليسي أ لا تختلف عن شخصية فيليسي بولت في الاثني والعشرين عاماً الماضية من عمرها، فكانت فيليسي أ تكتب الفرنسية بشكل سيئ ومتقطع، ولم تكن تتحدث أية لغات أجنبية، ولم تكن قادرة على العزف على البيانو، أما فيليسي 2، فكانت على العكس من ذلك، تتحدث الإيطالية بطلاقة، والألمانية بشكل جيد، وكان خطها مختلفاً تماماً عن خط فيليسي أ، كما أنها كانت تكتب الفرنسية بطريقة رائعة ومعبرة، وكان بإمكانها مناقشة الأمور السياسية والفنية، وكانت مولعة للغاية بالعزف على البيانو، أما فيليسي 3، فكان لديها العديد من النقاط المشتركة مع فيليسي 2، كانت ذكية، وعلى قدر كبير من التعليم، لكنها كانت على النقيض تماماً

فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي، فقد اتضح أنها إنسانة منحرفة تمامًا، وهذا بالنظر إلى حياة سكان باريس، وليس حياة سكان الريف، وكانت تعرف كل اللهجات العامية في باريس، كما كانت على علم بتعبيرات النساء غير العفيفات، وكان أسلوبها بذيئاً للغاية؛ حتى وصلت بها الحال إلى سب بعض رجال الدين و"الأشخاص الصالحين" بأقذع الألفاظ، وأخيراً فيليسي 4 الفتاة الحاملة، معتدلة الذكاء، المتدينة إلى حد كبير للغاية، التي تتمتع ببصيرة رائعة، لكن هذه الشخصية الرابعة كانت غير مقبولة ومراوغة، وكان يعتقد أحياناً أنها شخصية مخادعة بشكل متعمد من فيليسي 3، كنوع من المزاح الذي تقوم به مع هؤلاء العامة الساذجين، ويمكنني أن أقول إن كل شخصية من شخصياتها (باستثناء فيليسي 4) متميزة ومنفصلة عن الشخصيات الأخرى، ولا علاقة لإحداها بالأخرى، وكانت فيليسي 2 هي الأكثر استمراراً من بينها، حيث كان من الممكن أن تستمر في الظهور أسبوعين، ثم تظهر فيليسي 1 بشكل مفاجئ يوماً أو اثنين، ثم ربما تظهر بعد ذلك فيليسي 3 أو 4، ولكن هاتين الشخصيتين نادراً ما تستمران في السيطرة أكثر من بضع ساعات، وكان كل تغيير بين هذه الشخصيات يصاحبه صداع شديد، ونوم عميق، ويصحب كل حالة فقدان الذاكرة فيما يتعلق بالشخصيات الأخرى، حيث تكمل الشخصية الحالية الحياة التي تركتها الشخصية السابقة دون إدراك ذلك الوقت الفارق بين الشخصيتين".

فهمهم رجل الدين، قائلاً: "رائع، رائع للغاية، نحن لا ندري حتى اليوم أي شيء عن عجائب هذا الكون".

قال المحامي بنبرة جافة: "نحن نعلم أن هناك بعض المحتملين الأذكياء في مثل هذه القضايا".

أجاب الطبيب كامبل كلارك سريعاً، قائلاً: "لقد فحص المحامون والأطباء والعلماء قضية فيليسي بولت جيداً، ولعلك تتذكر حضرة المستشار كيومبيلر الذي أجرى تحقيقاً شاملاً، وأكد وجهات نظر العلماء، وعلى أية حال، لم يدهشنا هذا الأمر إلى هذا الحد؟ ألم نرَ البيضة ذات الصفارين، أليس كذلك؟ والموزة ذات الثمرتين، فلماذا نندهش إذن من النفس المزدوجة، أو في هذه الحالة النفس الرباعية في الجسد الواحد؟".

اعترض رجل الدين، قائلاً: "النفس المزدوجة؟".

استدار إليه الطبيب كامبل كلارك، ونظر إليه بعينيه الزرقاوين، وسأله قائلاً: "ماذا يمكننا أن نسميها إذن؟ وهذا إن كنا نعني أن الشخصية هي النفس؟".

قال السيد جورج: "من الجيد أن مثل هذه الحالات نادرة و"استثنائية"، فلو كانت شائعة، لتسببت في الكثير من المشكلات؟".

اتفق معه الطبيب، قائلاً: "إن هذه الحالة غير طبيعية بالطبع، ومن المؤسف أنه لم يكن بالإمكان إجراء دراسة أطول، ولكن كل ذلك توقف نتيجة موت فيليسي غير المتوقع".

قال المحامي ببطء: "كان هناك شيء غريب يتعلق بهذا الأمر حسبما أذكر".

أوماً الطبيب كامبل كلارك برأسه، وقال: "كان هذا الأمر من أعقد الأمور التي استعصى تفسيرها؛ حيث وُجدت الفتاة ذات صباح متوفاة في سريرها، من الواضح أنها تعرضت للخنق، لكن ما أثار ذهول الجميع، وثبت في الوقت الحاضر دون أدنى شك، أنها هي من خنقت نفسها بالفعل، فقد كانت العلامات الموجودة على رقبتها علامات أصابعها هي، إن طريقة الانتحار هذه، على الرغم من أنها ليست مستحيلة جسدياً، تستلزم قوة عضلية عظيمة، وقوة إرادة خارقة تقريباً، ولم يُتوصل إلى الدوافع التي أفضت بهذه الفتاة إلى القيام بذلك حتى الآن، وبالطبع كان اختلال توازنها العقلي محل شك، وما زال كذلك، وبهذا قد أسدل الستار إلى الأبد على لغز فيليسي بولت".

عندها ضحك الرجل الجالس في الزاوية البعيدة.

فانتفض الرجال الثلاثة الآخرون فرعاً، فقد نسوا تماماً وجود شخص رابع بينهم، وبينما كانوا يحدقون إلى المكان الذي كان يجلس فيه، وكان لا يزال متقوقعاً في معطفه، ثم ضحك مرة أخرى.

ثم قال بلهجة إنجليزية متقنة، لم تخلُ من لكنة أجنبية: "معذرةً أيها السادة".

ثم اعتدل في جلسته، فظهر وجهه الشاحب، وشاربه الصغير الأسود.

ثم قال بنبرة لم تخلُ من السخرية: "نعم، لا بد من أن تعذروني، ولكن هل توجد في العلم كلمة أخيرة؟".

أجاثا كريستي

سأله الطبيب بأدب، قائلاً: "هل تعرف شيئاً عن القضية التي نتحدث عنها؟".

فأجاب، قائلاً: "أنا لا أعرف شيئاً عن القضية، ولكنني أعرف صاحبة القضية نفسها".

فسأله الطبيب، قائلاً: "هل تعرف فيليسي بولت؟".

أجاب، قائلاً: "نعم، كما أعرف أنيت رافيل أيضاً، أظن أنك لا تعرف قصة أنيت رافيل، أليس كذلك؟ إن قصة الأولى هي نفسها قصة الأخرى، فصدقني، أنت لا تعرف شيئاً عن فيليسي بولت إن لم تكن تعرف شيئاً عن قصة أنيت رافيل".

ثم أخرج ساعته، ونظر إليها، ثم قال: "ما زال أمامنا نصف ساعة حتى المحطة التالية، لدي وقت لأخبركم بالقصة، إن كنتم تهتمون بسماعها".

فقال الطبيب بهدوء: "أخبرنا بها من فضلك".

وقال رجل الدين: "إنه لمن دواعي سرورنا، لمن دواعي سرورنا".

عدّل السيد جورج دوراند من جلسته، وهياً نفسه بشكل يدل على اهتمامه الشديد بسماع ما سيُقال.

بدأ ذلك الشخص الغريب، الذي يرافقهم في السفر، حديثه قائلاً: "اسمي أيها السادة هو راؤول ليتاردو، لقد كنتم تتحدثون من فوركم عن سيدة إنجليزية، وهي الآنسة سلاتر التي كانت تهتم بالقيام بالأعمال الخيرية بنفسها، لقد ولدت في قرية ساحلية في بروتاني، وعندما توفي والداي في حادثة قطار، جاءت الآنسة سلاتر فيما بعد لإتقاضي، وصحبتني معها إلى

دار كانت ترعى فيها الأطفال الأيتام، وكان هناك نحو عشرين طفلاً تحت رعايتها من الفتيات والفتيان، وكان من بين هؤلاء الأطفال فيليسي بولت وأنيت رافيل، وإذا لم أجعلكم تفهمون شخصية أنيت أيها السادة، فلن تفهموا شيئاً. كانت أنيت طفلة لأم، كما تقولون عليها، "سيئة السمعة"، ماتت بالسل بعد أن تخلت عنها عشيقها، وكانت الأم تعمل فنانة استعراضية، ورغبت أنيت في أن تصبح مثلها، وعندما رأيتها للمرة الأولى كانت تبلغ من العمر أحد عشر عاماً، وكانت ضئيلة الحجم ذات عينيّن تتناوب فيهما نظرات السخرية والأمل، وكانت مخلوقة صغيرة تمتلئ بالحيوية وحب الحياة، وفي الحال، نعم في الحال جعلتني أسيراً لها، فأصبحت تقول لي دائماً "راؤول، افعل هذا من أجلي"، "راؤول افعل ذلك من أجلي"، وكنت أطيعها دائماً. لقد كنت أحبها حباً جماً، وهي كانت تعرف ذلك".

وأكمل قائلاً: "كنا نذهب نحن الثلاثة إلى الشاطئ، نحن الثلاثة، حيث إن فيليسي كانت تأتي معنا، وكانت أنيت تخلع حذاءها وجوربها وتؤدي بعض الحركات الاستعراضية على الرمال، ثم عندما تقع وهي تلهث، كانت تخبرنا بما كانت تود فعله، وما تنوي أن تكون".

وأردف قائلاً: "كانت تقول لنا "أترون، سأصبح مشهورة، نعم، مشهورة للغاية، ستكون لديّ مئات وآلاف الجوارب الحريرية، من أفضل الأنواع، وسأعيش في شقة فاخرة، وسيكون كل المعجبين بي شباباً يتمتعون بالوسامة والثراء كذلك، وعندما أعمل فنانة استعراضية ستأتي باريس كلها لرؤيتي،

أجاثا كريستي

وسيهل الجميع، وينادونني باسمي، ويصرخون، وسيجنون لشدة إعجابهم بفني الاستعراضي، أما في الشتاء فلن أعمل، سأذهب إلى الجنوب حيث أشعة الشمس الدافئة، والفيضات المليئة بأشجار البرتقال، وسأمتلك واحدة منها، وسأنام تحت أشعة الشمس على وسادة من الحرير، وأتناول البرتقال. أما بالنسبة إليك يا راؤول فلن أنساك مهما أصبحت مشهورة أو غنية، فسأحميك، وأساعدك في حياتك المهنية، أما فيليسي فستصبح خادمتي، لا، لن أفعل، فيداها غليظتان، انظر إليهما، إنهما كبيرتان وخشنتان للغاية".

وواصل قائلاً: "كانت فيليسي تستشيط غضباً من هذا التهكم، وكانت أنيت تستمر في إغاضتها، وتقول: "إن فيليسي أنيقة للغاية، ومهذبة للغاية، ورقيقة للغاية، إنها تشبه أميرة متنكرة... هاهاها".

"وكانت فيليسي ترد عليها بحقد، قائلة: "لقد كان أبي وأمي متزوجين، ولست ابنة غير شرعية مثلك".

"وكانت أنيت ترد، قائلة: "نعم، وأبوك قتل أمك، ما أجمل أن تكوني ابنة قاتل".

"فترد عليها فيليسي: "لقد ترك أبوك أمك للانحراف".

"فترد عليها أنيت بطريقة هادئة، وتقول: "آه، نعم، أمي المسكينة... لا بد من أن يظل المرء قوياً وبصحة جيدة، فأهم شيء أن يكون المرء قوياً وبصحة جيدة".

"فتقول فيليسي في تفاخر: "أنا قوية كالحصان".

وأضاف قائلاً: "لقد كانت كذلك بالفعل، فقد كانت قوتها ضعف قوة أية فتاة معنا في دار الأيتام، ونادراً ما كانت تمرض".
 "لكنها كانت غبية، أنتم تفهمونني، كانت غبية مثل وحش غشوم، كنت أتساءل في كثير من الأحيان عن سبب قيامها بالأمر نفسها التي كانت تقوم بها أنيت، فقد كانت مبهورة بها، وكنت أعتقد في بعض الأحيان أنها تكره أنيت حقاً، كما أن أنيت كانت غير عطوف عليها، وكانت تسخر من بطنها وغبائها، وتسبها أمام الآخرين، لقد كنت أرى فيليسي وهي تستشيط غضباً، وكنت أعتقد في بعض الأحيان أنها ستطبق على رقبة أنيت بأصابعها، ولا تتركها إلا وقد فارقت الحياة، فهي لم تكن ذكية بالقدر الكافي للرد على استهزاء أنيت بها، لكنها تعلمت في الوقت المناسب الرد الذي لم يكن يخطئ أثره في نفس أنيت قط، وهو الإشارة إلى صحتها الجيدة وقوتها الكبيرة، لقد عرفت (ما كنت أعرفه دائماً) أن أنيت تحسدها على بنيتها الجسدية القوية، وهي بذلك قد لمست نقطة ضعف عدوتها بشدة".

"وذات يوم أتت إليّ أنيت وهي في قمة السعادة، وقالت لي:
 "لا بد من أن نسخر اليوم من فيليسي الغبية... لا بد من أن نضحك منها كثيراً".

فقلت لها: "ما الذي تنوين فعله؟"

فقال لي: "فلتأت إلى خلف المخزن الصغير، وسأخبرك بكل شيء".

وأردف قائلاً: "يبدو أن أنيت كان معها كتاب يبدو أنه كان يصعب عليها فهم موضوعه الذي كان يتناول التنويم المغناطيسي".

وقالت لي: "يقال إن التنويم المغناطيسي يحدث عند النظر إلى شيء لاعم، فجعلتُ فيليسي تنظر في الليلة الماضية إلى المقبض النحاسي الموجود في سريري، الذي يمكن أن يدور، وقلت لها: "انظري إليه يا فيليسي بثبات ودون توقف، ولا تبتعدي عنه بعينيك أبداً، ثم جعلته يدور، وكنت خائفة للغاية يا راؤول، فقد كانت عيناها غريبتين، غريبتين للغاية، ولكنني قلت لها: ستفعلين ما أقوله لك دائماً يا فيليسي، فأجابت: سأفعل ما تأمريني به دائماً يا أنيت، ثم قلت لها: فلتحضري معك غداً شمعة من الشحم، ولتوجهي إلى الملعب عند الساعة الثانية عشرة، ثم لتبدئي أكلها، وإذا سألك أي أحد عما تفعلين، فستقولين إن أفضل حلوى تناولتها على الإطلاق، آه! يا راؤول، فلتفكر في الأمر!""

فاعترضت عليها قائلاً: "ولكنها لن تفعل شيئاً كهذا على الإطلاق".

فقلت لي: "إن الكتاب يقول ذلك، أنا لا أصدق هذا الكلام كثيراً، ولكن، آه! يا راؤول، إذا كان المكتوب في هذا الكتاب صحيحاً، تخيل كيف يمكننا أن نسلي أنفسنا!".

وأردف قائلاً: "كنت أظن أنا الآخر أن هذه الفكرة مضحكة للغاية، وأبلغنا جميع زملائنا، وكنا جميعاً في الملعب في الساعة الثانية عشرة، وفي الموعد المحدد بالدقيقة، خرجت

فيليسي ومعها شمعة في يديها، ولا أعلم إن كنتم ستصدقونني أيها السادة أم لا، لقد بدأت تتناولها، وكنا جميعاً في حالة من الضحك الهستيري! ومن حين إلى آخر كان يذهب إليها أحد الأطفال ويسألها بشكل جاد، قائلاً: "ماذا تأكلين يا فيليسي؟" وكانت تجيب قائلة: "إنها أفضل حلوى تذوقتها على الإطلاق"، ثم أخذنا نصرخ من الضحك، وضحكنا بصوت عالٍ للغاية، حتى إن أصوات ضحكاتنا قد أيقظت فيليسي من حالة النوم المغناطيسي؛ لتدرك ما كانت تفعله، فرمشت بعينيها في حيرة، وأخذت تنظر إلى الشمعة، ثم تنظر إلينا، ثم مسحت بيديها على جبينها".

وهممت قائلة: "ماذا أفعل هنا؟".

فصحنا قائلين: "أنت تأكلين الشمعة".

فصرخت أنيت، وهي تتراقص، قائلة: "أنا من جعلك تفعلين ذلك، أنا من جعلك تفعلين ذلك".

فأخذت فيليسي تحديقاً إليها لحظة، ثم توجهت ببطء إلى أنيت، قائلة لها: "إذن، هذه أنت، هذه أنت التي جعلت مني موضع سخرية أمام الجميع، يبدو أنني أتذكر ما حدث، آه! سأقتلك جزاء ما فعلت".

كانت تتحدث بنبرة هادئة للغاية، لكن أنيت اندفعت مبتعدة عنها، واختبأت خلفي.

وأخذت تقول: "أنقذني يا راؤول! إنني خائفة من فيليسي، لقد كانت مجرد مزحة يا فيليسي، مجرد مزحة".

أجاثا كريستي

فقالت فيليسي: "أنا لا أحب مثل هذا المزاح، هل تظن؟ أنا أكرهك... أنا أكرهكم جميعاً".

وانفجرت باكية، ثم هرعت مبتعدة عنا.

"أعتقد أن أنيت كانت خائفة من مغبة فعلتها، ولم تحاول تكرارها، ولكن منذ ذلك اليوم كانت هيمنتها على فيليسي تزداد أكثر فأكثر".

"وأعتقد أن فيليسي كانت تكرهها دائماً، ولكنها لم تستطع الابتعاد عنها، فكانت تتبعها في كل مكان".

"وبعد ذلك بقليل أيها السادة، حصلت على وظيفة، وكنت أعود إلى الدار في الإجازات فقط، ولم تعد أنيت تأخذ رغبتها في أن تصبح فنانة استعراضية على محمل الجد، ولكنها أخذت تطور من صوتها الجميل في الغناء بمرور الوقت، كما وافقت الآنسة سلاتر على تدريبها على الغناء".

وتابع قائلاً: "لم تكن أنيت كسولاً، فقد كانت تعمل بجهد دون راحة، حتى إن الآنسة سلاتر كانت تمنعها من بذل مثل هذا المجهود الكبير، فقد تحدثت معي ذات مرة عنها".

فقالت لي: "كثيراً ما كنت مغرماً بأنيت، فحاول أن تقنعها بالألا تستمر في بذل هذا المجهود المضني، فقد بدأت تسعل قليلاً في الآونة الأخيرة، وأنا متضايقة من هذا الأمر".

"ولكن سرعان ما أبعدتني عنهما ظروف عملي، وتلقيت خطاباً أو اثنين من أنيت في البداية، ثم لم أتلّق منها أي شيء طوال خمس سنوات بعد أن عملت في الخارج".

"وعندما عدت إلى باريس، لفت انتباهي ملصق إعلاني لأنيت رافيل مع صورة لها، فتعرفت عليها في الحال، وذهبت في تلك الليلة إلى المسرح الذي كانت تعمل به، وغنت أنيت على المسرح بالفرنسية والإيطالية، وكانت رائعة. بعد ذلك ذهبت إلى غرفة تبديل ملابسها، واستقبلتني في الحال".

عندما رأنتني هتفت، وهي تمد يدها الشاحبة إليّ، وقالت: "راؤول، هذا رائع، أين كنت طوال هذه السنوات؟"
 "كنت سأخبرها، ولكنها لم تكن تريد أن تستمع إليّ بالفعل".
 فقالت لي: "كما ترى يا راؤول، لقد حققت ما كنت أريد تحقيقه تقريباً". مكتبة سر من قرأ

"وأخذت تلوح بيديها في انتصار، وهي تريني الحجرة المليئة بباقات الزهور المرسلّة إليها هدية لنجاحها".
 فقلت لها: "لا بد من أن الآنسة سلاتر الطيبة فخور بما حققته من نجاح".

فقلت لي: "تلك السيدة العجوز؟ لا، فكما تعلم كانت تريد أن تجعلني ألتحق بمعهد الموسيقى؛ لأغني في الحفلات الموسيقية المحدودة، لكنني فنانة شاملة، لا يمكنني التعبير عن نفسي إلا هنا فوق تلك المسارح المتنوعة".

وأردف قائلاً: "ثم دخل رجل وسيم في منتصف العمر، وكان متميزاً للغاية، وسرعان ما أدركت من خلال طريقته وأسلوبه أنه الحارس الخاص بأنيت، فنظر إليّ نظرات جانبية، وأوضحت له أنيت من أكون".

"وتابعت، قائلة: "هذا صديق طفولتي، ومر بباريس فرأى صورتني على ملصق، وها هو الآن يقف أمامنا!"

وأضاف قائلاً: "كان الرجل آنذاك ودوداً للغاية ومهذباً، وبينما كنت واقفاً أخرج الرجل من جيبه سواراً من الياقوت والماس، ولفه حول معصم أنيت، وبينما هممت بالوقوف، رمقتني بنظرة تنم عن الانتصار، وهمست قائلة: "لقد وصلتُ إلى ما كنت أريده، أليس كذلك؟ أترى العالم كله أمامي؟"

ولكن عندما غادرت الغرفة، سمعتها تسعل سعالاً جافاً وحاداً، وكنت أعلم ما يعنيه هذا السعال، لقد كان نتيجة مرض السل الذي ورثته عن أمها."

"ولكنني رأيتها بعد عامين، لقد عادت إلى الأنسة سلاتر، بعد عدم استطاعتها الاستمرار في مهنتها، وبعد تدهورت حالتها الصحية، حتى إن الأطباء قالوا إنهم ليس بوسعهم فعل أي شيء لها."

"أه! لن أنسى أبداً صورتها وهي في هذه الحالة! كانت ترقد في مكان صغير معد لها في الحديقة، فقد أبقوها خارج المنزل ليلاً ونهاراً، وكان خداهما غائرين ومتوهجين، وكانت عيناها حمراوين للغاية، وكانت تسعل بشكل متكرر."

"لقد رحبت بي، وصوتها كله يأس أصابني بالذهول، وقالت: "من الجيد رؤيتك يا راؤول. أتعرف، يقولون إنني قد لا أشفى؟ يقولون ذلك خلف ظهري، كما تعرف، ويحاولون تهدئتي ومواساتي، لكن هذا ليس صحيحاً يا راؤول، ليس صحيحاً! فلن أسمح لنفسي بأن أموت، كيف أموت؟ وتلك الحياة الجميلة تمتد

أمامي وتفتح لي ذراعيها؟ فالمهم هو إرادة الإنسان ورغبته في الحياة، كل الأطباء العظام يقولون ذلك في الوقت الحاضر، وأنا لست من الضعفاء الذين يستسلمون للمرض، وإنني أشعر بالفعل بأنني أتحسن كثيرًا؛ أتحسن كثيرًا، هل تسمعني؟"" .

"حاولت أن تنهض وهي تتكئ على مرفقها لتثبت لي صدق ما تقول، لكنها وقعت مرة أخرى بعد أن داهمتها نوبة من السعال الذي أنهك جسدها الهزيل النحيل".

"فصاحت قائلة: "إن السعال لا يعينني، كما أن النزيف لا يخيفني... سأفاجئ الأطباء، فالإرادة هي أهم شيء، تذكر يا راؤول أنني سأعيش"" .

"لقد كانت حالتها يرثى لها، أتفهمون الموقف؟ كانت حالتها يرثى لها".

وأضاف قائلاً: "ثم دخلت علينا فيليسي بولت وهي تحمل صينية عليها كوب من اللبن الساخن، أعطت أنيت إياه، وشاهدتها تشربه وتبدو على وجهها تعبيرات غير مفهومة، كان يبدو على وجهها نوع من الرضا والاعتداد بالنفس".

"لقد استطاعت أنيت أن تفهم أيضًا نظرات فيليسي؛ لذا ألقت بالكوب على الأرض بغضب شديد، فتهشم إلى قطع صغيرة".

وقالت لي: "أترى؟ هذه هي الطريقة التي تنظر بها إلي دائمًا، إنها سعيدة لأنني سأموت، نعم إن علامات الفرح تبدو على وجهها، فهي قوية وتتمتع بصحة جيدة. انظر إليها، إنها لم تمرض قط ولو يوماً واحداً، ولكن هذا كله لا يعني أي شيء، فما

فائدة هذا الجسد الضخم بالنسبة إليها؟ وأنى لها أن تستفيد به؟".

"انحت فيليسي لتلتقط شظايا الزجاج المتهشم".

قالت فيليسي في صوت غنائي: "لا يهمني ما تقوله، فما المهم في ذلك؟ إنني فتاة محترمة، أما بالنسبة إليها، فستلقى أشد العذاب قريباً، أنا متدينة، ولن أتفوه بكلمة".

صرخت أنيت قائلة: "أنت تكرهيني، كثيراً ما كنت تكرهيني منذ زمن طويل، نعم! لكنني أستطيع أن أجعلك تحت سيطرتي كما فعلت من قبل، أستطيع أن أجعلك تفعلين ما أريد، انظري الآن إذا طلبت منك أن تجثي على ركبتيك أمامي على تلك الحشائش، فستفعلين ذلك بالتأكيد".

فقالت فيليسي بضيق: "هذا غير معقول".

فقالت لها أنيت: "ولكنك ستفعلين ذلك، ستفعلين ذلك من أجل إسعادي، هيا اجثي على ركبتيك، إنني أطلب منك ذلك، أنا أنيت، اجثي على ركبتيك يا فيليسي".

"أطاعت فيليسي أوامر أنيت، سواء أكان ذلك بسبب التوسل المؤثر الذي كان يغلب على صوتها، أم بسبب بعض الدوافع العميقة لدى فيليسي، أخذت تهبط ببطء على ركبتها، وتبسط ذراعيها على نطاق واسع، وكان وجهها خالياً من التعبير، وتبدو عليه علامات الغباء".

"ثم رجعت أنيت برأسها إلى الخلف، ثم ضحكت ضحكات متتالية دوت في أرجاء المكان".

"ثم استلقت على وسائدها وهي تشعر بالإرهاك الشديد، والتقطت فيليسي الصينية، وغادرت بحركات بطيئة، ولكن بمجرد أن نظرت فيليسي إليها، هالني الاستياء المتقد في عينيها".

"لم أكن معها حين حضرته الوفاة، ولكن يبدو أن الأمر كان فظيلاً للغاية، فقد كانت تتشبث بالحياة، وكانت تحارب الموت كامرأة مجنونة، فقد كانت تصرخ مراراً وتكراراً، وتقول: "لن أموت، هل تسمعونني؟ أنا لن أموت، سأعيش... سأعيش".

"لقد أخبرتني الأنسة سلاتر بكل ذلك عندما ذهبت إلى رؤيتها منذ ستة أشهر".

"قالت في شفقة: "عزيزي راؤول، لقد كنت تحبها، أليس كذلك؟"

"أحببتها قائلًا: "كثيراً ما كنت أحبها، أحببتها دائماً، ولكن ما الذي كان بإمكانني أن أفعله لها؟ دعينا لا نتحدث عن هذا الأمر ثانية، لقد ماتت، لقد كانت بارعة، تتقد بالحيوية والنشاط...".

"كانت الأنسة سلاتر امرأة عطوفاً، فأخذت تتحدث عن أشياء أخرى، وأخبرتني بأنها قلقة للغاية بشأن فيليسي، كما أخبرتني بأنها تعاني نوعاً غريباً من الانهيار العصبي، ومنذ ذلك الحين كانت تأتي بتصرفات غريبة".

قالت الأنسة سلاتر بعد لحظة من التردد: "هل تعرف أنها كانت تتعلم العزف على البيانو؟".

قلت لها: "لم أكن أعلم ذلك، وإني مندهش للغاية لسماع ذلك، فيليسي تتعلم العزف على البيانو! إن الفتاة لا تستطيع تمييز إحدى النوتات الموسيقية الواحدة عن غيرها".

"تابعت الآنسة سلاتر حديثها، قائلة: "يقولون إنها تتمتع بموهبة، لا يمكنني تفهم الأمر، فكثيراً ما كنت أصفها بأنها... حسناً، يا راؤول أنت تعرف بنفسك، فدائماً ما كانت فتاة غبية"" . فأومأت برأسي.

فقلت لي: "إنها تتصرف تصرفات غريبة أحياناً، ولا أدري ماذا أفعل حيال هذا الأمر".

"وبعد بضع دقائق دخلتُ حجرة العزف، وكانت فيليسي تعزف على البيانو، وكانت تعزف موسيقى الأغنية التي سمعت أنيت تغنيها في باريس، وكما تفهمون يا سادة أخذت أردد كلمات الأغنية، وعندما سمعتني، توقفت فجأة، ونظرت إليّ وعيناها مليئتان بالسخرية والذكاء، للحظة واحدة ظننت أن... حسناً لن أخبركم بما ظننته حينها".

قالت لي: "مرحباً، هذا هو أنت إذن يا سيد راؤول".
"لا أستطيع أن أصف لكم الطريقة التي قالت بها ذلك، فقد كانت أنيت تناديني دائماً راؤول، لكن فيليسي، ونظراً إليّ، أنني التقيت بها في سن كبيرة، كانت تناديني دائماً بـ سيد راؤول، لكن الطريقة التي نادتنني بها الآن كانت مختلفة، فقد ضغطت على مخارج الحروف قليلاً، فبدت لطيفة إلى حد ما".
فقلت متلعثماً: "تبدين غريبة اليوم يا فيليسي".

قالت بدورها: "أنا أبدو غريبة؟ من الغريب أن تقول ذلك، لكن لا تتحدث معي بطريقة رسمية هكذا يا راؤول، سأناديك بـ راؤول فقط؛ ألم نلعب معاً ونحن أطفال؟ لقد جعلت الحياة للضحك والمرح، دعنا نتحدث عن المسكينة أنيت، لقد ماتت وواراها الثرى، ترى هل هي تتعذب أم تتمتع بالنعيم؟".

وأخذت تدندن بمقطوعة من أغنية دون نغم، لكن كلمات الأغنية لفتت انتباهي.

فصرخت قائلاً: "فيليسي، هل تتحدثين الإيطالية؟".

قالت: "ولم لا يا راؤول؟ أنا لست غبية كما أدعي أمامكم"، ثم ضحكت مما بدا عليّ من ارتباك.

قلت لها: "أنا لا أفهم...".

قالت لي: "سأخبرك بشيء ما، أنا ممثلة بارعة، ولا أحد يتوقع ذلك، يمكنني أن أؤدي العديد من الأدوار، وأؤديها ببراعة كبيرة".

ثم ضحكت مرة أخرى، وخرجت من الغرفة بسرعة كبيرة قبل أن أستطيع أن أوقفها.

"رأيتها مرة أخرى قبل أن أغادر، وكانت نائمة على كرسي ذي ذراعين، وكانت تصدر شخيراً عالياً للغاية، فتوقفت وأخذت أشاهدها في اندهاش، كما كنت أشعر بالاشمئزاز كذلك، استيقظت فجأة، والتقت عيناها الباهتتان اللتان تخلوان من الحياة بعيني".

قالت بصورة آلية: "سيد راؤول".

أجاثا كريستي

فقلت لها: "نعم يا فيليسي، سأذهب الآن، هل يمكن أن تعزفي لي على البيانو مرة أخرى قبل أن أنصرف؟".

فقالت لي: "أنا؟ أعزف على البيانو؟ أتسخر مني يا سيد راؤول؟".

فسألتها: "ألا تتذكرين أنك عزفت لي على البيانو هذا الصباح؟".

فهزت رأسها بالنفي.

وتساءلت قائلة: "أنا أعزف على البيانو؟ كيف يمكن لفتاة مسكينة مثلي أن تعزف على البيانو؟".

"صمتت دقيقة كأنها تفكر في هذا الأمر، ثم أشارت إليّ بالاقتراب منها، وقالت لي: "سيد راؤول هناك العديد من الأمور الغريبة التي تحدث في هذا المنزل! إنهم يخدعونك، ويمارسون عليك الألاعيب، نعم، نعم، أنا أعرف ما أقول، وهذا كله من تدبيرها".

سألتها في دهشة قائلاً: "من تدبير من؟".

فأجابت قائلة: "إنها أنيت، تلك الفتاة الشريرة، عندما كانت على قيد الحياة كانت تعذبني، وبعد موتها الآن تعود لتعذبني كذلك".

"فحدقت إلى فيليسي، واستطعت أن أرى في عينيها رعباً شديداً، فكانت عيناها تجحضان بشدة في محجريهما".

قالت لي: "إنها سيئة، إنها سيئة كما أقول لك، إنها تأخذ الخبز من فمك، والملابس من فوق جسدك، والروح من داخله...".

وتشبت بي فجأة.

وقالت لي وهي تضع يدها على جبهتها، قائلة: "أنا أقول لك إنني خائفة، خائفة، أنا أسمع صوتها ليس في أذني، لا، ليس في أذني، بل هنا في رأسي، سوف تأخذني بعيداً، ستأخذني بعيداً معها، وحينها ماذا سيمكنني أن أفعل، ماذا سيحدث لي؟".

ارتفع صوتها إلى حد الصراخ، كانت في عينيها نظرة وحش غشوم مذعور...

وابتسمت فجأة ابتسامة لطيفة، مليئة بالمكر، وبها شيء غريب جعلني أرتجف.

وقالت: "إذا كان لا بد للأمر من أن يتطور إلى هذا الحد يا سيد راؤول، فأنا لذي يد قوية، لذي يد قوية".

"لم أكن قد لاحظت يديها من قبل، نظرت إليهما الآن، واندهشت على الرغم مني، كانت أصابعها قصيرة وسمينة، وتبدو قاسية كذلك، وكما قالت فيليسي قوية للغاية... لا أستطيع أن أصف لكم مدى الاشمزاز الذي شعرت به، لا بد من أن والدها قد خنق والدتها بيدين كهاتين".

"كانت هذه هي آخر مرة رأيت فيها فيليسي بولت، وبعد ذلك سافرت على الفور إلى الخارج، إلى أمريكا الجنوبية، وعدت من هناك بعد وفاتها بعامين، وقرأت في الصحف عن حياتها وموتها المفاجئ، كما سمعت الليلة تفاصيل كاملة منكم أيها السادة! عن فيليسي 3 وفيليسي 4، لقد كانت ممثلة رائعة، كما تعرفون!".

أبطأ القطار سرعته فجأة، وجلس الرجل في الزاوية منتصباً، وأخذ يلف معطفه عليه بمزيد من الإحكام.

أجاثا كريستي

فسأله المحامي، وهو يميل إلى الأمام، قائلاً: "ما تفسيرك لهذا الأمر؟".

شرع رجل الدين بارفيت يقول: "لا أستطيع أن أصدق..."، ثم توقف عن الكلام.

لم يقل الطبيب أي شيء، وأخذ ينظر بثبات إلى راؤول ليتاردو.

ردد الرجل الفرنسي بلطف تلك العبارة التي قالتها فيليسي من قبل: "الملابس من فوق جسدك، والروح من داخله"، ثم هب واقفًا، قائلاً: "لقد قلت لكم أيها السادة إن ماضي فيليسي بولت هو ماضي أنيت رافيل، أنتم لا تعرفونها أيها السادة، أما أنا فأعرفها، لقد كانت مغرمة بالحياة...".

كان يضع يده على مقبض الباب استعدادًا للخروج، ثم استدار فجأة، وانحنى وربت بيده صدر رجل الدين بارفيت.

جفل رجل الدين عندما ربت راؤول بيده صدره، وهو يقول: "إن السيد الطبيب الذي يجلس هناك قال من فوره، إن هذا ليس إلا مُسكناً، أخبرني إذا وجدت لُصاً في منزلك، فماذا ستفعل؟ ستطلق عليه النار، أليس كذلك؟".

صرخ رجل الدين قائلاً: "لا، لا بالطبع لن أفعل، أقصد ليس في هذه البلدة".

لكن كلماته الأخيرة ترددت في الأفق، ثم انغلق باب عربة القطار.

وأصبح رجل الدين والمحامي والطبيب وحدهم، وأصبح المكان الرابع خالياً.

منزل عشتروت العجيب

قالت جويس لمبرييه: "والآن يا دكتور بيندر، ماذا ستقص علينا؟".

فابتسم رجل الدين العجوز بلطف، قائلاً: "لقد عشت حياتي في أماكن هادئة، ولم يعترض طريقي سوى القليل من الأحداث المهمة، ومع ذلك، مررت بتجربة غريبة ومأساوية للغاية عندما كنت شاباً".

قال جويس لمبرييه بنبرة تشجيعية: "أه!".

فتابع رجل الدين، قائلاً: "لم أنسها فقط، فقد تركت في داخلي أثراً عميقاً في ذلك الوقت، بل حتى يومنا هذا، وباعتصار طفيف للذاكرة، يمكنني أن أشعر مرة أخرى بالرعب الشديد الذي شعرت به في تلك اللحظة الرهيبة، عندما رأيت رجلاً لقي حتفه على يد شخص لا يبدو بشرياً".

قال السيد هنري متبرماً: "لقد جعلتني أشعر بالرعب الشديد يا بيندر".

فقال بيندر: "وقد جعلتني أشعر بالرعب أنا أيضاً كما تقول، ومنذ ذلك الوقت لم أعد أسخر قط من أولئك الأشخاص الذين يستخدمون تعبير "سحر الأجواء"، فهناك شيء من هذا القبيل، إن هناك أماكن معينة مشبعة وملئمة بتأثيرات من الخير أو الشر، وبإمكانها أن تجعل قوتها محسوسة".

قالت الآنسة ماربل: "هذا المنزل، الذي يُسمى لارتشين، إنه منزل مشئوم للغاية، حيث فقد السيد سميذرز كل أمواله، واضطر إلى مغادرته، ثم اشترته أسرة كارسليك، وبعدها سقط جوني كارسليك في الطابق السفلي، وكسرت ساقه، واضطرت السيدة كارسليك إلى الذهاب إلى جنوب فرنسا للعلاج لاسترداد صحتها، والآن اشترته عائلة بيردن، وسمعت أن السيد بيردن المسكين يجب أن يخضع لعملية جراحية على الفور".

قال السيد بيثيريك: "أعتقد أن هناك الكثير من الخرافات فيما يتعلق بهذا الأمر، فقد لحق بالممتلكات العقارية الكثير من الأضرار بسبب تلك التقارير الحمقاء التي تُروج بلا مبالاة".
قال السيد هنري، وهو يضحك ضحكة خافتة: "لقد عرفت واحدًا أو اثنين من "الأشباح" التي تتمتع بشخصية قوية للغاية".

قال رايموند: "أعتقد أنه يجب علينا أن نسمح للدكتور بيندر بأن يسترسل في حديثه، ويحكي لنا تلك القصة".
فنهضت جويس، وأطفأت المصباحين، ليضيء الغرفة ضوء النار الخافت فقط.

ثم قالت: "لقد هيأت لكم الجو، الآن يمكننا أن نسترسل في الحديث".

ابتسم لها الدكتور بيندر، ثم أسند ظهره إلى كرسيه، وخلع نظارته، ثم بدأ يروي قصته بنبرة لطيفة مفعمة بالذكريات، قائلاً: "لا أدري هل يعرف أحدكم منطقة دارتمور أم لا، فالمكان الذي سأحدثكم عنه يقع على حدودها، وقد كان منزلاً رائعاً

للغاية، وعلى الرغم من ذلك ظل يُعرض للبيع عدة سنوات دون أن يُقدم مشترٍ على شرائه؛ ربما لأنه كان يبدو كئيباً بعض الشيء في فصل الشتاء، لكنه كان يطل على مناظر خلابة، ويتميز ببعض المواصفات الغريبة والفريدة. لقد اشتراه رجل يدعى هايدون؛ إنه السيد ريتشارد هايدون، لقد كنت أعرفه منذ أيام الدراسة في الكلية، وعلى الرغم من أنني لم ألتق به طوال عدة أعوام، فإن أواصر الصداقة القديمة ظلت ممتدة بيننا، وقد قبلت بسرور دعوته إلى الزيارة في منزله الجديد الذي اشتراه، وأطلق عليه اسم "سايلانت جروف".

لم يكن الحفل الذي أقامه في منزله كبيراً للغاية، فقد كان هناك ريتشارد هايدون نفسه، وابن عمه إليوت هايدون، كما كانت هناك سيدة تدعى مانرينج، ومعها ابنتها فايلت، التي كانت ذات وجه شاحب، وهادئة للغاية، كما كان من بين الحضور الكابتن روجرز وزوجته اللذان اعتادا ركوب الخيل، كما كانا يبدو على وجههما تأثير العوامل الجوية، وكانا يكرسان حياتهما لركوب الخيل والصيد فقط. كما كان هناك الدكتور الشاب سايموندز، بالإضافة إلى الأنسة ديانا أشلي، وقد كنت أعرف شيئاً ما عن تلك الأنسة، فقد كانت صورها تُنشر في الصحف في كثير من الأحيان، وكانت واحدة من جميلات الموسم ذات السمعة السيئة، وكان مظهرها لافتاً للنظر، فكانت سمراء طويلة القامة، وبشرتها جميلة ذات لون باهت بعض الشيء، وكانت عيناها السوداوان مرتخيتي الأهداب تضيفان عليها مظهراً شرقياً مثيراً للغاية، كما كان صوتها جميلاً، ذا نبرة عميقة تشبه نغمة الجرس.

أجاثا كريستي

كنت ألاحظ أن صديقي ريتشارد هايدون منجذب إليها، وكنت أظن أن الحفل كله قد رُتب ليكون مناسباً لها، لكنني لم أكن متأكداً من مشاعرها، فقد كانت متقلبة ومتغيرة فيمن تستحسن صحبتهم، ففي لحظة تجدها تتحدث مع ريتشارد ولا تتحدث مع شخص غيره، ثم تجدها في لحظة أخرى تتحدث مع ابن عمه إليوت، حتى إنها لا تلاحظ وجود شخص آخر يسمى ريتشارد، ثم تجدها مرة أخرى تبتسم إلى الدكتور سايموندز الهادئ الخجول ابتسامة خلافة تخطف الأنظار.

وفي الصباح بعد وصولي، صحبنا مضيفنا في جولة لإلقاء نظرة على المكان كله، وكان المنزل في حد ذاته غير مميز على الإطلاق، بل إنه كان مجرد منزل راسخ، مبني من جرانيت ديفونشاير؛ ليقاوم الزمن، ويصمد أمام تقلبات الطبيعة، لقد كان منزلاً يفتقر إلى الشاعرية، لكنه كان مريحاً جداً، ومن خلال نوافذه يمكن للمرء أن يشاهد مناظر المستنقعات والتلال الشاسعة المتموجة التي تتوجها قمم صخرية لم تسلم من ضربات الطقس.

وكانت على منحدرات هذه القمم الصخرية الأقرب إلينا مجموعات مختلفة من الأكواخ في شكل دائري، وهي بقايا من الأيام الغابرة التي تعود إلى العصر الحجري، وكان يوجد على تل آخر ركام من الحجارة فوق قبر قديم، قد أُجري فيه مؤخراً بعض أعمال التنقيب، وقد عُثر فيه على بعض الأدوات البرنزية، وكان هايدون قد بدأ يهتم بالآثار العتيقة، وكان يتحدث إلينا

بقدر كبير من الحماس والحيوية، موضحاً لنا أن هذه البقعة
بخاصة كانت غنية بالآثار القديمة.

وأخذ يقول إن هذه المنطقة قد قطنها سكان الأكواخ في
العصر الحجري الحديث، والدرويد، والرومان، بل عُثِرَ فيها
على بقايا آثار للفينيقيين الأوائل.

وأضاف قائلاً: " لكن هذا المكان هو أكثرها إثارة للاهتمام،
ولعلكم تعرفون اسمه؛ سايلانت جروف (البستان الصامت)،
ومن السهل معرفة مصدر هذه التسمية "

ثم أشار بيده إلى الأمام، حيث مكان لا يوجد فيه سوى
الصخور، ونبات الخلنج، وأجمات السرخس، ولكن على بعد مائة
متر كان هناك بستان به الكثير من الأشجار.

قال هايدون: " هذه من بقايا أيام سحيقة، لقد ماتت
الأشجار، وأعيدت زراعتها مرة أخرى، ولكن بشكل عام قد روعي
أن تكون كما كانت في السابق في زمن المستوطنين الفينيقيين.
تعالوا، وألقوا نظرة عليها "

تبعناه جميعاً، وعندما دخلنا في بستان الأشجار، انتابني
شعور غريب بالضيق، وأعتقد أنه كان بسبب الصمت الذي يخيم
على المكان، فلا يبدو أن الطيور تعيش في هذه الأشجار، فقد
كانت الأجواء يسودها شعور بالخراب والرعب، ورأيت هايدون
ينظر إليّ وعلى وجهه ابتسامة غريبة.

فسألني قائلاً: " هل ينتابك أي شعور تجاه هذا المكان يا
بيندر، هل تشعر الآن بالنفور أم بعدم الارتياح؟ "
قلت له بهدوء: " لا يعجبني هذا المكان "

أجاثا كريستي

فقال لي: "هذا من حقك، فهذا المكان كان معقلاً لأحد الأعداء القدامى لعقيدتك، إنه بستان عشروت".

فقلت له في دهشة: "عشروت؟".

فقال لي: "عشروت، أو عشتر، أو عشتوريت، أو أيًا كان الاسم الذي تفضل أن تطلقه عليها، وانني أفضل أن أستخدم الاسم الذي أطلقه الفينيقيون عليها، عشروت، وأظن أن هناك بستانًا معروفًا باسم بستان عشروت في هذه البلدة... في الشمال عند السور، ولكن ليس لدي أي دليل، لكنني أحب أن أصدق أن لدينا بستان عشروت الحقيقي والأصلي هنا، حيث إنه في داخل هذه الدائرة الكثيفة من الأشجار، مورست الطقوس المقدسة".

فهممت ديانا أشلي، وكانت تطل من عينيها نظرات بعيدة حاملة، قائلة: "طقوس مقدسة؟ ما هذه الطقوس؟".

قال الكابتن روجرز، وهو يضحك ضحكة عالية لا معنى لها: "أظن أنها لم تكن طقوسًا جيدة على أي حال، فلعلها كانت طقوسًا مخلة".

لم يعره هايدون أي اهتمام.

واستطرد قائلاً: "لا بد من أن هناك معبدًا في وسط هذا البستان، لا أستطيع الذهاب إلى المعابد، لكنني أستمتع بهواية صغيرة خاصة بي".

وصلنا في تلك اللحظة إلى منطقة صغيرة تخلو من الأشجار، كان يوجد في وسطها بيت صيفي مبني من الحجارة، فنظرت ديانا أشلي نظرة استفهام إلى هايدون.

فقال: "أنا أسميه المنزل العجيب، منزل عشروت العجيب".

قادنا حتى دلفنا إليه، وفي الداخل وجدنا عموداً قديماً من خشب الأبنوس عليه صورة صغيرة غريبة لامرأة ذات قرنين على شكل هلال، وتركب أسداً.

قال هايدون: "إنها عشتروت الفينيقية، رمز القمر عند الفينيقيين".

صاحت ديانا قائلة: "رمز القمر، لنقم حفلة هذه الليلة، فلنلبس ملابس جميلة، ولنأت إلى هنا في ضوء القمر ونحتفل". فصدرت مني حركة مفاجئة، والتفت إليّ على الفور ليوت هايدون ابن عم ريتشارد.

وقال لي: "لا يروقك كل هذا، أليس كذلك يا سيدي؟". قلت له بنبرة جادة: "لا، لا يروقني ذلك".

نظر إليّ باستغراب، ثم قال لي: "ولكن هذا مجرد مزاح، فلا يمكنه معرفة ما إذا كان هذا البستان مخيفاً حقاً أم لا، فهذه هوايته، إنه يحب التلاعب بالأفكار، وعلى أية حال إذا كانت...". فسألته: "إذا كانت ماذا؟".

ضحك على نحو غير مريح، وقال: "أنت لا تصدق مثل هذه الأشياء بوصفك رجل دين، أليس كذلك؟". فأجبت قائلاً: "لست متأكداً من أنه ينبغي لي ألا أصدق مثل هذه الأمور بوصفي رجل دين"، فقال: "ولكن مثل هذه الأمور انتهت وولت".

فقلت له بعد أن فكرت برهة: "أنا لست متأكداً من ذلك، لكنني أعرف أنني لست رجلاً حساساً فيما يتعلق بتلك الأجواء، غير أنني منذ أن دخلت بستان الأشجار هذا، انتابني انطباع غريب وإحساس بالشر والتهديد من حولي".

فقال: "نعم، إنه غريب على نحو ما، وأعرف ما تعنيه، ولكن أعتقد أن خيالنا فقط هو ما يجعلنا نشعر بذلك، فما رأيك يا سايموندز؟".

سكت الطبيب دقيقة أو دقيقتين قبل أن يجيب، ثم قال بهدوء: "لا يعجبني هذا المكان، ولا أعرف لماذا، ولكن بطريقة أو بأخرى هذا المكان لا يروقني".

في تلك اللحظة توجهت إليّ فايلت مانرينج، وصاحت قائلة: "أنا أكره هذا المكان، أكرهه، لنخرج من هنا".

خرجنا وتبعنا الآخرون، ولم تبق سوى ديانا أشلي، التفت فرأيته تقف أمام ذلك المنزل العجيب، وتحقق إلى الصورة الموجودة في الداخل بجدية.

كان الجو دافئاً وجميلاً على غير العادة، فاقترحت ديانا أشلي أن نقيم حفلة تنكرية في ذلك المساء، وقد قوبل الاقتراح بموافقة الجميع، وكما هو معتاد في مثل هذه الأجواء، قد ساد الضحك والهمس والإعداد المحموم للملابس التنكرية، وعندما ظهرنا جميعاً لتناول العشاء، ترددت صيحات المرح المعتادة، وكان روجرز وزوجته قد تنكرا في زي اثنين من سكان الكوخ في العصر الحجري الحديث، وهذا فسر النقص المفاجئ لبُسط المدفأة، أما ريتشارد هايدون فقد تنكر في زي بحار فينيقي، وتنكر ابن عمه في زي رئيس عصابة قطاع طرق، وقد تنكر الدكتور سايموندز في زي طاهٍ، وتنكرت السيدة مانرينج في زي ممرضة في المستشفى، وابنتها في زي خادمة شركسية، أما أنا فكنت أحاول التنكر في زي راهب، وقد نزلت ديانا أشلي

أخيراً وشعرنا جميعاً بخيبة أمل إلى حد ما لدى نزولها، حيث كانت تلف حول نفسها رداءً أسود لا شكل له.

وقالت باستخفاف: "المجهولة... ذلك أنا، والآن لنتناول العشاء بالله عليكم".

بعد تناول العشاء ذهبنا إلى الخارج، وكانت ليلة جميلة يملؤها الدفء والنسيم الجميل، وكان القمر بازغاً في السماء.

تجولنا وتجاذبنا أطراف الحديث، وكان الوقت يمر سريعاً، لكننا بعد مرور ساعة أدركنا أن ديانا أشلي لم تكن معنا. قال ريتشارد هايدن: "لا يمكن أن تكون قد ذهبت إلى النوم".

هزت فايلت مانرينج رأسها، وقالت بينما كانت تشير إلى بستان الأشجار الذي يبدو حالك الظلام في ضوء القمر: "لقد رأيتها تسير في هذا الاتجاه قبل ربع ساعة".

قال ريتشارد هايدون: "أتساءل ما الذي تنوي فعله؟ أكاد أجزم أنها تخطط لعمل شرير، فلنذهب ونر".

ذهبنا جميعاً معاً، يملؤنا الفضول لمعرفة ما تفعله الآنسة أشلي، ومع ذلك شعرت بتردد غريب نحو دخول هذا الحزام المظلم المرعب من الأشجار، فقد بدا لي أن شيئاً أقوى مني يعوقني ويحثني على عدم الدخول، أصبحت مقتنعاً حينها أكثر من أي وقت مضى بالشر المتأصل في هذا المكان، وأعتقد أن الآخرين قد انتابهم الشعور نفسه الذي انتابني، على الرغم من أنهم كانوا مترددين في الاعتراف بهذا الشعور، وكانت الأشجار كثيفة للغاية، حتى إن ضوء القمر لم يكن يخترقها، وكانت هناك عشرات الأصوات الخافتة حولنا من همسات وتنهيدات. كان

الشعور غريباً إلى حد كبير، وقد ظل كل منا قريباً من الآخر كما اتفقنا.

وخرجنا فجأة إلى الرواق المكشوف في وسط البستان، ووقفنا متجمدين في أماكننا من هول الدهشة، حيث وجدنا أمام عتبة منزل عشتروت امرأة تقف تتسلط عليها إضاءة متلاثلة، ملفوفة بإحكام في شاش شفاف، ويبرز من كتلة شعرها الأسود الداكن قرنان على شكل هلال.

قال ريتشارد هايدون والعرق يتصبب على جبينه: "يا إلهي!"

أما فايلت مانرينج فكان رد فعلها أكثر حدة، حيث صرخت، قائلة: "يا إلهي إنها ديانا، ماذا تفعل بنفسها هنا؟ آه، إنها تبدو مختلفة للغاية".

رفعت تلك المرأة التي تقف على عتبة المنزل يديها، وتقدمت خطوة إلى الأمام، وهتفت بصوت عذب عال، قائلة: "أنا حارسة عشتروت، حذار أن يقترب أحدكم مني، فأنا أحمل الموت بين يدي".

اعترضت السيدة مانرينج على ما تقوله، قائلة لها: "لا تفعلي ذلك يا عزيزتي، لقد أصبتنا بالرعب الشديد حقاً".

وتقدم هايدون إلى الأمام تجاهها. وصرخ قائلاً: "يا إلهي، ديانا! إنك تبدين جميلة للغاية".

كانت عيناها قد اعتادت ضوء القمر الآن، وكان يمكنني أن أرى بشكل أكثر وضوحاً. وبالفعل، كما قالت فايلت، كانت ديانا تبدو مختلفة تماماً، فقد أصبحت ملامح وجهها شرقية، وكانت

عيناها أشبه بفتحتين فيهما لمعة توهي بالقسوة، وكانت هناك ابتسامة غريبة مرسومة على شفيتها، لم أرَ مثلها من قبل.

صاحت محذرة إياه: "احترس، لا تقترب مني، فإذا اقترب أحدكم مني، ووضع يده عليّ، فسيأتيه الموت المحقق".

صرخ هايدون، قائلاً: "أنت جميلة للغاية يا ديانا، لكن توقفي عن هذا، فأنا لا أحب ذلك على الإطلاق".

كان يتحرك نحوها، وهو يخطو على العشب، فرفعت يدها نحوه، وصاحت: "توقف، إذا تقدمت خطوة واحدة، فسأضربك بقوة عشتروت الخارقة".

ضحك ريتشارد هايدون، وأسرع خطاه، ولكن فجأة حدث شيء غريب للغاية، لقد تردد لحظة، ثم بدا كأنه يتعثّر ثم سقط على الفور.

لم يستيقظ مرة أخرى، حيث سقط وجهه على الأرض وظل ساكناً. وفجأة بدأت ديانا تضحك بشكل هستيري، مصدرة صوتاً مرعباً وغريباً يشق السكون الذي يسود المكان. فتقدم إليوت إلى الأمام، وهو يصيح، قائلاً: "لا أستطيع تحمل هذا، انهض يا ريتشارد، انهض يا رجل".

لكن ريتشارد هايدون ظل ممدداً حيث سقط، واقترب إليوت منه، وانحنى نحوه، وأخذ يقلب فيه برفق، ثم انكب فوقه، وأخذ ينظر إلى وجهه.

ثم هب واقفاً على قدميه، وهو يترنح قليلاً، ثم قال: "تقدم أيها الطبيب، تقدم بالله عليك، أظن أنه قد مات".

أجاثا كريستي

تقدم سايموندز إلى الأمام، وهو يركض، بينما تراجع إليوت إلى الخلف وهو يمشي ببطء شديد، وكان ينظر إلى يديه بطريقة لم أفهمها.

وفي تلك اللحظة، أطلقت ديانا صرخة غريبة، وقالت: "أوه يا إلهي! لقد قتلته، لكنني لم أقصد فعل ذلك".

ثم فقدت وعيها، وسقطت على كومة من العشب.

ثم أطلقت السيدة روجرز صرخة عالية، ثم قالت: "آه! دعونا نغادر هذا المكان المرعب، فقد يصيبنا أي مكروه هنا، آه يا له من أمر مريع!".

أمسك إليوت بي من كتفي، وهمس قائلاً: "هذا أمر غير معقول يا رجل، أمر غير معقول، لا يمكن لرجل أن يُقتل على هذا النحو، إنه أمر غير طبيعي".

حاولت تهدئته.

وقلت له: "هناك تفسير ما، لا بد من أن ابن عمك كان يعاني ضعفاً غير متوقع في عضلة القلب؛ ومن ثم فإن ما شعر به من صدمة وإثارة..."

فقاطعني قائلاً: "أنت لا تفهم"، ثم رفع يديه لي لأراهما، فلاحظت وجود بقع حمراء عليهما.

ثم أضاف قائلاً: "إنه لم يمت نتيجة الصدمة، بل طعن، لقد طعن في قلبه، ولم يكن هناك أي سلاح".

أخذت أحرق إليه، وأنا لا أستطيع تصديقه. في تلك اللحظة انتهى سايموندز من فحص الجثة، وهب واقفاً، ثم توجه نحونا،

وكان جسده كله يرتعش، ثم قال: "هل جننا جميعاً؟ ما هذا المكان الذي يمكن أن تحدث فيه أشياء كهذه؟".

قلت له: "إذن، الأمر صحيح؟".

فأوما برأسه، ثم قال: "يبدو أن الجرح ناتج عن طعنة خنجر طويل ونحيل، ولكن لا يوجد هناك أي خنجر".

فأخذ كل منا ينظر إلى الآخر. صرخ إليوت هايدون، قائلاً:

"ولكن لا بد من أن يكون هناك، لا بد من أنه قد سقط، من المؤكد أنه ملقى في مكان ما على الأرض، دعونا نبحث عنه".

أخذنا نبحث في الأرض، ولكن بلا جدوى، ثم قالت فايلت مانرينج فجأة: "لقد كانت ديانا تمسك بشيء ما في يدها؛ شيء أشبه بالخنجر، لقد رأيته، رأيته يلمع في يدها عندما كانت تهدده".

هز إليوت هايدون رأسه معترضاً على هذا الكلام، وهو يقول:

"لكنه لم يقترب منها أكثر من ثلاثة أمتار".

كانت السيدة مانرينج تنحني على الفتاة الملقاة على وجهها في الأرض، ثم قالت: "لا يوجد أي شيء في يديها الآن، كما أنني لا أستطيع أن أرى أي شيء على الأرض، هل أنت متأكدة أنك قد رأيته يا فايلت؟ فأنا لم أر شيئاً".

توجه الطبيب سايموندز نحو الفتاة، قائلاً: "لا بد من أن

نأخذها إلى المنزل، هلا ساعدتني يا روجرز؟".

حملنا الفتاة التي فقدت وعيها، وأعدناها إلى المنزل،

ثم عدنا مرة أخرى، وأحضرنا جثة السيد ريتشارد.

توقف الطبيب بيندر عن الكلام معتذراً، وأخذ ينظر حوله،

قائلًا: " يمكن للمرء أن يعرف المزيد من المعلومات حيال هذا الأمر في الوقت الحاضر، وذلك نتيجة قراءة الكثير من القصص البوليسية المنتشرة على نطاق واسع، إن أي شخص أبله يعرف أنه يجب ترك الجثة في المكان الذي وجدت فيه، ولكننا حينذاك لم نكن نعرف هذه المعلومات، ومن ثم حملنا جثة ريتشارد هايدون إلى غرفة نومه في المنزل المربع المبني من أحجار الجرانيت، وأمرنا الخادم أن يذهب بدراجته لإحضار الشرطة، وقد قاد الدراجة مسافة تزيد على ثلاثين كيلومترًا. ثم أخذني إليوت هايدون جانبًا، وقال لي: " اسمع، إنني سأعود إلى البستان، لا بد من أن نجد ذلك السلاح ". فقلت له بنبرة يملؤها الشك: " إذا كان هناك سلاح أصلاً ". فأمسكني من ذراعي، وهزها بقوة، وقال لي: " إن تلك الأمور التي تحتفظ بها في رأسك عبارة عن خرافات، فأنت تعتقد أن موته كان على يد قوة خارقة للطبيعة، حسنًا سأعود إلى البستان لأكتشف الأمر بنفسني ". وانتابني شعور غريب جعلني لا أطيق فكرة ذهابه إلى هناك، فبذلت قصارى جهدي لإثنائه عن ذلك، لكن دون جدوى. إن مجرد مشهد تلك الدائرة الكثيفة من الأشجار كان بغيضًا بالنسبة إليّ، وانتابني شعور قوي ينذر بوقوع مزيد من الكوارث، ولكن إليوت كان عنيدًا للغاية، وأعتقد أنه كان خائفًا، لكنه لم يعترف بذلك، فذهب مسلحًا بعزمه الشديد على الوصول إلى حقيقة هذا اللغز الغامض.

كانت ليلة مخيفة للغاية، طار فيها النوم من أعيننا جميعاً، وعندما وصل رجال الشرطة، لم يصدقوا أي شيء مما حدث، وأظهروا رغبة قوية في استجواب الأنسة أشلي، ولكن كان عليهم أن يناقشوا الدكتور سايمونديز، الذي عارض الفكرة بشدة، فقد كانت الأنسة أشلي قد أفاقت من إغماء أو غيبوبة، فأعطاه دواء منوماً طويل المفعول، ولا يجوز إزعاجها حتى اليوم التالي.

لم يفكر أحد في إيوت هايدون حتى الساعة السابعة صباحاً تقريباً، ثم سأل سايمونديز فجأة عن مكانه، فذكرت له ما فعله إيوت، فازداد وجه سايمونديز امتقاعاً، ثم قال: "أتمنى لو لم يفعل ذلك. إنه... إنه تهور".

فقلت له: "أتظن أنه قد أصابه مكروه؟".

فقال لي: "أتمنى ألا يكون قد أصابه أي أذى، أظن أنه يجب عليّ أنا وأنت يا رجل الدين أن نذهب ونراه". "كنت أعلم أنه على حق، لكن الأمر تطلب مني أن أستجمع كل شجاعتي، حتى أجبر نفسي على هذه المهمة، فانطلقنا معاً، ودخلنا مرة أخرى ذلك البستان المشئوم، ونادينا إيوت مرتين، لكن لم نتلق منه أي رد، وفي غضون دقيقة أو دقيقتين وصلنا إلى ذلك المكان المكشوف الذي بدا قاحلاً ومخيفاً في ضوء الصباح الباكر، وأمسك سايمونديز ذراعي بقوة، بينما صحت صيحة تعجب، ففي الليلة الماضية عندما رأيناها في ضوء القمر، كانت هناك جثة رجل ملقاة على العشب، الآن في ضوء الصباح الباكر رأينا المنظر ذاته مرة أخرى، وكان إيوت هايدون ممدداً على الأرض، في المكان ذاته الذي سقط فيه ابن عمه".

قال سايموندز: "يا إلهي لقد نالت منه هو الآخر".

ركضنا معاً على العشب، ووجدنا إيوت هايدون فاقدًا الوعي، لكنه كان يتنفس بهدوء، وفي هذه المرة لم يكن هناك شك بشأن السلاح المستخدم في وقوع هذه المأساة، حيث كان هناك سلاح طويل ورفيع من البرنز مغروس في الجرح.

قال الطبيب: "لقد عُرس الخنجر في كتفه، وليس في قلبه، وهذا من حسن حظّه، لقد سُـل تفكيري، لكن على أية حال لم يمت، وسيكون قادرًا على إخبارنا بما حدث".

ولكن هذا بالضبط ما لم يتمكن إيوت هايدون منه، فقد كان وصفه غامضًا للغاية، حيث أخذ يبحث عن الخنجر دون جدوى، وفي النهاية توقف عن البحث، واتخذ مكانًا بالقرب من المنزل العجيب، وعندئذ أصبح على يقين تام بأن شخصًا ما كان يراقبه من حزام الأشجار، وحاول مقاومة هذا الانطباع، لكنه لم يتمكن من التخلص منه، ثم شعر بهبوب رياح باردة غريبة لم تكن تأتي من ناحية الأشجار، ولكن من داخل المنزل، فاستدار، وأخذ يحدق إلى ما في داخله، فرأى التمثال الصغير لـ عشروت، وشعر بأنه كان يخضع لخداع بصري، فقد بدا له أن التمثال يزداد حجمًا، ثم تلقى فجأة شيئًا يشبه ضربة في وجهه؛ ما جعله يرتد إلى الخلف، وعندما سقط، أدرك الألم الحارق الحاد في كتفه اليسرى.

تم التعرف على الخنجر هذه المرة بأنه الخنجر نفسه الذي عثر عليه في الكهف الموجود على التلة، الذي اشتراه ريتشارد هايدون. ولا أحد يعرف إذا كان قد احتفظ به في

المنزل أم في ذلك البيت العجيب الموجود في البستان.

كانت الشرطة ترى، وستظل كذلك، أنه تعرض للطعن المتعمد من قبل الآنسة أشلي، ولكن في ضوء شهادتنا المشتركة التي تقول إنها لم تقترب منه أكثر من ثلاثة أمتار، لم يكن بوسعها العثور على أدلة تدعم التهمة الموجهة ضدها؛ لذلك كان الأمر لغزاً، ولا يزال كذلك.

ثم خيم الصمت على الحضور.

قالت جويس لمبريه بعد فترة طويلة من الصمت: "لا يبدو أن هناك ما يمكن قوله، فالأمر كله مروع وغير طبيعي على الإطلاق، أديك تفسيرك الخاص لما حدث يا دكتور بيندر؟".
أوماً الرجل العجوز برأسه، قائلاً: "نعم، لدي تفسير، تفسير من نوع ما... إنه تفسير غريب، لكنه لم يأخذ عوامل معينة في عين الاعتبار".

قالت جويس: "لقد حضرت الكثير من جلسات تحضير الأرواح، ويمكنكم أن تقولوا ما يحلو لكم، لكن هناك الكثير من الأمور الغريبة التي قد تحدث، وأظن أن المرء قد يفسر ما حدث بأنه وقع تحت تأثير نوع من أنواع التنويم المغناطيسي، لقد تحولت الفتاة بالفعل إلى عشتروت، وأعتقد أنها طعنته بطريقة أو بأخرى، وربما ألقى بالخنجر الذي رآته الآنسة مانرينج في يدها".

قال رايموند ويست: "أو لعلها استخدمت رمحاً، فضوء القمر على أية حال ليس قوياً لرؤية كل شيء بوضوح، أو ربما

كان لديها رمح من نوع ما في يدها، وطعنته به عن بعد، كما افترض أنه يمكن أخذ التنويم المغناطيسي الجماعي في عين الاعتبار. أعني، لقد كنتم مستعدين جميعاً لرؤيته يُقتل من قبل قوة خارقة، وهكذا رأيتم الأمر على هذا النحو."

قال السيد هنري: "لقد رأيت العديد من الأشياء الرائعة التي وقعت من خلال استخدام الأسلحة والسكاكين في قاعات الموسيقى، وأعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك رجل قد اختفى بين الأشجار الكثيفة، أو أنه ربما صوب نحوه سكيناً أو خنجرًا من هناك بدقة كافية، بالطبع إنه محترف، وأعترف بأن هذا يبدو غير محتمل إلى حد ما، ولكنه يبدو أنه النظرية الوحيدة الأكثر منطقية، ولعلكم تتذكرون أن الرجل الآخر كان يشعر بانطباع قوي بأن هناك شخصاً ما بين الأشجار الموجودة في البستان يراقبه، أما الآنسة مانرينج، فتقول إن الآنسة أشلي كانت تمسك خنجرًا في يدها، والآخرون يقولون إنها لم تكن تمسك بأي شيء في يدها، وهذا لا يثير الدهشة بالنسبة إليّ، فلو كانت لديكم خبرتي، لعرفتم أن شهادة خمسة أشخاص بشأن شيء واحد لا بد من أن تختلف اختلافاً كبيراً؛ حتى إنه يصبح من الصعب تصديقها."

سأل السيد بيثيريك، وقال: "لكن يبدو أننا في كل هذه النظريات نتجاهل حقيقة واحدة أساسية، وهي: ما الذي حدث للسلاح؟ لم تكن الآنسة أشلي تستطيع التخلص من الرمح؛ لأنها كانت في وسط مساحة مكشوفة، ولو كان القاتل الخفي قد صوب نحوه خنجرًا، لظل الخنجر في الجرح عندما قلب الرجل

على ظهره، وأرى أنه يجب علينا أن نستبعد جميع النظريات غير المنطقية، ونكتفي فقط بالحقيقة الواقعية".

فقال أحد الحاضرين: "والى أين تقودنا الحقيقة الواقعية؟".

قال بيثيريك: "حسنًا، هناك شيء واحد واضح وهو أنه لم يكن هناك أي شخص بالقرب من الرجل عندما طعن؛ لذلك كان الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه طعنه هو نفسه، ويبدو الأمر في الواقع أنه انتحار".

تساءل رايموند ويست بشكل يوحي بعدم التصديق، قائلاً: "لكن لماذا يُقدم على الانتحار؟".

سأل المحامي مرة أخرى، قائلاً: "أه! هذه مسألة نظرية مرة أخرى، وأنا لست مهتمًا بالنظريات في الوقت الحالي، يبدو لي الأمر - وبعد استبعاد وجود قوة خارقة لا أؤمن بوجودها، ولو دقيقة واحدة - أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تحدث بها كل تلك الأمور؛ لقد طعن نفسه، وعند سقوطه، انتزع الخنجر من الجرح، وألقى به بعيداً في منطقة الأشجار، وأعتقد أن هذا أمر ممكن حدوثه، على الرغم من ضعف احتمال وقوعه".

قالت الأنسة ماربل: "أنا لا أحب أن أتحدث، فهذا الأمر قد حيرني كثيراً حقاً، لكن الأمور الغريبة تحدث أحياناً، ففي تلك الحفلة التي كانت تقام في حديقة منزل السيدة شاربلي العام الماضي، تعثر الرجل الذي كان يرتب لعبة الجولف، التي تأخذ شكل ساعة، في قطعة خشبية صغيرة تشكل رقماً من أرقام هذه

أجاثا كريستي

الساعة، لم يكن منتبهاً إلى حد ما، فسقط مغشياً عليه، ولم يستيقظ إلا بعد خمس دقائق".

قال رايموند بلطف: "نعم، يا عمتي العزيزة، ولكنه لم يتلق طعنة، أليس كذلك؟".

قالت الأنسة ماربل: "بالطبع لا يا عزيزي، وهذا ما أريد أن أقوله لكم، بالطبع هناك طريقة واحدة يمكن من خلالها طعن السيد ريتشارد المسكين، لكنني أتمنى أن أعرف سبب تعثره في المقام الأول، فربما كان بسبب جذع شجرة، إذ لا بد من أنه كان ينظر إلى الفتاة، وفي ضوء القمر يطأ المرء بقدميه الأشياء دون انتباه".

قال رجل الدين، وهو ينظر إليها بفضول: "أنت تقولين إذن إن هناك طريقة واحدة يمكن من خلالها طعن السيد ريتشارد يا آنسة ماربل".

أجابته قائلة: "إنه أمر محزن للغاية، ولا أحب التفكير فيه، لقد كان يستخدم يده اليمنى، أليس كذلك؟ أعني أنه لكي يطعن نفسه في كتفه اليسرى لا بد من أنه كان يستخدم يده اليمنى، فكثيراً ما كنت أشعر بالأسى على جاك باييز المسكين الذي كان يشارك في الحرب، فقد أطلق النار على قدمه كما تذكرون، بعد وقوع قتال عنيف في منطقة أراس. لقد أخبرني بذلك عندما ذهبت لرؤيته في المستشفى، وقال إنه يشعر بالخجل الشديد حيال هذا الأمر، لا أتوقع أن هذا الرجل البائس إليوت هايدون قد استفاد من جريمته البشعة هذه".

صاح رايموند قائلاً: "إليوت هايدون، أتظنين أنه هو من فعل ذلك؟".

أجابت الأنسة ماربل، بينما اتسعت عيناها في دهشة، قائلة: "عند النظر إلى الحقائق وتجاهل كل ما يُثار عن تلك القوى الخارقة التي لا أراها حقيقية على الإطلاق، كما قال السيد بيثيريك بحكمة، لا يمكنني فهم هذا الأمر إلا بأنه من صنع إليوت، فقد كان هو أول من ذهب إليه، وقلبه على ظهره، وبالطبع لكي يفعل ذلك كان عليه أن يدير ظهره إليهم جميعاً، ونظراً إلى أنه كان يرتدي ملابس رئيس عصابة قطاع طرق، كان ذلك يضمن وجود سلاح من نوع ما في حزامه، وأتذكر أنني قابلت ذات مرة رجلاً يرتدي زي رئيس عصابة عندما كنت شابة في حفلة تنكرية، وكانت لديه خمسة أنواع من السكاكين والخناجر، ولا يمكنني أن أخبركم كم كان هذا الأمر محرّجاً وغير مريح لمرافقته".

تحولت الأنظار كلها إلى الدكتور بيندر.

فقال: "لقد عرفت الحقيقة بعد خمس سنوات من وقوع هذه المأساة، حيث وردت إليّ في خطاب أرسله إليّ إليوت هايدون، قال فيه إنه كان يظن أنني كنت أشك فيه طوال الوقت، وقال إنه فعل ذلك نتيجة إغراء مفاجئ، فقد كان هو أيضاً يحب ديانا أشلي، لكنه كان في ذلك الوقت مجرد محام فقير مكافح، ومع إزاحة ريتشارد من طريقه، كان سيرث هو لقبه وعقاراته، فرأى في ذلك فرصة رائعة تلوح أمامه. أما الخنجر فقد وقع من حزامه وهو ينحني على جثة ابن عمه، وقبل أن يتاح له الوقت

للتفكير، طعنه بالخنجر، ثم أعاده إلى حزامه مرة أخرى، ثم طعن نفسه في وقت لاحق من أجل إبعاد الشك عنه. لقد كتب لي عشية ذهابه في رحلة استكشافية إلى القطب الجنوبي، قائلاً إنه قد لا يعود منها أبداً، لا أعتقد أنه ينوي العودة مرة أخرى، وأنا أعرف ذلك، فكما قالت الأنسة ماربل، إن جريمته لم تعد عليه بأي نفع، فقد كتب يقول: "لقد ظللت أعيش في جحيم مدة خمس سنوات، وأتمنى على الأقل أن أكفر عن جريمتي بأن أموت بشرف".

ساد الصمت.

قال السيد هنري: "ولقد مات بشرف بالفعل، لقد غيرت الأسماء في قصتك يا دكتور بيندر، لكنني أعتقد أنني عرفت ذلك الرجل الذي تقصده".

واصل رجل الدين العجوز حديثه قائلاً: "ولكن كما قلت، إنني لا أعتقد أن هذا التفسير يفسر الحقائق كلها، فإنني لا أزال أعتقد أن هناك تأثيراً شريعياً في ذلك البستان، وهو السبب وراء توجيه إليوت هايدون إلى ما فعله، فحتى يومنا هذا كلما فكرت في منزل عشتروت العجيب تنتابني قشعريرة".

الفجرية

عادة ما كان ماكفرلين يلاحظ أن صديقه ديكي كاربنتر لديه
نُفُور غريب من الفجر؛ ولم يكن يعرف سبب ذلك، ولكن عندما
فُسخت خطبة ديكي كاربنتر وايستر لاوس، كانت هناك لحظة
تُكشَف بين الرجلين، حيث انتهى ذلك التحفظ الذي كان سائداً
قبل ذلك.

كان ماكفرلين خطيب الشقيقة الصغرى راشيل منذ عام
تقريباً، كان يعرف الفتاتين منذ الطفولة، وكان يتميز بالبطء
والحذر، لم يكن كذلك على استعداد للاعتراف بينه وبين نفسه
بانجذابه المتزايد نحو راشيل، ذات الوجه الطفولي، والعينين
البنيتين اللتين تمتلئان بالصدق والبراءة، ولم تكن تضاهي
إيستر في جمالها، ولكنها كانت أصدق وأعذب بشكل لا يوصف،
وقد توطدت العلاقة بينه وبين ديكي عندما خطب الأخير
الأخت الكبرى لراشيل.

والآن، وبعد أسابيع قليلة وجيزة فسخت الخطبة، وضعفت
تلك العلاقة بينهما مرة أخرى، وتأثر ديكي بطريقة سلبية
ل للغاية، حيث كانت الأمور تسير بسلاسة في حياته منذ أن كان
شاباً؛ إذ التحق بالبحرية كما كان يريد، فقد كان شغفه بالبحر
فطرياً، وكان يتمتع ببعض صفات الإسكندنافية؛ فقد كانت
طبيعته الفطرية والمباشرة تطفى على شخصيته، وتمنعه

من التحلي بالتفكير الدقيق، وكان ينتمي إلى هذا الفصيل من الشباب الإنجليز، الذين يكرهون أي شكل من أشكال العاطفة، ويجدون صعوبة بالغة في تفسير العمليات العقلية لديهم من خلال الكلمات...

كان ماكفرلين - ذلك الإسكتلندي العنيد، ذا الروح السلطية المختبئة في مكان ما في داخله - يدخل بينما كان صديقه يتأرجح بين أمواج متلاطمة من الكلمات، وكان يعلم أن صديقه سيفضي إليه بهوموه، لكنه توقع أن يكون الموضوع مختلفاً. في البداية، لم يذكر إيستر لاوس على الإطلاق، بل تحدث عن تجربة مفزعة تعرض لها في مرحلة الطفولة.

فقال ديكي: "كانت بداية الأمر حلمًا كنت أحلم به كثيرًا عندما كنت طفلاً، ولم يكن كابوسًا، بل غجرية، فكما تعلم أن العجريات كُن يظهرن في أي حلم قديم، وكذلك في الأحلام السعيدة (حتى إنهن كن يرتبطن بالأمور التي يفضلها الأطفال كالحفلات أو الحلوى أو غير هذا من الأشياء)، وكنت أستمتع بذلك الأمر إلى أبعد الحدود، وكنت أشعر، بل كنت أعرف، أنني لو رفعت بصري، فسوف أراها، تقف كما كانت تقف دائماً، تراقبني بعينين حزينتين، وكأنها تعرف شيئاً ما لا أعرفه... لا أستطيع أن أوضح لماذا أزعجني ذلك الأمر، لكنه كان كذلك! وفي كل مرة! كنت أستيقظ دائماً وأنا أشعر بالرعب الشديد، وكانت مربيتي العجوز تقول لي في كل مرة: "إذن، لقد رأى السيد ديكي غجرية في أحلامه مرة أخرى!"

فسأله ماكفرلين: "هل كنت تشعر بالخوف عند رؤية الغجر الحقيقيين؟"

فأجابه صديقه، قائلاً: "لم أكن قد رأيت أيًا منهم حتى ذلك الوقت، وكان هذا غريبًا أيضًا، كنت أبحث عن جرو لي، حيث كان قد هرب، فعبرت باب الحديقة، وسلكت طريقًا في الغابة، وكما تعلم كنا نعيش في منطقة نيو فورست آنذاك، ووصلت في النهاية إلى منطقة مكشوفة، حيث كان هناك جسر خشبي مقام فوق مجرى مائي، وكانت تقف إلى جانبه فجرية تضع منديلاً أحمر فوق رأسها، تشبه تمامًا تلك التي رأيتها في حلمي، فشعرت بخوف شديد على الفور! ونظرت إلى النظرة نفسها... نظرة توحى بأنها تعرف شيئًا لم أكن أعرفه، وكانت تشعر بالأسف حيال ذلك... ثم قالت لي بهدوء شديد، وهي تومئ إليّ برأسها: "لو كنت مكانك، لما سلكت هذا الطريق". لقد أخافتني كثيرًا، ولكنني لم أكن أعرف السبب، فأكملت طريقي مبتعدًا عنها نحو الجسر، أظن أنه كان متهاكًا، وانهار من تحتي، وسقطت في المجرى المائي، وكانت المياه فيه تجري سريعًا، وكنت على وشك الغرق، كنت سأغرق بطريقة بشعة، لم أنس هذا الموقف قط، وشعرت بأن هذا كله كان بسبب الفجرية..."

قال ماكفرلين له: "لكنها حذرتك من هذا، أليس كذلك؟". قال ديكي: "أعتقد ذلك"، وسكت ديكي عن الكلام، ثم استطرد، قائلاً: "لقد أخبرتك بالحلم الذي حلمت به، ليس لأن له صلة بما حدث بعد ذلك (على الأقل أنا أعتقد ذلك)؛ ولكن لأنه يشكل نقطة الانطلاق، فستفهم الآن ما أعنيه بـ "الشعور بالفجرية"؛ لذا سأتي أولاً على ذكر أول ليلة لي في منزل عائلة لاوس، فكنت قد عدت من فوري من الساحل الغربي آنذاك، وكان

أجائنا كريستي

من المروع أن أعود إلى إنجلترا مرة أخرى، فقد كان أفراد عائلة لاوس أصدقاء قدامى لعائلتي، ولم أر الفتاتين منذ أن كنت في السابعة من عمري، لكن أرثر الصغير كان صديقاً حميماً لي، وبعد وفاته اعتادت إيستر مراسلتي، وإرسال الصحف إليّ، وكانت ترسل إليّ برسائل مرحة جداً! كانت تبهجني للغاية، وكنت أتمنى دائماً أن أجيد صياغة خطاباتي المرسلة إليها، وكنت أرغب بشدة في رؤيتها، كان من الغريب أن تتعرف إلى فتاة من خلال خطاباتها، وليس من خلال أي شيء آخر، وعندما وصلت، ذهبت في البداية إلى منزل عائلة لاوس، وكانت إيستر في الخارج عندما وصلت، ولكن كان من المتوقع أن تعود في ذلك المساء، فجلست بجوار راشيل إلى مائدة العشاء، وبينما أخذت أنظر إلى المائدة وأتفحصها، انتابني شعور غريب للغاية، فكنت أشعر بأن شخصاً ما يراقبني؛ ما جعلني أشعر بعدم الارتياح، ثم رأيتها...

فسأله ماكفرلين قائلاً: "رأيت من...؟"

فأجاب قائلاً: "السيدة هاوورث... التي كنت أحدثك عنها".
كاد ماكفرلين يقول: "كنت أظن أنك تحدثني عن إيستر لاوس"، لكنه ظل صامتاً، واسترسل ديكي في حديثه، قائلاً: "كان هناك شيء ما يجعلها مختلفة تماماً عن بقية الحضور، كانت تجلس إلى جانب لاوس العجوز، تستمع إليه بحرص شديد، وهي تطأطئ رأسها، وكانت تلف منديلاً أحمر من القماش الشفاف حول رقبتها، وأظن أنه قد تمزق، وعلى أية حال كان يبدو من خلف رقبتها كألسنة اللهب الصغيرة... فتحدثت

إلى راشيل، قائلاً: "مَنْ تلك المرأة التي تجلس هناك، وتضع منديلاً أحمر اللون حول رقبتها؟".

"قالت: "هل تعني أليستير هاوورث، إنها تضع منديلاً أحمر حول رقبتها، ولكنها رقيقة، رقيقة للغاية".

"ولقد كانت كذلك بالفعل كما تعلم، فكان شعرها أصفر لامعاً، ومع ذلك فإنني متأكد تماماً أن شعرها كان أسود، فكم من امرئ تخدعه عيناه... بعد العشاء، عرّفت راشيل كلاً منا بالآخر، وسرنا نحو الحديقة، وتجاوزنا أطراف الحديث عن الشعور بالألفة من الوهلة الأولى..."

فقال له ماكفرلين: "لكن هذا الموضوع ليس ضمن اهتماماتك يا ديكي!".

قال ديكي: "أعتقد أن هذا صحيح، ولكنني أتذكر أنني قلت لها إنه من المبهج أن تقابل شخصاً تشعر بأنك تعرفه منذ وقت بعيد، وكأنك قد قابلته من قبل، فقالت: "أتقصد العشاق..."، وقالت هذه الكلمات بنبرة غريبة؛ نبرة عذبة ومتشوقة استدعت شيئاً ما إلى ذاكرتي، لكنني لا أستطيع أن أتذكره على وجه التحديد، فاستمررتنا في الحديث وقتاً قليلاً، ثم نادانا لاوس العجوز من الشرفة، وقال إن إيستر قد أتت، وتريد أن تراني، فوضعت السيدة هاوورث يدها على ذراعي، وقالت: "هل أنت ذاهب؟" فقلت لها: "نعم، أظن أنه من الأفضل أن"، ثم... ثم..."

فقال ماكفرلين: "ثم ماذا؟".

أجاثا كريستي

فأجابه قائلاً: " ثم حدث شيء عجيب؛ حيث قالت السيدة هاوورث: "لو أنني كنت مكانك، ما دخلت...""، ثم توقف ديكي عن الكلام لحظة، ثم استطرد قائلاً: "لقد أخافتني، أخافتني بشدة، لهذا أخبرتك بالحلم... لأنها قالت ذلك بهدوء شديد، كأنها تعرف شيئاً ما لا أعرفه، لم تكن مجرد امرأة جميلة تريدني أن أبقى جالساً معها في الحديقة، بل كانت في نبرة صوتها رقة وأسى، وكأنها كانت تعرف ما سيحدث... ظننت أن ذلك مجرد حماقة، لكنني استدرت وتركتها، وهرعت نحو المنزل، فبدأ كأنه ملاذي، وعرفت فيما بعد أنني كنت خائفاً منها منذ البداية، وشعرت بالراحة حين رأيت لاوس العجوز، وكانت إيستر تقف إلى جانبه..."، ثم تردد ديكي لحظة، ثم همهم على نحو غامض: "لم يكن هناك أدنى شك في أنني سأنال عقابي بمجرد رؤيتها".

استدعى ماكفرلين صورة إيستر لاوس في ذهنه، فقد سمع وصف ديكي لها من قبل، كالاتي: "فتاة رائعة، فائقة الجمال، ذات قامة طويلة، تبلغ متراً وثمانين سنتيمتراً... إنها صورة رائعة الجمال، وكان يفكر في ذلك، بينما كان يتذكر قامتها الطويلة، وقوامها الممشوق، ووجهها الأبيض، وأنفها الرقيق المعقوف، وشعرها الأسود الغزير، وعينيها السوداوين الجميلتين، نعم إنه لم يتعجب من أن ديكي قد استسلم لها ببساطته الصبائية، فلم تستطع إيستر أن تستحوذ على قلبه، لكنه اعترف بروعتها وعذوبتها.

استطرد ديكي قائلاً: "ثم خطبتها".

فسأله صديقه متعجباً: "على الفور؟".

ضحك ضحكة مريرة، وأجاب قائلاً: "بل بعد أسبوع، واستغرق الأمر معها أسبوعين فقط حتى اكتشفت أنها لا تهتم بي على الإطلاق".

واستطرد قائلاً: "لقد حدث ذلك في الليلة السابقة لعودتي إلى السفينة القديمة، كنت في طريق عودتي من القرية عبر الغابات، ثم رأيتهما، أقصد السيدة هاوورث، وكانت ترتدي قبعة حمراء، وما هي إلا دقيقة حتى وجدت نفسي أشعر بالرعب الشديد! لقد أخبرتك بحلمي؛ لذا ستفهم ما أقصد... ثم سرنا قليلاً معاً، وكان يبدو أنها تعلم كل شيء عني".

نظر ماكفرلين إلى صديقه بفضول، وقال له: "ماذا؟ يبدو ذلك الأمر غريباً للغاية"

استطرد ديكي قائلاً: "ثم عندما التقتُ لكي أعود إلى المنزل، أوقفني وقالت لي: "إنك ستعود إلى المنزل مبكراً للغاية، ما كنت لأعود إلى المنزل مبكراً هكذا لو كنت مكانك..."، ثم علمت أن هناك مكروهاً ينتظرني... و... وبمجرد أن عدت، قابلتني إيستر، وأخبرتني بأنها قد اكتشفت أنها لا تهتم بأمرى بالفعل..."

سأله ماكفرلين بنبرة تنم عن التعاطف، قائلاً: "وماذا عن السيدة هاوورث؟".

أجاب ديكي: "لم أرها مرة أخرى حتى هذه الليلة".
فسأله قائلاً: "تلك الليلة؟".

قال ديكي: "نعم رأيتهما أمام مستشفى الطبيب جوني، كانوا يضحون قدمي التي أصيبت نتيجة إطلاق إحدى القذائف،

أجاثا كريستي

فقد كانت تؤلمني قليلاً مؤخراً، ونصحني الطبيب العجوز بإجراء عملية، وقال إنها بسيطة للغاية، ثم بينما أخرج من المكان، اصطدمت بفتاة ترتدي سترة حمراء فوق زي التمريض الخاص بها، وقالت لي: "لو كنت مكانك، ما أجريت هذه العملية الجراحية..."، ثم رأيت السيدة هاوورث، ومرت بسرعة كبيرة، ولم أستطع أن أوقفها، فقابلت ممرضة أخرى، وسألت عنها، فقالت لي إنه لا يوجد أي شخص بهذا الاسم هنا في المستشفى... أمر غريب..."

فسأله ماكفرلين قائلاً: "هل أنت متأكد أنها كانت هي؟". فأجابته: "أجل، أنت تعلم أنها جميلة للغاية..."، وتوقف برهة، ثم أضاف قائلاً: "سأجري العملية، بالطبع لكن... لكن... إن مت..."

قال ماكفرلين: "هراء!".

فأضاف ديكي، قائلاً: "بالطبع محض هراء، ولكن على أية حال، أنا سعيد لأنني أخبرتك بحلم الفتاة العجرية... أتعرف لذلك الحلم بقية، لكنني لا أستطيع تذكر تفاصيله..."

صعد ماكفرلين طريق مورلاند المنحدر إلى المنزل، واستدار عند بوابة المنزل الذي يقع بالقرب من قمة التل، وأطبق فمه، ثم ضغط الجرس.

وسأل الخادمة: "هل السيدة هاوورث في الداخل؟".

فأجابته الخادمة، قائلة: "نعم يا سيدي، سأخبرها بوصولك"، وتركته الخادمة في غرفة طويلة منخفضة، بها

نوافذ تطل على براري مورلاندا، فعبس قليلاً، وشعر بالخوف من أنه ربما يتصرف بحماقة وغباء.

ثم تحرك من مكانه فجأة، حيث سمع صوتاً يغني في الطابق العلوي، قائلاً: "المرأة الفجرية

تعيش في البرية..."

ثم انقطع الصوت، فتسارعت دقات قلب ماكفرلين، ثم فُتح الباب.

ففوجئ ماكفرلين بجمالها الإسكندنافي الرائع، إذ على الرغم من وصف ديكي إياها، فإنه تخيلها فجربة سمراء... وتذكر فجأة كلمات ديكي، وتلك النبرة الغريبة التي كان يتحدث بها حين كان يقول: "إنها رائعة الجمال"، فالجمال المثالي الذي لا جدال فيه نادر للغاية، وكان هذا هو الجمال الذي تتمتع به أليستير هاوورث.

حافظ على هدوء أعصابه، وتقدم نحوها، قائلاً لها: "آسف، ربما لم نتعارف من قبل، ولكنني حصلت على عنوانك من لاوس، كما أنني صديق ديكي كاربنتر".

نظرت إليه من قرب دقيقة أو دقيقتين، ثم قالت: "كنت ذاهبة إلى الخارج، إلى البرية، هل تأتي معي؟".

فتحت الباب، وذهبت إلى الخارج، وتبعها، وكان هناك رجل تبدو عليه الحماقة يجلس على كرسي من الخيزران، يدخن السجائر.

أجاثا كريستي

ثم قالت: "إنه زوجي! سوف نذهب في جولة إلى البرية يا موريس، ثم سيعود السيد ماكفرلين معي مرة أخرى ليتناول الغداء معنا، أليس كذلك يا سيد ماكفرلين؟"

قال ماكفرلين لها وهو يتبع خطواتها أعلى التل: "شكرًا جزيلًا"، وقال في قرارة نفسه: "لماذا؟ لماذا بحق السماء تتزوج رجلًا كهذا؟"

شقت أليستير طريقها نحو بعض الصخور، وقالت: "سنجلس هنا، ويجب أن تقول لي، ما الذي جئت إلي لتقوله؟" فسألها ماكفرلين قائلاً: "هل تعرفين؟"

فأجابته قائلة: "أنا دائماً أعرف عندما تكون هناك أخبار سيئة، هي أخبار سيئة، أليس كذلك؟ أخبار عن ديكي؟"

قال لها: "لقد خضع لعملية جراحية بسيطة، وتمت العملية بنجاح، لكن يبدو أن قلبه كان ضعيفاً، فقد توفي تحت تأثير المخدر".

ما كان يتوقع أن يراه على وجهها، هو تلك النظرة التي تدل على الضجر التام... فقد سمعها تهمهم بينها وبين نفسها: "مرة أخرى، الانتظار، طويلاً، طويلاً"، ثم نظرت إلى أعلى، وقالت له: "حسناً، ماذا كنت ستقول؟"

فقال لها: "كانت هناك امرأة ما حذرته من إجراء هذه العملية، وكانت ممرضة، وكان يعتقد أنها كانت أنت، فهل كانت أنت؟"

هزت رأسها بالنفي، قائلة: "لا، لم أكن أنا، لدي ابنة عم تعمل ممرضة، وهي تشبهني تماماً في الأضواء الخافتة، وأظن أنها

كانت هي "، ثم نظرت إليه مرة أخرى، وقالت له: "لا يهم، أليس كذلك؟" ثم اتسعت عيناها فجأة، وأخذت نفساً عميقاً، ثم قالت: "آه! آه! كم يبدو الأمر مضحكاً! أنت لا تفهم..."

كان ماكفرلين متحيراً، وكانت لا تزال تحدق إليه، فقالت له: "كنت أعتقد أنك تفهم... كان ينبغي أن تفهم، يبدو أنك تتمتع بها أنت أيضاً..."

فسألها قائلاً: "بماذا أتمتع؟"

فأجابته: "تتمتع بالموهبة، أو فلتسمها كما تحب، أعتقد أنك تتمتع بها، انظر جيداً إلى ذلك التجويف الموجود في الصخور، لا تفكر في أي شيء، أي شيء".

انظر فقط... آه!، ظلت تلاحظه، ثم سألته قائلة: "حسناً، هل رأيت شيئاً؟"

فأجابها قائلاً: "لا بد من أن هذا كان مجرد تخيل، لقد رأيتها ثانية واحدة مملوءة بالدماء".

أومأت برأسها وقالت: "كنت أعلم أنك تتمتع بها، هذا المكان مخصص لإقامة بعض الطقوس الدينية، وكنت أعرف ذلك قبل أن يخبرني أي أحد به، وفي بعض الأحيان أعرف شعورهم حيال ذلك، وكأنني كنت هنا بينهم بنفسني... كما أن هناك شيئاً ما متعلقاً بهذه البرية يجعلني أشعر بأنني قد عدت إلى وطني... من الطبيعي أن تكون لدي هذه الموهبة، فأنا أستطيع تخمين ما سيحدث فيما بعد، إنه أمر شائع في عائلتنا، وكانت أمي وسيطة روحانية؛ حتى تزوجت بأبي. كان اسمها كريستين، وكانت تتمتع بشهرة واسعة".

أجاثا كريستي

فسألها ماكفرلين، قائلاً: "هل تقصدين بكلمة "الموهبة" القدرة على التنبؤ بالأشياء قبل وقوعها؟".

فأجابته قائلة: "نعم، سواء أكان هذا في الماضي أم في المستقبل، فعلى سبيل المثال، سمعتك تتساءل عن سبب زواجي بـ موريس، أه! لقد فعلت ذلك! الأمر ببساطة أنني كنت أعرف أن هناك شيئاً ما يحيق به... وأردت أن أحميه من هذا الشر... هكذا هن النساء، فلا بد من أن أمنع وقوع مثل هذه الأمور من خلال موهبتي... وذلك إن كان باستطاعة الإنسان أن يفعل ذلك... لم أستطع أن أساعد ديكي، كما أن ديكي لم يفهم... لقد كان خائفاً، وكان صغيراً للغاية".

قال ماكفرلين: "لقد كان في الثانية والعشرين من عمره". فقالت له: "وأنا في الثلاثين من عمري، لكنني لم أقصد ذلك، هناك طرق عديدة لتقييم الإنسان وفقاً للطول والارتفاع والعرض... ولكن تقييمه وفقاً للزمن هو أسوأ وسيلة للتقييم على الإطلاق..."، وتوقفت عن الكلام، فخيم صمت طويل مطبق على الأجواء.

قطع هذا الصمت صوت رنين الجرس الخفيض الذي أتى من المنزل.

وفي أثناء تناول الغداء، أخذ ماكفرلين ينظر إلى موريس هاوورث، وكان يبدو أنه يعشق زوجته بجنون، فقد كانت عيناه تفيضان عشقاً وولعاً بها، كما لاحظ ماكفرلين رقة تعاملها مع زوجها كأنها أمه، وبعد تناول الغداء استأذن للمغادرة، قائلاً:

"إنني أقيم في النزل مدة يوم أو يومين، فهل يمكنني أن آتي وأراك مرة أخرى غدًا؟".

قالت له: "بالطبع، ولكن... .." فقال لها: "ولكن، ماذا...؟" مرت بيديها فوق عينيها سريعاً، وهي تقول: "لا أعرف، لكنني كنت أتخيل أننا لن نتقابل مرة أخرى، هذا كل ما في الأمر... إلى اللقاء".

سار ماكفرلين في الطريق ببطء، وأحس على الرغم منه بيد باردة تضغط على قلبه، ولم تكن هناك أية تلميحات في كلامها بالطبع، ولكن...

مرت سيارة مسرعة إلى جانبه، فأسرع بالوقوف إلى جانب السور؛ ليتفادى تلك السيارة... في الوقت المناسب، فاكتسى وجهه بلون رمادي شاحب...

همهم ماكفرلين بينه وبين نفسه في صباح اليوم التالي، قائلاً: "يا إلهي، إن أعصابي مضطربة للغاية"، وأخذ يستعرض في ذهنه الأحداث التي وقعت بعد ظهر يوم أمس، ويفكر فيها تفكيراً عميقاً؛ السيارة التي كادت تصدمه، واتخاذها طريقاً مختصراً للنزل الذي يقيم فيه، والضباب المفاجئ الذي جعله يضل طريقه، مع أنه كان يعرف أن هناك مستنقعا خطيراً بالقرب منه، ثم تذكر كذلك المدخنة التي سقطت فجأة من النزل، ورائحة الاحتراق التي شمها في الليل، وتبين أنها نتيجة احتراق السجادة لديه، لا شيء في ذلك على الإطلاق! لا شيء على الإطلاق! ولكن كلماتها، وذلك اليقين الضمني يؤكد أنها كانت تعرف...

أجاثا كريستي

أزاح غطاء السرير عنه بشكل مفاجئ، لا بد من أن ينهض، ويكون أول شيء يفعله هو مقابلتها، فهذا من شأنه أن يبطل تلك اللعنة، هذا إن وصل إلى هناك سالمًا... يا إلهي، كم كان أحمق! تناول القليل من الطعام على الفطور، وفي الساعة العاشرة كان في الطريق إليها، وفي العاشرة والنصف كان يقرع جرس المنزل، وعندها، وعندها فقط، تنفس الصعداء.

سأل الخادمة: "هل السيدة هاوورث في الداخل؟"

كانت المرأة المسنة نفسها التي فتحت له الباب أمس، لكن علامات الحزن كانت مرسومة على وجهها، وقالت له: "آه يا سيدي! آه يا سيدي!، ألم تسمع بما حدث إذن؟". فسألها: "ما الذي حدث؟".

فأجابته قائلة: "السيدة أليستير، الحمل الوديع! لقد أودى بحياتها ذلك المنشط الذي كانت تتناوله كل ليلة. إن زوجها المسكين مصدوم للغاية، يكاد يجن، لقد تناولت زجاجة الدواء الخاطئة، فقد كان الجو مظلمًا... لقد أرسلوا في طلب الطبيب، ولكنه وصل متأخرًا للغاية..."

وسرعان ما تذكر الكلمات التي قالتها له أمس، حيث قالت له: "كنت أعرف دائمًا أن هناك شرًا يحيق به، كان يجدر بي أن أكون قادرة على إبعاد هذا الشر عنه، إن كان باستطاعة المرء فعل ذلك"، آه، ولكن لا أحد يستطيع أن يمنع القدر... لقد دمرتها تلك الموهبة الغريبة، حيث كانت تهدف إلى إنقاذ...

أضافت الخادمة العجوز: "سيدتي الرقيقة! لقد كانت لطيفة وجميلة، كانت تأسى لأي شخص يتعرض للضرر، لم

تكن تتحمل رؤية أي شخص يتأذى "، وترددت قليلاً، ثم أضافت قائلة: "هل ترغب في الصعود لرؤيتها يا سيدي؟ لقد فهمت مما قالته أنك تعرفها منذ زمن طويل، منذ زمن طويل للغاية، لقد قالت ذلك..."

تبع ماكفرلين السيدة العجوز إلى الطابق العلوي، في غرفة تعلو غرفة الاستقبال، حيث كان يسمع صوتها وهي تغني أمس. كان هناك زجاج ملطخ بالبقع أعلى النوافذ، وكان يلقي بضوء أحمر على رأس السرير... لقد رأى عجزية تربط منديلاً أحمر فوق رأسها... هراء، إن أعصابه تخدعه مرة أخرى، أخذ ينظر طويلاً إلى أليستير هاوورث.

قالت صاحبة النزل: "هناك سيدة تريد أن تراك يا سيدي". نظر ماكفرلين إلى صاحبة النزل في اضطراب، قائلاً: "ماذا؟ آه عذراً يا سيدة راوز، لقد كنت أرى أشباحاً". فقالت له: "حقاً يا سيدي؟ هناك الكثير من الأمور الغريبة التي تُرى في البرية بعد أن يسدل الليل أستاره، أنا أعرف ذلك، فهناك السيدة البيضاء، والرجل الشرير، والبحار، والفجرية..." فسألها: "ماذا قلت؟ البحار والفجرية؟".

فأجابته قائلة: "إنهم يقولون ذلك يا سيدي، كانت تلك حكاية خرافية سمعتها أيام طفولتي، كان كل منهما يحب الآخر، ولكن قابلهما حظ سيئ، ولم يعودا يظهران مرة أخرى منذ فترة طويلة".

فقال: "حقاً؟ أتساءل ماذا لو أنهما سيعودان الآن..."

أجاثا كريستي

فقالت له: "يا إلهي! عم تدور تلك الأشياء التي تتحدث عنها! هل تدور عن تلك الشابة؟" فسألها قائلاً: "أية شابة تقصدين؟"

فأجابته قائلة: "تلك الشابة التي تنتظرك، إنها في الردهة، تقول إن اسمها هو الآنسة لاوس".
قال: "أه!".

شعر بشعور غريب بالانقباض، فقد تحوّل تمامًا عما كان يفكر فيه، لقد كان يحوم في عالم آخر تمامًا، لقد نسي راشيل؛ لأن راشيل تنتمي إلى الحياة الواقعية فقط... مرة أخرى يجد نفسه مع هذا التحول الغريب للتفكير الذي ينزلق به إلى العالم المادي ذي الأبعاد الثلاثة.

فتح باب الردهة، ورأى راشيل بعينيها البنيتين الصادقتين، وفجأة كأنه رجل أفاق من حلم، شعر بشعور غامر بالسعادة يسري في كل جسده، إنه ما زال على قيد الحياة، ما زال حيًا! وحدثت نفسه قائلاً: "هناك حياة واحدة هي التي يتيقن الإنسان منها! إنها هي هذه الحياة!".

هتف قائلاً: "راشيل!"، ثم ربت كتفها برفق.

منزل فيلوميل

"إلى اللقاء يا حبيبتي".
"إلى اللقاء يا عزيزي".

وقفت أليكس مارتن وهي تتكئ على البوابة الصغيرة الريفية،
تشاهد زوجها وهو يغادر في طريقه متوجهاً نحو القرية.
ثم أخذ منعطفًا، واختفى عن الأنظار، لكن أليكس ظلت
واقفة كما هي، شاردة الذهن، تعبت بخصلة من شعرها البني
الغزير المتهدل على وجهها، وكانت عيناها شاردتين وغارقتين
في الأحلام.

لم تكن أليكس مارتن جميلة، بل لم تكن كذلك جذابة
بالمعنى الدقيق للكلمة، أما وجهها - الذي لم يعد وجه امرأة في
مقربل العمر - فكان لامعًا وناعمًا؛ حتى إن زميلات القديمات
- اللاتي كن يعملن معها فيما مضى - كن لا يستطعن التعرف
عليها، فكانت الأنسة أليكس كينج امرأة شابة أنيقة تشبه سيدات
الأعمال، تتمتع بالكفاءة، والصرامة، وبارعة للغاية، وذات
شخصية عملية.

لقد تخرجت أليكس في مدرسة ذات نظام تعليمي صعب
للفاية، وظلت مدة خمسة عشر عامًا - منذ أن كانت في الثامنة
عشرة من عمرها، حتى أصبحت في الثالثة والثلاثين، ومن
بينها سبع سنوات دون أمها - تدبر نفقاتها الشخصية بنفسها

من خلال عملها على الآلة الكاتبة، لقد كان كفاحها من أجل البقاء هو السبب وراء تلاشي معالم الأنوثة من وجهها، وجمود ملامحه.

في الحقيقة، كانت هناك مشاعر حب متبادلة من نوع ما بين أليكس وزميلها في العمل ديك وينديفورد، وكانت أليكس، شأنها في ذلك شأن بقية الفتيات، لا تُبدي معرفة بأن ديك يحمل مشاعر تجاهها، ويهتم بشأنها، فكان من الصعب على ديك أن يوفر نفقات الزواج من خلال مرتبه الهزيل، فقد كان ملزماً بتوفير نقود الدراسة لأخيه الأصغر؛ لذا لم يكن يفكر في ذلك الوقت في الزواج.

وفجأة، تخلصت تلك الفتاة من تلك المعاناة اليومية بشكل غير متوقع؛ حيث توفيت ابنة عم لها تربطها بها صلة قرابة بعيدة، وتركت كل ثروتها لأليكس، وهي تقدر ببضعة آلاف من الجنيهات، وكان هذا المبلغ يوفر لأليكس أرباحاً تقدر بمائتي جنيه سنوياً، وكان هذا يعني لها التمتع بالحرية والحياة والاستقلالية، فلم تعد الآن هي وديك في حاجة إلى الانتظار.

ولكن كان رد فعل ديك غير متوقع، فلم يتحدث من قبل بشكل مباشر عن حبه أليكس، ويبدو أنه الآن أصبح أقل رغبة في الزواج بها أكثر من ذي قبل، فأخذ يتجنبها كما أنه أصبح مكتئباً وحزيناً، ولكن سرعان ما أدركت أليكس الحقيقة؛ فقد أصبحت امرأة ثرية، ووقفت الكبرياء وعزة النفس عقبة في طريق طلب ديك الزواج بها.

لم تفتّر مشاعرها نحوه، ولم تقل، بل أخذت تفكر بالفعل في أن تبادر باتخاذ الخطوة الأولى، وحينها حدث أمر ثانٍ غير متوقع أيضًا.

قابلت جيرالد مارتن في منزل أحد الأصدقاء، ووقع في حبها بشدة، وفي غضون أسبوع تمت خطبتهما. أما أليكس التي كانت تعتبر نفسها دائمًا "ليست من النوع الذي يقع في الحب" فقد خاب ظنها، ووقعت في حبه أيضًا.

ودون قصد منها، وجدت أليكس الطريق إلى إثارة حبيبها السابق واغاضته، فأتي إليها ديك وينديفورد يتحدث معها وهو في أوج غضبه وانفعاله، قائلاً لها: "إن هذا الرجل غريب تمامًا عنك! فأنت لا تعرفين عنه شيئًا!"

فقالت له: "بل أعرف أنني أحبه". فسألها متعجبًا: "كيف أمكنك أن تعرفي ذلك... في أسبوع؟".

فصرخت أليكس بغضب قائلة: "الأمر لا يتطلب من المرء إحدى عشرة سنة ليكتشف أنه يحب فتاة".

فشحب وجهه، ثم قال لها: "لقد أحببتك منذ أن قابلتك للمرة الأولى، وكنت أحسبك تبادليني الشعور نفسه".

تحدثت أليكس معه بكل صدق، واعترفت له، قائلة: "كنت أعتقد ذلك أيضًا، ولكن هذا حدث لأنني لم أكن أعرف حينها معنى الحب".

ثم انفجر ديك مرة أخرى، وأخذ يرجوها، ويتوسل إليها لدرجة أنه هددها، وأخذ يتوعد ذلك الرجل الذي حل محله، لقد

أجاثا كريستي

اندهشت أليكس من رؤية ذلك البركان الكامن في داخل ذلك الرجل الذي كانت تعتقد أنها تعرفه جيداً.

عادت تفكر مرة أخرى في تلك المقابلة الآن، تحت أشعة الشمس في ذلك الصباح المشمس، بينما كانت تتكئ على بوابة المنزل، لقد تزوجت منذ شهر، وهي تشعر بالسعادة الغامرة، لكن عكراً صفو تلك السعادة ما شعرت به من قلق نتيجة غياب زوجها المؤقت عنها، فهو كل شيء بالنسبة إليها، لقد كان ديك وينديفورد هو سبب ذلك القلق.

فمنذ أن تزوجت، رأت في منامها الحلم نفسه ثلاث مرات، وربما تختلف البيئة التي تقع أحداث الحلم فيها، لكن الحقائق الرئيسية فيه كانت هي دائماً نفسها دون تغيير، فقد شاهدت زوجها وهو مطروح على الأرض جثة هامدة، وديك وينديفورد يقف فوق جثته، وكانت تعلم بوضوح أنه هو من سدد إليه تلك الضربة القاتلة.

ولكن على الرغم من أن ذلك الحلم كان مرعباً للغاية، فإن هناك شيئاً أكثر رعباً، كانت تفرع منه للغاية عند استيقاظها؛ حيث كان الأمر في الحلم يبدو طبيعياً تماماً ولا مناص منه؛ فقد كانت أليكس مارتين سعيدة لأن زوجها مات، وكانت تمد يدها بامتنان إلى القاتل، وتشكره في بعض الأحيان، وينتهي الحلم دائماً بالطريقة نفسها، حيث تعانق في النهاية ديك وينديفورد.

لم تخبر أليكس زوجها بهذا الحلم قط، لكنه صار يثير قلقها بصورة كبيرة، فهل هو تحذير؛ تحذير ضد ديك وينديفورد؟

أيقظ أليكس من أفكارها هذه رنين جرس الهاتف المرتفع، الذي يصدر من داخل المنزل، فدخلت المنزل، والتقطت سماعة الهاتف، وفجأة ترنحت بشدة، واستندت بيدها إلى الحائط. وقالت: "تقول من الذي يتحدث؟". فأجابها قائلاً: "أليكس ماذا حدث لصوتك؟ لم أتعرف عليه، إنني ديك".

فقالت أليكس: "أه! أه! أين، أين أنت؟".

فأجابها قائلاً: "في ترافيلز أرمز، هذا هو الاسم الصحيح، أليس كذلك، أم أنك لا تعلمين بوجود هذا المقهى في قريتك؟ إنني أقضي إجازتي هنا، وأستمع بالصيد، فهل تمانعين أن آتي وأرى شخصين رائعين هذا المساء بعد العشاء؟".

فقالت أليكس بنبرة حادة: "لا، لا يجدر بك أن تأتي".

ساد الصمت لحظة، ثم أتى صوت ديك، وقد تغيرت نبرته تغيراً مفاجئاً، ثم قال لها بشكل رسمي: "معدرة، لكنني لا أريد مضايقتك...".

قاطعته أليكس على عجل، فلا بد من أن يفهم أن تصرفه هذا غريب، لقد كان غريباً، فقد توترت أعصابها جراء هذا الموقف. ثم بررت سلوكها قائلة، وهي تحاول أن تجعل نبرة صوتها تبدو طبيعية قدر الإمكان: "إنني فقط أعني أننا مشغولان الليلة، فما رأيك أن تأتي لتتناول العشاء معنا مساء غد؟".

لكن من الواضح أن ديك لاحظ افتقار نبرة صوتها إلى الود. فقال بنبرته الرسمية نفسها: "شكراً جزيلاً، لكنني قد أغادر في أي وقت، إن هذا يتوقف على حضور أحد أصدقائي

إليّ، مع السلامة يا أليكس"، توقف، ثم أضاف في عجلة وبنبرة مختلفة، قائلاً: "أتمنى لك حياة سعيدة يا عزيزتي".

وضعت أليكس سماعة الهاتف، وهي تشعر بالارتياح.

وأخذت تردد بينها وبين نفسها، قائلة: "يجب ألا يأتي إلي هنا، يجب ألا يأتي، آه! يا لحماقتي! لا أستطيع أن أتخيل نفسي في موقف كهذا، على أية حال إنني سعيدة لأنه لن يأتي".

أمسكت بقبعة ريفية خشنة الملمس من فوق الطاولة، وخرجت إلى الحديقة مرة أخرى، ثم توقفت لتتنظر إلى الاسم المحفور على رواق المنزل: منزل فيلوميل.

قالت لـ جيرالد ذات مرة قبل أن يتزوجا: "ألا يبدو هذا الاسم خيالياً؟"، فأخذ يضحك.

وقال لها بلطف: "عزيزتي، لا أظن أنك قد سمعت صوت العندليب من قبل، وأنا سعيد بذلك، فالعندليب لا يغني إلا للعشاق، وسنستمع إليه معاً في ليالي الصيف خارج منزلنا".

وعندما تذكرت كيف سمعا صوته معاً، انتابتها حالة من السعادة، بينما كانت تقف في مدخل منزلهما.

كان جيرالد هو الذي عثر على منزل فيلوميل، فقد جاء إلى أليكس تغمره السعادة؛ لأنه وجد المكان المناسب لهما؛ إنه مكان فريد، وقيم، وكان يمثل فرصة العمر بالنسبة إليهما، وعندما رآته أليكس، أعجبت به أيضاً، صحيح أنه كان منعزلاً، حيث كان يبعد ثلاثة كيلومترات عن أقرب قرية، ولكن المنزل الريفي نفسه كان رائعاً للغاية بمظهره ذي الطراز القديم، وحماماته المريحة المتينة، ونظام الماء الساخن، والضوء

الكهربائي، والهاتف؛ ما جعلها تقع أسيرة جمال هذا المنزل، ثم حدثت مشكلة، حيث قرر المالك، وهو رجل ثري للغاية، في إحدى نزواته أن يكون هذا المنزل للبيع، وليس للإيجار.

وعلى الرغم من أن دخل جيرالد مارتن كان جيداً، فإنه كان عاجزاً عن المساس برأسماله، فكان أكثر ما يمكن أن يدبره هو ألف جنيه، لكن المالك كان يريد ثلاثة آلاف؛ لذا فإن أليكس، التي كانت تريد الحصول على المنزل بشدة، توصلت إلى حل لإنقاذه من البيع لآخرين، فقد كان من السهل الحصول على رأسمالها، حيث كان على هيئة سندات مالية لحاملها؛ لذا كانت ستسهم بنصف المبلغ لشراء المنزل. وبذلك أصبح منزل فيلوميل ملكاً لهما، ولم تندم أليكس على هذا الاختيار مدة دقيقة واحدة، فصحيح أن الخدم لا تروقه الحياة الريفية المنعزلة، ولم يكن لدى أليكس في هذا الوقت أي خدم على الإطلاق، لكن أليكس التي كانت محرومة من الحياة الأسرية المترابطة، استمتعت بطهو الوجبات الصغيرة اللذيذة والعناية بالمنزل.

أما الحديقة التي كانت مليئة بالزهور الرائعة، فكان يعتني بها رجل عجوز من القرية يأتي لتهدئتها مرتين في الأسبوع. بينما كانت تتجول في المنزل، اندهشت أليكس كثيراً، حيث رأت البستاني العجوز مشغولاً في تقليم أحواض الزهور، وكان السبب في اندهاشها أن يومي عمله كانا الاثنين والجمعة، أما اليوم فهو الأربعاء.

فسألته، بينما كانت تتوجه نحوه، قائلة: "ماذا تفعل هنا يا جورج؟".

شد الرجل العجوز قامته، وهو يضحك ضحكة خافتة، ويمسك بحافة قبعته القديمة، قائلاً لها: "لقد تخيلت كم ستندهشين يا سيدتي، لكن هنالك سبباً وراء ذلك؛ حيث سيكون هناك احتفال يوم الجمعة، وقد قلت لنفسي إن السيد مارتن وزوجته الفاضلة لن يمانعا إن جئت الأربعاء بدلاً من الجمعة". فقالت أليكس: "حسناً، أتمنى أن تستمتع بذلك الاحتفال".

قال جورج ببساطة: "إنني أعتقد أنه شعور رائع أن تكون قادراً على تناول ما تشاء من الطعام حتى تمتلئ معدتك دون أن تدفع مقابل ذلك، كما أن هناك مكاناً رائعاً معداً لتناول الشاي للحضور، كما أنني فكرت يا سيدتي في أن أقابلك قبل أن تغادري المنزل حتى أعرف رغبتك في حدود أحواض الزهور هذه، فأنا أعتقد أنه لن تكون لديك أية أفكار بشأن هذا الأمر عندما تعودين، أليس كذلك؟".

فقالت له: "لكنني لن أغادر".

حدّق جورج إليها، وسألها قائلاً: "ألن تذهبي إلى لندن غداً؟".

فأجابته قائلة: "لا، من وضع في رأسك هذه الفكرة؟".
فهز جورج رأسه، وقال: "لقد قابلت سيدي في القرية أمس، وأخبرني بأنكما ستغادران إلى لندن غداً، ولا تعرفان بالضبط متى ستعودان مرة أخرى".

فقالت أليكس، وهي تضحك: "هراء، لا بد من أنك أسأت فهم ما قاله".

على أية حال تساءلت عما قاله جيرالد بالضبط، وجعل ذلك الرجل العجوز يسيء فهمه على ذلك النحو الغريب؛ الذهاب إلى لندن؟ إنها لا تفكر في الذهاب إلى لندن مرة أخرى. قالت فجأة وبقوة: "أنا لا أحب لندن".

قال جورج بهدوء: "أه لا بد من أنني أسأت فهم كلماته بطريقة ما، لكنه قالها صريحة وواضحة، هكذا بدا لي، إنني سعيد لأنك ستظلين هنا، فأنا لا أحب كثرة التحرك والسفر، كما أن لندن لا تروقني. ولا أريد مطلقاً أن أذهب إلى هناك؛ فهي تمتلئ بالكثير من السيارات التي تسبب مشكلة في الوقت الراهن، فبمجرد أن يشتري أحدهم سيارة، يشعر كل منهم بالسعادة كونهم يستطيعون الوقوف بسياراتهم في أي مكان، لقد كان السيد أميس، المالك السابق لهذا المنزل، رجلاً لطيفاً مسالماً ليشتري منزلاً كهذا، ولكنه عرضه للبيع منذ شهر، لقد أنفق عليه الكثير من المال، حيث وضع صناديق مياه في كل غرف النوم، بالإضافة إلى المصابيح الكهربائية، وما إلى ذلك، لكنني قلت له: "إنك لن تحصل على ما أنفقته من أموال في هذا المنزل" لكنه قال لي: "سأحصل على كل بنس من الألف جنيه اللذين أنفقتهما في إعداد هذا المنزل"، وبالطبع هذا ما حدث".

قالت أليكس وهي تبتسم: "لقد حصل على ثلاثة آلاف جنيه".

أجاثا كريستي

فكر جورج ما قاله: "بل حصل على ألفي جنيه، كان ذلك هو المبلغ الذي طلبه في ذلك الوقت".

قالت أليكس: "لقد كانت ثلاثة آلاف جنيه في الواقع".

قال جورج بغير اقتناع: "لا تفهم السيدات عادة الأمور المالية، فلا تقولي لي إن السيد أميس تجرأ على الوقوف وطلب ثلاثة آلاف جنيه بصوت عال".

فقالت أليكس: "إنه لم يقل لي ذلك، بل قال لزوجي".

توقف جورج مرة أخرى عند حوض الأزهار الذي كان يعمل فيه.

وقال في عناد: "كان السعر ألفي جنيه فقط".

لم تكبد أليكس نفسها عناء الجدل معه، ثم انتقلت إلى أحد أحواض الأزهار الأخرى، وبدأت تقطف مجموعة من الزهور.

وبينما كانت تتوجه ناحية المنزل، وهي تحمل باقة الأزهار العطرة، لاحظت أليكس وجود جسم أخضر داكن صغير يظهر من بين بعض الأوراق في أحد أحواض الأزهار، فانحنيت والتقطته، إنه دفتر المذكرات الخاص بزوجها.

ففتحت، وأخذت تطالعه، وهي تشعر ببعض التسلية والمرح، لقد أدركت منذ بداية حياتهما الزوجية تقريباً أن جيرالد الاندفاعي والعاطفي كانت له فضائل غير معهودة من الدقة والنظام، فقد كان منضبطاً للغاية بشأن تناول وجبات الطعام في الوقت المحدد، وكان دائماً ما يخطط ليومه مسبقاً وفقاً لجدول زمني محدد.

وبينما كانت تتصفح المذكرة، اندهشت حين لاحظت المعلومات المكتوبة بتاريخ 14 مايو: "الزواج بأليكس، بدار عبادة سانت بيتر في الساعة الثانية والنصف".

همهمت أليكس بينها وبين نفسها، قائلة: "يا له من سخيف"، وبينما كانت تقلب الصفحات، توقفت فجأة، وقرأت: "الأربعاء، 18 من شهر يونيو، لماذا هذا اليوم بالتحديد؟".

وفي المساحة الفارغة المخصصة لهذا اليوم كتب جيرالد بخطه الأنيق الدقيق: "التاسعة مساء"، ليس أكثر، وتساءلت أليكس عما خطط جيرالد لفعله في التاسعة مساء؟ ابتسمت بينها وبين نفسها حيث فكرت في أنه لو كانت هذه قصة، مثل تلك التي تقرأها في كثير من الأحيان، فمن المؤكد أن هذه اليوميات ستكشف لها بعض الأسرار المثيرة، فلا بد من أنها تحتوي على اسم امرأة أخرى، وأخذت تتصفح الصفحات السابقة بشيء من التراخي، فكانت تحتوي على تواريخ، ومواعيد، وإشارات غامضة تدل على الصفقات التجارية، ولم يكن هناك سوى اسم امرأة واحدة، كان اسمها هي.

ومع ذلك، عندما وضعت المفكرة في جيبها ومضت بباقة الزهور إلى داخل المنزل، كانت تشعر بعدم ارتياح غامض، فكلمات ديك وينديفورد تتردد في مسامعها تقريباً، كأنه يجلس إلى جوارها، ويقول لها: "إن هذا الرجل غريب تماماً عنك، فأنت لا تعرفين عنه شيئاً".

أجاثا كريستي

نعم، هذا صحيح، فما الذي تعرفه عنه؟ إنه يبلغ أربعين عاماً، ومن المؤكد أنه خلال الأربعين عاماً الماضية، كانت هناك امرأة في حياته...

هزت أليكس رأسها بنفاد صبر، إذ يجب عليها ألا تفسح المجال لهذه الأفكار لتسيطر عليها، وكانت هناك أمور أخرى أكثر أهمية، كان لا بد لها من أن تتعامل معها، فهل يجب عليها أن تخبر زوجها بأن ديك وينديفورد قد اتصل بها أم لا؟

فهناك احتمال لا بد من أن تضعه في اعتبارها، وهو أن يكون جيرالد قد قابله في القرية، ولكن في هذه الحالة لا بد من أنه من سيدكر لها ذلك فور عودته، وستخرج الأمور على سيطرتها، وإلا، فماذا؟ شعرت أليكس برغبة واضحة لديها في عدم ذكر أي شيء عن ذلك الأمر لزوجها.

فإذا أخبرته، فمن المؤكد أنه سيظن أنها هي التي طلبت من ديك وينديفورد أن يحضر إلى منزل فيلوميل، ومن ثم سيكون عليها أن توضح أن ديك هو من اقترح ذلك بنفسه، وأنها اعتذرت له ل تمنعه من المجيء، وعندما يسألها لماذا فعلت ذلك، فماذا يمكنها أن تقول له؟ هل تخبره بحلمها؟ لكنه قد يضحك، أو قد يفعل ما هو أسوأ؛ ويرى أنها تعطي هذا الحلم أهمية أكثر مما يستحق.

وفي النهاية، قررت أليكس ألا تقول شيئاً لزوجها، ولكنها كانت تشعر بالخجل، فقد كان هذا هو السر الأول الذي تخفيه عن زوجها، وقد جعلها ذلك تشعر بعدم الارتياح.

عندما علمت أن جيرالد قد عاد من القرية قبل الغداء بقليل، أسرعته إلى المطبخ، وادعت أنها مشغولة بالطهو لإخفاء ارتباكها.

واتضح على الفور أن جيرالد لم يرَ ديك وينديفورد، فشعرت أليكس بالارتياح والحرص، وحرصت على أن تظل ملتزمة بسياسة الكتمان.

وبعد أن انتهى من تناول وجبة المساء الخفيفة، جلسا في غرفة المعيشة المزودة بأثاث مصنوع من خشب البلوط، وكانت النوافذ مفتوحة للسماح بدخول نسيم الليل العليل الذي يحمل عطر الأزهار البنفسجية والبيضاء المزروعة في الخارج، وحينها تذكرت أليكس دفتر المذكرات الصغير.

فقالت له: "إليك شيئاً كنت تروي به الأشجار"، ثم ألقته بدفتر المذكرات أمامه.

سألها قائلاً: "لقد سقط مني في حوض الأزهار، أليس كذلك؟"

فأجابته: "نعم، إنني أعرف كل أسرارك الآن".

قال جيرالد، وهو يهز رأسه: "لست مذنباً".

فسألته: "ولكن ماذا عن ذلك الموعد الذي حددت له الساعة التاسعة مساءً؟"

فقال: "أه! ذلك الموعد"، وبدا كأنه قد فوجئ لحظة، ثم ابتسم كأنه قد تذكر شيئاً يمنحه بعض المتعة والتسلية، ثم أضاف قائلاً: "إنه موعد مع فتاة لطيفة للغاية يا أليكس، ذات شعر بني، وعينين زرقاوين، وهي تشبهك تماماً".

أجاثا كريستي

قالت أليكس بنبرة حادة تحمل بعض السخرية: "لا أفهمك، فأنت تتهرب من الرد على هذه النقطة".

فقال لها: "لا، أنا لست كذلك، في الواقع هذا تذكير بأنني لا بد من أن أحمّض بعض الصور الليلة، وأريد منك المساعدة".

كان جيرالد مارتن مولعًا بالتصوير، وكانت لديه كاميرا قديمة إلى حد ما، ولكن عدساتها كانت ممتازة، وكان يقوم بتحريض الصور في قبو صغير، قد أعده ليكون بمنزلة غرفة مظلمة.

قالت أليكس في ضيق: "وهل لا بد من أن تقوم بذلك في التاسعة مساء بالضبط؟".

بدا جيرالد منزعًا قليلًا.

ثم قال لها بنبرة تحليلية: "عزيزتي، لا بد للمرء من أن يخطط للقيام بالأشياء في وقت محدد، ومن ثم ينجزها على نحو صحيح".

جلست أليكس مدة دقيقة أو دقيقتين في صمت تراقب زوجها وهو يستلقي على كرسيه ويدخن، ورأسه الداكن يتمايل إلى الخلف، وتبرز المعالم الواضحة لوجهه الحليق النظيف من الخلفية القاتمة. وفجأة، أحست بموجة من الرعب تجتاح جسدها دون أن تعرف مصدرها، حتى إنها صرخت قبل أن تستطيع أن توقف نفسها، وقالت: "آه، جيرالد، أتمنى أن أعرف عنك المزيد!".

استدار إليها زوجها، والدهشة مرسومة على وجهه، قائلاً لها: "ولكنك يا عزيزتي تعرفين كل شيء عني، لقد أخبرتك عن

طفولتي في نورثمبرلاند، وحياتي في جنوب أفريقيا، وهذه السنوات العشر الأخيرة التي قضيتها في كندا، وجلبت لي النجاح".

قالت أليكس بازدراء: "أه! عمل!".

فضحك جيرالد فجأة، وقال لها: "أنا أعرف ما تلمحين إليه، أنت تريدين معرفة كل شيء عن حياتي العاطفية، أنتن أيتها النساء متشابهاً، لا شيء يشغل بالكن سوى الحياة الشخصية وأسرارها".

أحست أليكس بجفاف حلقها، وهي تقول بغموض: "حسناً، ولكن لا بد من أن تكون هناك علاقات عاطفية، أعني أنني أتمنى أن تخبرني بها...".

ساد الصمت مرة أخرى مدة دقيقة أو دقيقتين، وبدا التجهم على وجه جيرالد مارتن، كما اعتلته نظرة حائرة، وعندما تحدث، كان يتحدث بنبرة جادة دون أي أثر لأسلوبه المرح الذي تحدث به من قبل، وقال: "هل تعتقدين أن من الحكمة يا أليكس، التحدث عن علاقاتي النسائية؟ كانت هناك نساء في حياتي، نعم، أنا لا أنكر ذلك، فلن تصدقيني إذا أنكرت ذلك، لكن يمكنني أن أقسم لك بصدق أنه لم تعد أية واحدة منهن تعني لي أي شيء".

كانت هناك نبرة إخلاص وصدق في صوته، بعثت في نفسها الراحة.

أجاثا كريستي

سألها وهو يبتسم لها، قائلاً: "هل تشعرين بالراحة الآن يا أليكس؟"، ثم نظر إليها بفضول، قائلاً: "ما الذي حوّل ذهنك إلى مثل هذه الأمور المزعجة تلك الليلة خاصة؟".

هبت أليكس واقفة، وأخذت تذرع الأرض جيئة وذهاباً. وقالت: "أه! لا أعرف، لقد كانت أعصابي متوترة طوال اليوم".

قال جيرالد بنبرة خفيضة، كأنه يحدث نفسه: "هذا أمر غريب، هذا أمر غريب للغاية". فسألته: "لم يبدو غريباً؟". فأجابها: "أه، يا عزيزتي، لا تنظري إلي هكذا، لقد قلت فقط إن هذا أمر غريب للغاية؛ لأنك دائماً رقيقة وهادئة".

فابتسمت أليكس على الرغم منها. واعترفت قائلة: "لقد تأمرت كل الظروف اليوم لإزعاجي، حتى جورج العجوز تحدث إلي عن تلك الفكرة السخيفة التي يضعها في رأسه، فقد قال إننا سنسافر إلى لندن، وقال إنك من أخبره بذلك".

فسألها جيرالد بنبرة حادة: "وأين رأيته؟". أجابته قائلة: "لقد جاء للعمل اليوم بدلاً من يوم الجمعة". قال جيرالد بنبرة غاضبة: "ذلك العجوز الأحمق".

حدقت أليكس إلى زوجها وهي مندهشة للغاية؛ فقد كان وجهه يهتز من الغضب، فلم تره غاضباً هكذا من قبل، وعندما رآها مندهشة هكذا، بذل جيرالد جهداً لاستعادة السيطرة على نفسه.

فقال محتجاً على ما قالته: "حسناً، إنه عجوز أحق بغيض".
فسألته: "ما الذي قلته له وجعله يعتقد ذلك؟".

فقال لها: "أنا؟ أنا لم أقل له أي شيء على الإطلاق، على الأقل، آه، يا إلهي! لقد تذكرت، لقد مزحت معه هذا الصباح، وقلت له "إنني ذاهب إلى لندن هذا الصباح"، وأظن أنه قد أخذ الأمر على محمل الجد، أو أنه لم يستمع إلى ما قلته جيداً، لكنك أوضحت له الأمر، أليس كذلك؟".

انتظر ردها في قلق.

أجابته قائلة: "بالطبع، ولكن هذا الرجل العجوز بمجرد أن يدخل فكرة ما في رأسه، يكون من الصعب إخراجها منه، ومحاولة إقناعه بعدم صحتها".

ثم أخبرته بعد ذلك بإصراره على أن المبلغ الذي بيع به المنزل هو ألفا جنيه فقط.

ظل جيرالد صامتاً دقيقة أو دقيقتين، ثم قال ببطء: "كان أميس على استعداد لأخذ ألفي جنيه نقداً، والألف المتبقي في شكل رهن عقاري، وهذا هو السبب في سوء الفهم هذا على ما أظن".

اتفقت معه أليكس قائلة: "احتمال كبير أن يكون هذا هو ما حدث".

ثم نظرت إلى ساعة الحائط، وأشارت إليها بإصبعها، قائلة: "لا بد من أن ننزل إلى غرفة تحميض الصور يا جيرالد، فقد تأخرنا عن الموعد خمس دقائق".

رُسمت ابتسامة غريبة للغاية على وجه جيرالد مارتين، وقال لها بهدوء: "لقد غيرت رأيي، لن أقوم بتحريض أية صور الليلة".

إن عقل المرأة غريب للغاية، فقد ذهبت أليكس إلى الفراش ليلة الأربعاء وعقلها قانع ومرتاح، حيث تأكدت سعادتها اللحظية، واستمرت في الشعور بها كما كانت الحال معها منذ فترة طويلة. ولكن بحلول مساء اليوم التالي، أدركت أن بعض القوى الخفية تعمل على تقويض سعادتها، فلم يتصل ديك وينديفورد بها مرة أخرى، لكنها شعرت بوقع كلماته في نفسها على حد زعمها، فقد أخذت كلماته تتردد على مسامعها مراراً وتكراراً، وهو يقول لها: "إن هذا الرجل غريب تماماً عنك، ولا تعرفين عنه شيئاً"، وبينما كانت تتردد تلك الكلمات في عقلها، تراءى لها وجه زوجها بوضوح وهو يقول لها: "هل تعتقدين يا أليكس أن من الحكمة التحدث عن علاقاتي النسائية؟"، فلماذا قال ذلك؟

كان هناك تحذير في كلماته، كما أنها كانت توحى بالتهديد، وبدا الأمر كأنه كان يقول لها: "من الأفضل ألا تنقبي في حياتي يا أليكس، وإلا فسوف تصابين بصدمة كبيرة إن فعلت ذلك".

ويحلول صباح الجمعة، أقنعت أليكس نفسها بأن هناك امرأة في حياة جيرالد، وأن هناك علاقة غرامية تجمع بينهما، يسعى جاهداً لإخفائها، إن نار غيرتها التي كانت تشتعل ببطء قد تأججت الآن.

هل كانت هناك امرأة ينوي مقابلتها في الساعة التاسعة مساءً؟ هل كانت قصة تحميض الصور هي مجرد كذبة اخترعها تلك اللحظة؟

فقبل ثلاثة أيام كانت ستقسم أنها تعرف زوجها تمامًا، أما الآن فهو يبدو لها كأنه غريب عنها، لا تعرف عنه شيئًا، وتذكرت غضبه غير المنطقي ضد جورج العجوز، وذلك على خلاف أسلوبه المعتدل الهادئ، ربما كان الأمر يبدو بسيطًا، لكنه أظهر لها أنها لم تكن تعرف حقًا ذلك الرجل، الذي من المفترض أنه زوجها.

كان هناك العديد من الأشياء الصغيرة المطلوب إحصاؤها من القرية يوم الجمعة، وفي فترة ما بعد الظهر، اقترحت أليكس أن تذهب لإحصاؤها بنفسها، بينما يظل جيرالد في الحديقة، لكنها اندهشت عندما عارض هذا الأمر بشدة، وأصر على الذهاب بنفسه، بينما تبقى هي في المنزل. اضطرت أليكس إلى أن تدعه يذهب هو، لكن إصراره فاجأها وأدهشها كثيرًا، فلماذا كان حريصًا للغاية على منعها من الذهاب إلى القرية؟

فكرت فجأة في تفسير ما جعل الأمر برمته واضحًا بالنسبة إليها، أليس من الممكن أن يكون قد رأى ديك وينديفورد، لكنه لم يقل لها شيئًا عن هذا الأمر؟ فلمَ لم تُثر غيرتها التي كانت خامدة في وقت زواجهما إلا بعد ذلك، وقد لا يكون هذا الأمر نفسه هو ما حدث مع جيرالد كذلك؟ فقد لا يكون حريصًا على منعها من رؤية ديك وينديفورد مرة أخرى، أليس كذلك؟ كان

هذا التفسير متسقاً للغاية مع الحقائق، ومريحاً جداً لعقل أليكس المضطرب، حتى إنها تبنته بشدة وبكل حماس.

وعندما حان وقت تناول الشاي وانتهيا من تناوله، كانت مضطربة وتشعر بعدم الراحة، فقد كانت تكافح تلك المشاعر التي هاجمتها بشدة منذ مغادرة جيرالد، وأخيراً، ولكي تريح ضميرها، أكدت لنفسها أن الغرف تحتاج إلى ترتيب دقيق، فصعدت إلى الطابق العلوي، حيث غرفة ملابس زوجها، وأخذت معها منفضة الغبار لتبدو بمظهر ربة المنزل.

وأخذت تردد بينها وبين نفسها، قائلة: "لو أنني أتأكد، لو أنني أتأكد فقط".

قالت لنفسها لا بد من أنه تخلص من أية أدلة تكشف أسراره منذ زمن بعيد، وحدثت نفسها قائلة إن الرجال يخفون أدلة إدانتهم في كثير من الأحيان من خلال إظهار عواطف مبالغ فيها.

استسلمت أليكس في النهاية، وتوهجت وجنتاها خجلاً مما فعله، فقد أخذت تفتش بهدوء حافظات الرسائل والوثائق، وتبحث في الأدراج، حتى إنها قلبت جيوب ملابس زوجها، لكن كان ثمة درجان مغلقان، وهما الدرج السفلي من خزانة الأدراج، والدرج الصغير الذي يقع على يمين مكتب زوجها؛ لذا لم تتمكن من فتحهما، فشعرت أليكس الآن بالخجل الشديد، فقد كانت مقتنعة بأنها ستجد أدلة على وجود تلك المرأة التي كانت تعيش في ماضي زوجها، وقد رسمتها في خيالها، وأصبحت مهووسة بها كثيراً.

تذكرت أن جيرالد قد ترك مفاتيحه ملقاة بلا مبالاة على منضدة جانبية في الطابق السفلي، فذهبت وأحضرتها، وأخذت تجربها واحداً تلو آخر، وكان المفتاح الثالث هو الذي فتح درج المكتب، ففتحته أليكس متشوقة، وكان هناك دفتر شيكات ومحفظة ممتلئة للغاية بالمذكرات، وفي الجزء الخلفي من الدرج كانت هناك حزمة من الرسائل مربوطة بشريط من القماش.

تسارعت أنفاس أليكس وهي تفك الشريط، وتوردت وجنتاها بحمرة شديدة، ثم وضعت الخطابات مرة أخرى في الدرج، وأغلقتة، ثم أدارت فيه المفتاح لتحكم إغلاقه، فقد كانت هذه هي الرسائل الخاصة بها، التي كانت تكتبها إلى جيرالد مارتن قبل أن تتزوجه.

التفتت الآن إلى خزانة الأدراج، وكانت رغبته في أن تشعر بأنها لم تترك شيئاً يمكن فعله دون أن تفعله أشد من رغبته في أن تجد ما تبحث عنه.

ولكن الشيء الذي أزعجها أنه لم يستطع أي مفتاح من مفاتيح جيرالد أن يفتح هذا الدرج المطلوب، ولكي تنفذ أليكس ما تريد، ذهبت إلى الغرف الأخرى، وأحضرت مجموعة أخرى من المفاتيح، لكنها شعرت بالراحة عندما تمكن مفتاح الخزانة الموجودة في الغرفة الفارغة من فتح هذا الدرج، ففتحت الدرج بالفعل، وسحبته إلى الأمام، لم يكن به أي شيء سوى مجموعة من قصاصات الصحف المتسخة، وقد بهت لونها نظراً إلى مرور العديد من السنوات عليها.

تنفست أليكس الصعداء، ولكنها ألقت نظرة خاطفة على تلك القصاصات في فضول لمعرفة أي موضوع أثار اهتمام جيرالد كثيراً لدرجة أنه احتفظ بتلك اللفة من القصاصات التي يعلوها التراب، وكانت جميعها صحفاً أمريكية تقريباً، وبتاريخ مر عليه نحو سبع سنوات، وتتناول محاكمة المحتال، والرجل سيئ السمعة تشارلز ليميتير، لقد كان متهماً بقتل ضحاياه من النساء؛ حيث عثر على هيكل عظمي تحت أرضية أحد المنازل التي استأجرها، وانقطعت الأخبار عن معظم النساء اللاتي "تزوج بهن" مرة أخرى.

لقد برأ نفسه من تلك التهم بمهارة بارعة، بمساعدة بعض أفضل المواهب القانونية في الولايات المتحدة، وكان القاضي الإسكتلندي الذي قال "بعدم ثبوت" التهمة عليه، هو الذي حسم القضية بشكل أفضل. وفي غياب الأدلة التي تثبت إدانته، وجد أنه غير مذنب في تلك التهمة، على الرغم من الحكم عليه بالسجن فترة طويلة على ذمة قضايا أخرى منسوبة إليه.

تذكرت أليكس الإشارة التي تسببت فيها هذه القضية في ذلك الوقت، وكذلك الإحساس الذي أثاره هروب ليميتير بعد ذلك بثلاث سنوات، ولم يتمكنوا من إعادة القبض عليه مرة أخرى، وقد أصبحت شخصية الرجل وقوته الاستثنائية في التأثير في النساء مادة مناقشة في الصحف الإنجليزية في ذلك الوقت، إلى جانب سرد اهتياجه في المحكمة، واحتجاجاته الحماسية، وسقوطه مغشياً عليه من حين إلى آخر، بحجة أنه يعاني ضعفاً

في عضلة القلب، على الرغم من أن أي شخص يجهل حقيقة الأمر، قد يرجع ذلك إلى قدراته التمثيلية الكبيرة.

كانت هناك صورة له في إحدى القصاصات التي كانت تمسك بها أليكس، وأخذت تتمعن فيها بمزيد من الاهتمام، فقد كان يظهر في الصورة رجل ذو لحية يبدو كأنه أحد العلماء.

بمن يذكرها وجه هذا الرجل؟ أدركت الحقيقة فجأة، وهي تشعر بصدمة كبيرة، أنه كان جيرالد نفسه، فقد كانت له العينان والحاجبان أنفسها، فلعله احتفظ بهذه القصاصات لهذا السبب، وذهبت عيناها إلى الفقرة المكتوبة إلى جانب الصورة، وكانت هناك تواريخ محددة مكتوبة في دفتر ملاحظات المتهم، وقد قيل إن هذه هي التواريخ التي تخلص فيها من ضحاياه، ثم قدمت امرأة دليلاً، وحددت المتهم بدقة، حيث قالت إن لديه شامة على معصمه الأيسر، أسفل راحة يده مباشرة.

ألقت أليكس القصاصات، بينما أخذت تترنح، وهي تقف، فعند المعصم الأيسر لزوجها تحت راحة يده تماماً توجد ندبة صغيرة...

كانت الغرفة تدور بها، وبعد ذلك بدأ الأمر على نحو غريب، كأنه كان يجب عليها أن يكون لديها على الفور هذا اليقين المطلق، إن جيرالد مارتن هو تشارلز ليميترا لقد عرفت ذلك، وقبلت به في لمح البصر، وثمة أجزاء صغيرة مفككة تدور في دماغها، مثل قطع أحجية صغيرة مقطوعة تعود كل منها إلى مكانها.

المال المدفوع في المنزل... مالها... مالها وحدها... والسندات لحاملها التي عهدت إليه بحفظها، حتى حلمها ظهرت

أجاثا كريستي

أهميته الحقيقية، فقد كانت تخاف دائماً في قرارة نفسها في عقلها اللاواعي من جيرالد مارتن، وكانت تتمنى الهروب منه؛ لذا كانت تطلب المساعدة من ديك وينديفورد. هذا هو أيضاً السبب في أنها كانت قادرة على قبول الحقيقة بسهولة كبيرة، دون أدنى شك أو تردد، فقد تصبح واحدة من ضحايا ليميتير قريباً جداً، ربما...

أطلقت صرخة مقتضبة عندما تذكرت شيئاً ما؛ إنه الأربعاء، التاسعة مساءً. إن القرميد الخاص بالقبو يمكن أن يتم رفعه بسهولة! لقد دفن إحدى ضحاياه ذات مرة في القبو، لقد كان يخطط لقتلها في مساء الأربعاء، ولكنه يدون هذا الأمر بشكل مسبق، وبطريقة منهجية هكذا؛ إنه جنون! لا بل إنه أمر منطقي؛ فجيرالد دائماً ما يدون مذكرات ارتباطاته، والقتل بالنسبة إليه مثل هذه الارتباطات.

لكن ما الذي أنقذها؟ ما الذي يمكن أن يكون قد أنقذها؟ هل تراجع في اللحظة الأخيرة؟ لا، جاءها الجواب في لمح البصر إنه العجوز جورج.

لقد فهمت الآن غضب زوجها الشديد الذي لم يمكنه السيطرة عليه، فلا ريب في أنه مهد الطريق لقتلها بإخبار كل من التقى به بأنهما ذاهبان إلى لندن في اليوم التالي، ثم جاء جورج للعمل بشكل غير متوقع، وذكر لها أمر سفرهما إلى لندن، ونفت هي هذا الأمر، فكان من الخطر بالنسبة إليه التخلص منها في تلك الليلة، خاصة مع قيام جورج العجوز بتكرار تلك

المحادثة. لكن يا له من فرارا فلولا أنها لم تذكر هذا الأمر
التافه لزوجها، لكانت... وحينها أخذت أليكس ترتجف.
ظلت ثابتة بلا حراك كأنها قد تجمدت، وأصبحت كالحجر،
فقد سمعت صرير البوابة الخارجية، لقد عاد زوجها.
ظلت أليكس في مكانها كأنها تحجرت، ثم تسللت على أطراف
أصابعها إلى النافذة، وأخذت تنظر إلى الخارج من ورائها.
نعم، لقد كان زوجها، كان يبتسم لنفسه، ويدندن بصوت
منخفض، وكان يمسك في يده بشيء جعل قلب الفتاة المرعوبة
يتوقف عن الخفقان، فقد كانت يحمل مجرفة جديدة.
وقد استنتجت أليكس على الفور أمراً ما بالغريزة، وهو أنه
ينوي التخلص منها الليلة...

لكن لا تزال هناك فرصة، كان جيرالد لا يزال يدندن ذلك
اللحن، بينما كان ذاهباً إلى خلف المنزل.
ودون أن تتردد لحظة واحدة، ركضت فوق الدرج، وخرجت
من المنزل، ولكن بمجرد خروجها من الباب، جاء زوجها من
الجانب الآخر من المنزل، قائلاً لها: "مرحباً، إلى أين تتجهين
مسرعة هكذا؟"

حاولت أليكس جاهدة أن تبدو هادئة كعادتها، لقد ضاعت
فرصتها في الوقت الحالي، ولكن إذا حرصت على عدم إثارة
شكوكه، فستلوح أمامها الفرصة مرة أخرى لاحقاً، بل ربما
الآن...

قالت بنبرة صوت ترددت في أذنها، وبدت ضعيفة ومتشككة:
"كنت سأسير إلى نهاية الطريق وأعود مرة أخرى".

أجاثا كريستي

فقال لها جيرالد: "حسنًا، سأتي معك".

فقالت له: "لا أرجوك اتركني وحدي يا جيرالد، فإنني متوترة ورأسي يؤلمني، وأفضل أن أذهب بمفردي".

نظر إليها باهتمام شديد، وقد لاحظت الشك يلمع في عينيه في هذه اللحظة.

سألها قائلاً: "ماذا بك يا أليكس؟ أنت شاحبة وترتعشين كذلك؟".

أجبرت نفسها على الابتسام برقة، قائلة: "لا شيء، لقد أصبت بصداع، وهذا كل ما في الأمر، المشي سيجعلني أفضل".
فقال لها جيرالد بابتسامته الهادئة: "حسنًا، لم يكن يجدر بك أن تقولي إنك لا تريدني أن أسير معك، سأتي معك سواء أوافق أم رفضت".

لم تجرؤ على معارضته أكثر من ذلك، فإذا ما ساوره الشك في أنها تعرف...

لقد تمكنت بعد مجهود من استعادة شيء من تصرفاتها الطبيعية، ومع ذلك كان يداخلها شعور غير مريح بأنه ينظر إليها نظرة جانبية بين الحين والآخر، وكأنه غير راضٍ تمامًا، فقد شعرت بأن شكوكه لم تهدأ بشكل كامل.

عندما عادا إلى المنزل، أصر على أن تستلقي على فراشها، وجلب لها عطرًا ليبلل به وجنتيها، وبدا - كما كان دائمًا - الزوج المخلص، فشعرت أليكس بأنها عاجزة، وكأن يديها وقدميها مقيدة.

لن يتركها مدة دقيقة واحدة، فقد ذهب معها إلى المطبخ، وساعدها على إحضار أطباق الأصناف الباردة البسيطة التي أعدتها بالفعل، كانت وجبة العشاء بالنسبة إليها وجبة مقبولة كأنها تخنقها، لكنها أجبرت نفسها على تناول الطعام، بل أجبرت نفسها على أن تبدو سعيدة وعلى طبيعتها، فقد عرفت الآن أنها تقاتل من أجل حياتها، وكانت وحدها مع هذا الرجل، على بعد كيلومترات من أية مساعدة، تحت رحمته تمامًا، وكانت فرصتها الوحيدة هي تهدئة شكوكه، حتى يتركها بمفردها بضع لحظات تكفي لكي تذهب إلى الهاتف الموجود في الصالة، وتطلب المساعدة، وكان هذا هو أملها الوحيد الآن.

ترأى لها بصيص من الأمل في تلك اللحظة عندما تذكرت أنه تخلى من قبل عن خطته لقتلها، فماذا لو قالت له إن ديك وينديفورد سيأتي لزيارتها هذا المساء؟

ارتعشت الكلمات على شفثتها، ثم رفضت القيام بذلك على الفور، فذلك الرجل لن يتخلى عن تنفيذ خطته للمرة الثانية، فقد كان يخفي إصرارًا وابتهاجًا تحت رداء هدوئه الظاهري الذي جعلها تصاب بالتعب الشديد، إنها قد تساعده من خلال أي تصرف خطأ في إتمام جريمته، إنه سيقتلها آجلاً أم عاجلاً، ثم يتصل بديك وينديفورد بمنتهى الهدوء ليطلب منه عدم المجيء باختلاق عذر ما. أه! لو أن ديك وينديفورد يأتي إلى المنزل هذا المساء! لو أن ديك...

ثم خطرت بذهنها فكرة مفاجئة، حيث ألقت نظرة خاطفة على زوجها كأنها تخشى أن يقرأ أفكارها، لكنها ازدادت شجاعة

بعد أن وضعت خطة للهروب، فاستعادت طبيعتها بطريقة تعجبت من نفسها بشأنها.

أعدت القهوة، وأخذتها إلى الرواق، حيث كانا يعتادان الجلوس في الأمسيات الجميلة.

قال جيرالد فجأة: "بالمناسبة، سنقوم بتحريض الصور بعد قليل".

أحست أليكس بالقشعريرة تسري في جسدها، لكنها قالت له بلا مبالاة: "ألا يمكنك أن تقوم بذلك بنفسك، فأنا متعبة قليلاً الليلة".

فابتسم لنفسه، وقال لها: "لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً، كما يمكنني أن أعدك بأنك لن تشعرني بالتعب بعد الآن".

بدا كأن تلك الكلمات كانت تشعره بالمتعة، فارتجفت أليكس، وبدا أنه يجب عليها الآن أن تنفذ خطتها، وإلا فلن تتمكن من القيام بذلك أبداً فيما بعد.

فهبّت واقفة. وقالت له بلا مبالاة: "سأتصل بالجزار، لا تتعب نفسك وتأتي بصحبتني".

فقال لها متعجباً: "تتصلين بالجزار، في هذا الوقت من الليل؟".

فقالت له: "يا للسخافة! إن محله مغلق بالطبع، ولكنه موجود في منزله، وغداً هو يوم السبت وأريد منه أن يحضر لي بعض القطع من لحم العجل مبكراً قبل أن يشتريها أي شخص آخر منه، ذلك الرجل العجوز سيفعل أي شيء من أجلي".

دخلت مسرعة إلى المنزل، وأغلقت الباب خلفها، وسمعت جيرالد وهو يقول: "لا تغلقي الباب"، وأتى ردها سريعاً، حيث قالت: "إنه يمنع العث من دخول المنزل، إنني أكره العث، هل تخشى أن أكوّن علاقة غرامية مع الجزار أيها السخيف؟".
وبمجرد أن أصبحت في الداخل، التقطت سماعة الهاتف، وطلبت الاتصال برقم ترافيلارز أرمز، وتم إيصالها به على الفور.

وتحدثت قائلة: "السيد وينديفورد موجود؟ هل ما زال موجوداً هنا؟ هل يمكنني التحدث إليه؟".
تسارعت نبضات قلبها بشدة، حيث فُتح الباب، ودلف زوجها إلى الصالة.

فتحدثت إليه بحدة قائلة: "أخرج يا جيرالد، أكره أن يستمع إليّ أي شخص وأنا أتحدث في الهاتف".
ضحك، ثم ألقى بنفسه على الكرسي.
ثم سألها في حيرة، قائلاً: "هل أنت متأكدة من أنك تتحدثين إلى الجزار؟".

شعرت أليكس باليأس، لقد فشلت خطتها؛ فسيصل ديك وينديفورد في دقيقة، فهل يجب عليها أن تخاطر وتصرخ طلباً المساعدة؟

وبعد ذلك، وبينما كانت تضغط في توتر على الزر الصغير الموجود في سماعة الهاتف التي كانت تحملها، وتسمح بسماع الطرف الآخر للكلام أو عدم سماعه إياه، خطرت ببالها خطة أخرى.

أجاثا كريستي

وتحدثت في قرارة نفسها قائلة: "سيكون الأمر صعباً، فهو يعني أن أحافظ على تركيزي، وأن أفكر في الكلمات المناسبة، وألا أرتبك ولو دقيقة واحدة، ولكنني أعتقد أن بإمكانني القيام بذلك، لا بد من أن أقوم بذلك".

وفي تلك اللحظة سمعت صوت ديك وينديفورد على الطرف الآخر من الهاتف.

أخذت أليكس نفساً عميقاً، ثم ضغطت على الزر في السماعه بقوة، وقالت: "السيدة مارتن تتحدث من منزل فيلوميل، من فضلك فلتحضر إلي هنا (ثم أطلقت الزر) غداً في الصباح ومعك ست شرائح من لحم العجل (ثم ضغطت على الزر مرة أخرى) من المهم للغاية أن تحضر (أطلقت الزر مرة أخرى) شكراً جزيلاً يا سيد هيكسورثي: أتمنى ألا تكون متضايقاً من أنني أتحدث إليك في هذا الوقت المتأخر، لكن شرائح اللحم هذه في الواقع مسألة (ضغطت الزر مرة أخرى) حياة أو موت (أطلقت الزر مرة أخرى). حسناً للغاية، غداً صباحاً (ضغطت على الزر) بأقصى سرعة ممكنة".

وضعت السماعه مكانها، ثم استدارت لتواجه زوجها وهي تتنفس بصعوبة.

قال جيرالد: "إذن، هكذا تتحدثين مع الجزار، أليس كذلك؟".

قالت أليكس برقة: "إنها اللمسة الأنثوية".

لقد كانت متوترة للغاية من فرط الانفعال، ولم يشك زوجها في أي شيء، أما ديك فإنه لو لم يفهم كذلك، فسيأتي.

توجهت نحو غرفة الجلوس، وأشعلت المصباح، وتبعها جيرالد، قائلاً لها وهو يراقبها ويرمقها بنظرات غريبة: "تبدين مليئة بالحيوية الآن؟".

قالت أليكس: "نعم، لقد ذهب عني الصداع".

جلست في المقعد الذي اعتادت الجلوس فيه، وابتسمت إلى زوجها الذي كان يغوص في مقعده المقابل لها، لقد نجت، فقد كان ذلك في تمام الساعة الثامنة وخمس وعشرين دقيقة، وسيحضر ديك إلى هنا قبل حلول الساعة التاسعة.

قال جيرالد متبرماً: "لم تعجبني تلك القهوة التي أعددتها لي، كانت مرة للغاية".

فقالت له: "إنها نوع جديد كنت أجربه، إن لم تعجبك، فلن أشتري ذلك النوع مرة أخرى".

تناولت أليكس قطعة من القماش الذي تقوم بتطريزه، وبدأت الخياطة، وقرأ جيرالد بضع صفحات من الكتاب الذي كان يمسك به، ثم ألقى نظرة خاطفة إلى الساعة، وألقى الكتاب بعيداً، وقال: "إنها الثامنة والنصف، لقد حان الوقت للنزول إلى القبو وبدء العمل".

انزلت قطعة القماش من بين أصابع أليكس، وقالت له: "أه! ليس بعد، دعنا ننتظر حتى الساعة التاسعة".

قال لها: "لا يا فتاتي، بل الثامنة والنصف، هذا الوقت الذي حددته، حتى تذهبي إلى سريرك مبكراً".

فقالت: "لكنني أفضل الانتظار حتى التاسعة".

قال لها: "ولكنك تعرفين أنني عندما أحدد وقتاً ما، فإنني ألتزم به دائماً، هيا بنا يا أليكس، فلن أنتظر دقيقة أخرى". نظرت أليكس إليه، وشعرت على الرغم منها بموجة من الرعب تسري في جسدها، فقد رفع القناع، وكانت يدا جيرالد ترتعشان، وكانت عيناه تلمعان في إثارة، وكان يمرر لسانه باستمرار على شفثيه الجافتين، ولم يعد يهتم بإخفاء حماسه وانفعاله.

كانت أليكس تفكر في قرارة نفسها، قائلة: "إنه حقيقي، إنه لا يستطيع الانتظار، إنه يتصرف مثل مجنون".

سار نحوها، وأوقفها على قدميها، ووضع يده على كتفها. وقال لها: "هيا يا فتاتي، والا حملتك إلى هناك".

كانت نبرة صوته تمتلئ بالمرح، ولكنها كانت تخفي وحشية أخافتها كثيراً، لكنها تمكنت بعد مجهود كبير من أن تحرر نفسها من بين يديه وتلتصق بالحائط وهي ترتعش، لقد كانت عاجزة، فلم تستطع الضرار، ولم تكن تستطيع فعل أي شيء، وكان هو يتقدم نحوها.

وقال لها: "هيا الآن يا أليكس". فقالت له: "لا، لا".

صرخت، ومدت يدها في عجز لتبعده عنها. وقالت له: "توقف يا جيرالد، لدي شيء لأخبرك به، لا بد من أن أعترف لك بشيء..."

فتوقف بالفعل.

وقال لها في فضول: "تريدين أن تعترفي لي بشيء؟".

فقالت له: "نعم، أعترف لك بشيء"، لقد استخدمت الكلمات بشكل عشوائي، واستمرت في ياس محاولة أن تستحوذ على انتباهه.

اعتلت وجهه تعبيرات تدل على الازدراء، قائلاً لها بنبرة ساخرة: "الأمر يتعلق بعشيق سابق، أليس كذلك؟".
قالت أليكس: "لا، شيء آخر، ستطلق عليه كما أعتقد جريمة".

وفي الحال رأت أنها قد لمست الوتر الصحيح، وجذبت انتباهه مرة أخرى، ولدى رؤيتها ذلك، شعرت بهدوء أعصابها مرة أخرى، فشعرت بأنها أمسكت بزمام الأمور مرة أخرى.
قالت له بهدوء: "من الأفضل أن تجلس مرة أخرى".

أما هي فقد توجهت نحو مقعدها القديم، وجلست عليه، حتى إنها انحنت، والتقطت قماش التطريز الذي كانت تمسك به من قبل، ولكنها كانت تخفي وراء هدونها هذا محاولات التفكير واختلاق قصة بكل حماس: حيث يجب أن تجذب تلك القصة التي تختلقها انتباهه بشدة إلى أن تصل إليها النجدة.

قالت بنبرة حزينة: "لقد أخبرتك من قبل بأنني كنت أعمل في أعمال الطباعة مدة خمسة عشر عاماً، لكن ذلك ليس صحيحاً تماماً، لقد كانت هناك فترتان من التوقف؛ الأولى حدثت عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري حين التقيت برجل مسن كانت لديه بعض الأملاك، وكان قد وقع في حبي، وطلب مني الزواج، ووافق، وتزوجنا"، وتوقفت، ثم أردفت قائلة: "وقد أقنعته بأن يؤمن على حياته لصالح".

أجاثا كريستي

رأت علامات الاهتمام الشديد واضحة على وجه زوجها، وواصلت حديثها، وقد تجدد لديها الشعور بالطمأنينة، وقالت: "خلال الحرب عملت فترة في أحد المستشفيات، حيث تعاملت مع جميع أنواع الأدوية والسموم النادرة".

وتوقفت، وهي تفكر ملياً، لقد كان مهتماً بشدة الآن، ولا يوجد أدنى شك في هذا، فدائماً ما يهتم القاتل بأية جريمة قتل، لقد اعتمدت على هذا الأمر، ونجحت في ذلك، فألقت نظرة خاطفة على ساعة الحائط التي كانت تشير إلى الثامنة وخمس وثلاثين دقيقة.

أضافت قائلة: "كان أحد هذه السموم عبارة عن مسحوق أبيض، وكان القليل منه يعني الموت، ربما تعرف بعض المعلومات عن السموم، أليس كذلك؟".

سألته هذا السؤال وهي تشعر ببعض الخوف، فإن كان يعرف شيئاً عن السموم، فلا بد من أن تكون حذرة في الحديث معه. أجابها جيرالد قائلاً: "لا، بل أعرف عنها القليل".

فتنفست الصعداء، وشعرت ببعض الارتياح. واسترسلت قائلة: "لا بد من أنك قد سمعت بالتأكيد بدواء الهيوسين، وهو دواء له تأثير السموم نفسه، ولكنه لا يترك أثراً، ويشخص الأطباء سبب الوفاة بأنه سكتة قلبية، لقد سرقت بعضاً من هذا الدواء، واحتفظت به معي".

توقفت عن الكلام لتستجمع قواها. لكن جيرالد حثها على الحديث، قائلاً: "استمري".

فقالت له: "لا، أنا خائفة، لا يمكنني أن أخبرك بالمزيد، ربما في وقت لاحق".

قال وقد نفذ صبره: "لا، أريد أن أسمع ما حدث".

فأضافت قائلة: "لقد تزوجنا مدة شهر، وكنت أعامل زوجي المسن معاملة حسنة، وكنت عطوفاً عليه، ومخلصة له، وكان يمتدحني دائماً أمام الجيران، وكان الجميع يعلم كم كنت زوجة مخلصة، وكنت دائماً ما أعد له القهوة كل مساء، وفي إحدى الأمسيات عندما كنا وحدنا، وضعت القليل من السم القاتل في فنجانته..."

توقفت أليكس عن الكلام برهة قصيرة، ثم وضعت الخيط في إبرتها مرة أخرى، فهي التي لم تمارس التمثيل قط في حياتها تفوقت في أدائها التمثيلي هذا على أعظم الممثلات في العالم في هذه اللحظة، فقد كانت تعيش بالفعل دور القاتلة التي سممت زوجها بدم بارد.

تابعت قائلة: "أنجزت الأمر بمنتهى الهدوء والاطمئنان، وجلست أشاهده، وبمجرد أن أخذ يلهث قليلاً ويطلب الحصول على بعض الهواء، فتحت له النافذة، ثم قال إنه لا يستطيع أن يتحرك من فوق كرسيه، ثم مات على الفور".

توقفت، ثم ابتسمت، كانت الساعة التاسعة إلا الربع، لا بد من أن النجدة ستصل قريباً.

قال جيرالد: "كم كان مبلغ التأمين؟".

قالت له: "نحو ألفي جنيه، ضاربت بها في البورصة وخسرتها، فعدت إلى عملي مرة أخرى، لكنني لم أكن أنوي قط

أجاثا كريستي

أن أستمر هناك طويلاً، فقابلت فيما بعد رجلاً آخر، ولم أكن أحمل حينها اسم زوجي السابق، فلم يعرف أنني كنت متزوجة من قبل، كان شاباً وسيماً وميسور الحال، وتزوجنا بهدوء في ساسكس، ولم يكن يريد التأمين على حياته، ولكنه وضع وصية كانت في صالحه، وكان يحب أن أعد له قهوته بنفسه بالضبط مثل زوجي السابق".

ابتسمت أليكس وهي تفكر ملياً، وأضافت قائلة ببساطة: "إنني أعد قهوة رائعة".

واسترسلت قائلة: "كان لديّ العديد من الأصدقاء في القرية التي كنا نعيش فيها، وكانوا يشعرون بالحزن الشديد عليّ، لوفاة زوجي بسبب سكتة قلبية في مساء ما بعد تناول العشاء، لم يُرَقني الطبيب قط، ولا أعتقد أنه اشتبه بي، لكنه كان مندهشاً للغاية بالتأكيد لموت زوجي المفاجئ، أنا لا أعرف لماذا عدت إلى المكتب مرة أخرى؟ أعتقد أنني كنت قد اعتدت ذلك، لقد ترك لي زوجي الثاني نحو أربعة آلاف جنيه، لم أضرب بها في البورصة هذه المرة، بل استثمرتها، ثم كما ترى..."

لكن جيرالد قاطعها، وكان وجهه شديد الاحمرار، ويكاد يختنق، ويشير إليها بسبابته المرتعشة، وقال لها: "القهوة... يا إلهي! القهوة!".

أخذت تحدق إليه.

ثم أضاف قائلاً: "لقد فهمت الآن، لماذا كان يبدو طعمها مرّاً، أيتها الشريرة! لقد ارتكبت جريمتك مرة أخرى".

وأمسك ذراعي مقعده بيديه، وبدا أنه مستعد للانقضاض عليها، وهو يقول لها: "لقد سممتني".

ابتعدت عنه أليكس متراجعة بخطواتها إلى الخلف نحو المدفأة، وكانت تشعر بالخوف الشديد، وهمت أن تنطق وتنكر ما ينسبه إليها، لكنها توقفت، إنه سينقض عليها في أية لحظة، فاستجمعت قواها، وأخذت تنظر في عينيه في ثبات وقوة.

ثم قالت له: "لقد سممتك، والسم الآن يجري في عروقتك، وعلى وشك أن يقتلك، وفي هذه اللحظة لا يمكنك أن تتحرك من مقعدك... لا يمكنك التحرك..."

وتمنت لو أنها فقط تستطيع أن تبقى في مكانه هناك حتى لو بضع دقائق...

آه! ما هذا؟ إنه وقع أقدام على الطريق؛ وصوت صرير البوابة، ثم وقع أقدام على الممر الخارجي، صوت الباب الأمامي يفتح.

قالت له مرة أخرى: "لا يمكنك أن تتحرك من مكانك". ثم أسرع إلى الخارج، وهي تهر من أمامه، وهربت من الغرفة دون تردد لتسقط مغشياً عليها بين ذراعي ديك وينديفورد.

فصرخ قائلاً: "يا إلهي! أليكس". ثم التفت إلى الرجل الذي أتى بصحبته، وكان طويلاً قوي البنية، يرتدي زي الشرطة، وقال له: "أذهب إلى الداخل لترى ماذا كان يحدث في هذه الغرفة".

أجاثا كريستي

وضع أليكس برفق على الأريكة، ثم انحنى فوقها، وهو يهمس، قائلاً: "فتاتي الصغيرة، فتاتي الصغيرة المسكينة، ما الذي حدث لك؟".

تحركت أجفانها، وأخذت شفاتها تهمهمان باسمه. عاد رجل الشرطة إلى ديك، وقال له: "لم يكن هناك أي شيء في الغرفة يا سيدي، سوى رجل كان يجلس على الكرسي، يبدو أنه كان مرعوباً للغاية من شيء ما، و...".

فسأله قائلاً: "وماذا؟".

فأجابه رجل الشرطة: "حسناً يا سيدي، لقد مات". لقد أذهلها سماع صوت أليكس تتحدث كأنها كانت تحلم، وكانت عيناها لا تزالان مغلقتين، حيث كانت تقول كأنها تقتبس مقولة ما: "أما الآن، فقد مات...".

المصباح

كان المنزل يبدو عتيقًا دون أدنى شك، وكان الميدان كله قديمًا، يتسم بشموخ الأماكن التاريخية التي توجد في المدن ذات الزخم الديني وفخامتها، ولكن المنزل رقم 19 كان يترك انطباعًا بأنه أكثر تلك المنازل قدمًا، فقد كان يثير في النفس الرهبة، كما كان أكثر البيوت كآبة وشموخًا، وكان شكله يثير القشعريرة في الجسد، ويثير الوجل كذلك، شأنه شأن البيوت المهجورة منذ فترة طويلة، وكان يتميز بكل هذه الصفات عن غيره من البيوت. ولو كان هذا المنزل في مدينة أخرى، ل قيل عنه إنه "مسكون بالأشباح"، ولكن منزل ويمنستر كان يطرد الأشباح، إلا في حالة شراء عائلة أرستقراطية إياه، أو سكنها فيه؛ لذا فإنه على الرغم من أنه لم يُقل عن المنزل رقم 19 قط إنه مسكون، فإنه ظل عامًا بعد عام "معروضًا للبيع أو الإيجار".

نظرت السيدة لانكاستر إلى المنزل باستحسان، بينما كانت تقود السيارة بصحبة السمسار الثرثار الذي كانت تبدو عليه ملامح الفرحة الغامرة، فقد كان على وشك بيع المنزل رقم 19 وشطبه من دفاتره، وأدار المفتاح في الباب دون أن يتوقف عن تعليقاته التي تمتلئ بالمدح والثناء.

أجائبا كريستي

أوقفت السيدة لانكاستر تدفق الكلمات التي كانت تنهال من بين شفثيه، وتساءلت بنبرة جافة قائلة: "منذ متى وهذا المنزل خاو هكذا؟".

ارتبك السيد راديش (من وكالة راديش أند فوبلو) قليلاً. وأجابها بأسلوب لطيف، قائلاً: "ممم، ممم، منذ فترة". قالت السيدة لانكاستر بنبرة جافة: "هذا ما تخيلته". كانت الصالة ذات الإضاءة الخافتة باردة للغاية، وكثيية، ولو أن امرأة واسعة الخيال سارت في أرجائها لارتعدت، ولكن هذه المرأة كانت عملية للغاية، وكانت طويلة القامة، ذات شعر بني داكن، تخالطه بعض الشعيرات الرمادية، وذات عيني زرقاوين فاترتين.

أخذت تتفحص المنزل من العلية حتى القبو، وتساءل بعض الأسئلة المتعلقة بالمنزل من وقت إلى آخر، وعندما انتهت من تفحص المنزل، عادت مرة أخرى إلى إحدى الغرف الأمامية التي تطل على الميدان، وواجهت السمسار بكل حزم، قائلة: "ما خطب هذا المنزل، إذن؟".

فاندهش السيد راديش من سؤالها، ثم أجابها بنبرة فاترة، قائلاً: "بالطبع، إن المنازل التي تخلو من الأثاث عادة ما تبدو كئيبة".

قالت السيدة لانكاستر: "هراء، إن الإيجار المطلوب قليل للغاية مقابل هذا المنزل؛ قليل للغاية، لا بد من وجود سبب وراء ذلك، أظن أن المنزل مسكون بالأشباح، أليس كذلك؟". فوجئ السيد راديش، ولكنه لم يقل أي شيء.

نظرت إليه السيدة لانكاستر نظرة حادة، وتوجهت إليه بالحديث بعد عدة دقائق، قائلة: "بالطبع هذا هراء محض، أنا لا أصدق بوجود الأشباح، أو أي شيء من هذا القبيل، وأنا شخصياً لا أمانع استئجار هذا المنزل، لكن الخدم، لسوء الحظ، ساذجون، ويصدقون مثل هذه الأشياء، ويرتعدون خوفاً منها، وانه للطف منك أن تخبرني بالضبط بالشيء الذي يتردد عن هذا المنزل".

تلعثم السمسار مرة أخرى، قائلاً: "أنا... إمام، في الواقع لا أعلم".

قالت له السيدة بنبرة هادئة: "أنا متأكدة من أنك تعرف، ولا يمكنني أن أستأجر المنزل دون أن أعرف ما الذي يُثار حوله؟ هل يقال إنه قد وقعت فيه جريمة قتل؟".

صرخ السيد راديش مصدوماً من وجود أية فكرة غريبة وبعيدة كل البعد عن قدر هذا الميدان ومهابته، وقال لها: "أوه! لا، إنه طفل، مجرد طفل".

فسألته، قائلة: "طفل؟".
قال: "نعم".

أضاف على مضض، قائلاً: "أنا لا أعرف القصة بالضبط، فهناك العديد من الروايات عن هذا الأمر، ولكنني أعتقد أنه منذ نحو ثلاثين عاماً، جاء رجل يدعى ويليامز واستأجر المنزل رقم 19، ولم يكن أي أحد يعرف عنه أي شيء، لم يكن لديه خدم أو أصدقاء، ونادراً ما كان يخرج من البيت في أثناء النهار، وكان لديه طفل صغير، وبعد أن أقام في هذا المنزل

شهرين، غادر إلى لندن، وما إن وطئ بقدميه أرض العاصمة؛ حتى تم التعرف عليه باعتباره رجلاً "مطلوباً القبض عليه" وتسليمه إلى العدالة لارتكابه بعض الجرائم، ولا أعرف ما هذه الجرائم، ولكن يبدو أنها كانت خطيرة للغاية، فقبل أن يستسلم للشرطة أطلق النار على نفسه، وفي ذلك الحين كان الطفل يعيش في المنزل بمفرده، ولم يكن لديه من الطعام إلا ما يكفيه أياماً قليلة، وكان ينتظر يوماً بعد يوم عودة والده، ومن المؤسف أن والده قد أمره بكل حزم ألا يخرج من المنزل، وألا يتحدث مع أي شخص تحت أي ظرف من الظروف، وكان طفلاً صغيراً ضعيفاً ومريضاً، ولم يكن يجرؤ على مخالفة أوامر أبيه، وغالباً ما كان الجيران يسمعون في الليل صوت الطفل وهو ينتحب في ذلك المنزل الخالي الموحش الذي يشعر فيه بالوحدة الشديدة، ولم يكونوا على علم بأن والده غير موجود معه.

توقف السيد راديش عن الكلام، ثم أضاف قائلاً: "و... إمممم، مات الطفل من شدة الجوع"، وقال السمسار هذه الكلمات كأنه يعلن بدء هطول الأمطار.

فسأله السيدة لانكاستر، قائلة: "ومن المفترض أن شبح الطفل هو الذي يسكن هذا البيت، أليس كذلك؟".

تردد السيد راديش، وحاول أن يطمئنها، قائلاً لها: "لا يوجد شيء من هذا القبيل على الإطلاق، لم ير أي شيء، لم ير أي شيء على الإطلاق، هي مجرد شائعات، أمر سخيف بالطبع، لكنهم يقولون إنهم يسمعون بكاء الطفل".

تقدمت السيدة لانكاستر تجاه الباب الأمامي، وقالت: "إنني أحب هذا المنزل كثيرًا، ولئن أحصل على إيجار جيد كهذا، سأفكر في الأمر، وأبلغك قراري".

قالت السيدة لانكاستر: "إن هذا المكان يبدو مبهجًا للغاية، أليس كذلك يا أبي؟".

كانت السيدة لانكاستر تتفحص منزلها الجديد باستحسان كبير، فقد فرش المنزل بالسجاد الزاهي، والأثاث الأنيق، والعديد من التحف الثمينة؛ ما غير تمامًا من المظهر الكئيب للمنزل رقم 19.

كانت تتحدث إلى رجل عجوز، نحيف، متهدل الكتفين، ذي وجه واهن، تبدو عليه علامات الغموض. لم يكن السيد وينبورن يشبه ابنته؛ فليس هناك تباين يمكن تصوره بشكل أكبر من كونها شخصية واقعية بشكل مطلق، وهو شخص خيالي حالم. أجابها وهو يبتسم: "نعم، لم يكن أحد ليحلم بأن يعيش في بيت مسكون بالأشباح".

قالت له: "أبي لا تتحدث بهذا الكلام العبثي في اليوم الأول لنا في هذا المنزل!".

ابتسم السيد وينبورن، قائلاً لها: "حسنًا يا عزيزتي، دعينا نتفق على أنه لا يوجد شيء يُسمى أشباحًا على الإطلاق".

أضافت السيدة لانكاستر، قائلة: "وأرجوك لا تقل كلمة واحدة من هذا الكلام أمام جيف، فخياله واسع للغاية".

أجاثا كريستي

وكان جيف هو الابن الصغير للسيدة لانكاستر، وكانت العائلة تتكون من السيد وينبورن، وابنته الأرملة، والصغير جيفري. بدأت قطرات المطر تتساقط على النافذة محدثة طقطة. فقال لها السيد وينبورن متسائلاً: "استمعي، أليس هذا الصوت يشبه وقع أقدام طفل صغير؟".

فقالت السيدة لانكاستر وهي تبتسم: "بل هو صوت المطر". فقال والدها وهو ينحني إلى الأمام ليرهف السمع: "ولكن هذا، هذا وقع أقدام".

ضحكت السيدة لانكاستر على الفور، وقالت: "هذا جيف ينزل من فوق الدرج".

واضطر السيد وينبورن إلى أن يضحك أيضاً، كانا يتناولان الشاي في الصالة، حيث كان يجلس وهو يدير ظهره إلى الدرج، فأدار كرسيه الآن ليكون في مواجهته.

كان جيفري الصغير يهبط الدرج ببطء وبهدوء، برهبة طفل يتحرك في مكان غريب عنه، وكانت درجات السلم مصنوعة من خشب البلوط المصقول، ولم يكن مغطى بالسجاد، فجاء ووقف إلى جوار أمه، ففزع السيد وينبورن، إذ بينما كان الصبي يسير في الصالة، سمع بوضوح وقع خطوات طفل يهبط الدرج كأنه يتبع جيفري، وكأنه يجر قدميه اللتين تؤلمانه بشدة، فهز السيد وينبورن كتفيه في غير تصديق، وفكر في قرارة نفسه، قائلاً: "المطر، لا شك في أنه المطر".

قال جيف دون اكتراث بما يحدث كأنه يشير إلى حقيقة مثيرة للاهتمام: "أود تناول قطعة من هذا الكعك".

فأسرعت والدته إلى تلبية طلبه، وسألته قائلة: "حسناً يا بني، هل أحببت البيت الجديد؟".

أجابها جيفري وفمه ممتلئ بالطعام، قائلاً: "أعجبني كثيراً"، ثم أضاف قائلاً: "أعجبني كثيراً كثيراً كثيراً"، وبعد ذلك التأكيد الذي كان يعبر عن رضاه التام عن هذا المنزل، عاد إلى صمته مرة أخرى، فلم يكن حريصاً إلا على تناول الكعك كله في أقل وقت ممكن.

وبعد أن مضغ الطعام الذي كان يملأ فمه، واصل حديثه مرة أخرى، قائلاً: "أه! يا أمي، هناك الكثير من الغرف في الطابق الأخير، لقد قالت لي جين ذلك، وقالت إن بإمكانني أن أستكشفها جميعاً، أليس كذلك؟ فقد يكون هناك باب سري، تقول جين إنه لا يوجد هناك أي باب سري، لكنني أعتقد أنني سأجد واحداً بالتأكيد، وعلى أية حال، أعرف أنه ستكون هناك مواسير أيضاً، مواسير مياه (كانت النشوة مرسومة على وجهه)، هل يمكنني أن ألعب بها، أوه! وهل يمكنني أن أذهب وأرى الغلاية؟". قال تلك الكلمة الأخيرة بابتهاج شديد، حتى إن جده شعر بالخجل من أن فرحته الطفولية الكبيرة لم تستدع إلى خياله سوى صورة المياه الساخنة التي لم تكن ساخنة، والعديد من فواتير السباكة الباهظة.

قالت السيدة لانكاستر: "سننظر أمر غرف الطابق الأخير غداً يا عزيزي، أحضر مكعباتك، وابن منزلاً جميلاً أو أية آلة". قال الطفل: "لا أريد أن أبني" بنزل". فقالت له: "اسمه منزل".

أجاثا كريستي

ثم أضافت: "فلتبين منزلاً، أو آلة".

صَحَّحَ له جده: "فلتبين غلاية".

تهللت أسارير جيفري.

وقال له: "مع المواسير؟".

فقال له: "نعم، بالعديد من المواسير".

ركض جيفري مسرعاً ليحضر المكعبات.

كانت الأمطار لا تزال تهطل، وكان السيد وينبورن ينصت إلى صوتها، ويحدّث نفسه بأنه لا بد من أن هذا هو صوت المطر الذي سمعه، ولكنه كان يشبه صوت وقع الأقدام.

لقد حلم حلمًا غريبًا هذه الليلة.

كان يحلم بأنه يسير في مدينة ضخمة، ولكنها كانت مدينة أطفال، فلم يكن هناك أشخاص بالغون يعيشون في هذه المدينة، فسكانها هم الأطفال فقط، حشود من الأطفال. ورأى في حلمه هؤلاء الأطفال يندفعون ناحية شخص غريب، ويصيحون قائلين: "هل أحضرته معك؟" يبدو أنه فهم ما كانوا يقصدونه، وهز رأسه في حزن، وعندما رأى الأطفال هذا، انصرفوا، وبدأوا يبيكون وينتحبون بمرارة.

تلاشت صورة المدينة وما بها من أطفال، واستيقظ الجد ليجد نفسه في السرير، ولكن صوت النحيب كان لا يزال يرن في أذنيه، وعلى الرغم من أنه كان قد استيقظ تمامًا، فإنه كان يسمع الصوت بكل وضوح، وتذكر أن جيفري كان ينام في الطابق الأسفل، في حين أن الصوت الذي كان يسمعه كان صادرًا من

الطابق الأعلى، فجلس الجد، وأشعل عود ثقاب، وفي الحال انقطع البكاء.

لم يخبر السيد وينبورن ابنته بالحلم وما أعقبه، وكان مقتنعاً بأنه لم يكن خدعة من صنع خياله، وبالفعل بعد ذلك سمع ذلك الصوت مرة أخرى في النهار، فكانت الريح تعوي خلال مدخنة المدفأة، ولكن كان هذا الصوت منفصلاً وواضحاً لا لبس فيه؛ منفصلاً عن صوت نحيب الطفل الذي يفطر القلب.

اكتشف كذلك أنه ليس وحده هو الذي سمع هذا الصوت، فقد سمع خادمة ذات مرة وهي تقول لخادمة أخرى إنها تعتقد أن مربية جيفري قاسية للغاية، فقد سمعته يبكي بكاءً مريراً هذا الصباح، ولكن جيفري نزل لتناول طعام الفطور والغداء وهو في أتم الصحة والسعادة، وكان السيد وينبورن يعلم أن جيف لم يكن هو الذي يبكي، بل هو ذلك الطفل الذي كان يجرد قدميه جراً، وقد فزع الجد لسماع خطواته أكثر من مرة.

كانت السيدة لانكاستر هي الوحيدة التي لا تسمع شيئاً، فربما كانت أذناها غير مؤهلتين لسماع أصوات من العالم الآخر.

لكنها شعرت بصدمة كبيرة ذات يوم، عندما قال جيف لها بنبرة حزينة: "أمي، أود أن تسمح لي باللعب مع هذا الولد الصغير".

ف نظرت السيدة لانكاستر إليه من مكتبها الخاص، وسألته وهي تبتسم، قائلة: "أي ولد صغير يا عزيزي؟".

فقال لها: "أنا لا أعرف اسمه، ولكنه كان يجلس في العلية على الأرض، باكياً، ولكنه هرب عندما رأيته، أعتقد أنه كان يشعر بالخجل (كان يقول ذلك بنبرة تدل على شعوره بالقليل من الازدراء)، لم يكن مثل الأطفال الكبار، ثم عندما كنت في غرفتي ألعب، لاحظته يقف عند الباب يراقبني وأنا أكوّن الأشكال باستخدام المكعبات، وبدأ وحيداً للغاية، كأنه يريد أن يلعب معي، فقلت له: "تعال وابن آلة من المكعبات معي"، ولكنه لم يقل شيئاً، بدا كأنه رأى الكثير من الشيكولاتة ويريد تناولها، ولكن أمه أخبرته بالألمسها"، ثم تنهد جيف وهو يسترجع تلك الذكريات الشخصية الحزينة بشكل واضح، ثم استرسل، قائلاً: "ولكنني عندما سألت جين عن ذلك الصبي، ومن يكون، وأخبرتها بأنني أريد أن ألعب معه، قالت لي إنه لا يوجد طفل صغير في المنزل، ونهتني عن التحدث بتلك القصص السخيفة، أنا لا أحب جين على الإطلاق".

نهضت السيدة لانكاستر من مكانها، قائلة له: "جين محقة، لا يوجد طفل صغير في هذا المنزل".

فقال لها: "لكنني رأيته. أوه! دعيني ألعب معه يا أمي، إنه يبدو وحيداً وحزيناً للغاية، أريد بالفعل أن أفعل أي شيء لأسعده".

كانت السيدة لانكاستر على وشك أن تتابع حديثها، ولكن والدها هز رأسه، وقال بلطف شديد: "جيف، إن هذا الطفل المسكين وحيد للغاية، وربما يمكنك أن تفعل شيئاً ما يسعده،

ولكن يجب عليك أن تعرف هذا الشيء بنفسك، تمامًا مثل اللغز، هل تفهم؟".

فقال لجدته: "هل هذا لأنني أصبحت كبيرًا؛ لذا يجب علي أن أفعل هذا الأمر بمفردي".

وبعد أن غادر الولد الغرفة، استدارت لانكاستر إلى والدها بنفاد صبر، وقالت له: "هذا سخيف يا أبي، أن تشجع الطفل على تصديق القصص السخيفة للخدمات!".

قال الرجل العجوز بلطف: "لم تخبره بذلك أية خادمة، بل رأى ما سمعته، وربما لو كنت في مثل سنه لتمكنت من رؤيته أيضًا".

قالت له: "ولكن هذا هراء محض! فلماذا لم أر أنا ولم أسمع أي شيء؟".

ابتسم السيد وينبورن ابتسامة تنم عن التعب والغرابة، ولم يرد.

فكررت السيدة لانكاستر ما قالت له لوالدها، قائلة: "لماذا؟ لماذا أخبرته بأن بإمكانه أن يساعد هذا الشيء؟ إنه... إنه أمر مستحيل".

نظر إليها الرجل العجوز نظرة متأملة، قائلاً: "ولم لا؟ هل تتذكرين هذه الكلمات: سُئل حكيم: أي مصباح يملكه العالم ويسترشد به الأطفال الصغار في الظلام؟

فأجاب: "إنها قدرة لديهم أشبه ما تكون بالفهم الأعمى".
 "إن جيفري لديه هذا الفهم الأعمى، وكل الأطفال لديهم هذه القدرة، ونحن نفقدها عندما نكبر، ولكن عندما نصل إلى

أجاثا كريستي

مرحلة الشيخوخة يعود إلينا جزء من تلك القدرة مرة أخرى، لكن المصباح لا يضيء بكامل قوته إلا في مرحلة الطفولة؛ لذا أعتقد أن جيفري قادر على تقديم المساعدة".

هممت السيدة لانكاستر بنبرة ضعيفة: "أنا لا أفهم".

فقال لها والدها: "وأنا كذلك، هذا الطفل في مأزق، ويريد أن يتخلص منه، ولكن كيف؟ لا أعرف، غير أنه من المروع التفكير في أمر ذلك الطفل الذي ينفطر قلبه من شدة البكاء".

بعد شهر من هذه المحادثة، أصيب جيفري بمرض شديد، وكانت الريح الشرقية شديدة، ولم يكن طفلاً قوي البنية، فهز الطبيب رأسه، قائلاً في أسف إن حالته خطيرة للغاية، وكشف للسيد وينبورن عن المزيد من المعلومات عن الأمر، واعترف له بأن حالة الطفل ميئوس منها، وأضاف قائلاً: "لم يكن مقدراً لهذا الطفل أن يعيش حتى يكبر تحت أي ظرف من الظروف، فإنه يعاني مشكلات خطيرة في الرئة منذ فترة طويلة".

وبينما كانت السيدة لانكاستر تقوم على ترميض ابنها، لاحظت وجود هذا الطفل الآخر، وفي البداية كان لا يمكن التمييز بين نحيب الطفل وصوت الرياح، ولكن تدريجياً أصبح من الممكن التمييز بينهما بكل وضوح ودون لبس، وفي النهاية سمعت صوت النحيب في لحظة من الهدوء الشديد، نحيب طفل عاجز ينفطر قلبه من شدة الحزن.

ازدادت حالة جيف سوءاً يوماً بعد يوم، وكان يتحدث في نوبات هذيانه عن "الصبي الصغير" مراراً وتكراراً، ويصرخ قائلاً: "أريد مساعدته على الخلاص، سأساعده".

وكانت تعقب نوبات الهذيان هذه حالة من السكون، حيث كان جيف يرقد في سبات عميق، ويتنفس بصعوبة، ويفرق في غياهب النسيان، ولم يكن هناك شيء يمكن القيام به سوى الانتظار والمشاهدة، ثم جاءت ليلة هادئة، صافية وساكنة، ولم تهب فيها نسمة واحدة.

تحرك جيف فجأة، وفتح عينيه، وتجاوزت نظراته والدته في اتجاه الباب المفتوح، وحاول التحدث، فانحنت الأم عليه لتحاول فهم ما يقوله من كلمات.

كان يهمس قائلاً: "حسناً، أنا قادم، ثم عاد إلى السبات العميق مرة أخرى".

شعرت الأم بالرعب فجأة، وعبرت الغرفة باتجاه والدها، وكان الطفل الآخر يضحك في مكان ما بالقرب منهما، ودوى في الغرفة صدى ضحكته التي تنم عن السعادة والرضا والانتصار. صاحت قائلة: "أنا خائفة، أنا خائفة".

ضمها والدها بين ذراعيه لحمايتها، ثم هبت نسمة من الهواء فجأة؛ الأمر الذي أفزعهما، ولكنها مرت بهدوء، وعادت الأجواء كما كانت من قبل.

توقف الضحك، ثم تسلل إلى سمعهما صوت خافت، حتى إنه كان من الصعب سماعه، ولكنه أخذ في الازدياد حتى تمكنا من تمييزه، وكان صوت خطى؛ خطى خفيفة تغادر سريعاً.

أجاثا كريستي

سمعا صوت وقع هذه الخطى، وكان صوت وقع الأقدام الصغيرة المألوفة لهما، نعم، ولكن بالتأكيد، كان هناك هذه المرة وقع أقدام أخرى تتحرك بسرعة وخفة.

اتجهت السيدة لانكاستر ووالدها في وقت واحد ناحية الباب.

كان وقع الأقدام يهبط الدرج، وعبر الباب وأغلقه، ثم تلاشى وقع أقدام الطفلين معاً.

نظرت السيدة لانكاستر إلى أبيها، قائلة له في حدة: "إنه وقع أقدام طفلين، طفلين!".

واستدارت، وقد شحب وجهها من فرط الرعب، تجاه سرير طفلها الموجود في الزاوية، لكن والدها منعها بلطف، وأشار بيده بعيداً، وقال لها ببساطة: "هناك".

وأخذ صوت وقع الأقدام هذا يخضت شيئاً فشيئاً، حتى تلاشى...

ثم خيم الصمت.

الحلم

ألقى هيركيول بوارو نظرة ثاقبة ومتفحصة على المنزل، ثم تجولت عيناه لحظة خلال الأبنية المحيطة به، والمحلات، والمصنع الكبير المقام إلى يمينه، ومجموعة المنازل الرخيصة المقابلة له.

لكنه عاد لينظر مرة أخرى إلى نورثواي هاوس، وهو بيت أثري قديم، ينتمي إلى أحد العصور السابقة، حيث كانت المنازل تتميز بالمساحة الشاسعة، ووسائل الراحة والرفاهية، وكانت الحقول الخضراء تحيط بهذا المنزل الشامخ العتيق، أما الآن فهو يبدو كأنه ينتمي إلى زمان غير زمانه، فقد أصبح مغموراً ومنسياً وسط هذا الكم الضخم من البنايات الحديثة في لندن، لذا لن تجد رجلاً من بين كل خمسين رجلاً يمكنه أن يخبرك بمكانه.

لن تجد سوى عدد قليل للغاية من الأشخاص ممن بإمكانهم أن يخبروك بمن يكون مالك هذا المنزل، على الرغم من أن اسم صاحبه كان يعد واحداً من بين أثرياء العالم، لكن المال بإمكانه إخماد شهرة صاحبه، كما أن بإمكانه جعلها تتوهج، لقد فضل بينديكت فارلي، ذلك المليونير غريب الأطوار، ألا يعلن عن محل إقامته، وكان نادراً ما يُرى أو يظهر علناً، وكان يظهر من وقت إلى آخر في اجتماعات مجلس إدارات شركاته، كما كان هزيل

الجسم، ذا أنف معقوف وصوت أجش، وكان يفرض سيطرته على مجموعة المديرين المجتمعين. وبصرف النظر عن ذلك، قد كان شخصية مشهورة، يتداول الناس الكثير من الروايات عنه، فكان أحياناً ما يُوصف بالبخل الشديد، وأحياناً بالكرم الشديد، بالإضافة إلى العديد من التفاصيل الشخصية، مثل رداء النوم الخاص به، المرقع بالعديد من الألوان الزاهية، الذي يبلغ الآن من العمر نحو ثمانية وعشرين عاماً، وكذلك نظامه الغذائي الثابت المكون من حساء الملفوف والكافيار، وكذلك كراهيته القاطط، فكل تلك الأمور كان يعرفها العامة عنه.

لقد كان هيركيول بوارو يعرف هذه الأمور أيضاً، فقد كانت هي المعلومات التي يعرفها عن ذلك الرجل الذي كان على وشك أن يذهب لزيارته، لكن الخطاب الذي كان موجوداً في جيبه أخبره بالقليل من المعلومات الإضافية.

بعد أن تفحص هيركيول بوارو هذا المَعْلَم الكئيب من العصر الماضي دقيقة أو دقيقتين في صمت، صعد الدرج إلى الباب الأمامي، وضغط الجرس، وأخذ ينظر إلى ساعة يده الأنيقة التي حلت أخيراً محل ساعته القديمة المفضلة لديه؛ ساعة الجيب الدائرية الضخمة التي كانت مشهورة في الماضي، نعم لقد كانت الساعة التاسعة والنصف بالضبط، لقد أتى في الميعاد بالضبط كعادته.

فُتح الباب في الوقت المناسب، ورأى أمامه نموذجاً مثالياً لكبير الخدم واقفاً عند الباب، يخفي الصالة المضيئة من خلفه. سأله هيركيول بوارو: "هل السيد بينديكت فارلي موجود؟".

نظر إليه كبير الخدم نظرة متفحصة من رأسه حتى قدميه على نحو هادئ وعملي.

فقال بوارو في قرارة نفسه، بتقدير كبير، إن هذا الرجل هو مثال لكبير الخدم بالضبط.

سأله بصوت مهذب، قائلاً: "هل لديك موعد معه يا سيدي؟"

فأجابه: "نعم".

فسأله: "ما اسمك يا سيدي؟"

فقال له: "السيد هيركيول بوارو".

انحنى كبير الخدم، وتراجع إلى الخلف، فدخل هيركيول بوارو المنزل، وأغلق كبير الخدم الباب خلفه.

ولكن كان يبدو أن هناك إجراء رسمياً آخر قبل أن تمتد يد كبير الخدم الرشيق وتتناول القبعة والعصا من الزائر.

فقال له: "معذرة يا سيدي، لقد رجاني أن أطلب منك أن تعطيني خطاباً"، فأخرج بوارو بشكل متأن من جيبه خطاباً مطويًا، وأعطى إياه كبير الخدم، فنظر إليه سريعًا، ثم انحنى له مرة أخرى، وأعاد هيركيول بوارو إلى جيبه، فقد كان محتوى الخطاب بسيطاً

نورثواي هاوس

السيد هيركيول بوارو

سيدي العزيز،

يرغب السيد بينديكت فارلي في الحصول على مشورتك، فإذا كان هذا الأمر مناسباً لك، فسيكون من دواعي سروره أن تزوره

أجاثا كريستي

في منزله المذكور آنفاً في الساعة التاسعة والنصف من مساء غد (الثلاثاء).

مع خالص تحياتي وتقديري

هوجو كورنورثي

(السكرتير)

ملحوظة: من فضلك، أحضر هذا الخطاب معك.

تناول كبير الخدم قبعة بوارو وعصاه بخفة، وقال له: "من فضلك يا سيدي، هلاً صعدت معي إلى غرفة السيد كورنورثي".

ثم قاده إلى أعلى الدرج العريض، وتبعه بوارو وهو ينظر بتقدير إلى تلك الأعمال الفنية الراقية والمزخرفة! لقد كان حسه الفني وأسلوبه في تذوق الفن برجوازيًا للغاية.

وعند وصولهما إلى الطابق الأول، طرق كبير الخدم الباب. ارتفع حاجبا بوارو قليلاً، فقد كانت هذه الملحوظة الغربية الأولى وغير المتوقعة بالنسبة إلى بوارو، فالخادم الجيد لا يقرع الأبواب، ولكن يبدو دون شك أن هذا خادم من الدرجة الأولى!

كان ذلك، وإن جاز التعبير، أول إنذار لـ بوارو في التعامل مع المليونير غريب الأطوار.

جاء صوت من الداخل يقول شيئاً ما، ففتح كبير الخدم الباب، وأعلن وصول بوارو (ومرة أخرى استشعر بوارو الانحراف المتعمد عن التقاليد المعروفة)، وقال: "لقد وصل السيد الذي تنتظره يا سيدي".

دخل بوارو غرفة واسعة مفروشة بأثاث بسيط ورائع، كانت فيها خزائن للملفات، والكثير من المراجع، وكرسیان مريحان، ومكتب كبير مغطى بالأوراق المرتبة بعناية. كانت زوايا الغرف خافتة الإضاءة، حيث كان الضوء الوحيد ينبعث من مصباح ضخم ذي مظلة خضراء مخصص للقراءة، وقد كان موضوعاً على طاولة صغيرة بالقرب من أحد الكرسيين المريحين. لقد وُضع بطريقة معينة بحيث يسلط الضوء كله على أي شخص يقترب من الباب، رمش بوارو بعينه قليلاً، وأدرك أن قوة المصباح تبلغ 150 وات على الأقل، وكان يجلس على الكرسي رجل نحيف، في زي نوم مرقع بالعديد من الألوان، إنه بينيدكت فارلي، وكان رأسه مائلاً إلى الأمام؛ وهو أسلوب كان يتميز به، بينما كان أنفه المعقوف يبدو كأنه منقار طائر، وكانت هناك خصلة من الشعر الأبيض فوق جبينه تشبه عرف الببغاء، وكانت عيناه تتألقان خلف العدستين السميكتين، وهو يطيل النظر إلى زائره بريية.

قال أخيراً بصوت أجش غليظ: "أهلاً، إذن أنت هيركيول بوارو، أليس كذلك؟"

فقال بوارو بأدب: "في خدمتك يا سيدي"، ثم انحنى، وهو يضع إحدى يديه على ظهر الكرسي.

قال الرجل العجوز بنبرة مضطربة: "اجلس... اجلس".

جلس هيركيول بوارو في ظل الوهج الكامل للمصباح.

كان يبدو أن الرجل العجوز يتفحصه بدقة من خلف المصباح، ثم سأله باهتياج، قائلاً: "كيف يمكنني أن أعرف أنك هيركيول بوارو؟ أخبرني؟".

أخرج بوارو الخطاب من جيبه مرة أخرى، وسلمه إلى فارلي. فقال المليونير على مضض: "حسنًا، هذا الخطاب الذي جعلت كورنورثي يكتبه"، ثم طوى الخطاب وأعادته إلى بوارو، وقال له: "إذن، فأنت الشخص المطلوب، أليس كذلك؟".

فقال بوارو وهو يلوح بيديه قليلاً: "بلى، فأنا لا أخدعك". ضحك بينيديكت فارلي فجأة، وقال: "هذا ما يقوله لاعب الخفة قبل أن يخرج السمكة الذهبية من القبعة! وهذا القول هو جزء من الحيلة كما تعلم!".

لم يجب بوارو، فقال فارلي فجأة: "أنت تعتقد أنني رجل عجوز شكاك، أليس كذلك؟ نعم أنا كذلك بالفعل، لا تثق بأي شخص! هذا هو شعاري، فلا يمكنك أن تثق بأي شخص وأنت غني، لا، ينبغي ألا تفعل أبداً".

ذكره بوارو بلطف قائلاً: "كنت ترغب في أن تستشيرني في أمر ما، أليس كذلك؟".

أوما الرجل العجوز برأسه، قائلاً: "هذا صحيح. اشتر الأفضل دائماً - هذا هو شعاري أيضاً، اذهب إلى الخبير ولا تشغل بالك بتكلفة استشارته أبداً، ولعلك تلاحظ يا سيد بوارو أنني لم أسألك عن أتعابك. ولن أسألك! فلترسل إليّ الفاتورة فيما بعد، ولن أقتطع أي شيء منها. إن هؤلاء الحمقى الملاعين الذين يعملون في متجر الألبان كانوا يظنون أن بإمكانهم

خداعي؛ حيث كانوا يريدون أن يبيعوا لي البيض بجنيهين وتسعة قروش، في حين أنه يُباع في السوق بجنيهين وسبعة قروش، هناك الكثير من المحتالين! لا أحب أن أتعرض للغش والخداع. أما الرجل ذو الشأن الرفيع فهو مختلف، فهو يستحق ما يتقاضاه من أموال، فأنا رجل رفيع الشأن وأعرف ذلك".

لم يتحدث هيركيول بوارو، وكان يستمع بإنصات، وكان رأسه يميل إلى جانبه قليلاً.

ولكن خلف هذا المظهر الخارجي الهادئ، كان بوارو يشعر بخيبة أمل لم يكن قادراً على تحديد مصدرها بالضبط، فحتى الآن كان بينيدكت فارلي يتصرف بما يتوافق مع طبيعته، وبما يتوافق مع الفكرة الشائعة عنه، ولكن بوارو كان يشعر بخيبة الأمل.

قال في نفسه باشمئزاز: "إن هذا الرجل مشعوذ، ما هو إلا مشعوذاً".

لقد كان يعرف الكثير من المليونيرات، وكانوا غربيي الأطوار كذلك، ولكنه في كل حالة كان يدرك قوة معينة؛ طاقة داخلية كانت تحظى باحترامه، ولو أن أحدهم ارتدى ثوب نوم مرقعاً بالعديد من الألوان، لكان ذلك يرجع إلى أنه يحب ارتداء مثل هذا الزي، أما زي النوم الذي يرتديه بينيدكت فارلي فقد بدا لبوارو أنه من ثياب المسرح، وكان يبدو له أن فارلي نفسه ينتمي إلى المسرح كذلك، فقد كانت كل كلمة يتفوه بها من أجل إحداث تأثير معين في نفس بوارو حتى يطمئن إليه.

فكر مرة أخرى ما قاله بنبرة تخلو من المشاعر: "كنت تريد الحصول على مشورتى يا سيد فارلى، أليس كذلك؟".

تغير أسلوب المليونير فجأة.

انحنى إلى الأمام، وانخفض صوته إلى حد الهمس، وقال: "نعم. نعم... فأنا أريد أن أسمع رأيك في أمر ما... فاستشارة أهل القمة دائماً هي طريقتى! لذا أستشير أفضل طبيب، وأفضل محقق، فالأمر محصور بين هذين الأمرين".

فقال له بوارو: "ولكننى لا أفهم يا سيدي".

قال فارلى بنبرة حادة: "بالطبع، أنا لم أبدأ بإخبارك بأى شيء بعد".

انحنى إلى الأمام مرة أخرى، ثم بادره بسؤال مفاجئ، قائلاً: "ما الذى تعرفه يا سيد بوارو عن الأحلام؟".

رفع بوارو حاجبيه، فلم يكن يتوقع ذلك على الإطلاق.

وأجابه قائلاً: "فيما يتعلق بهذا الأمر يا سيد فارلى، فإننى أنصحك باقتناء كتاب الأحلام لـ نابليون، أو استشارة أحدث الأطباء النفسيين في شارع هارلى ستريت".

قال السيد بينيدكت فارلى بنبرة تنم عن الوعي: "لقد جربت كلا الأمرين..."

ساد الصمت لحظة، ثم تحدث المليونير همساً في البداية، ثم أخذ صوته يعلو شيئاً فشيئاً، وهو يقول: "إنه الحلم نفسه يتكرر ليلة بعد أخرى، وأنا خائف، خائف جداً... إنه الحلم نفسه دائماً، حيث أرانى أجلس في غرفتى المجاورة لهذه الغرفة إلى مكتبى، وأكتب بعض الأشياء، وأنظر إلى ساعة مثبتة على

الحائط، وأراها في كل مرة تدق الثالثة وثمانية وعشرين دقيقة، أرى الوقت ذاته دائماً، هل تفهم هذا الأمر؟".

وأضاف قائلاً: "وعندما أرى الساعة يا سيد بوارو، أعرف أنه يجب عليّ أن أفعل ذلك، أنا لا أريد أن أفعل، بل أكره فعل ذلك، ولكن يجب عليّ أن أفعل..."

ارتفع صوته بشكل حاد.

فسأله بوارو في هدوء، قائلاً: "وما الشيء الذي يجب عليك فعله؟".

أجابه السيد بينيدكت فارلي بصوت أجش، قائلاً: "في الثالثة وثمان وعشرين دقيقة أفتح الدرج الثاني الذي يقع على يمين مكتبي، وأخرج المسدس الذي أحتفظ به هناك، وأضع فيه الرصاص، ثم أتجه نحو النافذة، ثم، ثم..."

فسأله بوارو: "ثم ماذا؟".

قال بينيدكت فارلي هامساً: "ثم أطلق النار على نفسي...".

فساد الصمت لحظة.

ثم قال بوارو: "إذن، هذا هو حلمك، أليس كذلك؟".

فقال: "نعم".

فسأله بوارو: "هل تراه في منامك كل يوم؟".

فأجاب قائلاً: "نعم".

فسأله بوارو: "وماذا تفعل بعد أن تطلق النار على نفسك؟".

فأجاب: "أستيقظ من النوم".

أجاثا كريستي

أوما بوارو برأسه ببطء وتأن، ثم سأله قائلاً: "وفيما يتعلق بهذا الأمر، هل تحتفظ بمسدس في هذا الدرج الذي تراه في الحلم؟"

فأجابه: "نعم".

فسأله بوارو: "لماذا؟"

فأجابه: "أفعل ذلك دائماً، ولكي أكون مستعداً دائماً".
فسأله: "مستعداً لماذا؟"

فقال فارلي بغضب: "رجل في مكانتي يجب أن يتوخى الحذر، فكل الأغنياء لهم أعداء".

لم يواصل بوارو الحديث في هذه النقطة، لكنه ظل صامتاً دقيقة أو دقيقتين، ثم قال له: "لماذا أرسلت في طلبي بالضبط؟"

فأجابه قائلاً: "سأخبرك، في البداية استشرت طبيباً بل ثلاثة أطباء لكي أكون دقيقاً".
فسأله بوارو: "ثم ماذا؟"

فأجابه: "قال لي الطبيب الأول إن الأمر متعلق بنظامي الغذائي، وكان طبيباً مسناً، أما الثاني، فكان طبيباً شاباً من المنتمين إلى المدرسة الحديثة، وأكد لي أن هذا الأمر متعلق بأمر ما قد حدث في طفولتي في هذا الوقت بالتحديد من النهار، في الثالثة وثمان وعشرين دقيقة، وقال إنني مصمم على عدم تذكر هذا الحدث لدرجة أنني أرمز إليه بتدمير نفسي، وكان هذا هو تفسيره".

فسأله بوارو: "وماذا كان تفسير الطبيب الثالث؟"

فارتفع صوت بينديكت فارلي في غضب شديد، قائلاً: " هو طبيب شاب أيضاً، وله نظرية منافية للعقل تماماً! إنه يؤكد لي أنني قد تعبت من الحياة، وأصبحت أرى أن حياتي لا تطاق؛ لدرجة أنني أريد أن أنهيها بشكل متعمداً ولأن الاعتراف بهذه الحقيقة يعني بالضرورة اعترافي بأنني فاشل، فأنا أرفض مواجهة هذه الحقيقة في ساعة استيقاظي، ولكن عندما أنام، فإن كل هذه العقبات تزول، وأشرع في فعل ما أريد فعله حقاً، وهو أن أنهي حياتي! "

فقال له بوارو متسائلاً: " هل وجهة نظره هي أنك ترغب - دون علم منك بذلك - في قتل نفسك؟ "

صرخ السيد فارلي بحدة، قائلاً: " وهذا مستحيل، مستحيل! فأنا سعيد للغاية! فلدي كل شيء أريده، فالأموال تشتري كل شيء! إنه أمر سخيف، فمن غير المعقول التفكير في شيء مثل هذا والإفصاح عنه. "

نظر إليه بوارو باهتمام، وربما كان هناك شيء في ارتعاش يديه، وصوته المرتفع والمرتجف، يحذر بوارو من أن الإنكار الذي يبديه كان شديداً للغاية وحماسياً، وأن إصراره كان في حد ذاته يبعث على الشك، فاكتفى بأن يسأله، قائلاً: " وما الذي يمكنني فعله يا سيدي؟ "

هدأ بينديكت فارلي فجأة، ونقر بإصبعه على الطاولة التي بجانبه، قائلاً: " هناك احتمال آخر، وإن كان صحيحاً، فأنت الرجل الذي يمكنه أن يعرف ذلك! فأنت رجل مشهور، وقد

أجاثا كريستي

حققت في مئات القضايا، قضايا صعبة وغريبة! وبإمكانك أنت أن تعرف..."

فسأله بوارو: "أعرف ماذا؟".

انخفض صوت فارلي ليصل إلى الهمس، وهو يقول له: "إذا افترضنا أن هناك شخصًا ما يريد قتلي... فهل يستطيع أن يقتلني بهذه الطريقة؟ هل يمكنه أن يجعلني أحلم بهذا الحلم ليلة بعد أخرى؟".

فسأله بوارو، قائلًا: "هل تقصد من خلال التنويم المغناطيسي؟".

فأجابه: "نعم، أقصد ذلك".

فكّر هيركيول بوارو في هذا الأمر، قائلًا في النهاية: "هذا أمر ممكن، ولكن من الأفضل أن يفصل الطبيب في هذا الأمر".

فسأله: "ألم تحقق في قضية كهذه من قبل؟".

فأجابه: "لا، ليس مثل هذه القضية بالضبط".

استرسل فارلي قائلًا: "أرأيت الأمر الذي يتم دفعي إلى القيام به؟ إنني أُجبر على أن أحلم الحلم ذاته ليلة بعد أخرى، ليلة بعد أخرى، ثم في يوم ما يغلبني هذا الأمر، حتى أفعله بيدي، أفعّل ما كنت أحلم به دائمًا، أقتل نفسي!".

هز هيركيول بوارو رأسه ببطء.

فسأله فارلي قائلًا: "ألا تعتقد أن هذا الأمر ممكن؟".

فهز بوارو رأسه، قائلًا: "ممكن؟ هذه الكلمة غير موجودة في قاموسي".

فسأله: "ولكنك تعتقد أن هذا الأمر غير محتمل، أليس كذلك؟".

فأجاب: "غير محتمل تمامًا".

فهمهم بينيدكت فارلي قائلاً: "لقد قال الطبيب ذلك أيضاً..."، ثم ارتفع صوته، وصرخ مرة أخرى، قائلاً: "إذن، لماذا أحلم هذا الحلم؟ لماذا؟ لماذا؟".

هز هيركيول بوارو رأسه، فقال له بينيدكت فارلي فجأة: "هل أنت متأكد من أنك لم تقابل مثل هذه القضية من قبل؟".

فأجاب بوارو: "لم أقابل مثلها قط".

فقال بينيدكت فارلي: "هذا ما كنت أود أن أعرفه".

تنحى بوارو برقعة، وقال له: "هل تسمح لي بأن أسألك سؤالاً؟".

فقال له: "ما هو؟ ما هو؟ قل ما يحلو لك".

فسأله قائلاً: "من الذي تشك في أنه يريد قتلك؟"، فقال فارلي بنبرة حادة: "لا أحد، لا أحد على الإطلاق".

لكن بوارو أصر على رأيه، قائلاً: "إذن كيف فرضت الفكرة نفسها على ذهنك؟".

فأجابه: "أردت أن أعرف إن كان هذا الأمر محتملاً أم لا".

فقال بوارو: "انطلاقاً من خبرتي، إن هذا الأمر غير وارد الاحتمال، لكن هل تعرضت للتنويم المغناطيسي من قبل؟".

فأجابه قائلاً: "بالطبع لا، وهل تعتقد أنني قد أقبل على نفسي التعرض لمثل هذه السخافات؟".

أجاثا كريستي

فقال له بوارو: "إذن، أنا أعتقد أن النظرية التي تقول بها تعد غير محتملة على الإطلاق".

فقال السيد بينيدكت: "ولكن ماذا عن اللحم؟ ماذا عن هذا اللحم؟".

قال بوارو وهو يفكر ملياً: "إن هذا اللحم لافت للنظر بالتأكيد"، وتوقف عن الكلام، ثم واصل قائلاً: "أود أن أرى مسرح هذا اللحم، المكتب، والساعة، والمسدس".

فقال له: "بالطبع تفضّل، في الغرفة المجاورة".

جمع الرجل العجوز ثيابه حوله، وهم بالقيام من فوق كرسيه، ثم جلس مرة أخرى، كأن هناك فكرة ما قد طرأت على باله فجأة، ثم قال: "لا، لا يوجد هناك أي شيء يمكنك أن تراه هناك، لقد أخبرتك بكل شيء".

فقال بوارو: "ولكنني أود أن أرى ذلك بنفسي...".

فقال فارلي بنبرة حادة: "لا حاجة إلى ذلك، لقد قلت لي رأيك، وهذا هو كل شيء".

هز بوارو كتفيه، قائلاً، وقد نهض واقفاً على قدميه: "كما تريد، أنا أسف يا سيد فارلي؛ لأنني لم أكن قادراً على تقديم المساعدة إليك في هذا الشأن".

كان بينيدكت فارلي يحدّق إلى الأمام مباشرة، وهو يقول: "أنا لا أريد مزيداً من الأفعال غير المسئولة، لقد أخبرتك بكل الحقائق، ولكنك لم تستطع أن تصل منها إلى أي استنتاج، وبهذا ينتهي الأمر. يمكنك أن ترسل إليّ فاتورة تلك الاستشارة".

قال المحقق بنبرة جادة: " سأفعل ذلك بالتأكيد " ، ثم توجه نحو الباب.

فقال له المليونير: " توقف لحظة، من فضلك أعطني الخطاب، فأنا أحتاج إليه " .

فقال له بوارو: " الخطاب الذي كتبه لي السكرتير الخاص بك؟ " .

فأجابه: " نعم " .

رفع بوارو حاجبيه في دهشة، ووضع يده في جيبه، وأخرج الخطاب المطوي، وأعطى الرجل العجوز إياه، فتفحصه الرجل جيداً، ثم وضعه إلى جانبه على الطاولة، وهو يومئ برأسه.

توجه هيركيول بوارو إلى الباب مرة أخرى، وكان في حيرة من أمره، فقد كان باله مشغولاً بالتفكير مراراً وتكراراً في هذه القصة التي أخبره بها المليونير، ولكنه في خضم انشغاله العقلي، راوده شعور مزعج بوجود شيء ما خطأ يرتبط به هو، وليس بالمليونير بينيدكت فارلي.

وبينما كان يضع يده على مقبض الباب، اتضح له الأمر تماماً، لقد ارتكب هيركيول بوارو خطأ ما فاستدار تجاه الغرفة مرة أخرى، ثم قال لـ فارلي: " أعتذر لك كثيراً ففي خضم انشغالي بحل مشكلتك ارتكبت خطأ ما فذلك الخطاب الذي سلمتك إياه لم يكن الخطاب الذي تريده، فقد وضعت يدي في جيبي الأيمن بدلاً من الأيسر... "

فسأله فارلي، قائلاً: " ما هذا الذي تقوله؟ ما هذا الذي تقوله؟ " .

أجائنا كريستي

فقال له بوارو: "الرسالة التي سلمتك إياها الآن، هي اعتذار من المغسلة التي أتعامل معها بشأن ما فعله القائمون عليها في ياقات قمصاني"، وكان بوارو يقول ذلك وهو يبتسم معتذراً له، ووضع يده في جيبه الأيسر، وقال له: "هذا هو الخطاب الخاص بك".

انتزعه بينيدكت فارلي منه، وهو يقول بنبرة تنم عن الاستهجان: "لماذا لا تنتبه إلى ما تفعله؟".

استعاد بوارو خطاب المغسلة، واعتذر بلطف مرة أخرى، ثم غادر الغرفة.

توقف لحظة في المكان الموجود أمام باب الغرفة، لقد كان مكاناً فسيحاً، وكان يوجد في مواجهته مباشرة مقعد كبير قديم من خشب البلوط، وأمامه منضدة طويلة كان موضوعاً عليها العديد من المجلات، وكان هناك أيضاً كرسيان ذوا مسندين، وأمامهما منضدة صغيرة وضعت عليها مزهرية ورد، فذكره هذا المشهد بغرفة الانتظار في عيادة طبيب الأسنان.

كان كبير الخدم يقف في الطابق الأسفل في انتظاره؛ ليصاحبه إلى الخارج، وقال له: "هل أحضر لك سيارة أجرة يا سيدي؟".

فقال له بوارو: "لا، شكرًا لك، فالجو هذه الليلة لطيف للغاية؛ لذا سأتمشى قليلاً".

توقف هيركيول بوارو على الرصيف لحظة في انتظار هدوء حركة المرور، حتى يتمكن من عبور الشارع المزدهم.

كان يقطب جبينه في عبوس، ويحدّث نفسه، قائلاً: "لا، أنا لا أفهم أي شيء على الإطلاق، فلا يوجد أي شيء منطقي في كل هذا، إنني حزين لأن أعترف بشيء كهذا، ولكنني أنا هيركيول بوارو أشعر بالحيرة تماماً".

كان هذا هو ما يمكن أن نطلق عليه الفصل الأول في الدراما، أما الفصل الثاني، فقد حدث بعد ذلك بأسبوع، حيث بدأ بمكالمة هاتفية من طبيب يُدعى جون ستيلينجفليت.

قال الطبيب بأسلوب يخلو تماماً من الذوق الذي يتميز به الأطباء: "هل أنت الحصان العجوز بوارو؟ ستيلينجفليت يتحدث".

فقال بوارو: "نعم يا صديقي، ماذا هناك؟".

فقال له: "أتحدث إليك من نورثواي هاوس، منزل بينيدكت فارلي".

تسارعت نبرة صوت بوارو باهتمام كبير، قائلاً: "حسناً، ماذا هناك؟ ماذا عن... السيد فارلي؟".

فأجابه قائلاً: "لقد توفي السيد فارلي، فقد أطلق النار على نفسه".

ساد الصمت لحظة، ثم قال بوارو: "نعم...".

فقال له الطبيب: "لقد لاحظت أنك لم تُفاجأ، هل تعرف شيئاً عن هذا الأمر أيها الحصان العجوز؟".

فسأله بوارو: "لماذا تعتقد شيئاً كهذا؟".

أجاثا كريستي

فقال له الطبيب: "حسنًا، هذا ليس استنتاجًا رائعًا، أو تخاطرًا، أو أي شيء من هذا القبيل، لقد وجدنا خطابًا من فارلي إليك يحدد معك موعدًا منذ أسبوع مضى".

فقال بوارو: "فهمت".

فقال له الطبيب: "لدينا مفتش شرطة وديع هنا، ولا بد من أن تكون حذرين كما تعلم عندما يتعلق الأمر بقيام مليونير بقتل نفسه. وإنني أتساءل عما إذا كان بإمكانك إلقاء الضوء على أية معلومات تفيدنا في هذه القضية؛ لذا، فمن الأفضل أن تأتي".

فقال له: "سأتي على الفور".

قال الطبيب: "هذا لطف منك أيها الرجل العجوز أن تتحمل مشقة السير في هذه الطرق المزدحمة".

كرر بوارو له أنه سيأتي على الفور.

فقال له: "أنت لا تريد أن تفشي السر عبر الهاتف، أليس كذلك؟ هذا صحيح تمامًا، مع السلامة".

وبعد مضي ربع ساعة كان بوارو يجلس في المكتبة، وهي غرفة طويلة منخفضة تقع خلف منزل نورثواي هاوس في الطابق الأرضي، وكان هناك خمسة أشخاص آخرين في الغرفة، وهم: المفتش بارنيت، والطبيب ستيلينجفليت، والسيدة فارلي أرملة المليونير، وجوانا فارلي ابنته الوحيدة، وهو جو كورنورثي السكرتير الخاص به.

من بين هؤلاء، كان المفتش بارنيت رجلاً حذرًا، يرتدي زيًا عسكريًا، أما الطبيب ستيلينجفليت الذي كان أسلوبه المهني يختلف تمامًا عن الأسلوب الذي تحدث به في الهاتف، فكان

رجالاً طويل القامة، ذا وجه طويل، يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، أما السيدة فارلي فقد كان من الواضح أنها أصغر كثيراً من زوجها، كانت امرأة جميلة، ذات شعر داكن، وفم يدل على مدى صرامتها، وعينين سوداوين لا تعكسان أي شيء عما تشعر به من انفعالات، فبدت متزنة تماماً، أما جوانا فارلي، فقد كانت ذات شعر أشقر، ووجه يكثر به النمش. وكانت ذات أنف وذقن بارزين، وكان من الواضح أنها قد ورثتهما عن أبيها، وكانت عيناها تثمان عن ذكائها وفطنتها، أما هوجو كورنورثي فكان رجلاً حسن المظهر، مهندم الملابس، وكان يبدو ذكياً وكفئاً.

وبعد التحية والتعارف روى بوارو ببساطة وبوضوح ملابسات زيارته للسيد فارلي، والقصة التي رواها له، ولم يشك بوارو من قلة انتباه الحضور إليه.

قال المفتش: "إنها أغرب قصة سمعتها على الإطلاق! حلم؟ هل تعرفين أي شيء عن هذا الأمر يا سيدة فارلي؟".
مالت السيدة فارلي برأسها، وقالت: "لقد ذكر زوجي هذا الأمر لي، لقد كان هذا الأمر يزعجه للغاية، لكنني قلت له إن هذا بسبب سوء الهضم، فقد كان نظامه الغذائي غريباً، واقترحت عليه أن يستدعي الطبيب ستيلينجفليت".

فهز الرجل الشاب رأسه بالنفي، وقال: "إنه لم يستشرنني، ولقد فهمت من رواية السيد بوارو أنه ذهب إلى الأطباء في شارع هارلي ستريت".

أجاثا كريستي

فقال له بوارو: "أود معرفة رأيك في هذه النقطة أيها الطبيب، فقد أخبرني السيد فارلي بأنه استشار ثلاثة أطباء نفسيين، فما رأيك في الآراء التي قالوها له؟".

عبس الطبيب، وقال: "من الصعب البت في هذا الأمر، فلا بد من أن تأخذ في اعتبارك أن ما قاله لك ليس بالضبط ما قاله له هؤلاء الأطباء، فهو تفسير رجل عادي".

فسأله بوارو: "هل تقصد أنه أخطأ في تفسير العبارات؟". فأجاب: "ليس هذا هو ما أعنيه بالضبط، أعني أنهم قد أفهموه الأمر بعبارات مهنية، ولكنه حرّف المعنى قليلاً، ثم صاغه بأسلوبه الخاص".

فقال بوارو: "إذن، فما قاله لي لم يكن هو ما قاله له الأطباء بالضبط؟".

فأجاب الطبيب: "هذا هو ما توصل إليه، فقد فهم الأمر بشكل خطأ، إذا كنت تفهم ما أعنيه؟".

أوما بوارو، وهو يفكر ملياً، وسأل قائلاً: "هل تعرفون الأطباء الذين كان يستشيرهم؟".

هزت السيدة فارلي رأسها بالنفي، بينما قالت جوانا فارلي: "لم يكن أي شخص منا يعرف أي شيء عن أنه يذهب إلى أطباء نفسيين".

فسألها بوارو: "هل تحدث معك عن حلمه؟".

فهزت الفتاة رأسها بالنفي.

فتوجه بالحديث إلى السكرتير، قائلاً: "وماذا عنك يا سيد كورنورثي؟".

فقال له: "لا، لم يقل لي أي شيء على الإطلاق، لقد كتبت لك رسالة، وهو من أملاها عليّ، ولكن لم تكن لديّ أية فكرة عن سبب رغبته في الحصول على مشورتك، فقد اعتقدت أن هذا الأمر كانت له علاقة بوجود مشكلات في أعماله التجارية".

سأل بوارو قائلاً: "أما الآن، فماذا عن الحقائق الفعلية الخاصة بموت السيد فارلي؟".

نظر المفتش بارنيت، متسائلاً، إلى السيدة فارلي والطبيب ستيلينجفليت، ثم تولى هو دور المتحدث الرسمي.

وقال: "كان السيد فارلي معتاداً العمل في غرفته الخاصة في الطابق الأول بعد ظهر كل يوم، وفهمت أنه كان هناك الكثير من الأعمال..."

نظر إلى هوجو كورنورثي الذي قال: "كان مرتبطاً بأعمال مع شركة كوتشلاينز المتحدة".

استرسل المفتش بارنيت قائلاً: "لقد وافق السيد فارلي على إجراء مقابلة مع اثنين من الصحفيين، وهو نادراً ما كان يفعل ذلك، فقد فعلها مرة واحدة منذ خمس سنوات كما علمت، وبناء عليه وصل صحفيان، واحد من مجلة نيوزجروب المتحدة، والثاني من مجلة أملماميتيد بريس، وقد وصلا في الثالثة والرابع، وانتظرا في الطابق الأول خارج غرفة السيد فارلي، وهو المكان المخصص لانتظار الأشخاص الذين لديهم موعد مع السيد فارلي، وفي الساعة الثالثة وعشرين دقيقة وصل مبعوث من شركة كوتشلاينز المتحدة ومعه بعض الأوراق المهمة، وتم إرشاده إلى غرفة السيد فارلي، حيث سلمه هذه الأوراق، وصحبه

أجاثا كريستي

السيد فارلي إلى الباب، وهنا تحدث إلى الصحفيين، وقال لهما: "أسف للغاية أيها السيدان؛ لأنني جعلتكما تنتظران، ولكن لديّ عملاً مهماً يجب أن أنجزه، وسأكون بصحبكما بأسرع وقت ممكن".

واسترسل قائلاً: "أكد السيدان - وهما السيد آدمز والسيد ستودارت - للسيد فارلي أنهما سينتظران حتى يكون الوقت مناسباً له، فدخل غرفة المكتب، وأغلق الباب، ولم يُر على قيد الحياة مرة أخرى منذ ذلك الحين!".
فقال له بوارو: "أكمل".

فاسترسل المفتش قائلاً: "وبعد الساعة الرابعة بقليل، خرج السيد كورنورثي من غرفته المجاورة لغرفة السيد فارلي، وفوجئ حين رأى أن الصحفيين لا يزالان ينتظران، وكان يريد توقيع السيد فارلي على بعض الخطابات، وكان من الأفضل أيضاً أن يذكره بأن هذين السيدين لا يزالان ينتظرانه في الخارج، ومن ثم دخل غرفة السيد فارلي، ولكنه اندهش؛ لأنه في البداية لم يستطع أن يرى السيد فارلي، واعتقد أن الغرفة فارغة، ثم رأى حذاء بيرز من خلف المكتب (الذي يقع أمام النافذة) فأسرع إلى المكتب، واكتشف أن السيد فارلي يرقد هناك، وقد فارق الحياة، والمسدس إلى جانبه".

واصل قائلاً: "أسرع السيد كورنورثي إلى خارج الغرفة، وأمر كبير الخدم بالاتصال بالطبيب ستيلينجفليت، وبناءً على نصيحة الطبيب، أخبر السيد كورنورثي الشرطة".
فسأله بوارو: "وهل سُمع صوت إطلاق النار؟".

أجابه قائلاً: "لا، فصوت الازدحام المروري هنا مرتفع للغاية؛ ما يحدث ضوضاء شديدة، وكانت نافذة المكتب مفتوحة؛ لذا كان من غير المحتمل مع أصوات الشاحنات وأبواق السيارات سماع صوت الرصاصة".

أوماً بوارو برأسه بشكل متأمل، ثم سأل: "متى توفي؟".
أجابه الطبيب ستيلينجفليت، قائلاً: "لقد فحصت الجثة بمجرد وصولي إلى هنا، أي في الساعة الرابعة واثنتين وثلاثين دقيقة، وكان السيد فارلي قد توفي منذ ساعة على الأقل من ذلك الوقت".

امتنع وجه بوارو للغاية، وقال: "إذن، من الممكن أن تكون وفاته قد حدثت في الوقت الذي ذكره لي؛ أي في الثالثة وثمان وعشرين دقيقة".

قال الطبيب ستيلينجفليت: "بالضبط".

فسأل بوارو: "هل هناك أية بصمات على المسدس؟".

قال المفتش: "نعم، بصماته هو".

فقال بوارو: "وماذا عن المسدس نفسه؟".

تولى المفتش سرد القصة، حيث قال: "لقد كان هو المسدس الذي يحتفظ به في الدرج الأيمن الثاني من مكتبه، بالضبط كما أخبرك، وقد حددته السيدة فارلي، وقالت إنه مسدسه، وعلاوة على ذلك، وكما تعلمون، فإن الغرفة لها مدخل واحد فقط، وهو الباب الذي يطل على الردهة الواسعة، وكان الصحفيان يجلسان أمام هذا الباب بالضبط، وأكد أنه لم يدخل

أجاثا كريستي

أي أحد الغرفة منذ الوقت الذي تحدث فيه السيد فارلي إليهما، حتى دخول السيد كورنورثي الغرفة بعد الساعة الرابعة بقليل". فقال بوارو: "إذن، قد توافرت جميع الأسباب التي تدعم قيام السيد فارلي بالانتحار؟".

ابتسم المفتش بارنيت قليلاً، وقال: "لم يكن هناك شك في هذا على الإطلاق لولا نقطة واحدة". فقال بوارو: "وما هي؟".

قال المفتش: "الخطاب الذي كتبه إليك". فابتسم بوارو أيضاً، وقال: "حيثما يُذكر اسم هيركيول بوارو، تثار على الفور الشكوك في وقوع جريمة". قال المفتش بنبرة جافة: "بالضبط، وعلى الرغم من ذلك، بعد أن وضحت لنا الأمر...".

فقاطعته بوارو قائلاً: "دقيقة واحدة"، وتوجه بالحديث إلى السيدة فارلي، وسألها: "هل تعرّض زوجك من قبل للتنويم المغناطيسي؟".

فأجابته قائلة: "لا، على الإطلاق". فسألها مرة أخرى: "هل درس موضوع التنويم المغناطيسي؟ أو هل كان مهتماً بهذا الأمر؟".

فهزت رأسها بالنفي قائلة: "لا أعتقد ذلك". ثم فجأة بدا أنها لم تعد قادرة على التحكم في نفسها أكثر من ذلك، فاندفعت قائلة: "هذا الحلم الفظيع! إنه أمر غريب! أن يحلم به ليلة تلو أخرى، ثم يبدو الأمر كأنه قد طارده حتى الموت!".

فتذكر بوارو قول بينيدكت فارلي حين قال: "أشرع في فعل ما أريد فعله حقًا، وهو أن أنهي حياتي".

فسألها بوارو مرة أخرى: "هل خطر ببالك يومًا أن زوجك قد يقدم على الانتحار؟".

فأجابت قائلة: "لا، ولكن تصرفاته في بعض الأحيان كانت غريبة للغاية..."

جاء صوت جوانا فارلي تتحدث بصوت واضح لا يخلو من الازدراء: "لا يمكن أن يكون أبي قد قتل نفسه، فقد كان يعتني بنفسه كثيرًا".

قال الطبيب ستيلينجفليت: "فكما تعرفين يا آنسة فارلي، ليس الأشخاص الذين يهددون بالانتحار هم من يقدمون على فعل ذلك عادة، ولهذا تبدو حوادث الانتحار في بعض الأحيان غير قابلة للتفسير".

هب بوارو واقفًا، وقال: "هل يُسمح لي بأن أذهب لأرى الغرفة التي وقعت فيها المأساة؟".

فقال المفتش: "بالتأكيد، أيها الطبيب ستيلينجفليت، فلتذهب معه..."

اصطحب الطبيب بوارو إلى الطابق العلوي.

كانت غرفة بينيدكت فارلي أكبر كثيرًا من غرفة السكرتير المجاورة له، وكانت مفروشة بأثاث وكراسي من الجلد، وسجاد له وبر سميك، ومكتب ضخم رائع.

ذهب بوارو إلى خلف المكتب، حيث كانت هناك بقعة دم داكنة على السجادة التي كانت تظهر أمام النافذة، فتذكر ما

أجاثا كريستي

قاله المليونير: " في الثالثة وثمان وعشرين دقيقة، أفتح الدرج الثاني الذي يقع على يمين مكتبي، وأخرج المسدس الذي أحتفظ به هناك، وأضع فيه الرصاص، ثم أتجه نحو النافذة، ثم... ثم أطلق النار على نفسي".

أوما برأسه ببطء ثم قال: " هل كانت النافذة مفتوحة هكذا؟".

قال الطبيب: " نعم، ولكن لا يستطيع أحد أن يدخل هنا عبر النافذة".

فأخرج بوارو رأسه، فلم يجد هناك عتبة، أو حاجزاً، أو مواسير بالقرب منه، حتى القط لم يكن بإمكانه الوصول إلى الغرفة من خلال النافذة. وفي الجهة المقابلة، ارتفع الجدار المصمت للمصنع، وهو جدار يخلو من النوافذ.

قال ستيلينجفليت: " من المضحك أن يختار رجل ثري هذه الغرفة لتكون مكتبه الخاص، مطلاً على هذا المنظر، إنه أشبه بحائط سجن".

قال بوارو: " نعم"، وأدخل رأسه، وأخذ يحدق إلى الجدار الممتد المصنوع من الطوب الصلب، وقال: " أعتقد أن هذا الجدار مهم".

نظر إليه ستيلينجفليت في دهشة، ثم قال له: " هل تعني من الناحية النفسية؟".

انتقل بوارو إلى المكتب، ثم التقط بتأن (أو هكذا بدا) ملقطاً يطلق عليه عادة اسم الملقط المتعرج، فضغط على مقبض الملقط، فانفتح الملقط بأقصى طول له. وبدقة متناهية،

التقط بوارو عودًا محروقًا من الثقاب كان بالقرب من الكرسي على بعد بضعة أمتار، ونقله بكل حرص إلى سلة المهملات. قال ستيلينجفليت بغضب: "متى ستنتهي من اللعب بهذا الشيء..."

همهم هيركيول بوارو قائلاً: "اكتشاف عبقرتي"، ثم وضع الملقط بكل عناية على المكتب، ثم سأل، قائلاً: "أين كانت السيدة فارلي والآنسة فارلي وقت وقوع الوفاة؟". فأجابه قائلاً: "كانت السيدة فارلي تترتاح في غرفتها في الطابق العلوي، أما الآنسة فارلي فكانت ترسم في غرفة الرسم الخاصة بها على سطح المنزل".

أخذ هيركيول بوارو ينقر بأصابعه على المكتب، وهو شارد الذهن دقيقة أو دقيقتين، ثم قال: "أود أن أتحدث مع الآنسة فارلي، هل يمكنك أن تطلب منها أن تأتي إلي هنا دقيقة أو دقيقتين؟".

فقال له ستيلينجفليت: "كما تحب".

ثم نظر إليه بغرابة، وغادر الغرفة، وبعد بضع دقائق فتح الباب، ودخلت جوانا فارلي.

فقال لها بوارو: "هل تمانعين يا آنستي إذا سألتك عدة أسئلة؟".

فنظرت إليه ببرود، وقالت له: "سل كيفما شئت".

فسألها قائلاً: "هل كنت تعرفين أن والدك يحتفظ بمسدس في درج مكتبه؟".

فأجابت: "لا".

أجاثا كريستي

فسألها قائلاً: "أين كنتِ أنتِ وأمك؛ أقصد زوجة أبيك... هل هذا صحيح؟".

فأجابته قائلة: "نعم، لويز هي زوجة أبي الثانية، وهي تكبرني بثمانية أعوام فقط، ما السؤال الذي كنت تريد أن تسألني إياه؟".

قال لها: "أين كنتِ أنتِ وهي يوم الخميس من الأسبوع الماضي؛ أعني مساء يوم الخميس؟".

فأخذت تفكر ملياً دقيقة أو دقيقتين، ثم قالت: "الخميس؟ دعني أتذكر، آه نعم لقد ذهبنا إلى المسرح؛ لنرى مسرحية ضحك الكلب الصغير".

فسألها مجدداً: "ألم يقترح والدك أن يذهب بصحبتكما؟".

فأجابته قائلة: "أبي لم يكن يحب الذهاب إلى المسرح".

فقال لها: "إذن، ما الذي كان يفعله عادة ليلاً؟".

فقالت: "كان يجلس هنا ويقراً".

فقال لها: "لم يكن رجلاً اجتماعياً، أليس كذلك؟".

نظرت إليه الفتاة مباشرة، ثم قالت: "كانت لأبي شخصيته

البغيضة المتفردة؛ لذا لم يكن لأحد ممن يعاشره عن قرب أن يحبه".

فقال لها: "هذه عبارة صريحة للغاية يا آنستي".

فقالت له: "إنني أوفر عليك الوقت يا سيد بوارو، إنني أفهم

جيداً ما الذي تحاول الوصول إليه، إن زوجة أبي تزوجته فقط

من أجل ماله، وأنا أعيش هنا؛ لأنني لا أملك المال الكافي

لأعيش في أي مكان آخر، وأود أن أتزوج برجل ما، ولكنه رجل

فقير، فرفض أبي الأمر، وتسبب في طرده من عمله، فقد كان يريدني أن أتزوج بشاب يليق بي، وهو أمر مفهوم، حيث إنني سأصبح وريثته!" .

فسألها قائلاً: "هل تؤول ثروة والدك إليك أنت؟"

فجالت له: "نعم، لقد ترك لـ لويز، زوجة أبي، ربع مليون جنيه معفاة من الضرائب، وبعض الممتلكات البسيطة الأخرى، أما الباقي فقد آل إليّ"، وابتسمت فجأة، ثم أضافت قائلة: "لذا كما ترى يا سيد بوارو، إن لديّ كل الأسباب التي تجعلني أرغب في قتل أبي!" .

فقال لها: "أرى أنك قد ورثت ذكاء والدك يا آنستي"

قالت بعد طول تأمل: "لقد كان أبي ذكياً للغاية... كان المرء يشعر بذلك وهو معه، حيث تشعر بأن لديه القوة، والقدرة على القيادة، ولكن كل هذا تحوّل إلى مرارة وعناء، فلم تتبقّ لديه أية إنسانية..."

قال هيركيول بوارو بهدوء: "يا إلهي! ولكن يا لي من أحمق..."

فاستدارت جوانا فارلي ناحية الباب، ثم سألته قائلة: "هل هناك أية أسئلة أخرى؟"

فقال لها: "نعم، هناك سؤالان صغيران فقط، عن هذا الملقط"، وقال وهو يمسك بالملقط المتعرج: "هل كان هذا الملقط موجوداً على المكتب دائماً؟"

فجالت: "نعم، كان والدي يستخدمه ليلتقط به الأشياء، فلم يكن يحب الانحناء".

أجاثا كريستي

فقال لها: "سؤال واحد آخر، هل كان نظرك والدك حاداً؟".
فحدقت إليه قائلة: "أه، لا، لم يكن يرى على الإطلاق...
أعني لم يكن يستطيع الرؤية دون نظارته، فقد كان نظره ضعيفاً
منذ أن كان صبياً".

فسألها قائلاً: "ولكن كيف يكون نظره عندما يرتدي
نظارته؟".

قالت: "يستطيع أن يرى حينها بشكل جيد بالطبع".
فسألها ثانية: "هل يستطيع أن يقرأ الجرائد والكلمات
المكتوبة بخط دقيق؟".

فقالت: "نعم".
فقال لها: "هذا كل شيء يا أنستي".
فخرجت من الغرفة.

فهمهم بوارو قائلاً: "لقد كنت غيباً، لقد كانت هناك دائماً
أمام عيني، ولأنها كانت قريبة للغاية، لم أتمكن من رؤيتها".
أطل من النافذة مرة أخرى، ورأى في الأسفل في الممر
الضيق بين المنزل والمصنع شيئاً داكناً صغيراً.

أوما هيركيول بوارو برأسه، وكان يشعر بالرضا، ثم نزل إلى
الطابق السفلي مرة أخرى.

كان الجميع لا يزالون في المكتبة، فتوجه بوارو بالحديث
إلى السكرتير، قائلاً: "أريدك يا سيد كورنورثي أن تعيد عليّ
بالتفصيل الملابس الدقيقة لاستدعاء السيد فارلي إياي،
فعلى سبيل المثال، متى أملى السيد فارلي عليك الخطاب؟".

فأجابه قائلاً: "بعد ظهيرة يوم الأربعاء، في الساعة الخامسة وثلاثين دقيقة، حسبما أتذكر".

فسأله بوارو: "هل كانت هناك أية توجيهات خاصة بشأن إرساله؟".

فقال: "نعم، لقد أمرني بأن أرسله أنا بنفسى".

فسأله: "وهل فعلت ذلك؟".

فقال: "نعم".

فسأله بوارو: "هل أعطى أية تعليمات خاصة لكبير الخدم بشأن التعرف عليّ؟".

فأجابه: "نعم، لقد أمرني بأن أخبر هولمز (وهو كبير الخدم) بأن هناك رجلاً سيأتي في الساعة التاسعة والنصف، وبأن عليه أن يسأل الرجل عن اسمه، ويطلب منه رؤية الخطاب أيضاً".

فقال له بوارو متسائلاً: "احتياطات غريبة، أليس كذلك؟".
 هز كورنورثي كتفيه، وقال بنبرة حذرة: "لقد كان السيد فارلي غريب الأطوار كذلك".

فسأله بوارو: "هل أعطاك أية تعليمات أخرى؟".

فقال: "نعم، لقد طلب مني أن آخذ إجازة ذاك المساء".

فسأله بوارو: "هل فعلت ذلك؟".

فقال: "نعم، على الفور بعد تناول العشاء ذهبت إلى السينما".

فسأله: "ومتى عدت؟".

فأجاب: "لقد عدت في الحادية عشرة والربع".

أجاثا كريستي

فسأله: "هل رأيت السيد فارلي ثانية هذا المساء؟"
فقال: "لا".

فسأله: "وهل لم يذكر الأمر في صباح اليوم التالي؟"
فقال: "لا".

توقف بوارو لحظة، ثم استرسل، قائلاً: "عندما وصلت، لم يدخلني الخادم غرفة السيد فارلي".

فقال السكرتير: "نعم، فقد أخبرني بأنني يجب علي أن أخبر هولمز بأن يدخلك غرفة مكثبي أنا".

فسأله بوارو: "لماذا فعل ذلك؟ هل تعرف؟"

هز كورنورثي رأسه بالنفي، ثم قال بنبرة حادة: "أنا لا أسأل السيد فارلي أي سؤال بشأن تعليماته، فقد كان سيستاء مني لو فعلت ذلك".

فسأله بوارو: "هل كان عادة ما يستقبل الزوار في مكتبه الخاص؟"

فقال: "في بعض الأحيان، ولكن ليس دائماً، فأحياناً ما كان يقابلهم في مكثبي".

فسأله: "هل كان هناك أي سبب لذلك؟"

فكّر هوجو كورنورثي، ثم قال: "لا، لا أعتقد ذلك على الإطلاق، فلم أفكر قط في شيء كهذا".

استدار بوارو إلى السيدة فارلي، وسألها: "هل تسمحين لي بأن أقرع الجرس طلباً لحضور كبير الخدم؟"

ف قالت: "بالتأكيد يا سيد بوارو".

مكتبة

t.me/soramnqraa

أجاب هولمز قرع الجرس بشكل منضبط ومهذب، ثم قال لها: "هل قرعت لي الجرس يا سيدتي؟".

أشارت السيدة فارلي بإيماءة إلى بوارو، فاستدار هولمز بأدب قائلاً: "نعم يا سيدي".

فسأله بوارو: "ما التعليمات التي وُجّهت إليك يا هولمز يوم الخميس مساءً عندما أتيت إلى هنا؟".

تنحّح هولمز، ثم قال: "بعد تناول العشاء، أخبرني السيد كورنورثي بأن السيد فارلي يتوقع قدوم السيد هيركيول بوارو في التاسعة والنصف، وكان عليّ أن أتأكد من اسم هذا السيد، وذلك من خلال النظر في الخطاب الذي يحمله الزائر، ثم أصطحبه إلى مكتب السيد كورنورثي".

فسأله: "وهل طلب منك أيضًا أن تقرع الباب؟".

بدت علامات النفور على وجه كبير الخدم، ثم أضاف قائلاً: "لقد كان هذا من ضمن تعليمات السيد فارلي، فقد كان عليّ أن أقرع الباب عند تقديم الزائرين، أي الزائرين الذين يأتون بشأن العمل، وهذا كل ما في الأمر".

فقال بوارو: "حسنًا، لقد كان هذا الأمر يحيرني! هل تلقيت أية تعليمات إضافية بشأن التعامل معي؟".

فأجابه قائلاً: "لا، يا سيدي، عندما أخبرني السيد كورنورثي بما قلته لك الآن، خرج".

فسأله: "كم كانت الساعة حينها؟".

فأجاب: "التاسعة إلا عشر دقائق".

فسأله: "هل رأيت السيد فارلي بعد ذلك؟".

أجاثا كريستي

فقال: "نعم يا سيدي، لقد أحضرت له كأساً من الماء الساخن كالمعتاد في الساعة التاسعة بالضبط".

فسأله بوارو: "هل كان وقتها في مكتبه أم في مكتب السيد كورنورثي؟".

فقال: "كان في مكتبه هو يا سيدي".

فسأله: "هل لاحظت أي شيء غريب في غرفة المكتب؟".

فقال: "شيء غريب؟ لا يا سيدي".

فسأله: "وأين كانت السيدة والآنسة فارلي؟".

فقال: "كانتا قد ذهبتا إلى المسرح يا سيدي".

فقال له بوارو: "شكراً يا هولمز، هذا يكفي".

انحنى هولمز وغادر الغرفة، واستدار بوارو إلى أرملة المليونير، وقال لها: "أريد أن أسألك سؤالاً واحداً آخر يا سيدتي، هل كان السيد فارلي حاد النظر؟".

فقالت له: "لا، ما لم يترد نظارته".

فسألها: "هل كان يعاني قصر نظر شديداً؟".

فقالت: "آه، نعم، لم يكن لا يستطيع النظر دون نظارته".

فسألها مجدداً: "وهل كان لديه أكثر من نظارة؟".

فقالت: "نعم".

قال بوارو: "آه"، ثم انحنى إلى الخلف، وقال: "أعتقد أن هذا ينهي هذه القضية..."

ساد الصمت جنبات الغرفة، وكانوا جميعاً ينظرون إلى ذلك الرجل الضئيل الذي يجلس هناك يمسّد شاربه، وقد بدت عليه علامات الرضا، وقد بدت الحيرة على وجه المفتش بارنيت،

بينما بدا الطبيب ستيلينجفليت عابسًا، وأخذ السيد كورنورثي يحدق بكل بساطة في ذهول، بينما حدقت السيدة فارلي في دهشة، وكانت جوانا فارلي متحمسة.

كسرت السيدة فارلي هذا الصمت، وقالت في صوت يملؤه القلق: "أنا لا أفهم يا سيد بوارو، الحلم..."

فقال بوارو: "نعم، لقد كان الحلم مهمًا للغاية".

ارتجفت السيدة فارلي، قائلة: "لم أكن أو من قط من قبل بالأمور الخارقة، ولكن الآن، أن يحلم الشخص الحلم نفسه ليلة تلو أخرى..."

قال ستيلينجفليت: "إنه أمر غريب، أمر غريب! وإذا لم نسمع ما قلته بشأن هذا الأمر يا سيد بوارو، ولو أنك لم تسمعه مباشرة من السيد فارلي..."، ثم سعل في حرج، وعاد إلى الحديث مرة أخرى بأسلوبه المهني، قائلاً: "أستمحك عذراً يا سيدة فارلي، لو لم يكن السيد فارلي قد قال هذه القصة بنفسه..."

قال بوارو: "بالضبط" واتسعت عيناه اللتان كانتا نصف مغلقتين في دهشة فجأة، فقد كانت عيناه شديدي الخضرة، وأضاف قائلاً: "لو لم يخبرني بينيدكت فارلي بالحلم..."

ثم توقف عن الكلام لحظة، ينظر إلى تلك الدائرة من الأشخاص ذوي الوجوه الشاحبة.

أجاثا كريستي

واستطرد قائلاً: "لقد حدثت أشياء في هذا المساء كما تعرفون كنت عاجزاً عن تفسيرها، أولها، لماذا كان يجب عليّ أن أحضر ذاك الخطاب معي؟".

فقال كورنورثي: "لتأكيد الهوية".

فقال بوارو: "لا، لا أيها الشاب العزيز، فهذه حقاً فكرة سخيفة للغاية، لا بد من أن هناك سبباً أكثر وجاهةً من ذلك؛ لأن السيد فارلي لم يطلب فقط رؤية ذلك الخطاب، بل طلب مني أيضاً أن أترك الخطاب قبل أن أنصرف، وعلى الرغم من ذلك لم يمزقه! فقد وجدته بين أوراقه ظهر هذا اليوم، فلماذا يحتفظ به؟".

تدخلت الأنسة جوانا فارلي مقاطعة إياه، قائلة: "لقد أراد حال حدث له أي شيء أن يتم الاطلاع على الحقائق الخاصة بحلمه الغريب".

أوما بوارو برأسه موافقاً على كلامها، وقال لها: "أنت ذكية يا أنستي، لا بد من أن هذا كان هو الغرض الوحيد من احتفاظه بالخطاب، فعندما يموت السيد فارلي، تروين قصة هذا الحلم الغريب! هذا الحلم كان مهماً للغاية، لقد كان هذا الحلم يا آنسة بالغ الأهمية!".

واسترسل قائلاً: "سأذكر الآن النقطة الثانية: بعد أن سمعت قصته، طلبت من السيد فارلي أن أرى مكتبه والمسدس، فهب واقفاً، وبدا أنه سيفعل ذلك، ولكنه رفض فجأة، فلماذا رفض؟".

لم يجب أي شخص هذه المرة.

فقال: " سأصوغ السؤال بصيغة أخرى، ما الذي كان هناك في الغرفة المجاورة ولم يكن السيد فارلي يريدني أن أراه؟ "

وظل الصمت يخيم على جنبات الغرفة.

فقال بوارو: " نعم، إنه سؤال صعب، ومع ذلك فقد كان هناك سبب ما؛ سبب ملح دفع السيد فارلي إلى استقبالي في مكتب السكرتير الخاص به، ورفض أن يأخذني إلى غرفة مكتبه الخاص، لقد كان هناك شيء ما في هذه الغرفة لم يكن يستطيع أن يريني إياه "

استرسل بوارو قائلاً: " أما الآن، فسأذكر النقطة الثالثة التي يصعب تفسيرها، التي حدثت في ذلك المساء، عندما هممت بالمغادرة طلب مني السيد فارلي أن أسلمه الخطاب الذي تلقيته منه، ولكنني من غير قصد أعطيته الخطاب الذي كنت قد تلقيته من المغسلة التي أتعامل معها، فنظر إليه ووضعها إلى جانبه، ولكنني بمجرد أن غادرت الغرفة، اكتشفت خطئي، وعدت لتصحيحه! وبعد ذلك غادرت المنزل، وأعترف بأنني كنت في حيرة من أمري! فقد كان الأمر برمته وبخاصة هذه الحادثة الأخيرة غريباً للغاية بالنسبة إليّ، وعصياً على التفسير "

نظر حوله إلى الحضور واحداً تلو آخر، وقال: " لم تدركوا الأمر بعد، أليس كذلك؟ "

فقال ستيلينجفليت: " أنا لا أفهم حقاً ما علاقة المغسلة التي تتعامل معها بهذه القضية يا سيد بوارو "

قال بوارو: " لقد كانت المغسلة التي أتعامل معها مهمة للغاية في هذه القضية، فتلك المرأة البائسة التي أتلقت ياقات

أجاثا كريستي

قمصاني كانت للمرة الأولى في حياتها ذات نفع، بالطبع تفهمون،
فالأمر واضح للغاية، لقد نظر السيد فارلي إلى الخطاب، وكانت
مجرد نظرة واحدة كافية ليعرف من خلالها أن هذا الخطاب
ليس هو الخطاب الصحيح، ولكنه لم يلحظ شيئاً، لماذا؟ لأنه
ضعيف النظر!"

فقال المفتش بارنيت بنبرة حادة: "ألم يكن يرتدي
نظارتته؟"

فقال السيد بوارو وهو يبتسم: "بلى، لقد كان يرتدي نظارته،
وهذا ما أثار دهشتي أكثر".

ثم انحنى إلى الأمام، وقال: "لقد كان حلم السيد فارلي غاية
في الأهمية، فقد حلم كما تعرفون بأنه ينتحر، وبعد ذلك بفترة
قصيرة انتحر بالفعل، وهذا يعني أنه كان وحيداً في الغرفة،
وقد وُجد هناك وإلى جانبه مسدسه، ولم يدخل أحد الغرفة أو
يغادرها في الوقت الذي أُطلق فيه النار، فماذا يعني هذا إذن؟
هذا يعني أنها لا بد من أن تكون عملية انتحار، أليس كذلك؟"
قال الطبيب ستيلينجفليت: "بلى".

هز هيركيول بوارو رأسه بالنفي قائلاً: "لا، بل على النقيض،
لقد كانت جريمة قتل غير تقليدية، وقد خُطط لها بدكاء
شديد".

انحنى إلى الأمام مرة أخرى وهو ينقر على المنضدة، وكانت
عيناه الخضراوان تلمعان، ثم قال: "لماذا لم يسمح لي السيد
فارلي بالذهاب إلى غرفة مكتبه ذاك المساء؟ ما الذي كان

موجوداً هناك ولم يكن ليسمح لي برؤيته؟ أظن يا أصدقائي أن الشيء الذي كان موجوداً هناك هو بينيدكت فارلي نفسه!" .

ابتسم لرؤيته تلك الوجوه الشاحبة التي تخلو من أي تعبير. استرسل قائلاً: "نعم، نعم، فما أقوله ليس هراءً، فلماذا لم يستطع السيد فارلي الذي كنت أتحدث إليه أن يدرك الفارق بين خطابين مختلفين تماماً؟ لأنه، يا أصدقائي، كان رجلاً ذا بصر طبيعي يرتدي نظارة قوية للغاية، وهذا النوع من النظارات يجعل الرجل ذا البصر الطبيعي غير قادر على الرؤية تماماً، أليس كذلك أيها الطبيب؟"

فهمهم الطبيب ستيلينجفليت: "بلى، هو كذلك، بالطبع".
أضاف قائلاً: "لماذا شعرت وأنا أتحدث مع السيد فارلي بأنني أتحدث مع مخادع، أو مع ممثل يؤدي دوراً؟ فلتفكروا في هذا الأمر، إنها الغرفة المعتمة، والضوء الأخضر الذي يحجب الرؤية عن الشخص الذي يجلس على الكرسي؛ فلا يرى بوضوح، فما رأيته هو رداء النوم المرقع الشهير ذو الألوان المتعددة والأنف المعقوف (الذي صُنع باستخدام تلك المادة المفيدة التي تُسمى معجون الأنف)، وتلك الخصلة البيضاء في الشعر، والعدسات القوية التي تخفي العيون، فما الدليل على أن السيد فارلي يحلم بهذا الحلم؟ تلك القصة فقط التي أخبرني بها، وشهادة السيدة فارلي، وما الدليل على أن السيد فارلي يحتفظ بمسدس في مكتبه؟ مرة أخرى تلك القصة التي أخبرني بها، وشهادة السيدة فارلي، لقد عمل شخصان على تنفيذ هذه الخدعة، وهما السيدة فارلي، والسيد هوجو كورنورثي،

أجاثا كريستي

الذي كتب لي الخطاب، وأعطى التعليمات لكبير الخدم، وخرج ظاهرياً متوجهاً إلى السينما، لكنه دخل مرة أخرى على الفور باستخدام المفتاح، وتوجه نحو غرفة مكتبه، وجhez نفسه، ولعب دور السيد بينديكت فارلي .

وأضاف قائلاً: " وهكذا أتينا نحن إلى هنا بعد الظهر؛ تلك الفرصة التي كان السيد كورنورثي ينتظرها، فقد كان هناك شاهدان يجلسان أمام غرفة المكتب ليقسما على أنه لم يكن هناك أي شخص قد خرج أو دخل إلى مكتب السيد فارلي، لقد انتظر كورنورثي حتى تمر مجموعة كبيرة من الشاحنات، ثم أطل من نافذة مكتبه، وأمسك باستخدام الملقط المتعرج الذي أخذه من المكتب المجاور، شيئاً ما، ووضع أمام نافذة غرفة السيد فارلي، وتقدم السيد بينديكت فارلي نحو النافذة، فسحب كورنورثي الملقط إلى الخلف، وبينما كان السيد فارلي يطل من النافذة، وكانت الشاحنات تمر في الخارج، أطلق كورنورثي النار عليه من المسدس، الذي كان ملك السيد فارلي، فهل تتذكرون وجود حائط مصمت مقابل نافذة غرفة المكتب، ومن ثم لا يمكن أن يكون هناك شهود على هذه الجريمة، وانتظر السيد كورنورثي نحو نصف ساعة، ثم جمع بعض الأوراق وأخفى الملقط، والمسدس بينها، ثم خرج إلى المنطقة الفسيحة أمام المكتب، ثم توجه نحو الغرفة المجاورة، ثم وضع الملقط على المكتب، والمسدس على المكتب كذلك بعد أن جعل يد السيد فارلي تمسك به حتى تكون بصمات أصابعه موجودة عليه، ثم أسرع وهو يحمل أخبار "انتحار" السيد فارلي .

واستطرد قائلاً: " لقد رتب لأن يتم العثور على الخطاب الذي أرسله إليّ، وأن أصل لأحكي قصتي؛ تلك القصة التي سمعتها من السيد فارلي نفسه، وتدور عن " حلمه"، والقهر الشديد الذي شعر به ليقتل نفسه (فسينصرف ذهن عدد قليل من الأشخاص السذج تلقاء نظرية التنويم المغناطيسي، ولكن النتيجة الرئيسية ستكون دون شك تأكيد أن اليد الفعلية التي أمسكت المسدس كانت يد بينيدكت فارلي".

وقعت عينا هيركيول بوارو على وجه الأرملة، فلاحظ برضا علامات الفرع والشحوب والخوف الشديد التي رُسمت على وجهها...

أنهى حديثه بلطف قائلاً: " وفي الوقت المناسب تتحقق النهاية السعيدة، ربع مليون جنيه وقلبان محبان يخفقان كقلب واحد..."

سار الطبيب جون ستيلينجفليت مع هيركيول بوارو بمحاذاة منزل نورثواي هاوس، وعلى يمينهما كان ذلك الجدار الشاهق للمصنع، ومن فوقهما على اليسار نافذتا غرفتي بينيدكت فارلي وهو جو كورنورثي، فتوقف هيركيول بوارو، والتقط شيئاً صغيراً؛ إنه دمية سوداء محشوة على شكل قطة.

فقال: " هذا هو، ذلك الشيء الذي حمله كورنورثي بالملقط المتعرج، ووضعه أمام نافذة فارلي، هل تذكر أنه كان يكره القلط؟ ومن ثم اندفع نحو النافذة".

أجاثا كريستي

فسأله الطبيب: "إذن، لماذا لم يخرج كورنورثي ويلتقط ذلك الشيء بعد أن سقط منه؟".

فأجابه بوارو: "وكيف يفعل ذلك؟ فقيامه بهذا الأمر سيجعله في محل شك، فعلى أية حال، إذا وجد أي أحد ذلك الشيء، فما الذي سيخطر في باله؟ مجرد طفل كان يتجول هنا ووقعت منه هذه الدمية".

قال ستيلينجفليت وهو يتنهد: "نعم، ربما هذا ما يمكن أن يفكر فيه أي شخص عادي، ولكن ليس هيركيول العجوز الذكي! هل تعرف أيها الحصان العجوز أنه لآخر لحظة كنت أظن أنك تقودنا إلى نظرية خفية لجريمة قتل "مستوحاة" نتيجة العامل النفسي؟ وأظن أن هذين الشخصين كانا يعتقدان ذلك أيضاً! يا لها من امرأة سيئة! السيدة فارلي هذه! يا إلهي! كيف كانت تبكي بحرقة! لقد كان من الممكن أن يبعد كورنورثي التهمة عن نفسه لولا أنها لم تنتبها حالة هستيرية وتحاول أن تغرز أظافرها في وجهك الجميل، لقد منعتها في الوقت المناسب".

توقف لحظة، ثم قال: "لقد أعجبتني الفتاة، فهي شجاعة وذكية كما تعلم، أظن أن الجميع سيعتقدون أنني أسعى وراء ثروتها لو أنني حاولت الإعراب لها عن إعجابي بها...؟"

فأجابه: "لقد وصلت متأخراً، فهناك بالفعل شخص ما يسكن قلبها، وقد فتحت لها وفاة والدها الطريق نحو السعادة". فقال الطبيب: "لكننا لو تمعنا في الأمر جيداً، لوجدنا أنه كان لديها دافع قوي للغاية لقتل والدها ذلك الرجل القاسي".

فقال بوارو: "إن الدافع والفرصة غير كافيين، فلا بد من توافر الاستعداد للجريمة لدى الشخص!" .

فسأله ستيلينجفيليت: "إنني أتساءل عما إذا كنت قد ارتكبت جريمة من قبل يا بوارو! أعتقد أنك كنت ستفعلت من العقاب، بل في الحقيقة، سيكون ارتكابها أمراً سهلاً للغاية بالنسبة إليك، أعني أنك ستقوم بها بكل تأكيد على أكمل وجه" .

فقال له بوارو: "هذه فكرة إنجليزية نموذجية" .

المذياع

قال الطبيب ماينيل بنبرة هادئة كما يفعل الأطباء: "عليك في المقام الأول أن تتجنبى القلق والانفعال".

لكن السيدة هارتر، وكما يحدث في كثير من الأحيان مع هؤلاء الذين يسمعون مثل هذه الكلمات المُطمئنة التي لا فائدة منها، لم تشعر بالاطمئنان، بل بدت أكثر ارتياباً.

واصل الطبيب حديثه بلباقة، قائلاً: "هناك ضعف في عضلة القلب، ولكنه ليس بالأمر الخطير، أوكد لك ذلك".

ثم أضاف قائلاً: "ولكن في الوقت نفسه يجب عليك أن تستخدمى المصعد، هل لديك مصعد؟".

بدت علامات القلق على السيدة هارتر.

وفي المقابل، بدا الطبيب ماينيل مسروراً ومعجباً بنفسه، ويرجع السبب في تفضيله الأثرياء من المرضى على الفقراء إلى أنه يستطيع ممارسة خياله النشط في تشخيص أمراضهم.

قال الدكتور ماينيل محاولاً التفكير في شيء آخر أكثر أهمية: "نعم، المصعد، ويجب عليك كذلك تجنب أي مجهود

غير مهم، كما تجب ممارسة التمارين اليومية، خاصة في الأيام ذات الطقس الجيد، ولكن تجنبى صعود التلال"، ثم أضاف

بنبرة سعيدة: "حاولي أن تشغلي عقلك عن التفكير في الأمور السيئة، ولا تسهبي في التفكير في صحتك".

لكن الطبيب كان أكثر صراحة مع ابن شقيق السيدة العجوز؛ السيد تشارلز ريدجواي، حيث قال له: "أرجو ألا تسيء فهم كلماتي، إن عمك قد تعيش سنوات، لكن تعرضها لأية صدمة أو بذلها أي مجهود زائد قد يقضيان على حياتها"، ثم طقطع أصابعه، وأضاف قائلاً: "يجب أن تعيش حياة هادئة، دون مجهود، أو تعب، ويجب ألا تطيل التفكير أو تكتئب، فلا بد من أن تظل سعيدة ومرحة، وأن يظل ذهنها مشتتاً عن التفكير في أمر مرضها".

قال تشارلز ريدجواي بتركيز شديد: "مشتت؟".

كان تشارلز شاباً رصيناً، يميل إلى استغلال كل فرصة ممكنة لتحقيق رغباته الخاصة.

لذا، فقد اقترح في ذلك المساء اقتناء جهاز مذياع.

بيد أن السيدة هارتر، التي كانت بالفعل مستاءة للغاية من فكرة المصعد التي تحدث عنها الطبيب، انزعجت ولم ترقها فكرة المذياع، لكن تشارلز كان فصيحاً وقادراً على الإقناع.

قالت له السيدة هارتر بياشفاق: "لا أدري إن كنت أهتم بمثل هذه الاختراعات الحديثة، فتلك الموجات - أعني الموجات الكهربائية - قد تكون مضرّة لي".

فأوضح لها تشارلز بأسلوب لطيف للغاية أن هذا الكلام غير صحيح.

لم تقتنع السيدة هارتر، فقد كانت معرفتها بهذه الأمور ضحلة، كما أنها كانت تعتد برأيها بشدة.

أجاثا كريستي

وهممت بصرامة، قائلةً: "ما كل تلك الشحنات الكهربائية؟
يمكنك أن تقول ما يحلو لك يا تشارلز، لكن بعض الأشخاص
يتضررون من هذه الكهرباء، فدائمًا ما أصاب بصداع شديد قبل
العاصفة الرعدية، أنا أعلم ذلك".
ثم أومأت برأسها في انتصار.

ولكن تشارلز كان شابًا صبورًا، شديد الأناة، فقال لها
بإصرار: "عمتي العزيزة ماري، دعيني أوضح لك الأمر".

كان تشارلز يعرف كثيرًا عن هذا المجال، إذ تلقى عنه عدة
محاضرات، وانطلاقًا من حماسه لهذا الأمر، بدأ يتحدث عن
الصمامات الباعثة للامعة، والصمامات الباعثة غير اللامعة،
والتردد العالي، والتردد المنخفض، والمكثفات، والمكبرات.

غرقت السيدة هارتر في بحر من المصطلحات التي لا
تفهمها على الإطلاق، وبدأت مستسلمة لذلك.

وهممت قائلةً: "بالطبع يا تشارلز، إذا كنت تعتقد..."
فقال تشارلز بحماس: "عمتي العزيزة ماري، إنه مفيد
للغاية بالنسبة إليك، وسيجنيبك الشعور بالاكئاب".

بعد فترة قصيرة، جرى تركيب المصعد الذي أوصى به
الطبيب ماينيل، وكان ذلك الأمر يزعج السيدة هارتر كثيرًا؛
فكانت مثل العديد من المسنات اللائي يرفضن بشدة أن يدخل
رجال غرباء المنزل؛ فقد كانت تشك في أنهم قد يسطون على
مقتنياتها الفضية القديمة.

وبعد تركيب المصعد، دخل المذيع المنزل، وبقيت السيدة هارتر تفكر في هذا الشيء الغريب، وهو صندوق ضخم، غريب الشكل، مليء بالأزرار.

لقد بذل تشارلز حماسه كله لكي يقنعها بهذا الأمر. ونظرًا إلى أن هذا كان مجال عمل تشارلز، فقد أخذ يدير مؤشر المذيع، وهو يتحدث بطلاقة.

جلست السيدة هارتر على كرسيها ذي المسند المرتفع، وقد بدت على وجهها ملامح الصبر والتهديب، مع اقتناع راسخ في ذهنها بأن هذه الاختراعات الحديثة ليست سوى وسيلة للإزعاج الشديد.

قال لها تشارلز: "استمعي يا عمتي ماري، هذه إذاعة برلين، أليس هذا رائعًا، هل تسمعين المذيع؟".
قالت السيدة هارتر: "لا أستطيع أن أسمع أي شيء سوى الضجيج والطققة".

أخذ تشارلز يدير المؤشر، وهو يقول في حماس: "بروكسل".
تساءلت السيدة هارتر بقليل من الاهتمام: "حقًا؟".
ثم أدار تشارلز مؤشر المذيع، فدوى في الغرفة صوت يشبه النباح المرتفع.

قالت السيدة هارتر، التي كانت تتمتع بروح الفكاهة: "يبدو أننا الآن في منزل الكلاب".

قال تشارلز: "ها ها أنت تمزحين يا عمتي ماري، أليس كذلك؟".

لم تستطع السيدة هارتر أن تمنع نفسها من الضحك، فقد كانت تحب تشارلز كثيرًا، فمنذ عدة سنوات كانت ابنة أخيها ميريام هارتر تعيش معها، وكانت تنوي أن تترك لها كل ثروتها، لكن ميريام لم تنجح في جعلها تفعل ذلك، فقد كانت غير صبور، وكانت تشعر بالملل من ذلك المجتمع الذي تعيش فيه عمته، فقد كانت دائمًا خارج المنزل "تتسكع"، كما كانت تقول السيدة هارتر دائمًا، ثم تزوجت في النهاية بشاب لم توافق عليه عمته على الإطلاق، ثم عادت ميريام إلى والدتها تحمل خطابًا مقتضبًا أشبه بخطاب شكر واستحسان، ثم أتمت زواجها بهذا الشاب، وكانت السيدة هارتر عادة ما ترسل إليها علبة مناديل أو طاولة في يوم ميلادها.

وبعد أن أصيبت السيدة هارتر بخيبة أمل في بنات الأخ، توجهت إلى أبنائه، فقد حقق تشارلز منذ البداية نجاحًا كبيرًا، فقد كان يظهر احترامًا كبيرًا لعمته دائمًا، ويستمتع باهتمام كبير إلى ذكريات شبابها، وكان في هذا الأمر على النقيض من ميريام، التي كانت تشعر بالملل، وتقول ذلك صراحة لعمته، أما تشارلز فلم يكن يشعر بالملل قط، فقد كان طلق المحيا دائمًا، ومرحًا بشكل مستمر، فقد كان يخبر عمته عدة مرات في اليوم بأنها سيدة عجوز رائعة.

ونظرًا إلى رضائها الشديد عن ابن أخيها، أرسلت السيدة هارتر خطابًا إلى المحامي الخاص بها، تطلب منه إعداد وصية جديدة، فأعدّها بالفعل وأرسل بها إليها للموافقة والتوقيع.

والآن، فيما يتعلق بالمذياع، سرعان ما أثبت تشارلز أنه قد فاز بشرف عظيم.

لقد كانت السيدة هارتر في البداية رافضة تماماً هذا الأمر، لكنها وصلت إلى مرحلة التسامح، ثم في النهاية اقتنعت بذلك تماماً، وكانت تستمتع به كثيراً عندما يكون تشارلز خارج المنزل؛ فقد كانت مشكلته أنه لم يكن يدع الأشياء وشأنها، فقد كانت السيدة هارتر تجلس على مقعدها وهي تشعر بالراحة، تستمع إلى حفلة موسيقية، أو محاضرة عن لوكريزيا بورجيا، أو بوند لايف، وهي تشعر بالسعادة والسلام مع العالم بأسره، ولكن وجود تشارلز كان يبدد هذا الانسجام نتيجة صرخاته المتنافرة وهو يحاول بحماس تشغيل بعض المحطات الأجنبية، ولكن في تلك الأمسيات التي كان تشارلز يتناول فيها الطعام مع أصدقائه، كانت السيدة هارتر تستمتع بالاستماع إلى المذياع كثيراً، فكانت تدير المؤشر بين محطتين، وتجلس على مقعدها ذي الظهر المرتفع، وتستمتع ببرامج المساء.

بعد نحو ثلاثة أشهر من تشغيل المذياع، وقع أول حدث غريب، فقد كان تشارلز غير موجود، حيث كان يحضر حفلة ما بصحبة أصدقائه.

كان برنامج تلك الأمسية عبارة عن حفلة موسيقية، وكانت تبث الأغنية الشهيرة "أني لوري"، وفي منتصف تلك الأغنية، حدث شيء غريب، فقد حدث توقف مفاجئ؛ حيث توقفت الموسيقى لحظة، واستمر صوت الطنين والقطقة، ثم توقف

هذا الصوت أيضاً، ثم ساد صمت مطبق، ثم سُمع صوت طنين خافت للغاية.

ظنت السيدة هارتر - حيث إنها لم تكن تعلم سبب ما حدث - أن المذياع قد انتقل إلى محطة أخرى بعيدة عن المحطة التي كانت تستمع إليها، ثم تحدث صوت بنبرة واضحة ومميزة، وكان صوت رجل يتحدث بلكنة أيرلندية خافتة، ويقول: "ماري، هل تسمعينني، ماري؟ أنا باتريك... سأتي إليك قريباً، ستكونين جاهزة، أليس كذلك يا ماري؟".

ثم عادت على الفور أغنية آني لوري تملأ جنبات الغرفة مرة أخرى.

تصلبت السيدة هارتر في كرسيها، وأمسكت بذراعيه بشدة، فهل كانت تحلم؟ باتريك! صوت باتريك! صوت باتريك في هذه الغرفة، كان يتحدث إليها، لا، لا بد من أنه حلم؛ وربما هلوسة. لا بد من أنها غفت دقيقة أو دقيقتين، إنه شيء غريب أن تسمع صوت زوجها الميت عبر الأثير، لقد أخافها هذا الأمر قليلاً، فما الكلمات التي قالها؟

"سأتي إليك قريباً يا ماري، ستكونين جاهزة، أليس كذلك؟".

هل يمكن أن يكون ذلك مجرد هاجس، أم نتيجة ضعف عضلة القلب؟ على أية حال لقد تعايشت مع هذا المرض فترة طويلة من عمرها.

قالت السيدة هارتر وهي تنهض ببطء شاعرة ببعض الألم: "هذا تحذير، إنه كذلك".

ثم أضافت على نحو مميز: "لقد بددت كل هذه الأموال على تركيب المصعد".

لم تتحدث عن هذا الأمر مع أي شخص، لكنها ظلت مشغولة به، وتفكر فيه بعد وقوعه بيوم أو يومين.

ثم وقع الحدث الثاني، وكانت للمرة الثانية تجلس وحدها في الغرفة، وكان المذياع يبث بعض المقطوعات الموسيقية، حيث توقف البث تمامًا فجأة، كما حدث من قبل، ومرة أخرى ساد الصمت، وبدا الصوت يخفت شيئاً فشيئاً، ثم جاء صوت باتريك، لم يكن ذلك الصوت مشابهاً لصوته في أثناء حياته، بل كان صوتاً روحانياً غير مألوف، ثم قال: "باتريك يتحدث إليك يا ماري، سأتي إليك في القريب العاجل..."

ثم دوى صوت طنين وطققة، وعادت المقطوعات الموسيقية تعزف مرة أخرى.

نظرت السيدة هارتر إلى الساعة... لا، فلم تكن نائمة هذه المرة، لقد كانت متيقظة وفي كامل وعيها حين سمعت صوت باتريك يتحدث إليها، ولم تكن هلاوس هذه المرة، لقد كانت متأكدة من ذلك، وفي ارتباك شديد أخذت تفكر في كل ما قاله لها تشارلز فيما يتعلق بنظرية موجات الأثير.

هل من الممكن أن يكون باتريك هو من يتحدث إليها حقاً؟ وهل من الممكن أن يكون صوته الحقيقي قد انتقل عبر الفضاء؟ ربما كانت هناك أطوال موجية مفقودة، أو شيء من هذا القبيل. لقد تذكرت حديث تشارلز عن "الفجوات في البث الإذاعي"، فهل يمكن أن تفسر الأمواج المفقودة ما يُسمى

بالظاهرة النفسية؟ لا، لم يكن هناك شيء مستحيل بطبيعته في هذه الفكرة، لقد تحدث إليها باتريك، واستفاد من الاختراعات الحديثة ليعدها لما سيحدث قريباً.

قرعت السيدة هارتر الجرس لخادمتها إليزابيث.

وكانت إليزابيث امرأة طويلة ونحيلة في الستين من عمرها، تخفي تحت مظهرها الخارجي الصارم فيضاً من الحنان والحب لسيدتها.

قالت السيدة هارتر عندما ظهرت خادمتها المخلصة: "هل تتذكرين يا إليزابيث ما أخبرتك به؟ الدرج الأيسر العلوي لمكتبي، إنه مغلق، والمفتاح هو ذلك المفتاح الطويل ذو العلامة البيضاء، ستجدين كل شيء جاهزاً هناك".

فسألتها: "ما الشيء الجاهز يا سيدتي؟".

فقالت لها: "الأشياء الخاصة بدفني، أنت تعرفين جيداً ما أعنيه يا إليزابيث، لقد ساعدتني على وضع الأشياء هناك بنفسك".

بدت علامات الدهشة على وجه إليزابيث.

وصاحت قائلة: "أه يا سيدتي، لا تفكري في مثل هذه الأشياء، إنني أراك في حالة أفضل".

قالت السيدة هارتر بنبرة واقعية: "كل واحد منا سيموت في يوم ما، لقد تجاوزت الستين من عمري، لا تجعلني نفسك تبدين كالحمقاء، إذا كان لا بد لك من أن تبكي، فاذهبي وابكي في مكان آخر".

ابتعدت عنها إليزابيث، ولكنها كانت لا تزال ترتجف.

أخذت السيدة هارتر تنظر إليها بقدر كبير من المودة، ثم قالت: "تلك العجوز الحمقاء، لكنها مخلصه، مخلصه للغاية، فلنر إذا كنت قد تركت لها مائة جنيه أم تركت خمسين فقط من أجلها؟ لا بد من أن أترك لها مائة، فهي تخدمني منذ فترة طويلة للغاية".

كانت هذه النقطة تقلق السيدة العجوز، وفي اليوم التالي جلست وكتبت لمحاميها تطلب منه أن يرسل إليها بالوصية التي تركتها حتى تلقي نظرة عليها، وكان ذلك هو اليوم نفسه الذي تحدث فيه تشارلز على الغداء بشيء ما أخافها كثيراً.

قال لها: "بالمناسبة يا عمتي ماري، من ذلك الرجل العجوز المضحك الذي تعلقين صورته في الغرفة الخالية - تلك الصورة التي توجد فوق رف المدفأة؟ أعني ذلك الرجل ذا السوائل الذي يرتدي خوذة؟".

فرمقته السيدة هارتر بنظرة صارمة، وقالت له: "هذا هو عمك باتريك، عندما كان شاباً".

فقال لها: "أه، يا عمتي ماري، أنا آسف للغاية، لم أقصد أن أكون وقحاً".

قبلت السيدة هارتر اعتذاره وهي تطأطئ رأسها في كبرياء. استطرد تشارلز بنبرة متشككة: "كنت أتساءل فقط، أنت تعرفين..."

ولكنه توقف عن الكلام، فقالت السيدة هارتر بنبرة حادة: "حسناً؟ ما الذي كنت ستقوله؟".

قال تشارلز بتردد: "لا شيء! أقصد ليس هناك شيء مهم".

أجاثا كريستي

لم تتحدث تلك السيدة العجوز في هذه اللحظة بشأن هذا الموضوع، ولكنها في اليوم التالي، وعندما كانت هي وتشارلز وحدهما، عادت مرة أخرى إلى هذا الموضوع.

قالت له: "أتمنى أن تخبرني يا تشارلز بالسبب الذي جعلك تسألني عن صورة عمك".

بدت علامات الخجل على وجه تشارلز، وقال لها: "لقد أخبرتك يا عمتي ماري بأنه لا يوجد أي شيء، بل إنه تصور سخيف، بل مضحك للغاية".

قالت السيدة ماري بصوت أكثر صرامة: "أنا مصرة على أن أعرف هذا الأمر يا تشارلز".

فقال تشارلز: "حسنًا يا عمتي ما دمت تريدين معرفة ذلك، فقد تخيلت أنني رأيت، أعني ذلك الرجل الموجود في الصورة، ينظر من النافذة الأخيرة عندما كنت في طريقي إلى المنزل الليلة الماضية، لكنني أعتقد أن هذا نتيجة تأثير الإضاءة، فتساءلت عمن يكون هذا الرجل، لقد كان وجهه يشبه تلك الوجوه الشائعة في بداية العصر الفيكتوري، أرجو أن تكوني قد فهمت ما أقصده، ثم أخبرتني إيزابيث بأنه لا يوجد في المنزل أي زائر أو غريب، ثم دخلت في المساء الغرفة الخالية، فرأيت صورة فوق المدفأة، وكان الرجل الذي رأيت قد عادت إليه الحياة! وأعتقد أن تفسير هذا الأمر سهل للغاية، فالأمر كله يعود إلى العقل الباطن، فلا بد من أنني لاحظت الصورة من قبل دون أن أدرك ذلك، ثم لاحظت بعد ذلك أن ذلك الوجه يطل من النافذة".

سألته السيدة هارتر بنبرة حادة، قائلة: "هل رأيته من النافذة الخلفية؟".

فأجابها قائلاً: "نعم، لماذا؟".

قالت السيدة هارتر: "لا شيء".

لكنها ظلت خائفة طوال الوقت، فقد كانت هذه غرفة ملابس زوجها.

ذات مساء، كان تشارلز غائباً عن المنزل مرة أخرى، فجلست السيدة هارتر تستمع إلى المذياع بنفاد صبر لا يطاق، فإذا سمعت ذلك الصوت الغامض للمرة الثالثة، فسيثبت لها نهائياً، ودون أدنى شك، أنها على اتصال فعلي بالعالم الآخر.

على الرغم من أن قلبها كان ينبض بشكل سريع، فإنها لم تُفاجأ عندما حدث التوقف نفسه، وبعد فترة الصمت المطبق المعتادة، تحدث الصوت الأيرلندي الخافت مرة أخرى، وهو يقول: "ماري، أنت مستعدة الآن... سأتي إليك يوم الجمعة... يوم الجمعة في التاسعة والنصف... لا تخافي، لن شعري بأي ألم... كوني مستعدة.."

وبمجرد خروج الكلمة الأخيرة، عادت الموسيقى تدوي في أرجاء المكان في صخب شديد.

جلست السيدة هارتر متجمدة في مكانها دقيقة أو دقيقتين، وشحب وجهها، واكتست ملامحها باللون الأزرق، فقد هربت الدماء منه، وزمت شفيتها في حزن شديد.

نهضت، ثم جلست إلى مكتبها، وكتبت بيد مرتعشة الكلمات التالية: لقد سمعت الليلة في تمام الساعة التاسعة والرابع بوضوح صوت زوجي المتوفى، وأخبرني بأنه سيأتي إليّ مساءً

أجاثا كريستي

يوم الجمعة في الساعة التاسعة والنصف، فإن مت في ذلك اليوم وفي تلك الساعة، فأود أن تعلموا أن إمكانية الاتصال بعالم الأرواح حقيقة لا تقبل الشك.

ماري هارتر

قرأت السيدة هارتر ما كتبه، ووضعته داخل مظروف، وكتبت عليه العنوان، ثم قرعت الجرس لاستدعاء إليزابيث التي أجابتها على الفور، فنهضت السيدة هارتر من فورها عن مكتبها، وسلمت الخطاب الذي كتبه من فورها إلى تلك السيدة العجوز، ثم قالت لها: "إليزابيث، إذا مت في مساء يوم الجمعة، أود أن تسلمي هذا الخطاب إلى الطبيب ماينيل"، وعندما لاحظت أن إليزابيث على وشك الاعتراض، بادرت بالقول: "لا، لا تجادليني، فكثيراً ما كنت تخبريني بأنك تؤمنين بالهواجس، لقد رأيت أحد تلك الهواجس الآن، وهناك شيء إضافي أود أن أخبرك به، لقد تركت لك في وصيتي خمسين جنيهًا، ولكنني أود أن أعطيك مائة جنيه، فإن لم أستطع الذهاب إلى البنك بنفسني قبل أن أموت، فإن السيد تشارلز سيقوم بهذا الأمر بدلًا مني".

وكما حدث من قبل، قاطعت السيدة هارتر احتجاجات إليزابيث التي كانت تنتحب، ولأنها كانت عازمة على إتمام هذا الأمر، تحدثت السيدة العجوز إلى ابن أخيها، في صباح اليوم التالي، في هذا الموضوع، قائلة: "تذكر يا تشارلز أنه لو حدث لي أي شيء، فعليك أن تعطي إليزابيث 50 جنيهًا إضافية".

فقال تشارلز في مرجح: "أنت مكتئبة للغاية هذه الأيام يا عمتي ماري، ما الذي سيحدث لك؟ فوفقًا لكلام السيد ماينيل،

إننا سنحتفل بعيد ميلادك المائة خلال عشرين عاماً أو ما شابه ذلك".

ابتسمت له السيدة هارتر بعطف، لكنها لم تجب، وبعد دقيقة أو دقيقتين قالت: "ماذا ستفعل يوم الجمعة مساءً يا تشارلز؟".
بدا تشارلز مندهشاً قليلاً: "في الحقيقة كنت سأذهب إلى عائلة إيونجز بناءً على طلبها لألعب الورق معها، لكن إن كنت تودين مني أن أبقى في المنزل..."

فقالت السيدة هارتر بإصرار: "لا، بالطبع لا، أعني يا تشارلز أنني في هذا المساء خاصة، أود أن أكون وحدي".

نظر إليها تشارلز باستغراب، لكن السيدة هارتر لم تفصح عن مزيد من المعلومات، لقد كانت سيدة عجوزاً تتحلى بالشجاعة والإصرار، فقد شعرت بأنه يجب أن تخوض تجربتها الغريبة وحدها.

وفي مساء يوم الجمعة ساد المنزل صمت مطبق، وكانت السيدة هارتر تجلس كعادتها على الكرسي ذي الظهر العالي بالقرب من المدفأة، وكانت قد أعدت كل شيء، فقد ذهبت إلى البنك ذاك الصباح، وسحبت خمسين جنيهاً، وأعطت إليزابيث إياها على الرغم من اعتراضاتها الباكية، وكانت قد فرزت كل متعلقاتها الشخصية وجمعتها، وخصصت قطعة أو قطعتين من مجوهراتها لصديقاتها أو قريباتها، وكتبت عليها أسماءهن، وكتبت قائمة من التعليمات لتشارلز، ومنها أن يمنح مجموعة طقم الشاي من ماركة ووستر لابنة العمه إيما، والبرطمانات من ماركة سيفريس إلى الشاب ويليام، وما إلى ذلك.

أخذت تنظر الآن إلى المظروف الطويل الذي كانت تمسكه في يدها، وأخرجت منه وثيقة مطوية، وكانت هذه الورقة هي وصيتها التي أرسل بها إليها السيد هوبكنسون وفقاً لتعليماتها، وكانت قد قرأتها بعناية، ولكنها كانت تلقي عليها نظرة ثانية لتتذكر ما ورد بها، كانت وثيقة قصيرة وموجزة، وكانت تشتمل على خمسين جنيهاً لـ إليزابيث مارشال مكافأة لها على خدمتها بإخلاص، ومبلغين بقيمة خمسمائة جنيه لشقيقتها، وابنة عمها، وباقي ما تملك تركته لابن أخيها تشارلز ريدجواي.

أومأت السيدة هارتر برأسها عدة مرات، فسيصبح تشارلز رجلاً غنياً جداً بعد موتها. حسناً، لقد أحسن معاملتها على الدوام، وكان لطيفاً معها، وحنوناً، وكان يمطرها بكلماته الرقيقة التي كانت تسعدها دائماً.

نظرت إلى الساعة، فوجدت أنه لا يتبقى على الساعة التاسعة والنصف سوى ثلاث دقائق فقط، وكانت مستعدة وهادئة؛ هادئة تماماً، وعلى الرغم من أنها كررت هذه الكلمات الأخيرة لنفسها عدة مرات، فإن قلبها أخذ ينبض بشكل غريب، وغير منتظم، وكانت لا تكاد تدرك ذلك، غير أن أعصابها قد توترت للغاية.

وفي التاسعة والنصف، فُتح المذياع، فما الذي ستسمعه؟ هل ستسمع ذلك الصوت المألوف يذيع أخبار الطقس، أم ستسمع ذلك الصوت البعيد لذلك الرجل الذي توفي منذ خمسة وعشرين عاماً؟

لكنها لم تسمع أيّاً من هذين الصوتين، وسمعت بدلاً من ذلك صوتاً مألوفاً؛ صوتاً تعرفه جيداً، لكنه جعلها هذه الليلة

تشعر بأن يداً حنوناً قد وضعت على قلبها، فأثلجت صدرها، ولكنها سمعت وقع أقدام عند الباب...

سمعت ذلك الصوت مرة أخرى، ثم شعرت بتيار بارد يسري في كل أرجاء الغرفة، ولم يعد لدى السيدة هارت رأي شك في شعورها على الإطلاق. كانت خائفة... بل كانت خائفة للغاية، لقد شعرت بالرعب الشديد...

وفجأة خطرت في بالها فكرة، حيث قالت في قرارة نفسها: "إن خمسة وعشرين عامًا فترة طويلة للغاية، لقد أصبح باتريك رجلاً غريبًا بالنسبة إليّ الآن".

إنه الرعب الذي تخلل كل جزء من أجزاء جسدها! سمعت وقع خطوات خافتة خارج الباب، ثم توقف هذا الموقع في هدوء، ثم فتح الباب وخيم السكون على المكان... أخذت السيدة هارتر تترنح قليلاً، وتتمايل من جانب إلى آخر، وعيناها مثبتتان على المدخل، وانزلق شيء ما من بين أصابعها، ووقع في المدفأة.

وأطلقت صرخة مخنوقة لم تخرج من حلقها، ففي ذلك الضوء الخافت عند مدخل الغرفة كان يقف هناك شخص مألوف لها، ذو لحية كستنائية، وسالطين على جانبي وجهه، ويرتدي معطفًا ذا طراز قديم من العصر الفيكتوري.

لقد أتى باتريك من أجلها!

خفق قلبها بشدة، ثم سكن، وسقطت على الأرض.

عثرت إليزابيث على جثتها بعد مضي ساعة.

وعلى الفور استدعى الطبيب ماينيل، كما استدعى تشارلز ريدجواي من حفلة لعب الورق التي كان يحضرها، لكن لم يكن

هناك أي شيء بوسعهما فعله، فلم تعد أية قوة بشرية قادرة على إنقاذ السيدة هارتر.

لم تتذكر إليزابيث أمر الرسالة التي أعطتها سيدتها إياها إلا بعد مضي يومين، فقرأها الدكتور ماينيل باهتمام شديد، ثم أعطى تشارلز ريدجواي إياها.

ثم قال: "يا له من أمر غريب للغاية! من الواضح أن عمك كانت تعاني بعض الهلوس بشأن صوت زوجها المتوفى، لقد أصابت نفسها بالتوتر إلى حد بعيد؛ حتى إنها شعرت بانفعال شديد، وعندما حان الوقت، ماتت من هول الصدمة".

فسأله تشارلز: "هل كان هذا إيحاءً ذاتياً؟"

أجابه قائلاً: "شيء من هذا القبيل، سأخبرك بنتيجة التشريح في أقرب وقت ممكن، على الرغم من أنني لا يساروني أي شك بشأن سبب موتها، ففي هذه الظروف يكون تشريح الجثة مطلوباً، على الرغم من كونه مسألة شكلية".

أوما تشارلز برأسه موافقاً على كلام الطبيب.

في الليلة الماضية، عندما ذهبت السيدة إليزابيث لتنام، أزال تشارلز سلكاً معيناً كان يمتد من الجزء الخلفي للمذياع إلى غرفة نومه في الطابق العلوي، وكان هذا المساء بارداً للغاية، فطلب من إليزابيث قبل أن تنام إشعال المدفأة في غرفته، وأحرق فيها لحية كستنائية وسالفين، وأعاد تلك الملابس التي تنتمي إلى العصر الفيكتوري، التي كانت تخص عمه الراحل، إلى تابوت كانت تفوح منه رائحة الكافور في العلية.

ولقد ظن أنه الآن بعيد عن أية شبهات، إذ إن خطته، التي تبلورت للمرة الأولى في ذهنه عندما قال له الطبيب ماينيل إن عمته قد تعيش سنوات طويلة عند رعايتها على نحو جيد، قد توجت بالنجاح على نحو مذهل، وقد قال الطبيب ماينيل إنها قد ماتت نتيجة صدمة مفاجئة، وظل تشارلز، ذلك الشاب الحنون الذي تحبه السيدات العجائز، معجباً للغاية بنفسه.

عندما غادر الطبيب، أدى تشارلز واجباته بشكل تلقائي؛ فقد كان لا بد من تحضير الترتيبات الخاصة بالجنائز؛ حيث يجب حجز القطارات للأقارب القادمين من أماكن بعيدة، ولا بد من أنهم سيقضون الليل في المنزل بشكل أو بآخر، وقد جهز تشارلز الترتيبات كلها بكفاءة وإتقان، على الرغم من ذلك التيار من الأفكار الخفية التي كانت تدور في رأسه.

عمل عظيم للغاية! لقد كان هذا الأمر يشكل عبئاً بالنسبة إليه، فلم يكن أحد يعرف حتى عمته المتوفاة مدى العبء الذي كان يحمله تشارلز على عاتقه، فقد كادت أفعاله، التي أخفاها عن العالم باحتراس، تذهب به إلى السجن.

فقد كان على وشك التعرض للدمار والفضيحة ما لم يتمكن في غضون أشهر قليلة من جمع مبلغ كبير من المال، ولكن ما يهم الآن أن كل شيء سار على ما يرام، وابتسم تشارلز لنفسه معجباً بها، ناسباً الفضل في ذلك إلى تلك الدعابة السخيفة، فلا شبهة جنائية حول هذه الدعابة التي أنقذته، فقد أصبح رجلاً ثرياً للغاية الآن، ولم تعد لديه مخاوف بشأن ذلك الموضوع، فلم تكن السيدة هارتر تعلم أي شيء عن نياته.

أجاثا كريستي

وبينما كان غارقاً في هذه الأفكار، ظهرت إليزابيث عند الباب، وأبلغته بأن السيد هوبكنسون قد حضر ويرغب في رؤيته. ففكر تشارلز في الوقت الذي قد يستغرقه هذا اللقاء، ومنع نفسه من إطلاق صوت يعبر عن غضبه، ورسم علامات الوقار على وجهه، ثم توجه نحو المكتبة، واستقبل هناك ذلك الرجل العجوز المخضرم، الذي ظل المستشار القانوني للسيدة الراحلة هارتر أكثر من ربع قرن.

جلس المحامي بعد دعوة تشارلز إياه إلى الجلوس، ثم تنحى وبدأ الحديث عن الموضوع، قائلاً: "أنا لم أفهم الخطاب الذي أرسلت به إليّ يا سيد ريدجواي، يبدو أنك تعتقد أن الوصية الأخيرة للسيدة هارتر في حوزتي، أليس كذلك؟".

فحدّق إليه تشارلز، قائلاً: "لكنني متأكد، لقد سمعت عمتي تقول هذا الأمر أكثر من مرة".

فقال له المحامي: "أه! صحيح تماماً، صحيح، لقد كانت بحوزتي بالفعل".

فسأله تشارلز متعجباً: "أتقول كانت؟".

فأجابته: "نعم، قلت ذلك، لقد أرسلت إليّ السيدة هارتر تطلب مني أن أرسل إليها بالوصية يوم الثلاثاء الماضي".

تسلل شعور غير مريح إلى تشارلز، فقد شعر بهاجس داخلي يوحى بالتعاسة.

أضاف المحامي بسلاسة، قائلاً: "سنعثر عليها بين أوراقها بلا شك".

لم يقل تشارلز أي شيء، فلقد كان خائفاً من تصديق كلام المحامي، فقد بحث بالفعل بين أوراق السيدة هارتر، لقد بحث بشكل دقيق، وتأكد أنه لا توجد أية وصية بين أوراقها، وبعد دقيقة أو دقيقتين، وبعد أن تما لك نفسه مرة أخرى، ذكر هذا للمحامي، وبدا صوته غير حقيقي لنفسه كذلك، وانتابه إحساس بأن هناك من يفسد عليه خطته.

فسأل المحامي: "هل بحث أي شخص في مقتنيات الشخصية؟"

أجاب تشارلز قائلاً إن خادماتها إيزابيث قد فعلت ذلك، فاستدعى إيزابيث بناءً على رغبة السيد هوبكنسون، وقد جاءت في الحال، ووقفت منتصبه القامة، وقد بدا العبوس على وجهها، وأجابت عن الأسئلة التي وُجِعت إليها.

لقد بحثت في كل ملابس سيدتها وفي متعلقاتها الشخصية كذلك، وهي متأكدة تماماً أنه لم تكن هناك أية وثيقة قانونية بين أغراضها، إنها تعرف شكل الوصية، لقد أعطت سيدتها إياها صبيحة يوم موتها.

سألها المحامي بنبرة حادة: "هل أنت متأكدة من هذا؟". فأجابته: "نعم يا سيدي، لقد أخبرتني بذلك، وأعطتني خمسين جنيهاً، وكانت الوصية موضوعة في مظروف أزرق طويل".

قال السيد هوبكنسون: "هذا صحيح تماماً".

أجاثا كريستي

أضافت إليزابيث قائلة: "تذكرت الآن، لقد كان هذا المظروف الأزرق موضوعاً على هذه المنضدة صباح اليوم التالي، ولكنه كان فارغاً، ووضعتة على المكتب".

قال تشارلز: "لقد تذكرت أنني رأيته هناك".

فنهض وتوجه ناحية المكتب، وخلال بضع دقائق كان قد أتى إلى السيد هوبكنسون وهو يمسك بيده مظروفاً وسلمه إياه، فتحصه المحامي، ولكنه أخذ يهز رأسه في يأس، ثم قال: "هذا هو المظروف الذي أرسلت فيه الوصية إليها يوم الثلاثاء الماضي".

رمق كلا الرجلين إليزابيث بنظرات حادة.

ولكنها تساءلت بأدب قائلة: "هل تود أن توجه إلي أي سؤال آخر يا سيدي؟".

فقال لها: "لا، ليس الآن، شكراً لك".

توجهت إليزابيث ناحية الباب.

فقال لها المحامي: "انتظري دقيقة واحدة، هل كانت هناك نيران مشتعلة في المدفأة في ذلك المساء؟".

فأجابت: "نعم، يا سيدي تظل نيران المدفأة مشتعلة دائماً".

فقال لها: "شكراً لك، هذا يفي بالغرض".

خرجت إليزابيث، وانحنى تشارلز إلى الأمام، ووضع يديه المرتعشتين على المنضدة.

وسأل المحامي قائلاً: "ما الذي تفكر فيه؟ ما الذي تحاول التلميح إليه؟".

هز السيد هوبكنسون رأسه، ثم قال: "لا بد من أن نظل متمسكين بالأمل في أن تظهر الوصية، فإن لم تظهر..."
 فسأله تشارلز: "حسنًا ماذا لو لم تظهر الوصية؟"
 أجاب المحامي: "أخشى ألا يكون أمامنا إلا استنتاج وحيد، وهو أن تكون عمك قد أرسلت في طلبها للتخلص منها، ونظرًا إلى أنها لم تكن ترغب في أن تخسر إيزابيث إرثها، أعطته إياها نقدًا".

صاح تشارلز في غضب، قائلاً: "ولكن لماذا؟ لماذا تفعل ذلك؟"

تنحى السيد هوبكنسون، ثم سأله قائلاً: "هل كان لديك... أي خلاف مع عمك، يا سيد ريدجواي؟"

شهق تشارلز، ثم صاح بحرارة، قائلاً: "لا، بالطبع. لقد كانت علاقتنا قائمة على الود والعطف منذ البداية حتى النهاية".
 قال السيد هوبكنسون، وهو يشيخ بنظره بعيداً عنه: "أه".

أصيب تشارلز بصدمة إثر عدم تصديق المحامي إياه، فمن يدرى ماذا سمع هذا المحامي العجوز الجلف؟ لا بد من أنه قد وصلت إليه شائعات عن أفعال تشارلز، فمن الطبيعي أنه يعتقد أن تلك الشائعات قد نمت إلى علم السيدة هارتر، ودبت خلافات بين العمه وابن الأخ بشأن هذا الأمر.

لكن الأمر لم يكن كذلك! إنها إحدى اللحظات الأكثر مرارة في مسيرته مع الخداع، فقد صدقت أكاذيبه من قبل، أما الآن فيُكذَّب وهو يقول الحقيقة، يا للسخرية!

أجاثا كريستي

إن عمته لم تحرق الوصية بالطبع! ولكنه تذكر شيئاً ما فجأة، ما تلك الصورة التي تذكرها في مخيلته فجأة؟ إنها امرأة عجوز تضع يدها على قلبها... وشيء ما يسقط من بين يديها... ورقة... تسقط بين الجمر المشتعل...

شحب وجه تشارلز تماماً، وأخذ يسأل بصوت أجش، قائلاً: "ماذا لو لم نجد تلك الوصية على الإطلاق...؟" أجابه المحامي: "ما زالت هناك وصية سابقة للسيدة هارتر، بتاريخ سبتمبر 1920، وقد تركت بموجبها كل ما تملك لابنة أخيها السيدة ميريام هارتر، التي أصبحت الآن ميريام روبنسون".

ما الذي يقوله هذا العجوز الأحمق؟ ميريام؟ ميريام وزوجها السمج وأولادها الأربعة المزعجون، هل خطط لكل هذا بهذه البراعة من أجل ميريام؟ رن الهاتف بصوت مرتفع، وكان موجوداً إلى جوار مرفقه، رفع السماعه، وصل إلى مسمعه صوت الطبيب وهو يتحدث بود ودفء، وقال له: "هل هذا أنت يا سيد ريدجواي؟ أعتقد أنك تريد أن تعرف هذا، لقد انتهى تشريح الجثة، لقد كان سبب الوفاة كما توقعت، ولكن في الواقع، كانت مشكلة القلب أكثر خطورة مما كنت أتوقع عندما كانت على قيد الحياة، وبهذا حتى إن توفر لها أقصى قدر من الرعاية، لم تكن تستطيع العيش أكثر من شهرين، أعتقد أنك تريد أن تعرف ذلك، فقد يهون ذلك عليك الأمر بطريقة أو بأخرى".

فقال تشارلز: "معدرة، هل يمكن أن تكرر ما قلته من فورك؟".

فقال الطبيب بنبرة مرتفعة قليلاً: "لم يكن لها أن تعيش أكثر من شهرين، لكن كل ما يحدث هو خير كما تعلم يا عزيزي..."

وضع تشارلز السماعة، وكان يشعر بأن صوت المحامي يأتي إليه من بعيد، يسأله قائلاً: "عزيزي السيد ريدجواي، هل أنت مريض؟".

سحقاً لهم جميعاً! ذلك المحامي ذو الوجه المتعجرف، والطبيب ماينيل الأحمق الشرير، لقد تبخر الأمل تماماً، ولم يبق أمامه سوى السجن...

لقد شعر بأن هناك أحداً ما يتلاعب به... كما يتلاعب القط بالفأر، لا بد حتماً من أن هناك أحداً يسخر منه...

المرأة المتدينة

خلع السيد شيفر قبعته، ومسح جبينه المتعرق، فقد كان يشعر بالحر الشديد، وقد نال منه الجوع والعطش، وبخاصة العطش، كما كانت مشاعر القلق تطفئ عليه بشدة، فأمامه مساحات صفراء شاسعة ممتدة، وقد اخترقت "أطلال" الجزء الخارجي لمدينة "ريف" خط الأفق من خلفه، أما من بعيد، وفي اتجاه جوهانسبرج، فقد دوى صوت يشبه صوت الرعد، لكنه لم يكن رعداً؛ حيث إن السيد شيفر كان يعرف هذا الصوت جيداً، فقد كانت ثمة أصوات رتيبة تدوي بشكل منتظم، احتفاءً بانتصار القانون والنظام على قوى الثورة.

كانت هذه الأصوات تلقائياً ترهق السيد شيفر أيما إرهاق، حيث وجد نفسه في موقف صعب للغاية، فقد كان الإعلان السريع والفعال للأحكام العرفية متبوعاً بوصول سموتس، وإطلاق النار على إطار سيارته، له دور كبير في إفساد تلك الخطط التي وضعها شيفر وزملاؤه بعناية، أما شيفر نفسه فقد هرب بشق الأنفس من ذلك السجن الذي كان قد وُضع فيه، صحيح أنه الآن حر طليق، لكن الأوضاع الحالية غير مطمئنة، والمستقبل يبدو أنه ينطوي على العديد من العقبات التي ربما لن تجعله ساراً.

أخذ السيد شيفر بلهجة ألمانية طليقة يلعن البلد، والمناخ، ومنجم راند للماس، وجميع العاملين فيه، وخاصة أصحاب العمل المتأخرين، وبصفته قائداً محرصاً على قتل الأعداء، ويتقاضى أجراً مقابل ذلك، كان يؤدي عمله بكفاءة ألمانية حقيقية، لكن نشأته العسكرية وسنوات خدمته في الجيش الألماني في بلجيكا، جعلته يعجب بشدة بقوة سموتس، ويحتقر هؤلاء الجنود غير المدربين وغير المنضبطين الذين انهاروا تماماً في أول اختبار حقيقي لهم.

قال السيد شيفر في عبوس، وهو يرطب شفثيه المتشققتين بلسانه: "إنهم حثالة جديرون بالازدراء، لا يؤدون أية تدريبات، ولا ينفذون الأوامر، ولا يعرفون شيئاً اسمه الانضباط، إنها قوات ممزقة تركض باتجاه الخلاء الشاسع! أه! لو كان بينهم رقيب تدريب واحد فقط من مدينة بروسيا".

ثم استقام ظهره بشكل تلقائي؛ حيث كان يحاول التظاهر طيلة عام بأنه شخص أحذب يضع لحية شعثناء؛ حتى يبدو تعامله الظاهري في بيع بعض الخضراوات البسيطة مثل الملفوف، والقرنبيط، والبطاطس، أقل إثارة للشك. سرت قشعريرة باردة في ظهره عندما أخذ يفكر في أن بعض الأوراق قد تكون الآن في أيدي الجيش؛ تلك الأوراق التي تشير فيها كلمة "الملفوف" إلى "الديناميت"، وكلمة "البطاطس" إلى "المتفجرات".

كانت الشمس على وشك أن تغوص في الأفق، ويحل المساء ببرودته، فلو أنه يستطيع فقط الوصول إلى إحدى المزارع التي يعرفها (كان يعرف واحدة أو اثنتين في المنطقة المجاورة)،

فربما يجد مأوى له حتى انقضاء الليل، وقد يحصل على توجيهات تضعه على طريق الحرية في الغد.

وفجأة ضاقت حدقتا عينيه بشكل ملحوظ عندما وقعت على نقطة ما تقع على أقصى يساره.

فقال السيد شيفر: "ذرة! وحيثما توجد الذرة، توجد بالتأكيد مزرعة ليست بعيدة عن هنا".

ولقد ثبتت صحة كلامه، فقد كان هناك طريق وعري يؤدي إلى أرض مزروعة، فمر أولاً بين مجموعة من الأماكن المخصصة للماشية، واستطاع السير بينها بمهارة (فقد كان لا يريد أن يراه أحد إذا لم تكن تلك المزرعة هي واحدة من تلك التي كان يسعى إلى اللجوء إليها)، ثم سار حول أرض مرتفعة قليلاً، ووصل فجأة إلى المزرعة نفسها، والتي كانت عبارة عن مبنى منخفض معتاد، بسقف مموج، وشرفة ذات مدخلين على جانبي المنزل.

كانت الشمس تغرب حينئذ، وينتشر الشفق المتوهج في الأفق، وكانت هناك امرأة تقف عند المدخل المفتوح، تشاهد الشمس وهي تغيب في الأفق ويحل الظلام، وضع السيد شيفر القبعة فوق عينيه، ثم صعد الدرج.

ثم سألها قائلاً: "هل هذه هي مزرعة السيد هينشيل؟".
 أومأت له المرأة برأسها دون أن تنطق بكلمة واحدة، وكانت تنظر إليه بعينيها الزرقاوين الواسعتين، فتنفس شيفر الصعداء، ثم نظر إليها ثانية بشيء من التقدير؛ فقد كان معجباً بالسيدات الهولنديات الجميلات، وكانت قوية البنية، ذات جسم ممتلئ، ولم تكن شابة، فقد كانت تقترب من الأربعين، ذات شعر أصفر،

يتخلله بعض الشعر الرمادي عند منتصف جبهتها العريضة، كانت لها هيبة ووقار كأنها زوجة رجل دين مسن.

قال السيد شيفر في قرارة نفسه، وهو يشعر بالسرور: "ربة منزل جيدة، أرجو أن تكون طباحة ماهرة".

قال الرجل الألماني: "السيد هينشيل ينتظر مجيئي"، ثم أضاف بنبرة منخفضة قليلاً: "إنني مهتم بزراعة البطاطس".

ردت عليه الرد المنتظر، حيث قالت له: "ونحن أيضاً نزرع الخضراوات"، وقالت هذه الكلمات بشكل صحيح، ولكن بلكنة قوية، فمن الواضح أنها لم تكن تجيد التحدث بالإنجليزية؛ وأرجع شيفر ذلك إلى كونها تنتمي إلى إحدى العائلات القومية الهولندية التي تحرّم على أطفالها تحدث لغة الغريباء، ثم أشارت إلى خلفه بيدها الغليظة التي كانت تمتلئ بالبقع من أثر العمل. وسألته قائلة: "هل أتيت من جوهانسبرج؟".

فأوماً برأسه.

ثم قال: "لقد انتهت الأمور هناك، واستطعت الهرب من هناك بصعوبة، ثم ضللت الطريق في الصحراء الشاسعة، وكان من حسن حظي أن سلكت الطريق حتى وصلت إلى هنا".

هزت المرأة الهولندية رأسها، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة غريبة، أضافت المزيد من الإشراق على ملامحها.

وقالت له: "لا منقذ لنا إلا الله، ادخل إذن".

استحسن السيد شيفر كلماتها؛ فقد كان يحب المرأة المتدينة، وتجاوز العتبة، فتنحت جانباً حتى يتمكن من المرور، وكانت الابتسامة لا تزال مرسومة على وجهها، ثم خطر بباله

فجأة أن هناك شيئاً ما هنا لا يستطيع فهمه، لكنه تخلى عن هذه الفكرة باعتبارها غير مهمة.

فقد وجد أن المنزل يشبه في بنائه معظم المنازل التي كانت في ذلك الوقت على شكل حرف "H"، فكانت القاعة الداخلية التي تفتح عليها الغرف من النواحي كافة رائعة الجمال، وأعدت المائدة لتناول الطعام، فصحبته المرأة إلى غرفة النوم، حيث خلع حذاءه من قدميه اللتين كانتا تؤلمانه بشدة، وبينما كان عائداً إلى الصالة مرة أخرى، وجد السيد هينشيل في انتظاره، كان رجلاً إنجليزياً بوجه بغيض يشع بلاهة؛ شخصاً خبيثاً يعشق إلقاء الكلمات والعبارات الشهيرة الرنانة، كان من بينها عبارات تشير إلى تراجع أعمال شيفر، وأنه يعرف هذا النوعية من الأعمال جيداً، كما تناولا بالحديث تعسف الرأسماليين من "الأغنياء الذين يستغلون الفقراء"، ومساوئ غرف المناجم، وقدرة التحمل الكبيرة التي يتمتع بها عمال المناجم، كانت هذه هي الموضوعات التي أسهب هينشيل في الحديث عنها، بينما كان شيفر يومئ برأسه بضجر، فقد كان كل تركيزه منصباً على الطعام والشراب فقط.

ظهرت المرأة أخيراً وهي تحمل إناءً من الحساء، يتصاعد منه البخار، وجلسوا معاً، وبدأوا تناول الطعام، وكان الحساء شهياً. استرسل هينشيل في الحديث، فيما كانت زوجته صامته لا تتحدث، واكتفى شيفر بالتفوه ببعض الكلمات القليلة، وبعض الهمهمات المناسبة، عندما غادرت السيدة هينشيل الغرفة لتحضر باقي الأشياء، قال شيفر للسيد هينشيل بتقدير:

"زوجتك طباحة ماهرة، أنت محظوظ، ليس كل السيدات الهولنديات يُجدن الطهو".

حدق إليه هينشيل، ثم قال له: "ولكن زوجتي ليست هولندية".

راقب شيفر دهشته، ولكن كلام هينشيل الوجيه عن هذا الأمر، وشعور شيفر بعدم الارتياح حيال هذا، جعله لا يوجه المزيد من الأسئلة في هذا الشأن. لقد كان أمراً غريباً، فقد كان متأكداً أنها هولندية.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام، جلس في الشرفة في ذلك المساء البارد يدخن، وقد سمع صوت باب يُغلق بقوة في مكان ما في المنزل من خلفه، تبعه صوت ضجيج حوافر الخيل، فمال إلى الأمام، وأطرق السمع بينما كانت هذه الأصوات تخفت، وكان يشعر بعدم الراحة، فحاول أن يبرح مكانه مندفعاً، فوجد السيدة هينشيل تقف بالقرب منه، وتمسك في يدها بفنجان من القهوة، وضعت على الطاولة الصغيرة إلى جانبه.

أوضحت له الأمر، قائلة: "لقد ذهب زوجي إلى مدينة كلويت لعمل الترتيبات اللازمة لنقلك في الصباح".
فقال: "حسناً فهمت".

لكن الشيء الغريب أنه كان لا يزال يشعر بعدم الارتياح.
فسألها: "متى سيعود؟".

فأجابته: "بعد منتصف الليل".

ازداد شعوره بالقلق، ولكن ما الذي كان يخشاه؟ من المؤكد أن هينشيل لن يستدعي له الشرطة، أليس كذلك؟ لقد كان

أجاثا كريستي

الرجل مخلصًا، ثوريًا متحمسًا. وحقيقة الأمر هي أن أعصابه هو "كونارد شيفر" قد توترت، وبات منفعلاً! إن الجندي الألماني (كان شيفر يفكر في نفسه دائماً وبغير وعي بوصفه جندياً) لا يتوتر، وأخذ فنجان القهوة من جانبه، وأخذ يرتشف منه، فبدت على وجهه علامات الامتقاع، يا لها من قهوة سيئة! جوز البلوط المحمص! لقد كان على يقين بأنه جوز البلوط المحمص!

وضع الفنجان مرة أخرى، وبينما كان يفعل ذلك تنهدت المرأة التي كانت تقف إلى جانبه، لقد نسي تقريباً وجودها. فسألها: "ألن تجلسي؟"، ولم يبدِ أية حركة تدل على أنه سيقوم من مكانه لأجلها.

فهزت رأسها بالنفي. وقالت: "يجب أن أرفع الأطباق من فوق المنضدة وأنظفها، ثم أرتب المنزل".
أوما شيفر برأسه موافقاً.

وقال لها بلطف: "أعتقد أن الأطفال قد ناموا بالفعل".
ساد صمت قبل أن تجيب قائلة: "ليس لدي أطفال".
شعر شيفر بالدهشة، فمنذ المرة الأولى التي رآها استشعر فيها ملامح الأمومة.

أخذت الفنجان، وسارت به حتى باب مدخل الشرفة، ثم استدارت إليه، قائلة: "كان لدي طفل، لكنه مات..."
قال شيفر بنبرة حنون: "أه! أنا آسف".

لم ترد المرأة، ووقفت هناك دون أن تبدي أية انفعالات، ثم اجتاح شيفر في ذلك الوقت شعور جامح بعدم الارتياح، لكنه عرف سبب شعوره هذا في هذه المرة، إنه ليس نابغاً من المنزل أو هينشيل، إن قلقه نابغ من تلك المرأة العريضة، ثقيلة الخطو؛ تلك المرأة التي تزوجها هينشيل، وهي ليست هولندية أو إنجليزية، فازداد فضوله، فسألها عما يراوده بكل صراحة فيما يخص جنسيتها.

فأجابته: " فلمنكية "

قالت الكلمة على نحو مفاجئ، ثم دلفت إلى المنزل، وتركت السيد شيفر يشعر بالانزعاج والإحباط.

فلمنكية! هكذا الأمر! إذن؟ فلمنكية! جال بعقله ذهاباً وإياباً من المسطحات الطينية من بلجيكا إلى الهضاب المشمسة في جنوب أفريقيا. فلمنكية! لم يعجبه ذلك، فالفرنسيون والبلجيكيون غريبون للغاية! فهم لا يستطيعون النسيان.

شعر بأن تشوشاً كبيراً قد أصاب ذهنه، وتشاءب مرتين أو ثلاث مرات، تشاءب بشدة، كان يجب أن ينام... أوه! كم كانت هذه القهوة التي قدمتها إليه مرةً للغاية، إنه ما زال يشعر بمرارتها في حلقة.

ظهر ضوء داخل المنزل، فنهض من مكانه وتوجه ناحية الباب، وشعر بأن ساقيه غير ثابتتين على الأرض، وعندما دلف إلى المنزل، رأى تلك المرأة تجلس وتقرأ على ضوء مصباح زيتي صغير، فشعر السيد شيفر بالاطمئنان على نحو غريب عندما رأى ذلك الكتاب الكبير، وهي تضعه على ركبتها. إنه

أحد الكتب الدينية لأنه يعجب بهؤلاء السيدات المتدينات، فقد كان متديناً ويؤمن بالله.

تعثرت قدمه في أحد الكراسي، فجلس عليه (ما الذي حدث لساقيه؟) ثم سألها بصوت غليظ وغريب وهو يقمع تثاؤباً شديداً آخر عن الفصل الذي تقرأه.

التقت عيناها الزرقاوان اللتان تقعان تحت حاجبيها العريضين بعينه، كان هناك شيء غامض في أعماقهما، ربما بدت حينها كأنها امرأة ذات شأن كبير.

أجابته قائلة: "الفصل الرابع من قسم القضاة".

فأوماً برأسه، وهو يتثاءب مرة أخرى، لا بد من أن يذهب إلى السرير... لكنه لم يكن يقوى كذلك على النهوض من مكانه... فأغلق جفنيه...

وأخذ يفكر والنوم يغالبه: "الفصل الرابع من قسم القضاة؟ ما الفصل الرابع من قسم القضاة؟"، وعاد الشعور بعدم الارتياح يساوره من جديد، واجتاحه الرعب، كان هناك شيء خطأ... القضاة... ثم غلبه النعاس... وغط في النوم العميق، وصحبه الرعب إلى هناك.

استيقظ، وحاول أن يعود إلى وعيه رويداً رويداً... لقد مر الكثير من الوقت، وكان متأكداً من هذا، أين كان؟ أغمض عينيه من شدة الضوء، وكان يشعر بألم في ذراعيه وقدميه... كان يشعر بأنه مريض... كان لا يزال يشعر بطعم القهوة المر في فمه... لكن ماذا كان هذا؟ كان مستلقياً على الأرض، ويداه وقدماه مقيدة بشرائط من القماش، وتقف أمامه تلك المرأة

المتجهمة التي لم تكن هولندية، فاستعاد ذكاه في لحظة من الخوف اليأس المطلق، إنه في خطر... خطر عظيم...

شعرت من خلال عينيه بازدياد وعيه، ثم أجابت تلك الأسئلة التي كانت تجول في خاطره، وكأنه كان يسألها إياها. قالت له: "نعم، سأخبرك بكل شيء الآن، هل تتذكر مرورك بمكان ما يسمى فوج بلات في بلجيكا؟"

تذكر الاسم، تلك القرية الفقيرة التي مربها مع مجموعة من الجنود.

أومأت برأسها، ثم استرسلت قائلة: "لقد أتيت إلى باب منزلي ومعك مجموعة من الجنود الآخرين، ولم يكن زوجي في البيت، فقد كان مع الجيش البلجيكي، فزوجي الأول لم يكن هينشيل، فأنا لم أتزوجه إلا منذ عامين. أما ابني، صغيري، وكان ذا أربعة أعوام فقط، فقد هرب، وبدأ يصرخ، فماذا كان ليفعل أي طفل مكانه؟ كان خائفاً من الجنود، لقد أمرته أن يتوقف، لكنه لم يستطع، وكنت تمسك بالسكين، أه! يا إلهي! قطعت يده، ضحكت حينها، وقلت: "لن تمسك هذه اليد سلاحاً وتحارب به بلدي أبداً".

فصرخ شيفر بصوت حاد، وقال: "لا، ليس صحيحاً، حتى إن كان الأمر كذلك، لقد كنا في حالة حرب!"

لم تعره أي اهتمام، واسترسلت قائلة: "فضربتك في وجهك، فهل كانت أي أم ستفعل غير ذلك؟ ثم أمسكت بالطفل، وصدمته في الحائط..."

توقفت عن الكلام، بعد أن تحشرج صوتها، وجسدها يرتعش... أخذ شيفر يهمس بنبرة ضعيفة، وقد تخلى عن فكرة الإنكار: "لقد كنا في حرب... كنا في حرب..."

وبدأ جبينه يتعرق، فقد كان بمفرده مع هذه المرأة على بعد كيلومترات من النجدة...

ثم أضافت قائلة: "لقد تعرفت عليك في الحال عندما رأيتك في الظهيرة، على الرغم من تلك اللحية التي تضعها، لكنك لم تتعرف عليّ، لقد قلت إن المصادفة السعيدة هي التي قادتك إلى هنا، لكنني أعرف أن قدر الله هو الذي ساقك إلى هنا..."

دبت الطاقة في جسدها، وومضت عيناها بنظرة غاضبة. إن ربها هو رب شيفر؛ رب العدل والقصاص، فنهضت بجنون غريب وشديد لامرأة متدينة للغاية، وقالت: "لقد سلمك الله إليّ".

بدأ سيل من الكلمات يخرج من بين شفتي شيفر بين حجج، وتضرعات، وتوسلات بالرحمة وتهديدات، لكنها لم تتأثر بأي منها.

وقالت: "لقد أرسل إليّ الله إشارة أخرى، فعندما فتحت الكتاب هذه الليلة قرأت كلاماً عن القصاص العادل، فعرفت أنها إرادة الله".

انحنيت وتناولت من فوق الأرض مطرقة وبعض المسامير الطويلة اللامعة... انفجرت صرخة من حلق شيفر، وأخذ يتذكر الآن الفصل الرابع من قسم القضاة من هذا الكتاب الديني؛ تلك القصة الدرامية عن الضيافة السوداء! حين فر أحد القادة

الكبار من أعدائه... ليجد امرأة تقف عند باب الخيمة... إنها
المرأة المتدينة...

ثم أخذت تردد أنشودة الانتصار بصوتها العميق وبنبرة
رنانة، وبلهجة فلمنكية، وعيناها تتألقان كما تتألق عينا المرأة
القوية: " هذا يوم عيدي، يوم أن مكنني الله فيه من عدوي..."

لغز الوعاء الأزرق

تفقد جاك هارينجتون أقصى نقطة حققتها ضربته بحزن، ثم وقف بجوار الكرة، ونظر للخلف إلى النقطة التي انطلقت منها الكرة وقاس المسافة، فبدت ملامح الازدراء الذي يشعر به على وجهه. أمسك مضرب الجولف الخاص به وهو يتنهد، ثم سدد به ضربتين، مقتلعاً نبات الهندباء وطبقة من الحشائش، ثم ثبت نظره في اتجاه الكرة.

من الصعب على شاب في الرابعة والعشرين من عمره - يتمثل طموحه الوحيد في الحياة في تقليل المعوقات التي تقف حائلاً أمام تحسين أدائك في لعبة الجولف - أن يجد نفسه مضطراً إلى بذل الكثير من وقته واهتمامه لمسألة كسب العيش، إذ يظل جاك حبيس مكان ما يشبه المقبرة الماهوجنية لخمسة أيام ونصف اليوم في الأسبوع، ويخصص نصف يوم السبت ويوم الأحد لممارسة شعائره الدينية، ولقد كان متحمساً جداً لممارسة لعبة الجولف، إذ كان يحجز غرفة في فندق صغير بالقرب من ملاعب جولف ستورتون هيث، ليستيقظ في الساعة السادسة صباحاً ويتدرب مدة ساعة قبل اللحاق بقطار الساعة الثامنة وست وأربعين دقيقة المتجه إلى المدينة.

أما العيب الوحيد لخبطته اليومية، فهو أنه لم يكن بطبيعته قادراً، فيما يبدو، على أن يضرب أي شيء في تلك الساعة من

الصباح، فكانت الضربة غير المتقنة تتبعها ضربة أخرى غير ناجحة، وكانت الكرات التي يصوبها بعضا الجولف الخاصة به تجري على الأرض بمرح، وكان الحد الأقصى الذي يسدده من الضربات الناجحة في أية مباراة هو أربع ضربات فقط.

أطلق جاك تنهيدة، وأمسك بشدة بعضا الجولف الخاصة به، ثم ردد بينه وبين نفسه هذه الكلمات المحفزة: "استخدم الذراع اليسرى ووجه الكرة ناحية اليمين، ولا تنظر إلى الأعلى".

عاد للخلف مترنحا، ثم توقف متجمداً في مكانه، عندما سمع صرخة حادة شقت ذلك الصمت الذي كان يغلف صباح أحد أيام الصيف.

كان ذلك الصوت يردد: "قتيل! النجدة! قتيل!".

كان صوت امرأة، وانتهى هذا الصوت إلى تنهيدة متقطعة. ألقى جاك بمضرب الجولف الخاص به، وأخذ يركض في اتجاه الصوت، فقد كان يصدر من مكان قريب للغاية منه، وكانت هذه المنطقة التي يمارس فيها لعبة الجولف موحشة للغاية، فلم يكن يحيط بها سوى عدد قليل من المنازل، ولكن في الحقيقة كان هناك منزل صغير خلاب، لاحظته جاك نظراً لما كان يتمتع به من أناقة العمارة القديمة، فركض جاك مسرعاً نحو هذا المنزل، وكان يحول بينه وبين هذا المنزل منحدر مغطى بالنباتات، لكنه تخطاه، وفي أقل من دقيقة كان يقف أمام بوابة هذا المنزل التي كانت مغلقة بمزلاج.

كانت هناك فتاة تقف في الحديقة، واستنتج جاك بشكل طبيعي أنها هي من أطلقت صرخة الاستغاثة، لكنه غير رأيه بسرعة.

أجاثا كريستي

كانت تمسك في يدها سلة صغيرة ممتلئة إلى نصفها ببعض الأعشاب الضارة، ويبدو أنها كانت قد انتهت من فورها من إزالة الأعشاب الضارة من زهور البنفسج، ولاحظ جاك أن عينيها تشبهان زهور البنفسج؛ حيث كانتا صافيتين هادئتين سوداوين تميلان إلى اللون البنفسجي أكثر من اللون الأزرق. كانت تشبه الزهرة تماماً في رداها الأرجواني الكتاني.

كانت الفتاة تنظر إلى جاك نظرات تمزج بين الانزعاج والدهشة.

قال الشاب: "معذرة، لكن هل أطلقت صرخة الآن؟"
فجالت: "أنا؟ لا، بالطبع".

بدت دهشتها حقيقية للغاية لدرجة أن جاك شعر بالحيرة، وكان صوتها رقيقاً وجميلاً للغاية به لكنة أجنبية بسيطة. فأوضح لها الأمر قائلاً: "ولكن لا بد من أنك سمعتها أيضاً، فقد أتت من مكان ما بالقرب من هنا".

فأخذت تحديق إليه، ثم قالت: "لم أسمع أي شيء على الإطلاق".

أخذ جاك يحدق إليها أيضاً، فمن غير المعقول ألا تكون قد سمعت استغاثة النجدة هذه، ولكن ما بدت عليه من هدوء كان دليلاً واضحاً على أنها لا يمكن أن تكون كاذبة بكل تأكيد، فلم يكن يعتقد أنها تكذب عليه.

قال مصراً على رأيه: "لقد أتى الصوت من مكان قريب للغاية من هنا".

في هذه اللحظة، أخذت تنظر إليه في ريبة.

وسألته قائلة: "ماذا كان يقول هذا الصوت؟".

فأجابها قائلاً: "قتيل، النجدة! قتيل!".

فكررت الفتاة ما قاله: "قتيل! النجدة! قتيل، لا بد أن

أحدهم كان يخدعك يا سيدي، فمن الذي قد يُقتل هنا؟".

أخذ جاك ينظر حوله وهو يضع في ذهنه فكرة مشوشة بأنه

سيجد جثة في ممر الحديقة، ومع ذلك كان لا يزال متأكداً

تماماً من أن الصرخة التي سمعها كانت حقيقية، وليست من

وحي خياله، فأخذ ينظر إلى نوافذ المنزل، لكن كل شيء كان

على ما يرام.

فسألته الفتاة بنبرة حادة قائلة: "هل تريد أن تفتش

منزلنا؟".

وبدا واضحاً أنها كانت متشككة جداً لدرجة أن جاك ازداد

ارتباكاً، فاستدار وهو يقول لها: "أسف، لا بد أن هذا الصوت قد

جاء من مكان أعلى في الغابة".

رفع قبعته وتراجع، وعندما التفت إليها، رأى الفتاة قد

استأنفت في هدوء إزالة العشب الضار من بين الأزهار.

أخذ يبحث في الغابة بعض الوقت، لكنه لم يجد دلالة على

وقوع أي شيء غريب، لكنه في الوقت نفسه ظل متأكداً من

أنه قد سمع هذه الصرخة، وفي النهاية كف عن البحث وأسرع

إلى الفندق ليزدرد طعام الإفطار ويلحق بقطار الساعة الثامنة

وست وأربعين دقيقة الذي كان على وشك التحرك عندما وصل

المحطة، لكن بمجرد أن جلس في القطار، شعر بقليل من تأنيب

الضمير، ألم يكن من الواجب عليه أن يبلغ الشرطة على الفور

أجاثا كريستي

بما سمعه؟ إن عدم فعله ذلك يرجع فقط لتشكيك الفتاة التي كانت تجمع زهور البنفسج في كلامه. لقد شكّت بوضوح في أنه يتوهم، وكان من الممكن أن تظن الشرطة به الظن نفسه، فهل كان متأكدًا من أنه قد سمع صرخة ما؟

لقد أصبح الآن غير متأكد مما سمعه كما كان من قبل، وكان هذا نتيجة طبيعية لمحاولة استعادته لإحساس ما قد فقده، فهل كان هذا الصوت صادرًا عن أحد الطيور المحلقة بعيدًا وقد اختلط عليه الأمر وظن أنه صوت امرأة؟

لكنه رفض هذه الفكرة بغضب شديد، لقد كان صوت امرأة، وقد سمعه جيدًا. لقد تذكر أنه قد نظر إلى ساعته قبل انطلاق الصرخة، فقد كانت الساعة السابعة وخمسة وعشرين دقيقة عندما سمع هذه الصرخة، وقد تكون هذه الحقيقة مفيدة للشرطة، إذا اكتشفت أي شيء.

وعندما عاد إلى المنزل في ذلك المساء، قرأ جرائد المساء في شغف ليرى إذا ما كان هناك أي ذكر لوقوع جريمة، لكن لم يكن هناك أي شيء، ولم يكن يعرف ما إذا كان عليه أن يشعر بالارتياح أم بالإحباط.

كان صباح اليوم التالي رطبًا بفعل قطرات الندى لدرجة تطفئ حماس أكثر لاعبي الجولف حماسة، فنهض جاك في آخر لحظة ممكنة، وتناول فطوره بسرعة، وأسرع للحاق بالقطار ثم تصفح الجرائد مرة أخرى بشغف كبير، ولم يكن هناك أي ذكر لاكتشاف أي جريمة بشعة، فقد ذكر في جرائد الصباح ما قد ذكر في جرائد المساء.

قال جاك في قرارة نفسه: "شيء غريب، لكن لا بد أن هناك شيئاً ما قد حدث، ربما كان هناك بعض الأولاد المتسللين يلعبون معاً في الغابة".

خرج في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، وبينما كان يمر على المنزل نفسه، لاحظ بطرف عينه أن الفتاة كانت في الحديقة تزيل الأعشاب الضارة، فبدأ أن هذه عاداتها، واقترب منها كثيراً، وتمنى لو أنها لاحظت ذلك. وبينما كان يضع كرة الجولف على النقطة المحددة لها عند نقطة الانطلاق الثانية، نظر إلى ساعته.

فهمهم قائلاً: "إنها السابعة وخمس وعشرون دقيقة، إنني أتعجب ..."

تجمدت الكلمات على شفثيه، حيث جاءت من ورائه تلك الصرخة التي هالته من قبل؛ صرخة امرأة واقعة في محنة شديدة.

كانت تصرخ قائلة: "قتيل، النجدة! قتيل!"

أسرع جاك للخلف، كانت الفتاة التي تشبه زهرة البنفسج تقف عند البوابة، وبدت مذهولة، وأسرع جاك إليها وهو يشعر بالانتصار، وهو يصرخ قائلاً: "لقد سمعت الصرخة هذه المرة، أليس كذلك؟"

كانت عيناها واسعتين للغاية تبديان بعض المشاعر التي لم يستطع فهمها، لكنه لاحظ أنها تراجع متبعدة عنه عندما اقترب منها، حتى إنها أخذت تنظر إلى المنزل، وكأنها كانت تفكر في أن تركض إليه بحثاً عن مأوى.

هزت رأسها، وهي تحدق إليه.

أجاثا كريستي

ثم قالت متعجبة: "أنا لم أسمع شيئاً على الإطلاق".

بدا الأمر وكأنها قد صدمته صدمة كبيرة، كان صدقها واضحاً للغاية، لدرجة أنه لم يستطع ألا يصدقها، لكنه لم يستطع تخيل هذا الأمر، لم يستطع، لم يستطع أن ...
سمع صوتها وهي تتحدث إليه بلطف، وبشيء من التعاطف كذلك، وهي تقول له: "هل تعاني اضطراباً عصبياً؟".

وعندما أعاد التفكير في هذا الأمر، أدرك سبب نظرة الخوف التي كانت في عينيها، ونظرتها إلى المنزل من خلفها لتهرع إليه ... لقد اعتقدت أنه يتوهم حدوث أشياء غير حقيقية ...

ثم تبادرت إلى ذهنه فكرة مروعة، وأحس بالبرودة تسري في جسده، هل تلك الفتاة محقة؟ هل يعاني الأوهام حقاً؟ لقد استولت عليه تلك الفكرة المرعبة، فاستدار وانصرف بعيداً دون أن ينطق بكلمة واحدة. وكانت الفتاة تشاهده وهو ينصرف، فتنهدت، وهزت رأسها ثم انحنت وأخذت تكمل عملها في إزالة الأعشاب الضارة.

أخذ جاك يفكر في الأمر بينه وبين نفسه قائلاً: "إذا كنت قد سمعت هذا الصوت اللعين مرة أخرى في تمام السابعة وخمس وعشرين دقيقة، فسيكون من الواضح أنني أعاني نوعاً ما من الهلاوس، لكنني لن أسمعه ثانية".

كان منفِعلاً طوال اليوم، وذهب لينام مبكراً، وقد ترك حسم هذا الأمر لصباح اليوم التالي.

وكما هو طبيعي في مثل هذه الحالة، ظل جاك مستيقظاً حتى منتصف الليل، ثم أجبر نفسه على النوم، وغادر الفندق

في تمام الساعة وعشرين دقيقة، وتوجه نحو ملعب الجولف مباشرة، وأدرك أنه لن يستطيع الوصول إلى ذلك المكان المقيت بحلول الساعة وخمس وعشرين دقيقة، ولكن إن كان سماعه لهذا الصوت نوعاً من الهلوسة، فمن المؤكد أنه سيسمع هذا الصوت في أي مكان، ومضى في طريقه وعيناه مثبتتان على الساعة.

وعند الساعة السابعة وخمس وعشرين دقيقة، تردد من مكان بعيد صدى صوت هذه المرأة وهي تستغيث، ولم يكن قادراً على تمييز الكلمات، لكنه كان متأكداً أنها الاستغاثة نفسها التي سمعها من قبل، وأنها تأتي من البقعة ذاتها من مكان ما بالقرب من ذلك المنزل.

ولكن الغريب أن هناك حقيقة ما قد بعثت في نفسه الطمأنينة؛ فربما يكون هذا الأمر مجرد خدعة، وأن تكون الفتاة نفسها هي التي تمارس عليه هذه الخدعة، وهو احتمال وارد، فهز كتفيه بحزم، وأخرج مضرب الجولف من الحقيبة، وقرر أن يصنع بعض الحضر بالقرب من هذا المنزل، ليلعب الجولف هناك.

كانت الفتاة في الحديقة كالمعتاد، كانت تبدو أفضل هذا الصباح، وعندما رفع قبعته كي يحييها، ردت إليه التحية بخجل... كان يعتقد أنها تبدو في هذه اللحظة أجمل من أي وقت مضى. قال لها جاك بابتهاج: "إنه يوم جميل، أليس كذلك؟"، وكان يشعر بالازدراء؛ نظراً لتفاهة الملاحظة التي لم يكن هناك مفر من ذكرها.

أجاثا كريستي

فأجابته قائلة: " نعم، بالفعل إنه لطيف "

فقال لها: " هذا مفيد للحديقة حسبما أعتقد "

افتراً ثغرها عن ابتسامة صغيرة، فأظهرت تلك الابتسامة غمازة خدها الرائعة.

وأجابته قائلة: " للأسف لا فالمطر أفضل لأزهارى بالطبع، أترى كيف تبدو ذابلة؟ "

قبل جاك تلك الإشارة التي كانت بمنزلة دعوة له بالدخول، وذهب إلى السياج المنخفض الذي يفصل بين الحديقة وملعب الجولف، ونظر من فوقه إلى الحديقة.

وقال في ارتباك عندما أدرك وهو يتحدث نظرات الفتاة التي كانت تنم عن الشفقة: " يبدو أنها على ما يرام "

فقالت له الفتاة: " إن الشمس ساطعة اليوم، أليس كذلك؟ وبالنسبة إلى الأزهار فيمكننا أن نرويهما كل يوم، لكن الشمس تقويهما، وتجعلها أكثر نضارة ... أرى أنك بحال أفضل اليوم يا سيدي "

انزعج جاك كثيراً من نبرتها التشجيعية.

وقال لنفسه: " سحقا لكل هذا! أعتقد أنها تحاول علاجي بالإيحاء "

فقال لها بنبرة لم تخلُ من الغضب: " أنا على خير ما يُرام " .
فأجابته الفتاة بسرعة وبهدوء: " إذن، هذا جيد "

انتاب جاك شعور مزعج بأنها لا تصدّقه.

قام جاك بعمل بعض الحفر، ثم أسرع عائداً إلى الفندق لتناول الإفطار، وبينما كان يتناول طعامه، أدرك - ولم تكن

هذه هي المرة الأولى التي يدرك فيها هذا الأمر - أن هناك رجلاً يجلس على الطاولة المجاورة له ويمعن النظر إليه، وكان يبدو أنه في منتصف العمر، وله وجه ذو ملامح قوية وصارمة، وكانت له لحية قصيرة داكنة، وعينان رماديتان ثاقبتان، ولقد ظهر عليه من الهدوء والثقة بالنفس ما جعله يبدو أنه من الطبقات المهنية ذات المكانة المرموقة، وعرف جاك أن اسمه لا فينجتون، وكان قد سمع بعض الشائعات الغامضة عن كونه طبيباً مشهوراً، ولكن بما أن جاك لم يكن يتردد كثيراً على شارع هارلي ستريت، فإن معرفته به كانت قليلة إن لم تكن منعدمة تماماً.

وفي هذا الصباح، تأكد جاك تمام التأكد من أن هذا الرجل يراقبه في هدوء؛ الأمر الذي أثار مخاوفه بعض الشيء، فأخذ يفكر... هل أصبح سره مكتوباً على وجهه لدرجة أن الجميع يرونه؟ هل عرف هذا الرجل بحكم مهنته أن جاك يعاني أمراً ما؟

ارتجف جاك من هذه الفكرة، فهل هذا صحيح؟ أهو على وشك الإصابة بالجنون؟ هل كان الأمر برمته عبارة عن هلوسة، أم أنه خدعة كبيرة؟

وفجأة خطرت بباله فكرة بسيطة للغاية قد تكشف له عن حل هذا اللغز؛ فحتى هذه اللحظة كان يذهب وحده للعب الجولف ويستمتع إلى الصوت، فماذا لو ذهب شخص آخر معه؟ فهناك احتمال من بين ثلاثة احتمالات، فقد لا يسمع أي منهما

أجاثا كريستي

أي صوت على الإطلاق، أو قد يسمعان هما الاثنان الصوت نفسه، أو قد يسمعه هو فقط.

شرع ذلك المساء في تنفيذ خطته، وكان لافينجتون هو الرجل الذي أراد جاك أن يصحبه معه، وبدأ الحديث بينهما بسهولة، فقد بدا أن الرجل العجوز ينتظر أن يبدأ جاك الحديث معه، وبدا، لسبب أو لآخر، أن جاك قد أثار اهتمامه، وقد رحب الرجل بسهولة وبشكل طبيعي للغاية باقتراح جاك بأن يلعبا الجولف معاً قبل تناول طعام الإفطار، واتفقا على أن يكون ذلك في صباح اليوم التالي.

بدأ اللعب قبل الساعة السابعة بقليل، وكان الجو رائعاً والسماء صافية، لكنه لم يكن دافئاً للغاية. وكان الطبيب بارعاً في لعب الجولف، لكن جاك كان سيئاً؛ فقد كان تفكيره كله منصباً على الكارثة التي كانت على وشك الحدوث، حيث ظل ينظر إلى ساعته خلسة، وعندما وصلا إلى النقطة السابعة - التي كان المنزل يقع بينها وبين الحفرة - كانت الساعة في نحو السابعة وعشرين دقيقة.

كانت الفتاة في الحديقة كالمعتاد، وعندما مرا بجوارها، لم تلتفت إليهما.

وكانت الكرطان موضوعتين على الأرض، وكان جاك يقف بالقرب من الحفرة وكان الطبيب يقف على مسافة أبعد قليلاً. قال لافينجتون: "لقد حان دوري، لا بد أن أسدها بنجاح". انحنى ليحدد المسار الذي سيتخذه في أثناء تصويب الكرة، بينما وقف جاك متجمداً في مكانه، وعيناه مثبتتان على ساعته، التي كانت قد دقت السابعة وخمسا وعشرين دقيقة بالضبط.

اندفعت الكرة بسرعة على العشب، إلى أن وصلت إلى حافة الحفرة فسقطت بداخلها.

قال جاك: "رمية موفقة"، وبدا صوته أجش على غير عادته... ثم دفع ساعة يده إلى مقدمة معصمه وهو يتنفس الصعداء، فلم يحدث شيء. لقد انتهت تلك الخرافات التي كان يتخيلها.

ثم قال: "إذا لم تمانع، أود أن نتوقف دقيقة لأتناول بعض العصير".

فتوقفا لحظة عند النقطة الثامنة، وكان جاك يمسك كأس العصير ويدها ترتعشان قليلاً رغماً عنه، ويبدو أنه قد تخلص من عبء كبير كان يشغل عقله.

ثم قال وهو ينظر إلى الهدف أمامه في سعادة بالغة: "يا له من يوم رائع! هيا يا لافينجتون، إنها ضربتك".

ثم دوت الصرخة، ففي اللحظة التي كان الطبيب يضرب فيها الكرة، أتى صوت المرأة عالياً ينم عن الألم: "قتيل، النجدة، قتيل!".

سقط كأس العصير من يد جاك المرتعشة بعصبية، واستدار في اتجاه مصدر الصوت، ثم تذكر وأخذ ينظر إلى رفيقه بتلهف. كان لافينجتون ينظر إلى ملعب الجولف، فأدار عينيه قائلاً: "إنه قصير، أعتقد أن علينا فقط أن نضرب الكرة برفق".

كان واضحاً أنه لم يسمع أي شيء. شعر جاك بأن العالم يدور من حوله، ثم خطا خطوة أو خطوتين، وسقط مغشياً عليه. وعندما أفاق، وجد نفسه

أجاثا كريستي

مستلقياً على الأرض، ولا فينجتون ينحني فوقه، وهو يقول له:
"استلق هنا، هوّن عليك، هوّن عليك".

فتساءل جاك: "ماذا حدث؟".

فأجابه لافينجتون: "لقد سقطت مغشياً عليك أيها الشاب،
أو كاد يحدث لك ذلك".

فقال جاك وهو يتأوه: "يا إلهي!".

فسأله لافينجتون: "ما المشكلة؟ هل تعاني خلاً ما في
عقلك؟".

فقال له جاك: "سأخبرك خلال لحظة، ولكنني أود أن أسألك
عن شيء أولاً".

أمسك الطبيب بكأس العصير الخاصة به، ثم جلس على
الأرض، وقال بهدوء: "أسأل كيفما شئت".

فسأله جاك قائلاً: "لقد كنت تراقبني منذ يوم أو يومين،
لماذا؟".

لمعت عينا لافينجتون بعض الشيء، وقال له: "إنه سؤال
غريب، فأني شخص له الحق في أن ينظر إلي من يشاء".

فقال له جاك: "لا تستهزئ بي، فأنا جاد فيما أقول، لماذا
فعلت هذا؟ إن لدي سبباً مهماً لأسألك هذا السؤال".

بدت علامات الجدية على وجه لافينجتون، ثم قال:
"سأجيب عليك بصدق شديد، لقد لاحظت عليك كل العلامات
التي تدل على أنك تعاني توتراً حاداً، وأثار ذلك اهتمامي لمعرفة
سبب ذلك التوتر".

فقال له جاك بمرارة: "يمكنني أن أخبرك بالأمر بكل
سهولة، إنني أكاد أجن".

توقف في أسي، لكن يبدو أن ما قاله لم يلق الاهتمام والتركيز اللذين توقعهما من الطبيب؛ لذا كررها مرة أخرى: "أقول لك إنني أكاد أجن".

فهمهم لافينجتون قائلاً: "هذا أمر غريب، أمر غريب بالفعل".

شعر جاك بالغضب، فقال له: "أعتقد أن الأمر قد أصبح واضحاً بالنسبة إليّ. إن الأطباء قساءة القلوب".

أجابه قائلاً: "على رسلك أيها الصديق الشاب، فأنت تتحدث جزافاً. في البداية أود أن أخبرك بأنني بالفعل حصلت على درجة علمية في الطب، لكنني لا أمارسه. ولكي أكون أكثر صدقاً معك، إنني لست طبيباً؛ أقصد لست طبيب أمراض عضوية؛ هذا كل ما في الأمر".

فنظر إليه جاك في لهفة، قائلاً: "هل أنت طبيب نفسي؟".
فأجابه: "نعم، إلى حد ما، ولكن لأكون أكثر صدقاً، فأنا أعتبر نفسي طبيباً روحياً".
فتعجب جاك قائلاً: "أوه!".

فقال الطبيب: "إنني ألمس الاستخفاف في نبرتك، ومع ذلك علينا استخدام كلمة ما لترمز إلى المصدر الفعال في الجسد الذي يمكن أن يكون منفصلاً وموجوداً بشكل مستقل عن ذلك الكيان النابض وهو الجسد؛ لذا كان لا بد أن نستخدم مصطلح الروح، وهو ليس مصطلحاً دينياً وضعه رجال الدين، لكننا يمكننا أن نطلق عليه اسم العقل، أو العقل الباطن، أو أي

أجاثا كريستي

مصطلح تراه مناسباً لك. أعلم أنك تشعر بالاستياء من النبيرة التي أتحدث بها معك الآن، ولكنني أؤكد لك أن ما أدهشني وأثار فضولي أن شاباً متزناً وطبيعياً تماماً مثلك يعاني الأوهام لدرجة أنه يكاد يفقد عقله".

قال له جاك: "أفقد عقلي تماماً؟ ما هذا إلا هراء محض". فقال له الطبيب: "سامحني على قول ذلك، لكنني لا أعتقد ذلك".

فقال جاك: "إنني أعاني سماع بعض الهلاوس".

فسأله الطبيب: "هل يحدث ذلك بعد العشاء؟".

فقال جاك: "لا، بل في الصباح".

قال الطبيب وهو يحتسي الشراب الذي يمسك به: "لا يمكن أن يحدث هذا".

فقال جاك: "إنني أسمع أشياء لا يسمعها أحد غيري".

فقال الطبيب: "هناك رجل واحد من بين كل ألف رجل يستطيع رؤية أقمار كوكب المشتري. وعدم رؤية التسعمائة وتسعة وتسعين رجلاً لهذه الأقمار لا يعني أنه يمكن الشك في وجودها، وبالتأكيد لا يوجد سبب وجيه لاعتبار الشخص رقم ألف مجنوناً".

فقال جاك: "إن أقمار المشتري حقيقة علمية مثبتة".

فقال له الطبيب: "من الممكن أن تصبح الأمور الخيالية اليوم حقيقة علمية مثبتة في المستقبل".

ترك حديث لافينجتون عن الحقائق في جاك أثراً كبيراً، على خلاف ما كان يتوقعه جاك، وشعر بقدر هائل من الهدوء

والالتهاج. نظر إليه الطبيب باهتمام لمدة دقيقة أو دقيقتين ثم أوما برأسه قائلاً: "إن مشكلتكم أيها الشباب أنكم واثقون للغاية بأنه لا يمكن أن يحدث أي شيء خارج عن نطاق فلسفتكم، لدرجة أنكم تستشيطنون غضباً وتفزعون عندما يحدث شيء ما يخالف ما تعتقدونه. لنستمع إلى الأسباب التي جعلتك تعتقد أنك على وشك الجنون، ثم نقرر إذا ما كنا سنضعك في مصحة نفسية أم لا".

وأخذ جاك يروي له ما حدث له بصدق شديد.

ثم أنهى حديثه قائلاً: "لكن ما لا أستطيع فهمه هو سبب انطلاق تلك الصرخة هذا الصباح في السابعة والنصف؛ أي متأخرة خمس دقائق".

فكر لافينجتون بضع دقائق، ثم سأله: "كم الساعة الآن معك؟".

قال جاك وهو ينظر إلى ساعته: "الثامنة إلا الربع".

فقال له لافينجتون: "إنه أمر بسيط للغاية، فالوقت وفقاً لساعتي هو الثامنة إلا الثلث، وهذه نقطة مثيرة ومهمة بالنسبة إليّ، بل إنها لا تقدر بثمن".

فسأله: "كيف؟".

وكان جاك قد بدأ اهتمامه بهذا الأمر يزداد.

فأجابه لافينجتون قائلاً: "حسناً، إن التفسير الأقرب هو أنك قد سمعت بالفعل في صباح اليوم الأول هذه الصرخة، وربما كانت مزحة أو ربما لم تكن كذلك، أما في صباح الأيام التالية فإنك أوحيت لنفسك أنك سمعتها في الوقت نفسه".

فقال جاك: "أنا متأكد من أنني لم أفعل ذلك".

قال له الطبيب: "لقد حدث ذلك بشكل غير واعي بالطبع، فأحياناً ما يمارس علينا العقل الباطن بعض الحيل الطريفة كما تعلم، لكن على أية حال فإن هذا التفسير لن يفيد؛ لأنه إذا كان هذا الأمر مجرد إحياء، لكنت قد سمعت تلك الصرخة في الساعة وخمس وعشرين دقيقة وفقاً لساعتك، ولم تكن لتسمعها قط بعد مضي خمس دقائق كما تعتقد".

فقال جاك: "حسناً، فما التفسير الصحيح إذن؟".

فقال الطبيب: "حسناً، إن الأمر واضح، إن صرخة الاستغاثة هذه تحدث في مكان ووقت محددين، المكان هو محيط المنزل، والوقت هو الساعة وخمس وعشرين دقيقة".

فقال جاك: "نعم، ولكن لماذا أنا الوحيد الذي يسمعها؟ أنا لا أصدّق بوجود الأشباح وغيرها من الخرافات، فلماذا أسمع هذه الصرخة البغيضة؟".

قال الطبيب: "أه! أنا لا أعرف سبب ذلك في الوقت الحالي، ولكن العديد من الوسطاء الروحانيين أكدوا إمكانية حدوث ما قد نشك في حدوثه، فالأشخاص الذين يهتمون بهذه الظواهر الغامضة ليسوا هم من يرونها، فبعض الأشخاص يرون ويسمعون بعض الأشياء التي لا يراها ولا يسمعها غيرهم ونحن لا نعرف السبب وراء ذلك، وتسعة من كل عشرة أشخاص ممن تحدث لهم هذه الأشياء لا يريدونها أن تحدث لهم، وهم مقتنعون أنهم يعانون الهلوس والأوهام مثلك تماماً. إن الأمر يشبه الكهرباء، فبعض المواد تعد موصلة جيدة للكهرباء،

وبعضها لا تعد كذلك، ولم تكن نعرف السبب منذ وقت طويل، أما الآن فنحن نعرف السبب، ولا شك أننا سنعرف في يوم ما لمَ تسمع هذه الصرخة في حين ولا تسمعها الفتاة؛ فجميع الأمور تحكمها قوانين الطبيعة، ولعلك تعلم أنه لا يوجد شيء يُسمى "خارق للطبيعة". ومحاولة اكتشاف القوانين التي تحكم ما يُسمى بالظواهر الفيزيائية ستكون شاقة، لكن القليل من المعلومات التي سيتم التوصل إليها بشأنها سيكون مفيداً".
فسأله جاك: "ولكن ما الذي سأفعله؟".

فضحك لافينجتون بينه وبين نفسه، وقال له: "أرى أنه يجب عملياً أن تذهب لتناول إفطارك اللذيذ يا صديقي الشاب، ثم تغادر إلى المدينة دون أن تشغل بالك بالتفكير في أمور لا تستطيع فهمها. وعلى الجانب الآخر سأحاول البحث في هذا الأمر، وأرى ما يمكنني اكتشافه عن هذا المنزل هناك، حيث يوجد اللغز، إنني متأكد من ذلك".
نهض جاك واقفاً، وهو يقول: "حسناً يا سيدي، أنا مستعد، ولكنني أقول..."
فقال الطبيب: "ماذا؟".

احمر وجه جاك خجلاً، ثم قال: "ولكنني على يقين بأن الفتاة على ما يرام".
بدا لافينجتون مستمتعاً بالأمر، وقال: "لم تخبرني بأنها فتاة رائعة الجمال! حسناً، فلتفرض؛ فأنا أعتقد أن اللغز قد بدأ قبل أن تقابلها".

أجاثا كريستي

وصل جاك إلى الفندق في ذلك المساء والفضول يملؤه؛ فقد أصبح الآن يثق بالطبيب لافينجتون تمام الثقة، فقد تقبل الطبيب الأمر بشكل طبيعي، وأرجعه إلى الحقائق، ولم يكن مندهشاً.

وعندما نزل لتناول طعام العشاء، وجد صديقه الجديد في انتظاره في قاعة الاستقبال، واقترح الطبيب أن يتناولوا العشاء معاً على طاولة واحدة.

فسأله جاك بتلهف: "هل هناك أخبار جديدة يا سيدي؟". قال الطبيب: "لقد توصلت إلى تاريخ منزل هيثير كوتاج منذ نشأته، لقد كان أول من سكنه بستانياً عجوزاً وزوجته، وعندما توفي الرجل العجوز ذهبت زوجته لتعيش مع ابنتها، ثم اشتراه رجل بناءً، فجدده وأصبح غاية في الروعة، ثم باعه إلى رجل نبيل من المدينة كان يقضي فيه إجازة نهاية الأسبوع، ومنذ عام تقريباً باعه للسيد تورنر وزوجته، وربما لم أسمع قط بزوجين أكثر غرابة منهما، فالزوج رجل إنجليزي، أما زوجته فهي روسية، وهي امرأة جميلة للغاية، ولقد كانا يعيشان في هدوء شديد، ولم يخرجوا خارج حديقة المنزل، وكانت تقول الشائعات المتداولة هنا إنهما كانا خائفين من شيء ما، لكنني لا أعتقد أننا يجب أن نعتمد على ذلك".

وأضاف قائلاً: "ثم غادرا فجأة ذات يوم، حيث تركا المكان في وقت مبكر صبيحة أحد الأيام، ولم يعودا مرة أخرى، ثم تلقى الوكلاء هنا خطاباً من السيد تورنر أرسله من لندن، ويطلب فيه بيع هذا المنزل في أسرع وقت ممكن، فبيع الأثاث،

أما المنزل نفسه فقد اشتراه السيد ماول إيضر الذي لم يمكث فيه إلا أسبوعين فقط، ثم أعلن عن بيعه بالأثاث، أما من يسكنه الآن فهو أستاذ جامعي فرنسي مصاب بالسُّل وابنته، وقد سكناه منذ عشرة أيام فقط".

كان جاك ينصت إلى ما يقوله في صمت.

ثم قال أخيراً: "لا أرى أن هذه المعلومات تفيدينا، أليس كذلك؟".

قال لافينجتون بهدوء: "أود أن أعرف المزيد عن السيد تورنر وزوجته، حيث غادرا في وقت مبكر من صباح أحد الأيام، كما أخبرتك. وحسب ما سمعت فلم يرهما أحد وهما يغادران، ولكن شوهد السيد تورنر بعد ذلك، أما زوجته فلم يبلغ أحد أنه قد رآها على الإطلاق".

شحب وجه جاك، وقال: "لا يمكن أن يكون الأمر... أنت لا تعني...".

فقال له لافينجتون: "لا ترهق نفسك أيها الشاب، إن تأثير أي شخص تعرض للموت، وخاصة الموت العنيف، يكون قوياً للغاية على المحيطين به. ومن المحتمل أن يستوعب المحيطون هذا التأثير؛ ومن ثم يمرورنه بدورهم إلى مستقبل مناسب؛ وهو في هذه الحالة أنت".

فهمهم جاك غاضباً: "لكن لماذا أنا؟ لماذا لا يكون شخص آخر يستطيع أن يسدي معروفاً لهذا الذي يستغيث؟".

فقال الطبيب: "أنت تنظر إلى تلك القوة بوصفها ذكية وهادفة لا عمياء وآلية. إنني لا أصدق بوجود ما تُسمى بالأرواح

أجاثا كريستي

العالقة بالأرض، والتي تسكن مكاناً ما لغرض محدد، لكن الشيء الذي رأيتَه مراراً وتكراراً إلى أن تيقنت أنه لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة، هو التلمس الأعمى نحو العدالة، وهو تحرك قوى عمياء تحت الأرض تعمل دائماً بشكل غامض لتحقيق هذه الغاية ...".

هز الطبيب نفسه وكأنه قد تخلص من تلك الفكرة التي شغلته من قبل، واستدار إلى جاك وهو يبتسم، ويقول: "دعنا ننحّ جانباً التفكير في هذا الأمر الليلة".

وافق جاك، ولكن لم يكن من السهل عليه ألا يفكر في هذا الأمر.

وخلال عطلة نهاية الأسبوع، أخذ يسأل نفسه العديد من الأسئلة، لكنه لم يستنبط أكثر مما استنبطه الطبيب، وقرر بالطبع الكف عن لعب الجولف قبل الإفطار.

أما الحلقة التالية في هذه السلسلة، فقد جاءت من شخص غير متوقع؛ فعند عودته ذات يوم، أُبلغ جاك بأن هناك فتاة تنتظره وتريد أن تقابله، وقد دُهِش كثيراً حين عرف أنها فتاة الحديقة؛ فتاة زهرة البنفسج كما كان يدعوها دائماً في ذهنه، ولقد كانت متوترة للغاية ومرتبكة.

قالت له: "سامحني يا سيدي لمجيئي إليك بهذه الطريقة؟ لكنّ هناك شيئاً أريد أن أخبرك به، أنا ...".

أخذت تنظر حولها في ريبة.

قال لها جاك على الفور: "تعالى إلى هنا"، وصحبها إلى غرفة استقبال "السيدات" في الفندق، تلك الغرفة الموحشة

الكئيبة التي تحتوي على الكثير من السجاد الأحمر، ثم قال لها: "والآن اجلسي يا آنسة، آنسة ..."

قالت له: "الآنسة مارشود، فيليسي مارشود."

فقال لها: "تفضلي بالجلوس يا آنسة مارشود، وأخبريني بما تريدينه."

جلست فيليسي بكل طاعة، وكانت ترتدي في ذلك اليوم ملابس خضراء داكنة، وكان جمال وجهها الصغير الذي ينبض بالحيوية أكثر وضوحاً من أي وقت مضى، فأخذ قلب جاك يخفق بسرعة شديدة، بينما كان يجلس إلى جوارها.

أوضحت له فيليسي الأمر قائلة: "الأمر كالآتي، لقد أتينا إلى هنا منذ فترة قصيرة، ومنذ البداية ونحن نسمع أن منزلنا الصغير الجميل هذا مسكون بالأشباح، فلا يمكث فيه خادم، ولكن هذا الأمر لا يهمني، فبإمكاني تدبير شئون المنزل، كما يمكنني الطهو بسهولة كبيرة."

قال الشاب اليتيم بحبها بينه وبين نفسه: "يا لها من فاتنة، إنها رائعة للغاية".

ولكنه ظل متظاهراً باهتمامه الفعلي بما تقوله.

واسترسلت قائلة: "كنت أعتقد أن الحديث عن الأشباح هراء محض، ولكن هذا الاعتقاد قد تبدد تماماً منذ أربعة أيام فقط، حيث ظللت أحلم الحلم نفسه لأربع ليالٍ متتالية، إذ أرى امرأة جميلة طويلة القامة وشقراء، تمسك في يديها وعاءً أزرق من الخزف، وتبدو حزينة، حزينة للغاية، وتمد يدها إليّ باستمرار وهي تمسك بهذا الوعاء، وكأنها تتوسل إليّ أن أفعل شيئاً ما

به، لكنها للأسف لا تتمكن من التحدث، ولا أعرف ماذا تريد، وكان هذا هو ما حلمت به في أول ليلتين، ولكن في الليلة قبل الماضية، حدث شيء آخر؛ فقد أخذت تتلاشى هي والوعاء، ثم سمعت صراخها، أعرف أنه كان صوتها، كما أنك تعرفه، أوه! لقد كانت هذه هي الكلمات نفسها التي قلتها لي ذاك الصباح يا سيدي، فقد كانت تصرخ قائلة: "قتيل! النجدة! قتيل!"، فاستيقظت من النوم وأنا أشعر بالرعب الشديد، فقلت لنفسي إنه مجرد حلم، وأن الكلمات التي سمعتها كانت مجرد مصادفة، لكن الحلم تكرر الليلة الماضية. ما هذا يا سيدي؟ لقد سمعت أنت أيضاً هذه الكلمات، إذن ما الذي يجب علينا أن نفعله؟".

بدا الرعب الشديد على وجه فيليسي، وكانت تشبك يديها الصغيرتين معاً، وأخذت تحديق باهتمام إلى وجه جاك الذي اصطنع تعبيراً يوحي بعدم الاكتراث، على خلاف ما كان يشعر به في داخله.

ثم قال لها: "حسناً يا آنسة، لا تقلقي. سأخبرك بما يجب عليك فعله، فإن لم يكن لديك مانع، أرجو أن تعيدي سرد القصة كاملة على مسامع صديق لي يجلس هنا؛ إنه الطبيب لافينجتون".

أبدت فيليسي موافقتها، فذهب جاك للبحث عن لافينجتون، وعاد به بعد عدة دقائق.

وأخذ لافينجتون يتفحص الفتاة بدقة بعد أن قدم جاك كلاً منهما للآخر في عجالة، وشعرت الفتاة ببعض الراحة بعد أن

قال لها لافينجتون بعض الكلمات المطمئنة، واستمع بدوره
بانصات إلى قصتها.

وعندما انتهت من حديثها، قال لها: "إنها قصة غريبة
للغاية، هل أخبرت والدك بالأمر؟"
هزت فيليسي رأسها بالنفي.

ثم قالت له، وقد اغرورقت عينها بالدموع: "لم أرغب في
أن أثير قلقه، فهو لا يزال مريضاً، وأنا أخفي عليه أي شيء قد
يثير حفيظته أو يقلقه".

قال لافينجتون بلطف: "أفهم ذلك، وأنا ممتن لأنك أتيت
إلينا يا آنسة مارشود، إن هارينجتون قد مر بتجربة مماثلة
لتجربتك كما تعرفين، وانني أظن أننا قد وضعنا قدمنا على
الطريق الصحيح، ألا يوجد شيء آخر يدور في رأسك؟".

تحركت فيليسي بسرعة، ثم قالت: "بلى بالطبع يا
لحماقتي. إنها أهم شيء في هذه القصة، انظري يا سيدي إلى ما
وجدته خلف إحدى الخزانات حيث انزلت خلف الرف".

أظهرت لهما ورقة متسخة مرسوماً عليها بالألوان المائية
صورة لامرأة، وكانت الصورة ملطخة، لكن ملامح المرأة كانت
واضحة بشكل كاف، فقد كانت امرأة طويلة القامة شقراء، ويبدو
من ملامح وجهها أنها ليست إنجليزية، وكانت تقف بجوار
منضدة يوضع فوقها وعاء أزرق من الخزف.

أضافت فيليسي: "لقد أدركت هذا الصباح فقط يا سيدي
الطبيب أن هذا هو نفسه وجه المرأة التي رأيتها في منامي،
وهذا هو الوعاء الأزرق ذاته".

أجاثا كريستي

علق لافينجتون قائلاً: "رائع! من الواضح إذن أن حل هذا اللغز هو الوعاء الأزرق، يبدو لي أنه مصنوع من الخزف، وقد يكون قديماً كذلك. كما يبدو أن عليه بعض الرسومات البارزة الغريبة".

أوضح جاك قائلاً: "إنه من الخزف، لقد رأيت وعاءً مشابهاً له تماماً بين المقتنيات الخاصة بعمي، إنه مولع بجمع الأغراض المصنوعة من الخزف كما تعلم، وانتي أتذكر أنني لاحظت وجود وعاء مشابه لهذا منذ وقت قصير".

قال لافينجتون وهو يفكر ملياً: "الوعاء الخزفي"، وظل دقيقة أو دقيقتين غارقاً في أفكاره، ثم رفع رأسه فجأة، وقد لمعت عيناه لمعة غريبة، ثم سأل قائلاً: "هارينجتون، منذ متى وعمك يقتني هذا الوعاء؟".

فأجابه قائلاً: "منذ متى؟ أنا لا أعرف حقاً".

فقال له: "فكر، هل اشتراه مؤخراً؟".

فقال جاك: "أنا لا أعلم، نعم، أعتقد أنه اشتراه مؤخراً، لقد تذكرت ذلك الآن. إنني لست مهتماً بالخزف، ولكنني أتذكر أنه عرض عليّ "مقتنياته التي اشتراها مؤخراً"، وكان هذا الوعاء من بينها".

فسأله: "وهل كان هذا منذ أقل من شهرين؟ حيث غادرت أسرة تورنر منزل هيثير كوتاج منذ شهرين؟".

فأجاب جاك قائلاً: "نعم، أعتقد ذلك".

فسأله الطبيب: "هل يحضر عمك معارض البلدة في بعض الأحيان؟".

فقال جاك: "إنه دائماً ما يتردد على المعارض لشراء بعض المقتنيات".

فقال الطبيب: "إذن، لا يوجد هناك أي احتمال إذا ما افترضنا أنه قد اشترى هذا الوعاء الخزفي في معرض يضم مقتنيات تورنر. إنها مصادفة غريبة أو ما أسميه تلمس العدالة العمياء. اسمع يا هارينجتون، لا بد أن تعرف من عمك على الفور من أين اشترى هذا الوعاء".

أطرق جاك رأسه، قائلاً: "آسف، هذا مستحيل؛ فعمي جورج مسافر إلى مكان بعيد، حتى إنني لا أعرف العنوان الذي أرسل إليه الخطاب".

فسأله الطبيب: "والى متى سيظل بعيداً عن هنا؟".

فأجاب جاك قائلاً: "من ثلاثة أسابيع إلى شهر على الأقل".
ساد الصمت، وجلست فيليسي تنظر في قلق إلى كل منهما.
ثم تساءلت في حياء: "هل هناك أي شيء يمكن أن نفعله؟".
قال لافينجتون بنبرة تنم عن الإثارة المكبوتة: "نعم، هناك شيء واحد، وهو غير مألوف، ولكنني أعتقد أنه سيؤدي نفعاً. لا بد أن تحصل على هذا الوعاء يا هارينجتون، وتحضره إلى هنا، وإذا سمحت لنا الآنسة فسنعضي تلك الليلة في منزل هيثير كوتاج، ونأخذ الوعاء الأزرق معنا".

شعر جاك بقشعريرة تسري في جسده تنم عن عدم الارتياح. فسأل في قلق: "ما الذي سيحدث في اعتقادك؟".

فأجاب الطبيب: "ليس لدي أدنى فكرة، ولكنني أعتقد بصدق أن هذا اللغز سوف ينكشف، وأننا سنعرف حقيقة هذا الأمر ولن

أجاثا كريستي

نشعر بالقلق حياله بعد الآن، ربما يكون هناك فراغ مخفي في قعر هذا الوعاء وقد أخفي بداخله شيء ما. وإذا لم يحدث أي شيء خارق، فسيجب علينا أن نستخدم ذكاءنا".

شبكت فيليسي يديها.

وصاحت قائلة: "إنها فكرة رائعة".

كانت عيناها تتقدان بالحماس، ولم يكن جاك يشعر بالحماس تقريباً، بل كان يشعر في داخله بالخوف الشديد، لكن لم يكن هناك ما يدفعه للاعتراف بتلك الحقيقة أمام فيليسي، وتصرف الطبيب وكأن اقتراحه هو الاقتراح الأكثر بدهاءة في العالم.

والتفتت فيليسي إلى جاك متسائلة: "متى يمكنك الحصول على ذلك الوعاء؟".

فأجاب على مضض: "غداً".

كان عليه أن يمضي في هذا الأمر الآن، لكن تذكر تلك الصرخة المسعورة التي كانت تطارده كل صباح طلباً للمساعدة كان أمراً لا بد أن يطرحه جانباً ولا يتذكره أكثر من ذلك.

ذهب إلى منزل عمه مساء اليوم التالي، وأخذ الوعاء المطلوب. وعندما رآه مرة أخرى أصبح مقتنعاً تماماً حينها أكثر من أي وقت مضى بأن هذا الوعاء مطابق تماماً لذلك المرسوم بالألوان المائية في الصورة. ولكنه عندما تفحصه بعناية، لم يلحظ أي علامة تشير إلى أنه يحوي سرّاً من أي نوع.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة عندما وصل هو ولافينجتون إلى منزل هيثير كوتاج، وكانت فيليسي في انتظارهما، ففتحت لهما الباب قبل أن يطرقاه.

همست قائلة: "فضلا بالدخول، أبي نائم في الطابق العلوي وينبغي ألا نوقظه، لقد أعددت لكما القهوة هنا".

قادتتهما إلى غرفة جلوس صغيرة ودافئة، وكان هناك مصباح كحولي انحنت فوقه فيليسي وأحضرت لهما بعض القهوة ذات الرائحة الزكية.

أخذ جاك يزيل تلك الأغلفة العديدة التي كان قد غلف بها الوعاء، وشهقت فيليسي عندما وقعت عيناها على الوعاء.

وصاحت بلهفة: "إنه هو، أستطيع التعرف عليه في أي مكان".

في هذه الأثناء كان لافينجتون يجهز استعداداته الخاصة؛ حيث أزال جميع الأغراض من فوق الطاولة الصغيرة، ثم وضعها في منتصف الغرفة، ووضع حولها ثلاثة مقاعد، ثم أخذ الوعاء من جاك ووضعها في منتصف المنضدة.

ثم قال: "نحن مستعدون الآن، أطفئوا الأنوار ولنجلس حول المنضدة في الظلام".

أطاعه الاثنان الآخران، وجاء صوت لافينجتون في الظلام مرة أخرى قائلاً: "لا تفكرا في أي شيء على الإطلاق، ولا تجبرا عقليكما على أي شيء، فمن الممكن أن يكون لدى واحد منا القدرة على الوساطة الروحية، وإذا كان الأمر كذلك، فسيُغشى

أجاثا كريستي

عليه، وتذكرا أنه لا يوجد أي شيء يدعو للخوف. اطردا الخوف من قلبيكما، وانجرفا بتفكيركما بعيداً، انجرفا بعيداً..."

تلاشى صوته تماماً، وخيم الصمت على المكان، ودقيقة بعد أخرى، كان هذا الصمت يزداد بالمزيد من الاحتمالات، وكان من الملائم أن يقول لافينجتون: "اطردا الخوف"، لكن جاك لم يكن يشعر بالخوف، بل كان مرعوباً للغاية، وكان متأكداً من أن فيليسي مرعوبة أيضاً، وفجأة سمع صوتها تتحدث بنبرة خفيضة ومرعبة، وتقول: "سيحدث شيء مرعب الآن، أشعر بذلك".

قال لافينجتون: "لا تدعي الخوف يسيطر عليك، ولا تقاومي التأثير".

وازداد الظلام قتامة، وأصبح الصمت أكثر حدة، وبمرور الوقت نما شعور بخطر وشيك لا يمكن تحديده.

شعر جاك بأنه يختنق، يختنق بشدة، بدا الخطر وشيكاً للغاية...

ثم مرت لحظة الصراع، كان ينجرف، ينجرف مع التيار، وأغمض عينيه في سلام... في الظلام...

أخذ جاك يترنح قليلاً، وكان رأسه ثقيلاً، ثقيلاً للغاية، أين كان؟

شروق الشمس... تغريد الطيور... فقد كان يرقد محذقاً إلى السماء.

ثم عاد إلى وعيه وتذكر كل شيء ... جلوسهم في الغرفة الصغيرة ... فيليسي والطبيب، فماذا حدث؟

جلس، وكان رأسه يهتز على نحو مزعج، وأخذ ينظر حوله، وحيث كان يستلقي على أريكة صغيرة ليست بعيدة عن المنزل، ولم يكن هناك أحد بالقرب منه، أخرج ساعته ونظر إليها، ولكنه ذهل عندما وجدها تشير إلى الثانية عشرة والنصف.

حاول جاك جاهداً أن يقف على قدميه، وركض بسرعة في اتجاه المنزل، لا بد أنهما انزعجا من عدم قدرته على الاستيقاظ من غفوته، فأخرجاه إلى الهواء الطلق.

وعندما وصل إلى المنزل، طرق الباب، لكن لم يجب أحد، ولم يبد أن هناك أية إشارة إلى وجود حياة بداخل هذا المنزل. لا بد أنهما ذهبا لطلب المساعدة، أو ربما حدث أي شيء آخر، شعر جاك بخوف شديد يجتاحه. ترى ماذا حدث في الليلة الماضية؟ عاد إلى الفندق بأقصى سرعة ممكنة، وكان على وشك الذهاب إلى مكتب الاستعلامات ليسألهم عن بعض الأمور، غير أن لكمة عنيفة وُجّهت إليه في صدره كادت تطرحه أرضاً قد أعاقته عن القيام بذلك، وعندما التفت إلى مصدر هذه اللكمة وهو يشعر بالسخط الشديد، لمح رجلاً عجوزاً نبيلاً ذا شعر أبيض وهو يتهلل فرحاً.

فقال له هذا العجوز: "لم تكن تتوقع رؤيتي يا بني، لم تكن تتوقع رؤيتي، أليس كذلك؟".

فقال جاك: "العم جورج، كنت أظن أنك في مكان ما بعيد عن هنا، في إيطاليا أو في مكان آخر".

أجاثا كريستي

فقال له: "أه! ولكنني لم أكن هناك، لقد كنت وصلت إلى دوفر الليلة الماضية، ففكرت أن أذهب إلى المدينة وأتوقف هنا لأراك. وماذا رأيت؟ لقد رأيتك بالخارج طوال الليل، أتمنى أن تكون الأمور على ما يرام..."

صافحه جاك بقوة، قائلاً: "لدي قصة غريبة للغاية سأخبرك بها يا عم جورج، وأظن أنك لن تصدق ما سأقوله لك". فضحك الرجل العجوز قائلاً: "أظن أنني لن أصدقك، ولكن حاول أن تبذل قصارى جهدك يا بني". أضاف جاك قائلاً: "لكن لا بد أن أتناول شيئاً، إنني جائع للغاية".

ذهب في اتجاه غرفة تناول الطعام، ثم أخذ يسرد له القصة بأكملها وهو يقف أمام مائدة عامرة بالطعام. ثم أنهى حديثه قائلاً: "والله وحده يعلم ماذا حدث لهما بعد ذلك؟".

بدا عمه أنه على وشك أن يسقط مغشياً عليه. ثم تمكن من أن ينطق في النهاية قائلاً: "الوعاء الأزرق! ماذا حدث له؟".

أخذ جاك ينظر إليه وهو لا يفهم الأمر، ولكن مع استمرار عمه في الكلام وتوضيح الأمر، استطاع أن يفهم. حيث قال في اندفاع: "إنه تحفة نادرة، فريدة من نوعها، فهو أغلى شيء اقتنيته، إنه يساوي عشرة آلاف جنيه على الأقل، لقد حصلت عليه من المليونير الأمريكي هوجنهايمر، إنه الوحيد من نوعه في هذا العالم، اللعنة، ماذا فعلت بوعائي الأزرق؟".

اندفع جاك خارجاً من الغرفة، لا بد أن يجد لافينجتون، فنظرت إليه الفتاة الشابة التي تعمل في مكتب الاستعلامات نظرات باردة، ثم قالت: "لقد غادر الطبيب لافينجتون الفندق بالسيارة في وقت متأخر الليلة الماضية، وترك لك رسالة". فتح جاك الرسالة، كانت موجزة وتلخص الأمر برمته. جاء فيها:

صديقي الشاب العزيز

هل انتهت أيام تلك القوة الخفية الخارقة؟ لا بد أنها انتهت إلى الأبد، ولا سيما عندما تتعرض للخداع بلغة العلم الحديث، إليك أطيب التحيات من فيليسي، والأب الذي لا وجود له، ومني أنا كذلك. لدينا اثنتا عشرة ساعة قبل البدء، وهي فترة كافية.

صديقك المخلص للأبد،

أمبروس لافينجتون

طبيب روحاني.

حالة السيد آرثر كارمايكل الغربية

(مقتبسة من مذكرات الطبيب الراحل إدوارد كارستيرز،

العالم النفسي الشهير)

إنني أدرك تمامًا أن هناك طريقتين مختلفتين للنظر إلى الأحداث الغربية والمأساوية التي سأرويها، لكن رأيي الشخصي لم يتغير على الإطلاق، ولقد حملتني بعض الأمور على كتابة القصة كاملة، ففي الحقيقة أعتقد أنه يجب على العلم تفسير تلك الحقائق الغربية التي يتعذر علينا تفسيرها التي ينبغي ألا تصبح في طي النسيان.

لقد بدأت هذه القصة عندما تلقيت برقية من صديقي الطبيب سيتل، ولم تكن البرقية واضحة لي فيما عدا اسم كارمايكل، ولكنني نزلت على رغبته واستقلت قطار الساعة الثانية عشرة وعشرين دقيقة الذي ينطلق من مدينة بادينجتون إلى وولدن في مقاطعة هيريفوردشاير.

كان اسم كارمايكل مألوفًا بالنسبة إليّ، فقد كنت أعرف السيد الراحل ويليام كارمايكل من وولدن معرفة سطحية، رغم أنني لم أقابله خلال الأحد عشر عامًا الماضية، وأعلم أن لديه ابنًا وحيدًا وهو البارون الحالي، ومن المفترض أنه الآن شاب في الثالثة والعشرين من عمره. ولقد تذكرت أنني سمعت

بعض الشائعات عن زواج السيد ويليام مرة أخرى، ولكنني لم أكن أتذكر شيئاً محدداً عن هذا الأمر سوى شعور غامض سلبي تجاه الزوجة الثانية السيدة كارمايكل.

استقبلني سيتل في محطة القطار.

وقال لي وهو يصافحني: "إنه للطف منك أن تأتي إلى هنا".

قلت له: "لا عليك، إنني أفهم أن هذا الأمر يندرج ضمن

مجال تخصصي واهتمامي".

فقال: "إنه كذلك بالفعل".

فقلت له: "إذن، الأمر يتعلق بمشكلة نفسية، أليس كذلك؟

هل يظهر أحدهم بعض السمات الغريبة؟".

كنا قد نقلنا أمتعتي في ذلك الوقت إلى إحدى العربات،

حيث جلسنا فيها وغادرنا المحطة متجهين نحو بلدة وولدن،

التي تقع على بعد نحو خمسة كيلومترات، وظل سيتل صامتاً

مدة دقيقة أو دقيقتين، ثم انفجر فجأة قائلاً: "الأمر كله غير

مفهوم! إنه شاب صغير في الثالثة والعشرين من عمره كان

يبدو طبيعياً تماماً من جميع النواحي، فقد كان فتى لطيفاً،

وودوداً، ومغروراً بعض الشيء ولكن ليس إلى حد كبير، وربما لم

يكن عبقرياً من الناحية الفكرية، لكنه كان نموذجاً رائعاً لشاب

إنجليزي عادي من الطبقة العليا. وذات ليلة ذهب إلى فراشه

وهو في كامل صحته كالمعتاد، ثم وُجد في صباح اليوم التالي

يتجول في القرية كالمخبول، ولم يكن قادراً على التعرف على

أقرب الأشخاص إليه وأعزهم عنده".

أجاثا كريستي

قلت وقد انتابني الحماس: "أه! يبدو أن هذه الحالة ستكون مثيرة، فقدان تام للذاكرة، أليس كذلك؟ ومنذ متى قد حدث ذلك؟".

فقال: "صباح يوم أمس، التاسع من أغسطس".

فقلت له: "ولم يكن هناك أي شيء ربما قد تسبب في تلك الحالة التي وصل إليها مثل التعرض لصدمة مثلاً؟".

فقال: "لا لم يتعرض لأي صدمة".

فانتابني الشك فجأة.

ثم سألته قائلاً: "هل تخفي أي شيء؟".

فأجاب: "لا... لا".

وقد أكد ترده هذا شكوكي.

فقلت له: "لا بد لي من أن أعرف كل شيء".

فقال سيئلاً: "إن هذا الأمر لا يخص آرثر، بل إنه يتعلق ...

يتعلق بالمنزل".

فكررت في دهشة: "متعلق بالمنزل؟".

فقال لي: "أظن أن لك باعاً طويلاً في مثل هذا النوع من

الحالات، أليس كذلك يا كاستيرز؟ لقد "فحصت" تلك المنازل المسكونة بالأشباح، فما رأيك في هذا الموضوع برمته؟".

أجبت قائلاً: "في تسع حالات من أصل عشرة يكون الأمر

مجرد دجل وخداع، ولكن في الحالة العاشرة ... صادفت ظواهر

لا يمكن تفسيرها على الإطلاق من وجهة النظر المادية العادية،

وانني أصدق بوجود القوى الخارقة".

أوما سيتل برأسه، وكنا قد اقتربنا من أبواب حديقة القصر، ثم أشار بسوطه إلى قصر أبيض منخفض يقع على جانب التل. ثم قال: "هذا هو المنزل، وهناك شيء في هذا المنزل، شيء غريب للغاية، مريع. فجميعنا نشعر به ... وأنا لست ممن يصدّقون الخرافات".

فسألته: "أي نوع من الخرافات يتعلق بهذا المنزل؟".

فنظر أمامه مباشرة، ثم قال: "من الأفضل ألا تعرف شيئاً، فكما ترى، لو أنك جئت إلى هنا وتضحصت الأمر دون أية فكرة مسبقة، أي دون أن تعرف شيئاً عن الأمر، فسيكون ذلك أفضل، أفضل كثيراً ..."

فقلت: "نعم، إن ذلك أفضل، ولكنني سأكون مسروراً لو أنك أخبرتني بالقليل عن تلك العائلة".

قال سيتل: "تزوج السيد ويليام مرتين، وآرثر هو ابنه من زوجته الأولى، وتزوج مرة أخرى منذ تسع سنوات، وهناك غموض يحيط بزوجه الحالية السيدة كارمايكل وهي ليست إنجليزية خالصة، فأظن أن لها أصولاً آسيوية كذلك".

ثم توقف عن الكلام.

فقلت له: "لا تروك السيدة كارمايكل يا سيتل، أليس كذلك؟".

اعترف بهذا الأمر صراحة، حيث قال: "نعم، لا تروقني أبداً، وأشعر دائماً بأن هناك شراً موجوداً بداخلها. حسناً، لنعد إلى موضوعنا، لقد أنجب السيد ويليام طفلاً آخر من زوجته هذه، وهو صبي أيضاً يبلغ من العمر ثمانية أعوام، وقد توفي السيد

أجاثا كريستي

ويليام منذ ثلاثة أعوام، وورث آرثر اللقب والمكان، واستمرت زوجة أبيه وأخوه غير الشقيق في العيش معه في وولدن. ولا بد لي من أن أخبرك بأن العزبة التي يعيشون فيها فقيرة للغاية، وتقريباً يذهب كل دخل السيد آرثر للحفاظ عليها وتلبية احتياجاتها. ولم يترك السيد ويليام لزوجته سوى دخل سنوي يُقدر ببضع مئات من الجنيهات، لكن لحسن الحظ، استمر آرثر في التواصل مع زوجة أبيه بشكل رائع، ورحب بعيشها معه، أما الآن...

قاطعته قائلاً: "أما الآن فماذا؟".

فأضاف بنبرة منخفضة وقد بدا عليه بعض التأثر: "منذ شهرين خطب آرثر فتاة جميلة تسمى الأنسة فيليس باترسون، وكان من المفترض أن يتزوجا الشهر المقبل. إنها تسكن في مكان قريب من القصر، ولك أن تتخيل المحنة التي تمر بها..."

أطرقت برأسي في صمت.

كنا نقرب من القصر الآن، وكانت المروج الخضراء تنحدر من حولنا في شكل جميل، ثم رأيت فجأة صورة رائعة الجمال؛ كانت هناك فتاة شابة تعبر المروج متجهة نحو المنزل، ولم تكن ترتدي قبعة، وأظهرت أشعة الشمس بريق شعرها الذهبي الرائع، وكانت تحمل سلة كبيرة من الزهور، وكان هناك قط شيرازي رمادي اللون ذو فراء طويل وكثيف يتمسح في قدميها برفق وهي تسير.

نظرتُ إلى سيتل مستفسراً، فأجابني قائلاً: "إنها الآنسة باترسون".

فقلت له: "فتاة مسكينة، فتاة مسكينة للغاية، يا لجمال تلك الصورة التي شكلتها بسلة الورد التي تحملها وقطها الرمادي". سمعت صوتاً خافتاً، ونظرت بسرعة إلى صديقي، فانزلق اللجام من بين أصابعه، وقد شحب وجهه.

فسألته متعجباً: "ما الأمر؟".

حاول جاهداً أن يتمالك نفسه، ثم قال: "لا شيء، لا شيء". وصلنا إلى القصر بعد عدة لحظات، ثم تبعته إلى غرفة الجلوس الخضراء، حيث قدم لي الشاي.

وعندما دخلنا، نهضت امرأة في منتصف العمر كانت لا تزال تحتفظ بجمالها، وتوجهت نحونا وهي تمد يديها مرحبة. فعرف سيتل كلاً منا على الآخر قائلاً: "هذا صديقي الطبيب كارستيرز، وهذه السيدة كارمايكل".

وتعجز كلماتي عن وصف تلك الموجة العارمة الغريزية من النضور التي اجتاحتني وأنا أصافح هذه المرأة الفاتنة الأنيقة التي كانت تتحرك بخطوات رقيقة ومتأنية؛ ما جعلني أتذكر إشارة سيتل إلى أصولها الشرقية.

قالت بنبرة خفيضة موسيقية: "إنه للطف منك أن تأتي إلى هنا يا سيد كارستيرز، وتحاول مساعدتنا في مشكلتنا الكبيرة". ورددت عليها ببعض الردود المتواضعة، ثم قدمت لي الشاي، وبعد عدة دقائق، دخلت الغرفة تلك الفتاة التي رأيتها عند المروج بالخارج، ولم يكن القط معها، ولكنها كانت لا تزال

أجاثا كريستي

تحمل سلة الزهور في يدها، وعرفني سيّتل عليها، فتقدمت نحوي بانديفاع قائلة: "أوه! الطبيب كارستيرز، لقد أخبرني السيد سيّتل بالكثير عنك. إنني أشعر بأنك قادر على أن تساعد آرثر المسكين".

كانت الآنسة باترسون فتاة جميلة للغاية، رغم أن وجنتيها كانتا شاحبتين، وكانت هناك هالات سوداء تحيط بعينيها. قلت مطمئناً إياها: "سيدتي العزيزة، يجب عليك ألا تتركي اليأس يتخلل إليك، إن حالات فقدان الذاكرة، أو ازدواج الشخصية لا تستمر طويلاً، ويمكن أن يعود المريض في أي لحظة إلى كامل قواه".

هزت رأسها قائلة: "لا أصدق أن هذه الحالة هي ازدواج الشخصية، إنه ليس آرثر على الإطلاق، إنها ليست شخصيته، إنه ليس هو، أنا..."

قالت السيدة كارمايكل بنبرة رقيقة: "عزيزتي فيليس، تفضلي فنجان الشاي الخاص بك".

لقد أوحى إليّ نظرات عيني السيدة كارمايكل وهي تنظر إلى الفتاة أنها لا تكن الكثير من الحب تجاه زوجة آرثر المستقبلية. رفضت الآنسة باترسون تناول فنجان الشاي، وقلت للتخفيف من حدة المحادثة: "ألن يتناول ذلك القط بعض اللبن؟".

نظرت إليّ في دهشة، ثم قالت: "قط؟". فقلت لها: "نعم، ذلك القط الذي كان بصحبتك منذ عدة دقائق في الحديقة..."

قطع حديثي ارتطام شيء ما بالأرض؛ لقد أوقعت السيدة كارمايكل براد الشاي على الأرض، وانسكب الماء الساخن على الأرض. فعالجت الأمر، ونظرت فيليس باترسون إلى سيتل في تساؤل، فنهض من مكانه، قائلاً لي: "ألا تود أن ترى مريضك الآن يا سيد كارستيرز؟".

تبعته على الفور، وجاءت بصحبتنا الأنسة باترسون، فصعدنا الدرج، وأخرج سيتل مفتاحاً من جيبه.

وفسر لي الأمر قائلاً: "تنتابه أحياناً نوبة جامحة للتجول بالخارج؛ لذا أغلق الباب أحياناً عندما أكون خارج المنزل".

أدار المفتاح في الباب، وفتحه ثم دلفنا إلى الداخل.

كان هناك شاب يجلس على مقعد بجوار النافذة، حيث كانت أشعة الشمس التي تغرب تتخلل المكان بلونها الأصفر، وتبدو عريضة للغاية. كان لا يزال يجلس بشكل غريب دافئاً رأسه بين قدميه، وكانت كل عضلات جسمه في حالة من الاسترخاء. وظننت للوهلة الأولى أنه لا يدرك وجودنا تماماً، حتى أدركت فجأة أنه ينظر إلينا خلسة، فقد كان يراقبنا من كذب، فغض الطرف عندما التقت عيناه بعيني، ورمشت عيناه، ولكنه لم يتحرك من مكانه.

قال سيتل في ابتهاج: "آرثر، لقد جاءت الأنسة باترسون وأحد أصدقائي لزيارتك".

لكن ذلك الشاب الذي كان يجلس عند النافذة لم يفعل شيئاً سوى أن حرك رموش عينيه، ولكنني رأيتُه بعد دقيقة أو دقيقتين يختلس النظر إلينا ثانية سراً.

تحدث إليه سيتل بنبرة عالية لا تخلو من المرح كأنه يتحدث إلى طفل صغير، قائلاً: "هل تود تناول الشاي؟".

ووضع على الطاولة كوباً من الحليب، فرفعت حاجبي في دهشة، فابتسم سيتل.

قال سيتل: "أمر غريب، فالمشروب الوحيد الذي سيلمسه هو اللبن".

وخلال بضع دقائق ودون عجلة رفع السيد آرثر رأسه من بين قدميه، وتوجه ببطء نحو الطاولة، وأدركت فجأة أن حركاته كانت صامتة تماماً، فلم يكن يُصدر أي صوت بقدميه بينما يسير على الأرض، وبمجرد أن وصل إلى الطاولة مدد جسمه بشدة، ووضع إحدى قدميه أمامه والأخرى خلفه، وظل جسده على هذه الوضعية، ثم تتأعب، ولم يسبق لي أن رأيت شخصاً يتأعب هكذا يبدو أنه يطمس كل ملامح وجهه وهو يتأعب.

ثم ركز انتباهه الآن على اللبن، وانحنى على الطاولة حتى لمست شفتاه السائل.

أجاب سيتل على نظراتي المتسائلة.

حيث قال: "إنه لا يستخدم يديه على الإطلاق، يبدو وكأنه قد عاد إلى حالة الإنسان البدائي، أمر غريب، أليس كذلك؟".

شعرت بأن فيليس باترسون قد انكشفت من خلفي، فربت ذراعها مطمئناً إياها.

انتهى اللبن في النهاية، ثم مدد آرثر كارمايكل جسده مرة أخرى، ثم عاد إلى مكانه بجوار النافذة مرة أخرى بالخطوات الصامتة نفسها، حيث جلس وتوقع في نفسه وهو ينظر إلينا وعيناه ترمشان.

صحبتنا الآنسة باترسون إلى الرواق الخارجي، وكان جسدها يرتعد بالكامل.

صرخت قائلة: "أوه! أيها الطبيب كارستيرز، إنه ليس هو، إن هذا الشيء الموجود بالداخل ليس هو آرثر! أنا أشعر... أنا أعرف..."

هزرت رأسي في أسي.

وقلت: "يمكن للعقل البشري أن يلعب ببعض الحيل الغريبة يا آنسة باترسون".

أعترف بأنني شعرت بالحيرة تجاه هذه الحالة، فهي تُظهر تصرفات غريبة، فعلى الرغم من أنني لم أر الشاب كارمايكل قبل أن يمشي بهذه الطريقة الغريبة وأن ترمش عيناه على هذا النحو الغريب كذلك، فإنه يذكرني بشيء ما أو بشخص ما لا أستطيع تحديده.

كان عشاؤنا في تلك الليلة يسوده الهدوء الشديد، وقد تحملت أنا والسيدة كارمايكل عبء التحدث في أثناء العشاء، وعندما غادرت السيدتان، سألتني سيتل عن انطباعي بشأن مضيفتي، فأجبت قائلاً: "يجب أن أعترف بأنها لم ترقني على الإطلاق دون سبب، فأنت محق في أن لها أصولاً شرقية، كما أنها تملك قوة خارقة ملحوظة، إنها تتمتع بقوة مغناطيسية استثنائية".

كان سيتل على وشك أن يقول شيئاً ما، لكنه راجع نفسه وتراجع، ثم قال بعد دقيقة أو دقيقتين: "إنها مخلصة تماماً لابنها الصغير".

أجاثا كريستي

جلسنا في غرفة الجلوس الخضراء مرة أخرى بعد تناول العشاء، وبمجرد أن انتهينا من تناول القهوة وأخذنا نتحدث بشكل صارم في الكثير من الموضوعات التي حدثت اليوم، بدأ القط في المواء بشدة خارج الباب وكأنه ينتظر الإذن بالدخول. لم يلحظ أي منهم هذا الأمر، ونظرًا لأنني مغرم بالحيوانات؛ نهضت من مكاني بعد بضع دقائق، وطلبت الإذن من السيدة كارمايكل قائلاً: "هل يمكنني أن أسمح لذلك المسكين بالدخول؟".

بدأ وجهها شاحبًا تمامًا حسبما أعتقد، لكنها أومأت إليّ بإيماءة سريعة بالموافقة، وذهبت إلى الباب وفتحته، لكن لم يكن هناك أي شيء في الرواق الخارجي.

قلت: "إنه أمر غريب، إنني أقسم أنني سمعت صوت قط". وبينما كنت عائداً إلى مقعدي، لاحظت أنهم كانوا يراقبونني باهتمام؛ ما جعلني أشعر بعدم الارتياح بعض الشيء.

ذهبنا للنوم في وقت مبكر، ورافقتني سبتل إلى غرفة نومي. ثم سألتني وهو ينظر حوله قائلاً: "هل لديك كل ما تريده؟". قلت له: "نعم، شكرًا لك".

كان لا يزال مترددًا إلى حد ما، وكأنه يريد أن يقول شيئًا ما، لكنه لا يستطيع البوح به.

فسألته قائلاً: "بالمناسبة، لقد قلت لي إن هناك شيئًا غير طبيعي في هذا المنزل،

ولكنه يبدو لي طبيعيًا تمامًا".

فقال: "هل يمكنك أن تقول إنه منزل مبهج؟".

فقلت له: "لا، فهو ليس كذلك في ظل هذه الظروف، فمن الواضح أن الحزن يسكن أرجاءه ويخيم عليه، لكن فيما يتعلق بوجود أي تأثير غير طبيعي، فلا بد أن أفحص هذا الأمر جيداً لأثبت صحته من عدمها".

قال سيتل بشكل مفاجئ: "طابت ليلتك، وأحلام سعيدة". لقد حلمت بالفعل، يبدو أن قط الأنسة باترسون الرمادي قد سيطر تماماً على تفكيري، ويبدو لي أنني حلمت بهذا القط البائس طوال الليل.

استيقظت مفزوعاً، وأدركت فجأة سبب تفكيري في هذا القط رغماً عني. لقد كان يموء بشكل مستمر أمام باب الغرفة، فقد كان يستحيل النوم في ظل هذه الجلبة التي لا تنقطع، فأشعلت الشمعة وتوجهت نحو الباب، لكن الممر خارج غرفتي كان فارغاً، لكن المواء كان لا يزال متواصلاً، فخطرت ببالي فكرة جديدة. قد يكون ذلك القط التعيس محبوباً في مكان ما، ولا يستطيع الخروج. كانت نهاية الممر تقع على اليسار، حيث توجد غرفة السيدة كارمايكل، وقد خطوت خطوات قليلة وعندها سمعت صوت المواء يأتي من خلفي، استدرت بحدة فسمعت الصوت مرة أخرى، لكنه كان هذه المرة يأتي بوضوح عن يميني.

لقد شعرت برعشة تسري في جسدي جعلتني أرتجف ربما نتيجة تيار هوائي في الممر، فعدت على الفور إلى غرفتي، ثم ساد الصمت في هذه اللحظة، فاستغرقت في النوم مرة أخرى، لأستيقظ على صباح يوم رائع من أيام الصيف.

أجاثا كريستي

وبينما كنت أرتدي ملابسني، رأيت من نافذتي مصدر إزعاجي طوال الليل، فقد كان القط الرمادي يزحف ببطء وخلصاً على المرج الأخضر، واعتقدت أنه يريد مهاجمة سرب من الطيور الصغيرة المشغولة بالتغريد وتنظيف نفسها في مكان ليس بعيد.

ثم حدث شيء غريب للغاية، فقد توجه القط مباشرة نحو الطيور، ومر من بينهما، وكان فراؤه يلمسها جميعاً، ولم تفرغ تلك الطيور أو تهرب بعيداً. لم أفهم هذا الأمر، لقد بدا بالنسبة إليّ غير مفهوم تماماً.

لقد أثار هذا الأمر فيّ بشكل واضح، حتى إنني لم أستطع الامتناع عن ذكر هذا الأمر في أثناء تناول الإفطار. قلت للسيدة كارمايكل: "هل تعلمين أن لديك قطاً غير طبيعي؟"

سمعت صوت ارتطام سريع للفتجان على الطبق، ورأيت فيليس باترسون وقد شهقت وتسارعت أنفاسها وأخذت تحديق إلى وجهي بشدة.

ساد الصمت لحظة، ثم قالت السيدة كارمايكل بنبرة تنم عن الضيق بشكل واضح: "أعتقد أنك مخطئ، فلا يوجد قط هنا، ولم أقتن أية قطط على الإطلاق".

كان من الواضح أنني قد قلت شيئاً ما قد أزعجها؛ لذا غيرت الموضوع على الفور.

لكن هذا الأمر حيرني للغاية، لماذا تنكر السيدة كارمايكل وجود قط في المنزل؟ هل من الممكن أن يكون قط الآنسة

باترسون، وقد تم إخفاء وجودها عن ربة المنزل؟ فربما تنفر السيدة كارمايكل من القاطن، وهو أمر شائع في هذه الأيام. لم يبدُ ذلك تفسيراً معقولاً، ولكنني اضطررت إلى الارتضاء به في الوقت الحالي.

كان المريض لا يزال كما هو، لكنني فحصته هذه المرة بشكل كامل، وتمكنت من فحصه عن قرب أكثر من الليلة الماضية. وبناء على اقتراحي، فقد وُضعت الترتيبات اللازمة ليقضي المريض بعض الوقت مع أفراد العائلة قدر الإمكان، فلم أكن أتمنى فقط أن أحظى بفرصة رائعة لمراقبته عندما يتخلى عن حذره، بل كنت أتمنى أن يشعل الروتين اليومي جذوة ذكائه، لكن سلوكه ظل كما هو دون تغيير، وكان لا يزال هادئاً ومنصاعاً، لم يكن يظهر أي مشاعر، لكنه في الواقع كان يبدو في حالة من التأهب والحذر الشديد. وثمة شيء واحد قد أثار دهشتي بكل تأكيد، وهو أنه كان يظهر عاطفة جياشة تجاه زوجة أبيه، وكان يتجاهل الأنسة باترسون تماماً، فقد كان يجلس دائماً بجوار السيدة كارمايكل قدر الإمكان، وقد رأيت ذات مرة يمسح رأسه في كتفها في تعبير صامت عن حبه لها.

كنت قلقاً حيال هذه الحالة، كما كنت متأكداً من أن هناك بعض الأدلة التي لم أتوصل إلى معرفتها حتى الآن.

تحدثت إلى سبتل، وقلتُ له: "هذه حالة غريبة للغاية".

قال لي: "نعم، إنها غامضة للغاية".

نظر إليّ خلسة، وقال لي: "أخبرني، ألا يذكرك هذا الأمر

بأي شيء؟".

أجاثا كريستي

أدهشتني هذه الكلمات كثيراً وذكرتني بذلك الانطباع الذي
تكوّن لديّ في اليوم السابق.

فسألته قائلاً: "تذكرني بماذا؟".

هز رأسه، وهمس قائلاً: "لعل هذا من وحي خيالي، إنه من
وحي خيالي".

ولم يقل أي شيء آخر فيما يتعلق بهذا الأمر.

كان الغموض يحيط بهذه الحالة في المجمل، كنت لا أزال
مشغولاً إلى حد الهوس بهذا الشعور المحير بأنني لم أستطع
الحصول على الدليل الذي من شأنه أن يوضح لي الأمر برمته،
كما كان هناك سر غامض أيضاً يتعلق بالحالة الأصفر، أعني
تلك الحالة التافهة التي تخص القط الرمادي. ولسبب ما كان
هذا الأمر يوترني للغاية ويثير أعصابي، إنني أحلم بهذا القط
باستمرار، كما أنني أتخيل دائماً أنني أسمع مواءه، وإنني ألمح
هذا الحيوان الجميل بين الحين والآخر، ولطالما انزعجت
كثيراً من هذا الغموض الذي يكتنف هذه الحالة؛ لذا ذهبت
وبشكل مفاجئ في ظهر أحد الأيام إلى الخادم لأحصل منه على
بعض المعلومات حول هذا الأمر.

فسألته: "هل يمكنك أن تخبرني بأي شيء عن ذلك القط
الذي أراه؟".

بدا كأنه مندهش قليلاً، ثم تساءل: "القط، يا سيدي؟".

فسألته: "ألم يكن هناك قط؟ أليس هناك قط؟".

أجاب قائلاً: "كانت سيدتي تفتني قطاً؛ قطاً كبيراً، لكنه
مات ويا للأسف، لقد كان قطاً جميلاً".

سألته بتأن: "هل كان رمادياً؟".

أجاب قائلاً: "نعم يا سيدي، إنه قط شيرازي".

فسألته: "هل قلت إنه قد مات؟".

فقال: "نعم يا سيدي".

فسألته: "هل أنت متأكد من أنه قد مات؟".

أجابني قائلاً: "أه! تمام التأكد يا سيدي، لم ترد السيدة كارمايكل أن ترسله إلى الطبيب البيطري ليعالجه، وفعلت ذلك بنفسها، وعندما مات دُفن تحت شجرة الزان الكبيرة"، ثم خرج من الغرفة وتركني لأفكاري.

لماذا أصرت السيدة كارمايكل بشدة على أنها لم تكن تقتني أي قط على الإطلاق؟

كان لديّ حدس بأن مسألة القط، التي تبدو تافهة، مهمة للغاية، فذهبت إلى سيتل، وانتحيت به جانباً، وقلت له: "سيتل، أريد أن أسألك سؤالاً هل سبق لك أن رأيت أو سمعت عن وجود قط في هذا المنزل؟".

لم يبد أي اندهاش لدى سماعه لهذا السؤال، بل بدا أنه كان يتوقعه.

وأجاب قائلاً: "لقد سمعت عنه، ولكنني لم أره".

فصحت فيه قائلاً: "ولكن في أول يوم لي هنا، رأيت قطاً رمادياً بصحبة الأنسة باترسون يسير معها في الحديقة".

أخذ ينظر إليّ نظرات ثابتة، ثم قال لي: "لقد رأيت الأنسة باترسون تسير وحدها في الحديقة".

بدأت أفهم الأمر، ثم قلت: "إذن، فالقط...؟"

أجاثا كريستي

فأوما برأسه، ثم قال: "أردت أن أرى دون أن أخبرك هل تسمع ما نسمعه جميعاً...؟"

فسألته قائلاً: "إذن، فأنتم جميعاً تسمعون هذا الصوت؟"
فأوما برأسه ثانية.

فهممت وأنا أفكر في الأمر ملياً: "إنه أمر غريب للغاية، لم أسمع قط من قبل عن شبح قط يسكن مكاناً ما".

أخبرته بما عرفته من الخادم، وأعرب عن دهشته، حيث قال: "هذه الأخبار جديدة بالنسبة إليّ، لم أكن أعرف ذلك من قبل".
لكنني سألته في عجز: "ولكن ماذا يعني ذلك؟"

هز رأسه، ثم قال: "الله وحده يعلم! ولكنني خائف يا كاستيرز، إن هذا الصوت أشبه بتهديد".

فقلت بنبرة حادة: "تهديد؟ لمن؟"

مد ذراعيه قائلاً: "لا أستطيع أن أقول".

لم أفهم معنى كلامه إلا في المساء وبعد أن تناوئنا العشاء، كنا نجلس في غرفة الجلوس الخضراء، كما حدث ليلة وصولي عندما جاء صوت مواء القط مرتفعاً ومُلهماً من خارج الغرفة، ولكن هذه المرة كان صوته ينم عن غضب دون أدنى شك، مواء قط شرس وطويل ويحمل بين طياته التهديد، ثم توقف الصوت وعندها أخذ مقبض الباب النحاسي يُرج بعنف مصدراً خشخشة وكان مخلب قط هو الذي يفعل به ذلك.

هبّ سيتل من مكانه.

ثم صرخ قائلاً: "أقسم أن هذا الصوت كان حقيقياً".

واندفع نحو الباب وفتحه على مصراعيه.

لكن لم يكن هناك شيء بالخارج.

عاد مرة أخرى وهو يمسح جبينه المتعرق، وكان وجه فيليس شاحباً، وجسمها يرتعد، أما السيدة كارمايكل فكان وجهها شاحباً كالموتى. كان آرثر فقط هو الذي يجلس القرفصاء في رضا كالطفل، وكان يضع رأسه على ركبة زوجة أبيه في هدوء ووداعة. كانت الأنسة باترسون تضع يدها على ذراعي بينما كنا نصعد الدرج.

وكانت تصرخ قائلة: "أه! أيها الطبيب كارستيرز، ما هذا؟ ما الذي يعنيه كل هذا؟".

قلت لها: "نحن لا نعرف حتى الآن عزيزتي الشابة، ولكنني سأعمل على اكتشاف الأمر، لكن يجب ألا تخافي على الإطلاق، فأنا على يقين تام بأنه لا يوجد أي خطر يهددك شخصياً". نظرت إليّ في شك، وتساءلت قائلة: "هل تعتقد ذلك؟".

فأجبتها بحزم قائلاً: "أنا على يقين من ذلك". لقد تذكرت كيف كانت ذلك القط الرمادي يتمسح في قدميها بوداعة، ولم يكن لديّ أدنى شك في أن هذا التهديد لم يكن موجهاً إليها.

كنت مستلقياً على السرير استعداداً للنوم، ولكنني كنت أغفو بعض الغفوات غير المريحة، وأستيقظ منها وأنا أشعر بالقلق الشديد، فسمعت صوت خدش متواصل وكأن شيئاً يتمزق، فنهضت من السرير وهرعت نحو الممر، وفي اللحظة نفسها اندفع سيتل من غرفته من الجهة المقابلة، وكان الصوت يأتي من يسارنا.

أجاثا كريستي

صرخ قائلاً: "هل سمعت هذا الصوت يا كارستيرز، هل سمعت هذا الصوت؟".

ذهبنا بسرعة نحو باب غرفة السيدة كارمايكل، لم يمر شيء أمامنا، ولكن الصوت قد اختفى. توهجت أنوار شموعنا على الألواح اللامعة لباب السيدة كارمايكل، ثم أخذ كل منا يحدق إلى وجه الآخر.

همس قائلاً: "هل تعرف ما كان هذا؟".

أومأت برأسي قائلاً: "صوت مخالف قط يخدش شيئاً ما ويمزقه"، وارتجفت قليلاً، ثم صحت فجأة وأنا أخفض الشمعة التي أحملها، قائلاً: "انظر هنا يا سيتل".

وكنت أقصد بـ"هنا" مقعداً كان يستند إلى الحائط قد تمزقت منه شرائط طولية ...

تفحصناه من قرب، نظر إليّ وأومأت برأسي.

ثم قال وهو يأخذ نفساً عميقاً: "مخالب قط"،

ثم انتقلت عيناه من المقعد إلى الباب المغلق قائلاً: "من الواضح أن هذا هو الشخص المعني بالتهديد. إنها السيدة كارمايكل!".

لم أنم مرة أخرى في هذه الليلة، فقد تفاقمت الأمور ولا بد من إيجاد حل لها. وعلى حد علمي هناك شخص واحد هو من لديه مفتاح حل هذه المشكلة، فكنت أشك في أن السيدة كارمايكل تعرف أكثر مما أرادت أن تخبرنا به.

كان وجهها شاحباً تماماً عندما نزلت في صباح اليوم التالي، وظلت تعبت بالطعام الموضوع في طبقها، وكنت على يقين من

أن عزيمتها الحديدية هي التي منعتها من الانهيار. وبعد تناول الإفطار، طلبت منها أن أتحدث معها قليلاً، وتطرقت بشكل مباشر إلى الموضوع، قائلاً: "سيدة كارمايكل، إن لدي سبباً يجعلني أعتقد أنك في خطر شديد".

لم تأبه لهذا الأمر على الإطلاق، وأجابت بعدم اكتراث عجيب قائلة: "حقاً؟".

واصلت حديثي قائلاً: "هناك شيء ما في هذا المنزل؛ شيء ما، موجود هنا يتخذ موقفاً معادياً تماماً تجاهك".

فهممت بازدياء قائلة: "ما هذا الهراء؟ أنا لا أصدق مثل هذه الخرافات".

قلت لها بنبرة حادة: "لقد وجدنا المقعد الموضوع أمام غرفتك ممزقاً تماماً الليلة الماضية".

قالت وهي ترفع حاجبها وتتظاهر بالدهشة قائلة: "حقاً؟"، ولكنني رأيت في عينيها أنني أخبرتها بشيء تعرفه، ثم أضافت قائلة: "أعتقد أنها مجرد مزحة سخيفة".

قلت لها ببعض التأثر: "هي ليست كذلك، وأريدك أن تصارحيني من أجل مصلحتك"، ثم توقفت عن الكلام. تساءلت قائلة: "أخبرك بماذا؟".

قلت لها بنبرة حادة: "أي شيء يمكن أن يوضح حقيقة ما يحدث".

فضحكت، ثم قالت: "لا أعرف أي شيء، لا أعرف أي شيء على الإطلاق".

لم يكن لتهديدات الخطر أن تدفعها إلى البوح بما تعرفه، ومع ذلك فقد كنت مقتنعا تماما بأنها تعرف بالفعل أكثر مما عرفه أي شخص منا، ولديها بعض أدلة حل هذا اللغز التي نجهلها تماما، لكنني رأيت أن من المستحيل أن أجعلها تتحدث. وعزمت رغم ذلك على اتخاذ كل الاحتياطات قدر الإمكان، وأنا مقتنع تماما بأن هناك خطرا حقيقيا ومباشرا يهددها. ولقد فحصت أنا وسيتل غرفة نومها قبل أن تذهب إليها في مساء اليوم التالي، واتفقنا على أن نتبادل نوبات الحراسة على الممر.

توليت أنا نوبة الحراسة الأولى، وقد مرت دون وقوع أي شيء، وأتى سيتل ليحل محلي في الساعة الثالثة، وكنت متعبا للغاية بعد أن قضيت ليلة أمس دون نوم؛ لذا استغرقت في النوم العميق على الفور، ورأيت في منامي حلما غريبا للغاية.

لقد رأيت ذلك القط الرمادي يجلس أسفل سريري، وعينيه مثبتتين على عيني، وكأنه يتوسل إليّ لفعل شيء ما، ثم أدركت أن هذا القط يريد مني أن أتبعه، ففعلت ذلك، فقادني إلى أسفل الدرج الواسع، ثم إلى اليمين حيث الجناح المقابل للمنزل، ثم إلى غرفة تبدو بوضوح أنها مكتبة، وتوقف هناك في جانب من الغرفة، ثم رفع ساقيه الأماميتين حتى استقرتا على أحد الأرفف السفلية للكتب، بينما كان ينظر إليّ مرة أخرى نظرة التوسل نفسها.

ثم تلاشى القط والمكتبة كذلك ... واستيقظت لأجد أن الشمس قد أشرقت.

مرت نوبة حراسة سيتل دون حدوث أي شيء، لكنه كان مهتماً للغاية بمعرفة الحلم الذي رأته، وبناء على طلبي صحبني إلى المكتبة التي كانت مطابقة تماماً للمكتبة التي رأيتها في الحلم بتفاصيلها كافة، لدرجة أنني كنت قادراً على أن أشير مباشرة إلى المكان الدقيق الذي نظر إليّ فيه الحيوان نظرتة الأخيرة الحزينة.

وقف كلانا هناك في حيرة صامتة، وفجأة خطرت ببالي فكرة، فانحنيت لقراءة عنوان الكتاب الموجود في ذلك المكان بالضبط، ولاحظت أن هناك فراغاً في صف الكتب.

فقلت لسيتل: "لقد أخذ كتاب من هنا".

فانحنى هو الآخر على الرف ليتفحصه.

ثم قال: "مرحى، هناك مسمار في الخلف هنا حتى إنه مزق جزءاً من غلاف الكتاب المفقود وتعلق به".

فحص قطعة الورق بعناية، وكانت صغيرة للغاية؛ مجرد ورقة مربعة صغيرة، ولكن كان مكتوباً عليها كلمة مهمة: "القط ...". نظر كل منا إلى الآخر.

وقال سيتل: "إن هذا الأمر يثير رعبى، إنه أمر رهيب للغاية".

قلت له: "لا بد أن أعرف الكتاب المفقود من هنا، هل تعتقد أن هناك أية وسيلة للعثور عليه؟".

أجابني قائلاً: "ربما يكون هناك فهرس مدرج به أسماء الكتب، وربما السيدة كارمايكل ..."

فهزرتُ رأسي، وقلت له: "لن تخبرك السيدة كارمايكل بأي شيء".

فسألني: "هل تعتقد ذلك؟".

فقلت له: "أنا متأكد من ذلك، وبينما نقبع نحن في الظلام نخمن ونتخبط، تعرف السيدة كارمايكل كل شيء، وهي لن تفصح عن أي شيء لأسباب خاصة بها، فهي تفضل أن تتعرض لخطر شديد في وقت قريب على أن تتخلى عن صمتها".

مر اليوم بهدوء، ولكنه ذكّرني بالهدوء الذي يسبق العاصفة، وخالجني شعور غريب بأن حل هذا اللغزبات وشيكًا. كنت أتخبط في الظلام، ولكن لا بد أنني سأصل إلى الحقيقة قريبًا، فالحقائق كانت موجودة بالفعل، ولكنها تنتظر وميضًا بسيطًا للكشف عنها وربط بعضها مع بعض وإظهار أهميتها.

وها قد حدث ذلك! ولكن بطريقة غريبة للغاية!

وكان ذلك عندما كنا نجلس جميعًا في غرفة الجلوس الخضراء بعد تناول العشاء كما جرت العادة، وكان الصمت يسود جنبات الغرفة، لدرجة أن فأرًا صغيرًا ظهر في الغرفة وأخذ يجري على الأرض، وعلى الفور حدث شيء عجيب.

قفز آرثر كارمايكل من مقعده قفزة طويلة، وانطلق بجسده المرتعش انطلاقًا السهم متعقبًا أثر الفأر الذي اختفى خلف بعض الألواح الخشبية، وجثم آرثر على الأرض متيقظًا ومتربحًا للفأر، وكان جسده لا يزال يهتز في حماس.

كان الأمر مريعًا! لم أمر بمثل هذه اللحظة من العجز من قبل، ولم أعد أشعر بالحيرة حيال ذلك الشيء الذي كان

يذكرني به آرثر كارمايكل بقدميه اللتين كانتا تسيران على الأرض دون صوت وعينيه المترقبتين. وفي لحظة اجتاح ذهني تفسير غريب عجيب لا يمكن تصديقه، ولكنني طردته من ذهني باعتباره مستحيلًا غير وارد الحدوث! ولكنني لم أستطع طرده من ذهني.

ولا أكاد أتذكر ما حدث بعد ذلك، حيث بدأ الأمر كله غامضًا وغير واقعي، فلا أتذكر سوى أننا صعدنا الدرج إلى الطابق العلوي، وذهبنا إلى النوم بعد أن تمنى كل منا للآخر ليلة سعيدة بشكل مؤقت، خشية أن نجد هناك بعض التأكيدات على مخاوفنا.

جلس سيتل أمام باب غرفة السيدة كارمايكل في نوبة الحراسة الأولى، وكان من المفترض أن يستدعيني في الساعة الثالثة صباحًا، لم تكن تساورني مخاوف بشأن السيدة كارمايكل، فقد تأثرت تأثرًا شديدًا بنظريتي الخيالية المستحيلة، فكلما حاولت إقناع نفسي باستحالة الأمر، أجد ذهني ينصرف إليه وكأنني مفتون به.

ثم فجأة شق سكون الليل صرخة مدوية أطلقها سيتل مستغيثًا بي، فخرجت إلى الممر مسرعًا.

فوجدته يقرع باب السيدة كارمايكل بكل ما أوتي من قوة. وأخذ يصرخ قائلاً: "إن الشبح يهجم على السيدة! وقد أوصدت الباب من الداخل".
فقلت له: "ولكن ..."

أجاثا كريستي

فقاطعني قائلًا: "إنه بالداخل! هناك رجل معها بالداخل! ألا تسمع صوته؟".

فسمعت مواءً طويلًا وعنيفًا يصدر من خلف الباب الموصد، ثم تبعته صرخة مروعة، ثم صرخة أخرى، فعلمت أنه صوت السيدة كارمايكل.

فصحت قائلًا: "لا بد أن نكسر الباب، فلو تأخرنا دقيقة فسيكون الأوان قد فات".

فأخذنا نضرب الباب بأكتافنا بكل ما أوتينا من قوة، حتى انكسر الباب وكدنا نسقط على وجوهنا داخل الغرفة.

وجدنا السيدة كارمايكل ترقد في السرير غارقة في الدماء، ولم أر مشهدًا مروعًا كهذا من قبل، وكان قلبها لا يزال ينبض، لكن جراحها كانت غائرة وخطيرة، فقد كان جلد عنقها ممزقًا ومقطعًا ... همست إلى سيتل وأنا ارتعد قائلًا: "المخالب..."، ثم اجتاحتني نوبة مريعة من الرعب.

عملت على تضميد الجراح، ووضعت عليها ضمادات بعناية، وقلت لسيتل إن من الأفضل ألا نذكر شيئًا عن طبيعة هذه الجراح ونبقيها سرًا، وبخاصة عن الأنسة باترسون. وأرسلت برقية إلى إحدى ممرضات المستشفى لتأتي بمجرد أن يبدأ مكتب البريد في العمل.

بدأت أشعة ضوء بزوغ الفجر تتسلل من خلال النافذة، فنظرت إلى آثار الأشعة المنبعثة من النافذة على الأرض، وقلت لسيتل بشكل مفاجئ: "ارتد ثيابك، وهيا لنخرج، ستكون السيدة كارمايكل على ما يرام على الفور".

وسرعان ما أصبح جاهزاً، وخرجنا إلى الحديقة معاً.

سألني سيتل قائلاً: "ما الذي تريد فعله؟"

أجبتُه باختصار قائلاً: "سنحضر ونخرج جثة القط، لا بد أن

أتأكد من ..."

وجدت جاروفاً في خزانة الأدوات، فشرعنا في الحفر تحت

شجرة الزان الكبيرة، وفي النهاية أتى بحثنا ثماره. لم تكن

مهمة ممتعة على الإطلاق، فقد مات الحيوان منذ أسبوع، لكنني

رأيت ما كنت أريد أن أراه.

قلت لسيتل: "هذا هو القط نفسه التي رأيته عندما وصلت

إلى هنا".

أخذ سيتل يستكشف الرائحة المنبعثة متشمماً، فكانت

رائحة اللوز المر لا تزال منبعثة على نحو ملحوظ.

قال سيتل: "إنه حمض البروسيك".

أومأت برأسي.

فسألني في دهشة قائلاً: "فيم تفكر؟"

فقلت: "في الذي تفكر فيه أنت أيضاً".

لم يكن تخميني جديداً عليه، فقد أدركت أنه يفكر فيه هو

الآخر.

فهمس قائلاً: "مستحيل، مستحيل! فهذا ينافي كل قوانين

العلم والطبيعة ... " ثم خفض صوته وقال وهو يرتجف: "ذلك

الفأر في الليلة الماضية، لكن، أه! لا يمكن أن يحدث! "

قلت له: "إن السيدة كارمايكل امرأة غريبة للغاية، إن لديها

قوى خفية، قوى غامضة، فلديها أصول شرقية، فهل يمكننا

أن نعرف القوة التي استخدمتها من بين ما تتمتع به من قوى للتأثير على ذلك الشخص الضعيف المحبوب آرثر كارمايكل؟ وتذكر يا سيتل أنه لو ظل آرثر أبله لا حيلة له ومخلصاً لها تماماً، فإن كل الممتلكات تذهب من الناحية العملية إليها وإلى ابنها الذي أخبرتني بأنها تحبه بشدة، وكان آرثر يستعد للزواج!"

سألني سيتل قائلاً: "ولكن ما الذي سنفعله يا كاستيرز؟" قلت له: "لا يوجد شيء محدد يمكننا فعله، ولكننا سنفعل كل ما في وسعنا لنحول بين السيدة كارمايكل ورغبتها في الانتقام". تحسنت السيدة كارمايكل ببطء، حيث التأمّت جروحها كما كان متوقعاً، لكن هذه الندبات التي خلفها هذا الاعتداء الرهيب عليها كان من المحتمل أن تظل آثارها في جسدها حتى نهاية حياتها.

لم أشعر قط بهذا العجز الذي كنت أشعر به حينها، فالقوة التي هزمتنا كانت لا تزال طليقة ومهيمنة علينا، وعلى الرغم من هدوئها للحظة، لكننا لا يمكن أن نتوقع سوى أنها تتحين اللحظة المناسبة لتفعل ما تريد. وكنت قد عقدت العزم على شيء واحد، بمجرد أن تتحسن صحة السيدة كارمايكل لا بد من إبعادها عن وولدن؛ فهناك فرصة وحيدة، وهي عدم قدرة تلك القوة الرهيبة على مطاردتها هناك ... وهكذا مرت الأيام.

وحددت الثامن عشر من سبتمبر موعداً لانتقال السيدة كارمايكل، ولكن في صباح اليوم الرابع عشر نشبت أزمة غير متوقعة.

كنت جالسًا في المكتبة مع سيتل نناقش مشكلة السيدة كارمايكل عندما اندفعت نحونا الخادمة المفزوعة، وهي تصرخ قائلة: "أه! يا سيدي، أسرع! لقد سقط السيد آرثر في البركة، لقد صعد متن القارب وانطلق به، ولكن توازنه قد اختل وسقط في البحيرة! لقد رأيت ذلك من النافذة".

وعلى الفور انطلقت إلى خارج الغرفة، وتبعني سيتل، وكانت فيليس لا تزال عند باب الغرفة تسمع قصة الخادمة، فجرت في إثرنا.

صرخت قائلة: "لا داعي للقلق، إن آرثر سباح ماهر".

لكنني شعرت بنذير شؤم، وأسرعت من خطاي، وكان سطح المياه هادئًا، وكان القارب يطفو ببطء وهو فارغ فوق سطح المياه، ولم يكن هناك أي أثر لآرثر.

خلع سيتل معطفه وحناءه، ثم قال: "سأنزل في المياه للبحث عنه، وأنت يا كارستيرز فلتأخذ الخطاب والقارب الآخر ولتبحث عنه في المياه، فعمق المياه هنا ليس كبيرًا".

بدا الوقت طويلًا للغاية، بينما كنا نبحث دون جدوى، فالدقيقة تتبعها الأخرى، وبمجرد أن تملكنا اليأس، وجدناه وحملنا جثته الهامدة كما بدا لنا إلى الشاطئ.

ولن أنسى طيلة حياتي علامات الألم البائس التي رُسمت على وجه فيليس.

أخذت تقول: "لا... لا"، فقد كانت شفتاها ترفضان النطق بتلك الكلمة المرعبة.

أجاثا كريستي

صرختُ قائلاً: "لا، لا يا عزيزتي، سنساعده على استعادة وعيه مرة أخرى، لا تخافي أبداً".

لكنني لم أكن أعقد الكثير من الآمال على هذا الأمر؛ لقد ظل تحت سطح المياه نصف ساعة، وأرسلت سيتل إلى المنزل لإحضار بعض البطانيات الدافئة وبعض المستلزمات الأخرى، وبدأت أساعده من خلال التنفس الصناعي.

بدلنا قصاري جهدنا لمساعدته على استعادة وعيه لما يزيد على ساعة من الوقت، ولكن لم يكن هناك مؤشر على أنه لا يزال على قيد الحياة، فأشرت إلى سيتل ليأتي ويأخذ مكاني، واقتربت من فيليس.

وقلت لها بلطف: "أنا آسف، الأمر ليس على خير ما يرام، فلم نستطع إنقاذ آرثر".

ظلت هادئة لحظة، ثم ارتمت فجأة فوق تلك الجثة الهامدة. وظلت تصرخ في يأس قائلة: "آرثر! آرثر! عد إلى الحياة من أجلي! آرثر عد إلى الحياة، عد إلى الحياة!".

تردد صدى صوتها واخترق هذا السكون، وأمسكت فجأة بذراع سيتل، وقلت له: "انظرا".

بدأ وجه الرجل الشاحب تسري فيه بعض الدماء، وشعرت بقلبه ينبض.

صرختُ قائلاً: "استمر في التنفس الصناعي، حتى يستعيد وعيه!".

كانت الدقائق تمر سريعاً الآن، وفي وقت قصير للغاية فُتحت عيناه.

ثم أدركت فجأة الفرق. كانت هناك عيانان مليئتان بالذكاء،
عيانان بشريتان...

وأخذ ينظر إلى فيليس.

قال بنبرة ضعيفة: "مرحبًا فيل، هل هذه أنت؟ كنت أعتقد أنك لن تأتي حتى الغد".

لم تكن تصدق ما حدث لدرجة أنها لم تقوَ على الكلام، واكتفت بالابتسام لنا، وأخذ هو ينظر حوله في حيرة متزايدة. ثم أخذ يقول: "ولكن، أين أنا؟ أشعر بأني في حالة مزرية! ما الذي حدث لي؟ أخبرني أيها الطبيب سيتل!".

أجابه سيتل وهو متجهم: "كنت على وشك الفرق، هذا هو كل ما حدث".

فعبس السيد آرثر، وقال: "لطالما سمعت أن الشعور الذي يعقب النجاة من الفرق يكون مريعًا للغاية، لكن كيف حدث هذا؟ هل كنت أسير في أثناء النوم؟".
فهز سيتل رأسه.

قلت لهم وأنا أتقدم إلى الأمام: "لا بد أن نعيده إلى المنزل".
أخذ ينظر إليّ، فعرفتني فيليس عليه، قائلة: "هذا هو الطبيب كارستيرز، إنه يقيم معنا هنا".

ساعدناه على الوقوف وحملناه بيننا، وتوجهنا به نحو المنزل، بدا وكأن هناك فكرة قد طرأت على باله فجأة.

وقال: "أريد أن أعرف أيها الطبيب إن كان هذا الحادث سيمنعني من الاستعداد ليوم الثاني عشر؟".

فقلت له ببطء: "أتقصد الثاني عشر من أغسطس؟".

أجاثا كريستي

فقال: "نعم، الجمعة المقبلة".

قال سيتل فجأة: "اليوم هو الرابع عشر من سبتمبر".

بدأت عليه الحيرة بشكل واضح، ثم قال: "ولكنني... ولكنني

أظن أن اليوم هو الثامن من أغسطس، لا بد أنني كنت مريضاً".

تدخلت فيليس بسرعة في الحديث وقالت بصوتها اللطيف:

"نعم، لقد كنت مريضاً".

عبس، ثم قال: "لا أستطيع أن أفهم هذا، لقد كنت على خير

ما يرام عندما ذهبت للنوم الليلة الماضية، لم تكن بالطبع الليلة

الماضية. لقد رأيت العديد من الأحلام، نعم أتذكر، أحلام..."

قطب جبينه مرة أخرى بينما كان يحاول جاهداً أن يتذكر، ثم

قال: "لقد حلمت بشيء، ماذا كان هذا الشيء؟ إنه شيء مريع،

فعله شخص ما بي. وقد كنت غاضباً ويائساً... ثم حلمت بأنني

قط، نعم قط! حلم مضحك، أليس كذلك؟ لكنه لم يكن حلمًا

مضحكًا، بل كان مرعبًا! لكنني لم أستطع تذكره. إنني أنسى

تفاصيله بمجرد محاولة التفكير فيه".

ربت كتفه، وقالت له بقلق بالغ: "لا تحاول التفكير يا سيد

آرثر. كن مطمئنًا، وانس الأمر".

نظر إليّ بطريقة متحيرة، ثم أومأ برأسه، فسمعت فيليسي

وهي تتنفس الصعداء، وكنا قد وصلنا إلى المنزل.

قال السيد آرثر فجأة: "بالمناسبة، أين السيدة كارمايكل؟"

قالت فيليس بعد لحظة من الصمت: "لقد كانت...

مريضة".

تردد صوته في قلق حقيقي قائلاً: "أه! يا للعجوز المسكينة!

أين هي؟ هل هي في غرفتها؟"

قلت له: "نعم، لكن من الأفضل لك ألا تزعجها..."

تجمدت الكلمات على شفتي، ثم انفتح باب غرفة الجلوس وخرجت السيدة كارمايكل وهي ترتدي ثياب النوم آتية من الصلاة.

كانت عيناها مثبتتين على آرثر، وكانت نظراتها تنم عن الرعب الناتج عن الشعور بالذنب وقد كانت هذه أول مرة أرى فيها هذه النظرات، فقد أظهر رعبها الشديد وجهها وكأنها ليس وجهًا بشرياً، وأخذت تتلمس حلقها بيديها.

تقدم آرثر نحوها في عاطفة صبيانية، قائلاً لها: "أهلاً يا سيدتي! إذن كنت متعبة أنت الأخرى؟ إنني حزين للغاية لسماع ذلك؟".

ارتدت إلى الخلف، وكانت عيناها تتسعان في دهشة، ثم أطلقت فجأة صرخة عالية من روح مهزومة، ثم سقطت إلى الخلف من خلال الباب المفتوح.

أسرعت إليها، وانحنيت فوقها، ثم توجهت بالحديث إلى سيتل قائلاً: "صه، اصحبه إلى الطابق العلوي بهدوء، ثم عد إلى هنا مرة أخرى، لقد ماتت السيدة كارمايكل".

عاد إلي في غضون بضع دقائق.

سألني قائلاً: "ما الذي حدث؟ وما سبب حدوثه؟". قلت له بعبوس: "الصدمة؛ الصدمة جراء رؤية آرثر كارمايكل، آرثر كارمايكل الحقيقي، وقد عاد إلى الحياة! أو ربما يمكنك أن تقول، كما أحب أن أسميها أنا، عدالة الله!".

تردد قائلاً: "أنت تقصد..."

أجاثا كريستي

نظرتُ إلى عينيه مباشرة حتى يفهم مقصدي.

وقلت بوضوح شديد: "حياة مقابل حياة".

فقال: "ولكن..."

فبادرته قائلاً: "أه! أنا أعرف أن هناك أمراً غريباً وغير

متوقع قد سمح لروح آرثر كارمايكل بالعودة إلى جسده مرة

أخرى، ومع ذلك فقد تعرض آرثر كارمايكل لجريمة قتل".

نظر إليّ في رهبة قائلاً بصوت منخفض: "هل تقصد من

خلال حمض البروسيك؟".

أجبت قائلاً: "نعم، من خلال حمض البروسيك".

لم أتحدث أنا وسيتل قط عن اعتقادنا، فلم يكن لأحد أن

يصدّقه، فمن وجهة النظر العلمية كان آرثر يعاني فقداً في

الذاكرة، والسيدة كارمايكل هي التي مزقت رقبتها في نوبة من

الجنون، أما ظهور القط الرمادي فكان مجرد خيال.

لكن كانت هناك حقيقتان مؤكدتان غير قابلتين للشك؛

الأولى هي المقعد الممزق في الممر، والثانية هي أكثر أهمية

وهي فهرس الكتب الذي وجدناه في المكتبة، وبعد بحثٍ مضمّنٍ

تبين لنا أن الكتاب المفقود كان عملاً قديماً وغريباً يتحدث عن

إمكانية تحويل البشر إلى حيوانات!

وهناك شيء آخر وهو أنني ممتن للغاية؛ لأن آرثر لم يعرف

شيئاً عما حدث؛ لقد احتفظت فيليس بسر تلك الأسابيع في

قلبها، وأنا متأكد من أنها لن تبوح بها لزوجها الذي تحبه

حُباً جماً، الذي عادت إليه الذاكرة مرة أخرى بفضل دعائها

وتوسلاتها.

زهرة الغرنوقي الزرقاء

قال السيد هنري كليثرينج: "عندما كنت هنا في العام الماضي..." ثم توقف عن الكلام.

فنظرت إليه مضيفته السيدة بان تري بفضول.

كان مفتش الشرطة السابق في إسكوتلاند يارد يقيم مع أصدقاء قدامى له، وهما الكولونيل بان تري وزوجته اللذان يعيشان بالقرب من قرية سانت ماري ميد.

كانت السيدة بان تري تمسك بقلم في يدها وتستشير به بشأن الضيف السادس الذي يجب دعوته لتناول العشاء معهم هذا المساء.

قالت السيدة بان تري بنبرة تشجيعية: "ماذا؟ ماذا حدث عندما كنت هنا في العام الماضي؟"

قال السيد هنري: "أخبريني، هل تعرفين امرأة تدعى الآنسة ماربل".

بدأت علامات الدهشة على وجه السيدة بان تري، فقد كان هذا آخر ما توقعت أن يقوله.

وقالت له: "أعرف الآنسة ماربل؟ ومن لا يعرفها! الصورة النموذجية للسيدة العجوز كما تصورها القصص الخيالية. إنها شخصية محبوبة للغاية، ولكنها قد ولت وانتهى زمنها، هل تعني أنك تريد مني دعوها على العشاء".

أجاثا كريستي

فسألها: "هل أنت مندهشة؟".

فقالت: "نعم، أعترف بأنني مندهشة قليلاً، ما كنت أظن أنك ... ولكن ربما يكون هناك تفسير؟".

فقال لها: "التفسير بسيط للغاية، فعندما كنت هنا العام الماضي، كنا نمارس تلك العادة التي ألفناها، وهي مناقشة الألغاز التي لم تُحل، كنا خمسة أو ستة، وكان الروائي رايموند ويست هو من بدأ الأمر. وسرد كل منا قصة غامضة كان يعرف حل لغزها دون الآخرين، وكان من المفترض أن يكون هذا تمريناً للقدرة على الاستنتاج لدى كل منا، لنعرف من سيكون أكثر قرباً من الحقيقة".

فقالت: "حسناً، وماذا بعد؟".

فاستطرد قائلاً: "كما يحدث في القصص القديمة، كنا نكاد لا ندرك أن الأنسة ماربل تلعب معنا، لكننا تحلينا بالأدب في هذا الأمر، ولم نرد أن نجرح مشاعر العجوز العزيزة. وهنا حدث أهم شيء في الموضوع، لقد تفوقت علينا السيدة العجوز في كل مرة".

فقالت: "ماذا؟".

فقال: "أؤكد لك ذلك، لقد كانت تصل مباشرة إلى الحقيقة كما يصل الحمام الزاجل إلى وجهته".

فقالت: "ولكن يا له من أمر غريب للغاية! إن الأنسة ماربل لم تغادر قرية سانت ماري ميد على الإطلاق".

فقال: "نعم، ولكن بالنسبة إليها، فقد منحها هذا الأمر فرصاً غير محدودة لمراقبة الطبيعة البشرية عن قرب شديد".

قالت السيدة بانترى: "أعتقد أن هذا صحيح إلى حد ما، إذ يمكن للمرء أن يعرف على الأقل الجانب التافه من حياة الآخرين، لكنني لا أعتقد أن لدينا مجرمين مثيرين هنا بيننا. أعتقد أننا لا بد من أن نجرب هذا الأمر مع قصة شبح آرثر بعد العشاء، فسأكون شاكرة لك إن وجدت حلاً لها".

قال السيد هنري: "لم أكن أعرف أن السيد آرثر يصدق بوجود الأشباح".

فقالت: "لا، إنه لا يصدق بوجودها، وهذا ما يقلقه كثيراً، لقد حدث هذا لصديق له يُسمى جورج بريتشارد، وهو شخص عادي تماماً. إنها مأساة حقيقية لجورج المسكين، فإما أن تكون هذه القصة الغريبة صحيحة، وإما أنها ..."

فقال: "أو أنها ماذا؟".

لم تجب السيدة بانترى، ثم قالت بعد عدة دقائق وقد غيرت دفة الحديث: "أتعرف، إنني أحب جورج، والجميع يحبونه أيضاً، لا يمكن للمرء أن يصدق أنه ... ولكن بعض الأشخاص يفعلون مثل هذه الأمور الغريبة في بعض الأحيان".

أوما السيد هنري برأسه، فقد كان أكثر معرفةً بتلك الأمور الغريبة التي يفعلها الآخرون من السيدة بانترى نفسها.

وفي ذلك المساء، أخذت السيدة بانترى تنظر حول مائدة العشاء (وكانت ترتجف قليلاً؛ لأن غرفة الطعام كانت باردة للغاية مثل باقي غرف الطعام الإنجليزية)، ثم دققت النظر في تلك المرأة العجوز التي كانت تجلس على يمين زوجها، فكانت الآنسة ماربل ترتدي قفازات من الدانتيل الأسود، وكانت تلف

شالاً قديماً من الدانتيل حول كتفها، وشريطاً آخر من الدانتيل حول شعرها الأبيض، وأخذت تتحدث بحماسة مع الطبيب العجوز لويد حول ملجأ الفقراء، وأوجه القصور لدى ممرضة القرية.

وقد تعجبت السيدة بانتري مرة أخرى، حتى إنها تساءلت عما إذا كان السيد هنري يخطط لمزحة كبيرة، ولكن لم تكن هناك جدوى من ذلك، فهي لا تصدق أن يكون ما قاله أمراً حقيقياً.

وأخذت تنتقل بنظراتها، حتى وقعت نظراتها الحانية على زوجها عريض المنكبين ذي الوجه الأحمر الذي كان يتحدث مع جين هيلير الممثلة الرائعة المشهورة عن الخيول، وكانت جين أجمل في الحقيقة مما تبدو على خشبة المسرح، وكانت تفتح عينيها الزرقاوين الواسعتين وتهمهم على فترات متقطعة قائلة: "حقاً؟! ... "يا إلهي!" "كم هو رائع!"، فلم تكن تعرف الكثير عن الخيول ولا تهتم بها كثيراً.

قالت السيدة بانتري: "آرثر، إنك تثير ملل المسكينة جين بدرجة كبيرة، اترك الخيول وشأنها، وأخبرها بقصة الأشباح الخاصة بك بدلاً من ذلك ... قصة جورج بريشارد".

فقال لها: "ماذا يا دولي؟ آه! ولكنني لا أعرف ..."
فبادرته قائلة: "إن السيد هنري يريد سماعها أيضاً، لقد كنت أتحدث معه في هذا الأمر هذا الصباح. سيكون من المثير للاهتمام سماع ما يقوله الجميع عن هذه القصة".

قالت جين: "يا إلهي! إنني أحب قصص الأشباح".

تردد الكولونيل بانتري ثم قال: "حسناً... أنا لا أصدق بوجود قوى خارقة للطبيعة، ولكن هذه..."

ثم استطرد قائلاً: "لا أعتقد أن أيًا منكم يعرف جورج بريتشارد؛ إنه واحد من أفضل الأشخاص الصالحين، أما عن زوجته - وهي متوفاة الآن، تلك المرأة المسكينة - فسأكتفي بقول إنها لم تترك جورج يهنأ بوقت مريح طوال حياتها، فكانت شبه عاجزة، وأعتقد أنها كانت تعاني شيئاً ما، ولكن أيًا كان ما كانت تعانيه، فقد كانت تستغله أسوأ استغلال، فقد كانت غريبة الأطوار وكثيرة المطالب، ولا تتصرف بمنطقية، فقد كانت تشتكي منذ الصباح وحتى المساء، إذ كانت تتوقع من جورج أن يقوم على خدماتها وينفذ لها كل ما تريده، وكان كل ما يفعله غير صحيح من وجهة نظرها، ولا بد أن ينال توبيخاً عليه، وانتي على يقين من أن أي رجل محله كان سيضربها على رأسها بألة حادة ليودي بحياتها منذ وقت طويل، أليس كذلك يا دولي؟"

قالت السيدة بانتري باقتناع: "لقد كانت امرأة صعبة المراس، فلو أن جورج بريتشارد ضربها على رأسها بألة حادة، وكان من بين هيئة المحلفين امرأة، لكانت قد برأت ساحته على الفور".

أضاف السيد بانتري قائلاً: "لا أدري كيف بدأ هذا الأمر، فقد كان جورج نفسه غير واضح بشأن هذا الأمر. لقد عرفت أن السيدة بريتشارد كانت لديها نقطة ضعف، وهي التردد على المنجمين والمشعوذين والعرافين ومن على شاكلتهم. لم يكن جورج يمانع ذلك؛ إذ إنها كانت تجد في ذلك وسيلة للتسلية،

لكنه كان يرفض الذهاب معها إلى هؤلاء الأشخاص، وكان هذا أمراً آخر كانت تشتكي منه .

تابع قائلاً: " تعاقبت على العمل بالمنزل مجموعة من الممرضات، حيث كانت السيدة بريتشارد تغضب على الممرضة التي تعنتني بها بعد بضعة أسابيع، لكن كانت هناك ممرضة شابة مهتمة للغاية بأمور التنجيم وما إلى ذلك، وأعجبت بها السيدة بريتشارد فترة من الوقت، ثم اختلفت معها فجأة وأصرت على طردها من المنزل، ثم أتت للاعتناء بها ممرضة أخرى كانت قد عملت معها من قبل، وكانت متقدمة في العمر، وأكثر خبرة ولباقة في التعامل مع المصابين بالمرض العصبي. كانت تُدعى الممرضة كوبلينج، ووفقاً لما كان يقوله جورج، فقد كانت رائعة وحصيفة للتحديث معها، فقد تعاملت مع نوبات غضب السيدة بريتشارد وعصبيتها بعدم اكتراث تام .

كانت السيدة بريتشارد معتادة تناول الغداء في الطابق العلوي، كما جرت العادة في وقت الغداء أن يجري جورج والممرضة بعض الترتيبات الخاصة بفترة ما بعد الظهيرة، ولكي أكون دقيقاً كانت الممرضة تنصرف عند الثانية وحتى الرابعة، ولكنها في بعض الأحيان كانت "تصنع جميلاً" لجورج بأن تنصرف بعد تناول الشاي إذا أراد أن يكون حراً في فترة ما بعد الظهيرة، وفي إحدى المرات ذكرت الممرضة أنها ستذهب لزيارة أختها في مدينة جولدريز جرين، وقد تتأخر في العودة قليلاً، فبدأت علامات الإحباط على وجه جورج، حيث كان قد خطط للعب جولة من الجولف، ولكن الممرضة كوبلينج

طمأنته وقد طرفت بعينيها قائلة: " لن يفتقد أي منا الآخر يا سيد بريتشارد، فسيكون لدى السيدة بريتشارد صحبة أكثر إمتاعاً من صحبتنا ".

فسألها قائلاً: " من هم؟ "

أخذت عينا الممرضة تزدان تألقاً، ثم قالت: " انتظر لحظة، دعني أحاول تذكر الأمر بصورة أفضل، إنها زارايدا - تلك المرأة المنجمة ".

تأوه جورج قائلاً: " يا إلهي! إنها امرأة جديدة، أليس كذلك؟ "

فقالت: " جديدة تماماً، أظن أن الممرضة التي سبقتمني، السيدة كارستيرز، هي التي أرسلتها. لم ترها السيدة بريتشارد قط، لقد جعلتني أرسل إليها خطاباً لأحدد لها موعداً بعد ظهر اليوم ".

قال جورج: " حسناً، على أية حال، لا بد أن أعب جولتة من الجولف "، ثم خرج وهو يشعر بامتنان كبير تجاه تلك المنجمة زارايدا ".

ولدى عودته إلى المنزل، وجد السيدة بريتشارد في حالة من الغضب الشديد، فقد كانت تجلس كالمعتاد في الكرسي المتحرك، وتمسك بين يديها بزجاجة من النشادر التي كانت تستنشقها بين الحين والآخر.

صاحت قائلة: " جورج، ماذا أخبرتك عن هذا المنزل؟ ففي اللحظة التي دخلته فيها، شعرت بأن هناك شيئاً ليس على مايرام في هذا المنزل! ألم أخبرك بهذا في ذلك الوقت؟ "

أجاثا كريستي

قاوم جورج رغبته في أن يقول لها: "هذا ما تقولينه دائماً" ولكنه قال لها: "لا، لا يمكنني أن أتذكر هذا الأمر".

فقالت له: "أنت لا تتذكر أي شيء يتعلق بي، فالرجال جميعاً قساة القلوب للغاية، لكنني أعتقد أنك أكثرهم تبلداً على الإطلاق".

فقال في نفسه: "أه، فلتأتي الآن يا عزيزتي ماري؛ فهذا ليس عدلاً".

ثم قالت زوجته: "حسناً، كما كنت أخبرك، لقد عرفت هذه المرأة على الفور! لقد تملكها الخوف بالفعل - إذا كنت تفهم ما أعنيه - بمجرد أن دخلت من الباب، ثم قالت إن هناك روحاً شريرة في هذا المكان، كما أن هناك خطراً شديداً يحيق به، أستطيع أن أشعر بذلك".

فضحك جورج على نحو غير حكيم.

ثم قال لها: "حسناً، لقد حصلت على شيء مقابل ما دفعته من نقود اليوم.

أغمضت زوجته عينيها ثم استنشقت طويلاً من تلك الزجاجة التي تمسك بها في يديها.

ثم قالت له: "كم تكرهني! سوف تضحك وتهلّل عندما أموت".

اعترض جورج على ما تقوله، ثم واصلت حديثها بعد بضع دقائق قائلة: يمكنك أن تسخر من كلامي، لكنني سأخبرك بالأمر كله، لقد قالت تلك المرأة إن هذا المنزل خطير عليّ".

تغير شعور جورج السابق بالامتنان تجاه زاريدا؛ فقد كان يعلم تمام العلم أن زوجته قادرة تماماً على الإصرار على الانتقال إلى منزل جديد إذا استحوزت عليها هذه الفكرة. فسألها قائلاً: "وماذا قالت أيضاً؟".

فأجابت قائلة: "لم تتمكن من إخباري بالكثير من المعلومات، فكانت مستاءة للغاية، لكنها قالت شيئاً واحداً، فقد كان لديّ بعض زهور البنفسج في المزهريّة، فأشارت إليها، وصرخت قائلة: تخلصي من هذه الزهور، لا تضعي في منزلك زهوراً زرقاء، لا تدخلني هنا أية زهور زرقاء، إن الزهور الزرقاء مهلكة بالنسبة لك، تذكرني ذلك".

وأضافت السيدة بريتشارد قائلة: "وكما تعلم، فلطالما أخبرتك أنني أمقت اللون الأزرق، حيث أشعر نحوه بنوع من الحذر الغريزي".

كان جورج حكيمًا بالدرجة الكافية ليقول لها إنه لم يسمعها قط تقول ذلك من قبل، ولكنه بدلاً من ذلك سألها عما تبدو عليه هذه المرأة الغامضة التي تدعى زاريدا، فشرعت السيدة بريتشارد في سرد أوصافها بكل حماس قائلة: "ذات شعر أسود على شكل خصلات ملفوفة حول أذنيها، وعيناها نصف مغلقتين تحيطان بهما هالات سوداء. وتضع برقعاً أسود يخفي فمها وذقنها، وتتحدث بنبرة أقرب إلى الغناء بلهجة أجنبية واضحة، أظن أنها كانت إسبانية..."

أجاثا كريستي

قال السيد جورج في سخرية: "إنها تمتلك، في الحقيقة كل أدوات العمل المألوفة".

أغلقت زوجته عينها في الحال.

ثم قالت: "أشعر بأني متعبة للغاية، فلتستدع لي ممرضتي، فالقسوة تزعجني للغاية كما تعلم".

وبعد مضي يومين جاءت الممرضة كوبلينج إلى جورج بوجه متجهم، ثم قالت له: "هلا أتيت معي إلى السيدة بريتشارد من فضلك، فلقد تلقت خطاباً أزعجها للغاية".

ذهب معها فوجد زوجته تمسك بالخطاب بين يديها، وتمده إليه قائلة: "اقرأه".

فقرأه جورج، وكان مكتوباً على ورق معطر بعطر ذي رائحة نفاذة وبخط أسود كبير: لقد تمكنت من التنبؤ ببعض أحداث المستقبل، كوني حذرة قبل فوات الأوان، كوني حذرة من اكتمال القمر، زهرة الربيع الزرقاء تعني الحذر، وزهرة الخطمية الزرقاء تعني الخطر، وزهرة الغرنوقي الزرقاء تعني الموت...

وقبل أن ينفجر جورج في الضحك، لاحظ نظرة الممرضة كوبلينج التي كانت تحمل علامات التحذير، فقال على نحو مربك: "ربما تحاول هذه المرأة بث الخوف بداخلك يا ماري، على أية حال لا توجد أشياء مثل زهرة الخطمية الزرقاء، وزهرة الغرنوقي الزرقاء".

ولكن السيدة بريتشارد شرعت في البكاء، وأخذت تقول إن أيامها في هذه الدنيا باتت معدودة، فخرجت الممرضة كوبلينج مع السيد جورج من الغرفة.

فانفجر قائلاً: "يا لهذه السخافة".

فقالت الممرضة: "أنا أعتقد أنها كذلك".

كان هناك شيء في نبرة الممرضة جعلته يشعر بالدهشة، وأخذ يحدقُ إليها في دهشة، وقال لها: "بالتأكيد، أنت لا تصدقين...".

قالت له: "لا، لا يا سيد بريتشارد، أنا لا أصدق ما يُسمى بقراءة الطالع والتنبؤ بالمستقبل، فهذا هراء. إن ما يحيرني هو معنى هذا الأمر. فعادة ما يسعى المنجمون المميزون إلى العمل للحصول على ما يمكنهم الحصول عليه، لكن يبدو أن هذه المرأة تحاول إخافة السيدة بريتشارد دون أن تحصل على أي شيء من وراء ذلك. لا يمكنني معرفة هدفها من ذلك، فهناك أمر آخر..."

سألها: "ما هذا الأمر الآخر؟".

أجابته قائلة: "تقول السيدة بريتشارد إن هناك شيئاً ما يبدو مألوفاً بالنسبة إليها في زارايدا هذه".

فقال لها: "وماذا إذن؟".

فقالت له: "حسناً، كل ما في الأمر أنني لست مرتاحة لهذا الأمر يا سيد بريتشارد".

فقال لها: "لم أكن أعلم أنك تصدقين مثل هذه الخرافات أيتها الممرضة".

فقالت: "أنا لا أصدق الخرافات، ولكنني أعلم متى يكون الأمر مريباً".

"وقعت الحادثة الأولى بعد ذلك بأربعة أيام، ولكي أشرحها لك، يجب أن أصف لكم غرفة السيدة بريتشارد..."

قاطعته السيدة بان تري قائلة: "من الأفضل أن تدعني أكمل ذلك: كانت جدرانها مغطاة بورق الحائط الجديد المرسوم عليه بعض صور الزهور التي تصطف معاً وتكوّن سياجاً عشبيّاً وكان يعطي انطباعاً بالجلوس في الحديقة، رغم أن وضع الأزهار كان كله بالخطأ؛ أعني أنه لا يمكن لكل هذه الزهور أن تزهر في الوقت نفسه ..."

قال لها زوجها: "لا تدعي شغفك بأمور البستنة ومدى تناسقها يأخذك بعيداً يا دولي، فجميعنا نعلم أنك مهتمة للغاية بأمور البستنة ورائعة فيها".

اعترضت السيدة بان تري قائلة: "حسناً، ولكن هذا أمر سخيف للغاية، أن تكون أزهار الأجراس الزرقاء والنجرس البري والترمس والخطمية كلها مجتمعة في الفصل نفسه".

قال السيد هنري: "هذا أمر غير علمي على الإطلاق، ولكن لنكمل القصة".

فقالت: "حسناً، من بين هذه الزهور الكثيفة كانت هناك زهرة الربيع والكثير من باقات زهور الربيع الصفراء وذات اللون الوردي، و... أوه! أكمل أنت يا آرثر، فهذه قصتك أنت..."

فاستكمل الكولونيل بان تري سرد بقية القصة، قائلاً: "في صباح أحد الأيام قرعت السيدة بريتشارد الجرس بقوة شديدة، فأسرع إليها من في المنزل، وقد ظنوا أنها تنازع الموت، ولكن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق، بل كانت في حالة من الغضب الشديد، وكانت تشير إلى ورق الحائط، حيث لم يكن هناك سوى زهرة ربيع زرقاء واحدة وسط الزهور الأخرى ..."

قالت الآنسة هليير: "أه! يا للربع! "

ثم واصل آرثر قائلاً: "كان السؤال هو: ألم تكن زهرة الربيع موجودة دائماً هناك؟ هذا ما قاله كل من جورج والممرضة، ولكن السيدة بريتشارد لم تقتنع بهذا الكلام على الإطلاق، فهي لم تلاحظ وجودها قط حتى ذلك الصباح، وكان القمر بدرًا الليلة الماضية، فانزعجت لذلك انزعاجًا كبيرًا "

قالت السيدة بان تري: "لقد قابلت جورج بريتشارد في ذلك اليوم، وهو من أخبرني بالقصة، فذهبت لرؤية السيدة بريتشارد وفعلت كل ما في وسعي لإقناعها بأن الأمر كله مجرد سخافات، ولكن دون جدوى. خرجت من عندها وأنا أشعر بالقلق الشديد، وأتذكر أنني قابلت جين إنستاو وأخبرتها بالأمر، وكانت فتاة غريبة الأطوار، حيث قالت لي: "هل هي منزعة حقًا من هذا الأمر؟"، فأخبرتها بأنني أظن أن هذه المرأة يمكن أن تموت من الربع؛ فهي تصدق الخرافات بشكل غير طبيعي.

"ولكنني أتذكر أن جين قد فاجأتني بما قالت بعد ذلك، حين قالت: "ربما يكون هذا في صالح الجميع، أليس كذلك؟"، وقد قالت هذه الكلمات ببرود شديد وبنبرة واقعية جعلتني مصدومة للغاية. أعلم أنه من الطبيعي أن يكون المرء هذه الأيام قاسيًا وصريحًا للغاية، لكنني لم أعتد ذلك قط، وابتسمت جين لي على نحو غريب، ثم قالت: "لا يروك ما أقوله، ولكن هذه هي الحقيقة. ما فائدة حياة السيدة بريتشارد بالنسبة إليها؟ لا تساوي شيئًا على الإطلاق، كما أنها جحيم بالنسبة إلى السيد جورج بريتشارد. إن شعور زوجته بهذا الربع الذي

أجاثا كريستي

يكاد يؤدي بحياتها هو أفضل شيء يمكن أن يحدث له، فقلت لها: "إن جورج يعاملها معاملة حسنة على الدوام"، فقالت لي: "نعم، وهو يستحق مكافأة مقابل ذلك، عزيزي المسكين جورج بريتشارد، إنه شخص جذاب للغاية. إن آخر ممرضة كانت تعتقد ذلك أيضًا، تلك الممرضة الجميلة، ماذا كان اسمها؟ كارستيرز. وكان هذا هو سبب الخلاف بينها وبين السيدة بريتشارد".

"لم أحب سماع جين وهي تقول ذلك. بالطبع قد يتساءل المرء..."

توقفت السيدة بانتري عن الكلام.

فقالت الآنسة ماربل بهدوء: "نعم يا عزيزتي، دائمًا ما يفعل المرء ذلك، هل السيدة إنستاو جميلة؟ أعتقد أنها تلعب الجولف، أليس كذلك؟"

فقالت السيدة بانتري: "نعم، إنها بارعة في كل الألعاب، وهي جميلة المظهر وجذابة، وذات بشرة ناضرة وعينين زرقاوين هادئتين جميلتين. وعادة ما شعرنا بأنها هي وجورج بريتشارد مناسبان للغاية لبعضهما، أعني إذا كانت الأمور مختلفة".

سألت الآنسة ماربل قائلة: "وهل كانت تربطهما علاقة صداقة؟"

فقالت: "نعم، أصدقاء أعزاء".

فقال الكولونيل بانتري بنبرة حزينة: "ألا تسمحين لي يا دولي باستكمال القصة الخاصة بي؟"

قالت السيدة بانتري متراجعة عن استكمال الحديث: "إن السيد آرثر يريد العودة إلى أشباحه".

تابع الكولونيل الحديث قائلاً: "لقد سمعت بقية القصة من جورج نفسه، ولا شك في أن السيدة بريتشارد كانت تشعر بالخوف الشديد عند نهاية الشهر التالي. وكانت قد حددت على التقويم اليوم الذي يكتمل فيه القمر، وقد استدعت الممرضة ثم جورج إلى غرفتها وجعلتهما يتفحصان ورق الحائط بدقة. كانت هناك أزهار خطمية وردية وحمراء، لكن لم يكن هناك أي زهور زرقاء بينها، ثم عندما غادر جورج الغرفة، وأغلقت الباب..."

قاطعته الأنسة هيلير بابتهاج: "ثم ظهرت في الصباح زهرة خطمية زرقاء كبيرة".

قال الكولونيل بانترى: "هذا صحيح تماماً، أو أنه صحيح إلى حد ما تقريباً، فقد تحولت إحدى زهور الخطمية إلى اللون الأزرق فوق رأسها. لقد أذهل هذا الأمر السيد جورج، ولكن كلما أذهله ذلك، ازداد رفضه لأن يأخذ الأمر على محمل الجد، وكان مُصرّاً على أن الأمر برمته نوع من المزاح. وقد تجاهل بعض الأدلة من قبيل الباب المغلق وحقيقة أن السيدة بريتشارد قد اكتشفت التغيير قبل قدوم أي شخص آخر، بمن في ذلك الممرضة كوبلينج.

أذهل هذا الأمر جورج؛ ما جعله يتصرف بشكل غير عقلاني، وأرادت زوجته مغادرة المنزل، ولكنه لم يدعها تفعل ذلك، وبدأ يميل إلى تصديق الظواهر الخارقة لأول مرة، لكنه لم يعترف بذلك. كان عادة ما يستجيب لرغبات زوجته، ولكنه لم يفعل

هذه المرة، وقال إنه يجب على ماري ألا تجعل من نفسها محل سخرية، فقد كان الأمر كله محض هراء.

وهكذا مر الشهر التالي، وكانت اعتراضات السيدة بريشارد أقل مما يمكن أن يتصوره المرء، فقد كانت تصدق إلى حد بعيد الأمور الخارقة؛ لذا كانت مقتنعة بأنها لن تستطيع الهروب من قدرها، وأخذت تكرر مراراً وتكراراً: "زهرة الربيع الزرقاء... تحذير، زهرة الخطمية الزرقاء... خطر، زهرة الفرنوقي الزرقاء... موت"، وكانت ترقد وهي تنظر إلى مجموعة زهور الفرنوقي ذات اللون الوردى المائل إلى الحمرة والتي تقع بالقرب من سريرها.

كان الأمر برمته يبعث على التوتر إلى حد كبير، حتى إن الممرضة أصبحت تصدق ما تصدقه سيدتها، فقد جاءت إلى السيد جورج قبل اكتمال القمر بيومين وتوسلت إليه أن يأخذ السيدة بريشارد بعيداً عن هذا المنزل، وكان جورج غاضباً.

فصرخ قائلاً: "إذا تحولت جميع الزهور على ذلك الحائط اللعين إلى أشباح زرقاء، فلن تتمكن من قتل أي أحد!"

فقالت له الممرضة: "بل ربما يحدث ذلك، فقد قتلت الصدمة الكثير من الأشخاص من قبل".

قال جورج: "هراء".

لقد كان جورج عنيداً إلى حد كبير، فلا يمكن لأحد أن يوجهه، وأعتقد أنه كان يفكر في قرارة نفسه في أن زوجته هي التي أحدثت هذه التغييرات بنفسها، وأن كل ما حدث ما هو إلا خطة هيستيرية من خططها.

ثم جاءت الليلة المصيرية، حيث أغلقت السيدة بريتشارد الباب كما جرت العادة، وكانت هادئة للغاية وفي حالة من السمو الذهني، وكانت الممرضة قلقة عليها وأرادت أن تعطيها دواءً منبهاً هو عبارة عن حقنة من الإستركنين، لكن السيدة بريتشارد رفضت، وأعتقد أنها كانت تستمتع بوضعها هذا، وأكد جورج هذا الأمر".

قالت السيدة بانتري: "أعتقد أن هذا الأمر ممكن إلى حد كبير، لا بد أنه كان يمثل لها نوعاً غريباً من البهجة".
ثم واصل الكولونيل حديثه قائلاً: "لم يكن هناك رنين عنيف للجرس في صباح اليوم التالي، وكان من المعتاد أن تستيقظ السيدة بريتشارد في الساعة الثامنة صباحاً، وعندما دقت الساعة الثامنة والنصف، ولم يصدر منها أي استدعاء للممرضة، أخذت الأخيرة تقرع باب الغرفة بقوة، وعندما لم تجبها السيدة بريتشارد، أسرع الممرضة لاستدعاء جورج، وأصرت على تحطيم الباب حتى يتمكننا من الدخول، وتمكنا من فعل ذلك باستخدام الإزميل.

وكان مجرد إلقاء نظرة واحدة على الجسد الممدد على السرير كافياً للممرضة كوبلينج لفهم كل شيء، لذا أرسلت جورج للاتصال بالطبيب، لكن الأوان قد فات، فقد قال إن السيدة بريتشارد قد ماتت منذ ثماني ساعات على الأقل. وكانت زجاجة النشادر التي تستنشقها موجودة بجوار يدها على السرير، أما على الحائط بجانبها، فكانت إحدى زهور الغرنوقي الوردية المائلة إلى الحمرة قد تحولت إلى اللون الأزرق الداكن".
قالت الأنسة هيلير وهي ترتجف: "إنه أمر مروّع".

أجاثا كريستي

كان السيد هنري متجهماً، ثم تساءل قائلاً: "أليست هناك أية تفاصيل إضافية؟".

هز الكولونيل بانتري رأسه بالنفي، ولكن السيدة بانتري تحدث بسرعة قائلة: "الغاز".

تساءل السيد هنري قائلاً: "ماذا عن الغاز؟".

فقال الكولونيل بانتري: "عندما وصل الطبيب إلى المنزل، كانت هناك رائحة غاز طفيفة، وعندما بحث الأمر وجد أن صمام غاز الموقد مفتوح قليلاً، لكنه كان أبسط من أن يحدث أي تأثير".

فتساءل السيد هنري قائلاً: "ألم يلحظ السيد بريتشارد والممرضة هذا الأمر عندما دخلا الغرفة؟". فقال الكولونيل بانتري: "قالت الممرضة إنها لاحظت رائحة طفيفة، وقال جورج إنه لم يلحظ رائحة غاز على الإطلاق، ولكن كان هناك شيء غريب جعله يشعر بشعور غريب وكأن شيئاً ما يسيطر عليه، ولكنه عزا ذلك للصدمة، وربما كان الأمر كذلك بالفعل. على أية حال لم يكن هناك شك في حدوث تسمم بالغاز، فالرائحة كانت ملحوظة بصعوبة".

فقال السيد هنري: "وهل هذه هي نهاية القصة؟".

فقال الكولونيل بانتري: "لا، لم تنته بعد، فبطريقة أو أخرى كان هناك الكثير من الكلام الذي تردد، فقد سمع الخدم - كما تعلم - بعض الأقاويل، فقد سمعوا مثلاً السيد بريتشارد وهو يخبر زوجته بأنه يكرهها وسوف يفرح كثيراً عندما تموت، وعبارات أخرى من هذا القبيل قيلت مؤخراً، كما أنها قالت ذات

يوم بخصوص رفضه مغادرتهم المنزل: "حسناً عندما أموت، أتمنى أن يدرك الجميع أنك من تسبب في قتلي"، وما زاد الطين بلة أنه في اليوم السابق للوفاة خلط مادة قاتلة للأعشاب الضارة في الحديقة، وقد رآه أحد صفار الخدم يحمل كوباً من الحليب الدافئ إلى زوجته.

وأخذ الحديث ينتشر ويتنامى، وقد أعطاهم الطبيب شهادة الوفاة، ولكن لا أعرف بالضبط كيف صاغ أسباب الوفاة، هل كانت نتيجة صدمة أم فقدان الوعي أم أزمة قلبية، ربما بعض المصطلحات الطبية التي لا تعني الكثير، لكن تلك السيدة المسكينة لم تمكث أكثر من شهر في قبرها، حتى أُصدر أمر باستخراج الجثة.

قال السير هنري بنبرة جادة: "ولم يصل تشريح الجثة إلى أية نتيجة حسبما أتذكر، فقد كانت القضية هذه المرة عبارة عن دخان بلا نار".

قالت السيدة بان تري: "إن الأمر برمته غريب للغاية، فعلى سبيل المثال تلك المنجمة زارايدا، عندما ذهبوا إلى العنوان الذي يفترض أنها تسكن فيه، وجدوا أنه لا يوجد أي أحد قد سمع بامرأة هناك بهذا الاسم".

قال زوجها: "لقد ظهرت فجأة، دون سابق إنذار، ثم تلاشت تماماً واختفت، دون سابق إنذار، هذا أمر جيد".

وأضافت السيدة بان تري قائلة: "والأغرب من ذلك أن ممرضتها الشابة كارستيز التي من المفترض أنها هي التي

أجاثا كريستي

أوصت السيدة بريتشارد باستدعائها، قالت إنها لم تسمع بهذا الاسم من قبل .

أخذ كل منهم ينظر إلى الآخر.

قال الطبيب لويد: "إنها قصة غامضة للغاية، يمكننا أن نخمن الحل، ولكن لكي نخمن..."
هز رأسه بالنفي.

فسألت السيدة ماربل بصوتها الرقيق: "هل تزوج السيد بريتشارد من الآنسة إنستاو؟"

فتساءل السيد هنري قائلاً: "لماذا تسألين هذا السؤال الآن؟"

فتحت الآنسة ماربل عينيها الزرقاوين الرقيقتين، ثم قالت: "إنه يبدو شديد الأهمية بالنسبة لي، هل تزوجا؟"
هز الكولونيل بانتري رأسه بالنفي، قائلاً: "حسنًا، لقد توقعنا حدوث شيء من هذا القبيل، ولكن مرت ثمانية عشر شهرًا حتى الآن، ولا أعتقد حتى أنهما تقابلا كثيرًا خلال هذه المدة".

قالت الآنسة ماربل: "هذا أمر مهم، مهم للغاية".

قالت السيدة بانتري: "إذن أنت تفكرين فيما أفكر فيه، هل تعتقدين..."

فتوجه إليها زوجها بالحديث قائلاً: "إن ما ستقولينه الآن يا دولي غير مبرر، فلا يمكنك اتهام الآخرين دون وجود دليل".
فقالت له: "لا تكن هكذا مثل بقية الرجال، فإنهم يخافون دائمًا من قول أي شيء. على أية حال إن هذا الكلام لن يخرج

من بيننا نحن فقط، إنها مجرد فكرة غريبة رائعة، وهي أنه من الممكن، من الممكن فقط، أن تكون جين إنستاو تنكرت في زي منجمة، ولعلكم تظنون أنها فعلت ذلك من باب المزاح، ولكني لا يساورني شك ولو لدقيقة واحدة أنها كانت تقصد إحداث أي ضرر، ولكنها قد تكون فعلت ذلك حقاً، وكانت السيدة بريشارد حمقاء للغاية لدرجة أنها ماتت من الخوف، أليس هذا ما تقصده الآنسة ماربل، ١٩."

قالت الآنسة ماربل: "لا يا عزيزتي، ليس كذلك، فلو أنني كنت أنوي أن أقتل شخصاً ما... وهو أمر لا أحلم به ولو لدقيقة واحدة؛ وذلك لأنه عمل شرير للغاية، بالإضافة إلى أنني لا أحب القتل، ولا حتى قتل الدبابير، على الرغم من أنني أعرف أنه يجب قتلها، وأن على يقين بأن البستاني يفعل ذلك بطريقة إنسانية قدر الإمكان. فليذكرني أحد ماذا كنت أقول؟"

فقال السيد هنري: "كنت تقولين، لو أنني كنت أريد قتل شخص ما".

فقالت: "أه نعم. لو أنني كنت أريد ذلك، ما كنت لأرتاح قط لفكرة أن أقتل ضحيتي بالرعب. أعرف أننا نقرأ أحياناً عن أناس يموتون من الخوف، ولكنه يبدو أمراً غير مؤكد، كما أن معظم الأشخاص العصبيين يتمتعون بالشجاعة أكثر مما قد يتوقع أي شخص، بل يجب عليّ أن أضع خطة محكمة ومحددة وشاملة".

قال السيد هنري: "آنسة ماربل، أنت تخيفيني، أرجو ألا تمنني أبداً التخلص مني، إذ إن خطتك ستكون محكمة للغاية".

نظرت إليه الآنسة ماربل نظرة توبيخ، وقالت له: "أظن أنني قد أوضحت أنني ما كنت أبداً لأفكر في ارتكاب مثل هذا العمل الشرير؛ فقد كنت أحاول فقط أن أضع نفسي ... مكان شخص معين".

سألها الكولونيل بانتري قائلاً: "هل تقصدين السيد جورج بريتشارد؟ لا يمكنني أن أصدق هذا الأمر على جورج، رغم أن الممرضة نفسها ترى ذلك، فقد ذهبت وقابلتها بعد شهر من وقوع الحادث، كان ذلك في أثناء استخراج الجثة. لم تكن تعرف كيف حدث ذلك في الواقع، فهي لم تقل شيئاً على الإطلاق، ولكن كان يبدو واضحاً أنها تعتقد أن جورج مسئول بطريقة ما عن وفاة زوجته، لقد كانت مقتنعة بذلك".

قال الطبيب لويد: "حسناً، ربما لم تكن مخطئة، ولعلمكم فالمرضات يعرفن ما يحدث غالباً، ولا يمكنها أن تقول شيئاً؛ فهي لا تملك دليلاً على ما تقول، ولكنها تعرف".

انحنى السيد هنري إلى الأمام.

ثم قال للآنسة ماربل بنبرة توشي باقتناعه بكلامها: "فلتكلمي حديثك يا آنسة ماربل، لقد استغرقت في أحلام اليقظة، أئن تخبرينا برأيك في هذا الأمر؟".

اندهشت السيدة ماربل واحمرت وجنتاها، ثم قالت: "أعتذر لكم، لقد كنت أفكر في ممرضة القرية عندنا، فلديها مشكلة صعبة للغاية".

فسألها: "وهل هي أكثر صعوبة من لغز زهرة الغرنوقي الزرقاء؟".

قالت الأنسة ماربل: "أنا أعتمد بالفعل على زهرة الغرنوقي الزرقاء، أعني أن السيدة بان تري قالت إنها كانت صفراء ووردية، فلو كانت الزهرة الوردية هي التي تحولت إلى اللون الأزرق، لبدا ذلك ملائماً للغاية، لكن إذا حدث ذلك مع الزهرة الصفراء، فإن ذلك..."

قالت السيدة بان تري: "إن الزهرة الوردية هي التي تحولت بالفعل".

وحدقت هي والجميع إلى الأنسة ماربل.

فقالت الأنسة ماربل: "وهذا يبدو أنه يحل هذا اللغز"، ثم هزت رأسها في أسى، واستطردت قائلة: "وهو موسم الدبابير، وبالطبع الغاز".

فقال السيد هنري: "أظن أن هذا الأمر يذكرك بمآسي القرية التي لا تعد، أليس كذلك؟".

قالت الأنسة ماربل: "ليست مآسي، وبالتأكيد ليست أموراً جنائية، ولكنها تذكرني قليلاً بتلك المشكلة التي نواجهها مع ممرضة القرية، فالممرضات بشر على أية حال، فهل بعد اضطرارهن لأن يتصرفن بشكل صحيح للغاية، ويرتدين تلك الياقات غير المريحة، وانشغالهن بأمر العائلة وانغماسهن معهم، يستغرب المرء إقدامهن على فعل بعض الأمور؟".

يبدو أن هناك فكرة رائعة قد طرأت على ذهن السيد هنري قد أوضحت له الأمر قليلاً، فقال: "هل تعنين الممرضة كارستيرز؟".

أجاثا كريستي

فقالت الآنسة ماربل: "أه، لا، بل الممرضة كوبلينج. أنت تعلم أنها كانت في المنزل من قبل، وكانت متعلقة كثيراً بالسيد بريتشارد الذي قالت عنه إنه رجل جذاب. وأظن أنها فكرت ... يا له من أمر سيئ! حسناً يجب ألا نخوض في المزيد بشأن في هذا الأمر. لا أعتقد أنها كانت تعلم بأمر الآنسة إنستاو، وبالطبع عندما اكتشفت الأمر بعد ذلك، تحولت ضده، وحاولت أن تلحق به أكبر قدر من الضرر، وبالطبع فإن الخطاب هو الذي كشف أمرها، أليس كذلك؟".

فقال السيد هنري: "أي خطاب؟".

فقلت: "حسناً، لقد كتبت خطاباً إلى المنجمة بناءً على طلب السيدة بريتشارد، وجاءت المنجمة كما يبدو بناءً على هذا الخطاب. وفي وقت لاحق اكتشف أنه لا توجد امرأة كهذه تسكن في هذا العنوان. وهذا يوضح أن الممرضة كوبلينج متورطة في هذا الأمر. لقد تظاهرت بكتابة الخطاب فقط؛ لذا ما الذي يمكن أن يكون أكثر احتمالاً من أنها هي من تقمصت دور المنجمة بنفسها؟".

قال السيد هنري: "لم أفكر قط في أمر الخطاب من قبل، إنها مسألة بالغة الأهمية بالطبع".

قالت الآنسة ماربل: "إنها خطوة جريئة للغاية؛ حيث كان بإمكان السيدة بريتشارد أن تتعرف عليها رغم تنكرها؛ ولو أن أمرها قد انكشف، لكان بإمكانها أن تتظاهر بأن الأمر كان مجرد مزحة".

مكتبة

t.me/soramnqraa

قال السيد هنري: "ماذا كنت تقصدين عندما قلت إنك لو كنت مكان القاتل ما كنت تقتلين ضحيتك بالرعب؟".

قالت الآنسة ماربل وهي تضحك بشكل ينم عن تقديرها لنفسها: "أعني أنه لم يكن يستطيع التأكد من حدوث ما يريد من خلال هذه الطريقة، أظن أن التحذيرات والزهور الزرقاء كانت - لو كان بإمكانني استخدام مصطلحات عسكرية - مجرد تمويه".

فسألها قائلاً: "وما الشيء الحقيقي؟".

قالت الآنسة ماربل معتذرة: "أنا أعرف أنني مشغولة بأمر الدبابير، يا لها من حشرات مسكينة، تُباد بالآلاف، وعادة ما يحدث ذلك في أيام الصيف الجميلة، ولكنني أتذكر أنني فكرت عندما رأيت البستاني يخلط سيانيد البوتاسيوم بالماء في زجاجة، كيف بدا الخليط شبيهاً بالنشادر، ولو أنه وضع في الزجاجة الخاصة بالنشادر واستبدل بها الزجاجة الأصلية ... حسناً لقد اعتادت تلك السيدة المسكينة استنشاقه.

لقد قلت في الواقع إن هذه الزجاجة وجدت بجوار يدها، وبالتأكيد عندما ذهب السيد بريشارد للاتصال بالطبيب، بدلت الممرضة الزجاجة بالزجاجة الأصلية، ثم سربت بعض الغاز لإخفاء أية رائحة للوز المرقد تجعل أي شخص يشعر بالاستغراب، وسمعت كثيراً أن السيانيد لا يترك أي أثر إذا مضت على تناوله فترة طويلة، ولكنني بالطبع قد أكون مخطئة، وربما كان هناك شيء مختلف تماماً في الزجاجة، ولكن هذا لا يهم حقاً، أليس كذلك؟".

توقفت الآنسة ماربل قليلاً لتلتقط أنفاسها.

ثم انحنت جين هيلير إلى الأمام وقالت: "ولكن ماذا عن زهرة الغرنوقي الزرقاء وبقية الزهور؟"

أجابتها السيدة ماربل قائلة: "دائمًا ما يكون لدى الممرضات ورق صبغة عباد الشمس، أليس كذلك؟ إنهن يستخدمنه من أجل ... حسنًا من أجل إجراء الاختبارات. وهذا أمر غير لطيف، ولن نخوض فيه كثيرًا، فقد مارست التمريض بعض الوقت"، وتوقفت برهة وقد احمرت وجنتاها، ثم استكملت قائلة: "فاللون الأزرق يتحول إلى اللون الأحمر من خلال استخدام الأحماض، ويتحول اللون الأحمر إلى الأزرق من خلال استخدام القلويات؛ لذا فمن السهل للغاية وضع بعض من صبغة عباد الشمس الحمراء فوق زهرة حمراء موجودة بالقرب من السيرير، وبالطبع بعد ذلك عندما استخدمت تلك السيدة المسكينة زجاجة النشادر الخاصة بها، فإن أبخرة الأمونيا القوية قد حوّلت اللون إلى الأزرق؛ إنه أمر في غاية البراعة والعبقرية. وبالطبع لم تكن زهرة الغرنوقي زرقاء عندما دخلا الغرفة لأول مرة، وبالطبع لم يلاحظ أحد ذلك إلا فيما بعد، وعندما بدلت الممرضة الزجاجتين، أعتقد أنها وضعت ملح النشادر على ورق الحائط لمدة دقيقة".

قال السيد هنري: "لا بد أنك كنت هناك يا آنسة ماربل".

قالت الآنسة ماربل: "إن ما يقلقني هو السيد بريتشارد المسكين وتلك الفتاة اللطيفة الآنسة إنستاو. ربما يشك كل منهما في الآخر؛ لذا بقيا متباعدين، والحياة قصيرة للغاية".

هزت رأسها.

قال السيد هنري: "لا داعي للقلق، فلديّ فكرة أخرى عن هذا الأمر: لقد سبق أن أُعتقلت ممرضة بتهمة قتل أحد المرضى المسنين الذي كان قد ترك لها ثروة كبيرة، وذلك باستبدال سيانيد البوتاسيوم بالنشادر. لقد حاولت الممرضة كوبلينج تنفيذ الحيلة نفسها مرة أخرى، فيجب ألا تشك الآنسة إنستاو والسيد بريتشارد في حقيقة الأمر".

فصاحت السيدة ماربل قائلة: "ألا يبدو هذا الأمر رائعاً الآن؟ لا أقصد جريمة القتل الجديدة بالطبع، فهي مأساوية للغاية، وتظهر مدى الشرف في هذا العالم، وهذا إن خضع له المرء وأذعن له، وهو الأمر الذي يذكرني بضرورة استكمال حديثي القصير مع الطبيب لويد بشأن ممرضة القرية".

نداء الأجنحة

سمع سايلاس هامر هذا الصوت لأول مرة في إحدى ليالي الشتاء من شهر فبراير، إذ كان يسير مع ديك بورو بعد أن حضرا حفل عشاء كان قد دعاهما إليه السيد برنارد سيلدون، المتخصص في الأمراض العصبية، وظل بورو صامتاً على غير عادته، فسأله سايلاس هامر ببعض الفضول عما يفكر فيه، فأجاب بورو بإجابة غير متوقعة على الإطلاق، قائلاً: "أفكر في أنه من بين جميع الرجال الذين حضروا حفل الليلة، يوجد اثنان فقط لا يشعران بالسعادة على الإطلاق، والأمر الغريب للغاية أن هذين الاثنين هما أنا وأنت".

لقد كانت كلمة "الغريب" ملائمة بالفعل، فلا يوجد رجلان أكثر اختلافاً من ريتشارد بورو المكافح الذي كان رجل دين في منطقة ويست إند، وسايلاس هامر ذلك الرجل الرقيق القنوع الذي كانت ملايينه لا تعني له أي شيء.

قال بورو متأملاً: "الشيء الغريب أنني أعتقد أنك المليونير القنوع الوحيد الذي قابلته في حياتي".

ظل هامر صامتاً دقيقة، ولكن نبرة صوته كانت قد تغيرت عندما تحدث قائلاً: "اعتدت أن أكون بائع صحف بائساً، وتمنيت آنذاك ما أنعم به الآن من الراحة والرفاهية اللتين يوفرهما المال، ولكن لم أتمنَّ ما يوفره من نفوذ وسلطة، فقد

كنت أريد المال؛ لا ليوفر لي السلطة والقوة، ولكن لكي أعيش حياة الرفاهية وأنفق على نفسي بسخاء! فكما ترى أنا صريح بخصوص هذا الأمر، فهم يقولون إن المال لا يستطيع شراء كل شيء، هذا صحيح، ولكنه يمكن أن يشتري لي كل ما أريد، لذلك فأنا رجل قنوع، فأنا رجل مادي يا بورو؛ مادي للغاية!" .

أظهر الضوء المتوهج المنبعث من مصباح الشارع مدى قناعته، حيث أظهر أناقاة سايلاس هامر، الذي كان يرتدي معطفًا ثقيلاً مبطنًا بالضراء، كما كشف الضوء الأبيض عن ذلك اللغد السميك تحت ذقنه. وعلى النقيض منه كان ديك بورو يسير إلى جانبه يكشف الضوء عن وجهه النحيل وعينيه المتحمستين اللامعتين.

قال هامر مؤكداً: "إنه أنت، من لا أستطيع فهمه".

ابتسم بورو، قائلاً: "أنا أعيش وسط البؤس والحاجة والجوع وكل علل الجسد! وتسيطر عليّ رؤية مهيمنة، فليس من السهل أن تفهم ذلك إلا إذا كنت تؤمن بوجود تلك الرؤى المهيمنة، وأنا لا أعتقد أنك تؤمن بها".

قال سايلاس هامر بثبات: "أنا لا أؤمن بأي شيء لا يمكن أن أراه أو أسمع أو ألمسه".

فقال بورو: "هذا هو الفارق بيننا، حسناً، إلى اللقاء، لا بد أن أذهب الآن!" .

وكانا قد وصلا الآن إلى مدخل محطة قطار مترو الأنفاق المضاء الذي كان يمثل بقية طريق بورو إلى المنزل.

أجاثا كريستي

وأخذ هامر يسير وحده، وكان سعيداً لأنه لم يستقل السيارة هذه الليلة، وسيعود إلى المنزل سيراً على الأقدام. كان الهواء بارداً جداً، ولكن ذلك المعطف المبطن بالفرو الذي كان يرتديه بعث الدفء في كل حواسه بشكل مبهج.

توقف لحظة على الرصيف قبل عبور الطريق، وكانت حافلة ضخمة تتجه بسرعة نحوه، فانتظر هامر وهو يشعر براحة كبيرة حتى تعبر تلك الحافلة، فلو أنه أراد أن يعبر أمامها، لتوجب عليه أن يسرع، وهو أمر يكرهه كثيراً.

كان يقف إلى جانبه رجل ثمل رث الثياب يترنح على الرصيف، حينها سمع هامر تلك الصرخة المدوية، وكانت الحافلة قد انحرفت عن مسارها، ثم نظر ببلاهة، وقد انتابه رعب شديد، ليجد الرجل الثمل قد أصبح كومة من اللحم في منتصف الطريق.

تجمع حشد من الناس بسرعة كبيرة واثنان من رجال الشرطة حول سائق الحافلة، ولكن عيني هامر ظلتا مثبتتين في رعب شديد على تلك الجثة الهامدة التي كانت منذ قليل رجلاً مثله! حيث ارتجف وشعر ببعض الخطر.

قال رجل له ملامح وجه قاسية يقف إلى جواره: "لا تلم نفسك يا سيدي، لم يكن بإمكانك أن تفعل له أي شيء، فقد كان مقدرًا له أن يموت على أية حال".

أخذ هامر يحدق إليه، فلم تخطر بباله قط فكرة أنه كان بإمكانه إنقاذ الرجل. لقد كان ينظر الآن إلى هذه الفكرة على أنها عبثية، فلو أنه حاول بكل حماقة أن يفعل ذلك، لربما كان

في هذه اللحظة ... توقف عن التفكير فجأة، وابتعد عن الزحام، ولكنه شعر بأن جسده ينتفض من شدة الرعب، واضطر إلى أن يعترف لنفسه بأنه خائف، بل مرعوب من الموت ... ذلك الموت الذي يأتي للمرء بسرعة مروعة ووحشية، ولا يفرق بالتأكيد بين الغني والفقير...

أخذ يسرع من خطاه، ولكن شعوره بالخوف كان لا يزال متأججاً بداخله ويظهر في ارتعاده وشعوره بالبرودة. تعجب من نفسه؛ فهو يعرف جيداً أنه ليس جباناً بطبيعته، فمنذ خمس سنوات لم يداهمه مثل هذا الخوف؛ فالحياة حينها لم تكن هائلة ... نعم، هذا هو كل ما في الأمر، لقد كان حب الحياة هو مفتاح اللغز. لقد كان تعلقه بالحياة في أوج قوته، ولا يوجد خطر يهدده، سوى الموت، المدمر!

خرج من الطريق المضاء، ودخل في ممر ضيق بين التلال الشاهقة لكي يختصر الطريق إلى الميدان الذي يقع فيه بيته المشهور بكنوزه الفنية.

بدأت الضوضاء في الشارع من خلفه تخفت وتتلشى تماماً، وكان وقع قدميه هو الصوت الوحيد الذي يشق السكون. ثم تنامى إلى سمعه صوت آخر يأتي من المكان المظلم المقابل له، وكان هناك رجل يستند إلى الحائط ويعزف الناي، وهو واحد من مجموعة الموسيقيين الذين يجوبون الشوارع، لكن لماذا اختار هذا المكان الغريب ليعزف فيه؟ وأخذ يفكر في نفسه قائلاً لا شك أن الشرطة في هذا التوقيت ... ثم انقطع حبل أفكاره فجأة، عندما شعر بصدمة لدى إدراكه أن هذا الرجل

أجاثا كريستي

مبتور الساقين، وكان يسند عكازيه إلى الحائط بجواره فاستطاع هامر أن يدرك الآن أن هذا الرجل لم يكن يعزف الناي، بل كان يعزف على آلة موسيقية غريبة تصدر نغمات أعلى وأوضح كثيراً من نغمات الناي.

ظل الرجل يعزف، دون أن ينتبه إلى اقتراب هامر منه. وكان رأسه متدلياً على كتفيه، وكأنما كان مرفوعاً بفعل تلك السعادة التي كان يشعر بها من خلال عزفه على آله الخاصة، وكانت النغمات تصدر بوضوح وفرح ويعلو صوتها أكثر وأكثر...

لقد كانت النغمة غريبة إلى حد كبير، بل لم تكن نغمة على الإطلاق، بل كانت عبارة عن جملة واحدة، لا تختلف كثيراً عن الانعطاف البطيء لآلة الكمان في أوبرا رينزي، كان يكرر النغمات مراراً وتكراراً وهو ينتقل من مفتاح لآخر، ومن نغمة إلى أخرى، ولكن دائماً تعلو النغمة في كل مرة وتنطلق بحرية لا حدود لها.

لم تكن هذه النغمات تشبه أية نغمات سمعها هامر من قبل، فكان فيها شيء غريب؛ شيء ملهم، ومثير... كانت... أمسك هامر بكلتا يديه بدعامة في الجدار بجانبه، وكان واعياً لشيء واحد فقط، وهو أنه يجب أن تظل قدماه على الأرض مهما كلفه الأمر من عناء يجب أن تظل على الأرض...

أدرك فجأة أن الموسيقى قد توقفت، وكان الرجل مبتور الساقين يمد يديه ليتناول عكازيه. وفي ذلك الوقت كان سايلاس هامر يتشبث مثل المجنون بتلك الدعامة الحجرية، لسبب بسيط، وهو أنه كانت لديه فكرة غير منطقية تماماً، تبدو

سخيفة للغاية في ظاهرها! فقد كان يخشى أن يرتفع من فوق الأرض، وأن ترفعه الموسيقى إلى أعلى ...

ضحك من نفسه يا لها من فكرة مجنونة تمامًا! بالطبع لم ترتفع قدماه من على الأرض لحظة واحدة، لكن يا لها من هلوسة غريبة! أدرك هامر من خلال سماعه صوت العكاز الخشبي على الرصيف أن الرجل العاجز كان يتحرك بعيداً، فأخذ ينظر إليه حتى ابتلعه الظلام. يا له من رجل غريب! مضى في طريقه ببطء أكبر، لم يستطع أن يمحو من ذهنه ذكرى ذلك الإحساس الغريب المستحيل بأن الأرض تتهاوى تحت قدميه، وأنه يكاد يرتفع عنها ...

ثم استدار هامر بسرعة وسار في الاتجاه نفسه الذي سلكه ذلك الرجل الآخر، فلا يمكن أن يكون الرجل قد ذهب بعيداً، لا بد من أنه سيلحق به قريباً.

وصاح بمجرد أن رأى ذلك الرجل العاجز يتأرجح ببطء على طول الطريق، قائلاً: "أيها الرجل! انتظر لحظة واحدة".

توقف الرجل دون حراك حتى اقترب منه هامر، وأضاء مصباحاً فوق رأسه ليكشف عن كل ملامحه بوضوح، وحبس سايلاس هامر أنفاسه في دهشة تلقائية، فقد كان هذا الرجل لديه أجمل وجه رآه هامر على الإطلاق، وربما لم يتمكن من تحديد عمره، لكنه بالتأكيد لم يكن صبيّاً، بل كان في أوج شبابه وقوته!

واجه هامر صعوبة كبيرة في بدء المحادثة.

أجاثا كريستي

سأله هامر بتردد قائلاً: "اسمع، أريد أن أعرف اللحن الذي كنت تعزفه منذ قليل".

ابتسم الرجل ... وعندما ابتسم بدا أن العالم يقفز في فرح وسعادة ...

وأجاب قائلاً: "إنه لحن قديم، لحن قديم للغاية ... منذ سنوات، بل منذ قرون".

تحدث بنبرة واضحة للغاية، وكان يعطي قيمة متساوية لكل مقطع، كان من الواضح أنه ليس إنجليزياً، لكن هامر كان متحيراً بشأن جنسيته.

فسأله: "لست إنجليزياً، أليس كذلك؟ من أين بلد جئت؟". فابتسم الرجل ابتسامة عريضة مرة أخرى، وقال: "جئت عبر البحر يا سيدي، لقد جئت منذ زمن بعيد؛ زمن بعيد للغاية".

فسأله: "يبدو أنك قد تعرضت لحادث سيئ؟ هل حدث ذلك مؤخراً؟".

فأجاب: "منذ وقت طويل يا سيدي". فقال له هامر: "لقد كان من السيئ أن تفقد كلتا القدمين". أدار الرجل عينيه بوقار غريب إلى محادثه، وقال له بهدوء شديد: "كان ذلك خيراً، فقد كانتا شريرتين".

أعطاه هامر شلناً، ثم سار بعيداً، وكان متحيراً للغاية، ومرتبكاً بشكل غامض، وأخذ يفكر في نفسه قائلاً: "كانتا شريرتين! يا له من كلام غريب! من الواضح أنه بترهما في إحدى العمليات لمرض ألمَّ بهما، ولكن يا له من أمر غريب".

عاد هامر إلى المنزل، وهو لا يزال يفكر في الأمر، وحاول أن يطرده من ذهنه ولكن دون جدوى. كان مستلقياً على سريره وقد خاصم النعاس جفنيه، حتى سمع ساعة مجاورة له تدق الواحدة، ثم ساد الصمت ... صمت اخترقه صوت خافت مألوف ... تعرّف هامر على الصوت بسرعة، فشعر بنبضات قلبه تتسارع، لقد كان هذا الصوت هو عزف ذلك الرجل الذي قابله في الممر، كان العزف يأتي من مكان ليس بالبعيد ...

جاءت النغمات مرحة، تأخذ هذا المنحنى البطيء بدعوتها المبهجة، إنها العبارة القصيرة المؤرقة نفسها، أخذ هامر يهتمهم: "إنه أمر غريب، أمر غريب للغاية، وكأن لتلك النغمات أجنحة..."

كانت تزداد وضوحاً شيئاً فشيئاً، وتصبح أعلى وأعلى، حيث تكون كل موجة أعلى من التي تسبقها، وتعلو به معها، لكنه لم يقاوم هذه المرة ... ترك نفسه يرتفع إلى أعلى وأعلى ... كانت موجات الصوت تحمله إلى أعلى وأعلى ... وقد اجتاحه شعور بالانتصار والتحرر.

أخذ هذا اللحن يعلو ويعلو ... لقد تجاوزت هذه النغمات حدود الصوت البشري، ولكنها استمرت في الارتفاع أكثر وأكثر ... فهل وصلت إلى منتهائها، الحد المطلق في الارتفاع؟ ولكنها أخذت ترتفع ...

كان هناك شيء ما يجذبه؛ يجذبه إلى أسفل، شيء كبير وثقيل ومُلح، وكان يجذبه بشدة إلى أسفل، أسفل ... وأسفل.

أجاثا كريستي

كان يرقد في السرير وهو ينظر إلى النافذة المقابلة، ثم أخذ يتنفس بعد ذلك بصعوبة وبشكل مؤلم، ومد ذراعه أمامه على السرير، وبدأت هذه الحركة ثقيلة عليه بشكل غريب، وأخذت نعومة فراش السرير تؤلمه، كما كانت الستائر ثقيلة على النافذة فحجبت الضوء والهواء. وبدأ السقف وكأنه يهبط على رأسه، فشعر بالاختناق، وتململ قليلاً تحت غطاء السرير، وبدأ أن وزنه الثقيل كان أكثر عائقاً بالنسبة إليه...

قال هامر: "أريد نصيحتك يا سيلدون".

ابتعد سيلدون بمقعده قليلاً إلى الخلف عن المنضدة، وكان يتساءل عن هذا الغرض من هذه الدعوة على العشاء، فهو لم يقابل هامر كثيراً منذ الشتاء، وقد لاحظ الليلة بعض التغير الكبير على صديقه.

قال المليونير: "إنني قلق فقط، قلق على نفسي".

ابتسم سيلدون وهو ينظر نحو الطاولة قائلاً: "ولكنك تبدو في أحسن حال".

صمت هامر دقيقة، ثم أضاف في هدوء قائلاً: "إنني لست كذلك، إنني أخاف أن أصاب بالجنون".

نظر إليه خبير أمراض الأعصاب باهتمام شديد مفاجئ، وصب لنفسه كأساً من العصير ببطء، ثم قال بهدوء وهو ينظر نظرات حادة إلى الرجل الآخر: "ما الذي يجعلك تظن ذلك؟".

أجابه قائلاً: "شيء ما قد حدث لي، شيء لا يمكن تفسيره، غير معقول، ولا يمكن أن يكون حقيقياً، لذا سيُجن جنوني".

قال سيلدون: "خذ وقتك وأخبرني بالأمر".

بدأ هامر قائلاً: "أنا لا أصدق الأمور الخارقة للطبيعة، لم أتعرض لأي منها في حياتي، ولكن هذا الشيء ... حسناً من الأفضل أن أخبرك بالقصة كلها من البداية. لقد بدأت القصة في إحدى ليالي الشتاء الماضي بعد أن تناولت العشاء معك". ثم أخذ يروي له بإيجاز ودقة الأحداث التي وقعت في أثناء سيره إلى المنزل، وما أعقبه من أحداث غريبة.

حيث قال: "لقد كانت هذه هي البداية، لا يمكنني أن أصف لك ما حدث بدقة، أعني ما شعرت به حينها، ولكنه كان رائعاً! يختلف تماماً عن أي شعور شعرت به، أو أي شيء رأيته في الأحلام. حسناً، لقد استمرت الحال هكذا منذ ذلك الحين. الموسيقى، والشعور بعد ذلك بالارتفاع عن الأرض، والتحليق في الفضاء ... ثم الانجذاب لأسفل بعنف، والرجوع إلى الأرض، ثم ما يعقب ذلك من مشاعر الألم، ذلك الألم الجسدي الفعلي الناتج عن اليقظة، إن الأمر أشبه بهبوطك من جبل مرتفع، هل تعرف ذلك الألم الذي يشعر به المرء في أذنيه وهو يهبط من جبل مرتفع؟ حسناً، إنه الشيء نفسه، ولكنه أشد وطأة، وما صاحبه من شعور بالثقل الشديد، وكأن هناك شيئاً يضغط عليك، ويخنقك ..."

توقف فجأة عن الكلام ثم ساد الصمت.

ثم نظر إلى سيلدون قائلاً: "إن الخدم يعتقدون أنني قد جُننت بالفعل، لم أعد أطيق السقف أو الجدران، لقد أعدوا لي على سطح المنزل مكاناً بلا سقف ولا أثاث ولا سجاد ولا أية أشياء خانقة ... لكن المنازل المحيطة بنا تشعرني بهذا السوء

أجاثا كريستي

نفسه تقريباً، إنني أريد أن أعيش في مكان مفتوح، حيث أستطيع أن أتنفس بحرية... والآن ما رأيك في هذا الأمر؟ هل يمكنك أن تفسر لي هذا الأمر؟".

قال سيلدون: "آه، هناك العديد من التفسيرات. ربما تكون قد تعرضت للتنويم المغناطيسي، أو نومت نفسك، أو ربما اضطربت أعصابك، أو أنك كنت تحلم فحسب".

هزها مررأسه بالنفي قائلاً: "هذه التفسيرات كلها غير صحيحة".

قال سيلدون ببطء: "هناك تفسيرات أخرى، ولكنها ليس معترفاً بها بشكل عام".

فسأله هامر: "هل أنت مستعد لقبولها؟".

أجاب سيلدون: "نعم، في المجمل! هناك الكثير من الأمور التي لا نفهمها، والتي لا يمكن تفسيرها بشكل طبيعي. هناك الكثير لنكتشفه، وأنا عن نفسي أو من بوجوب إبقاء العقل منفتحاً على كل شيء".

سأله هامر بعد فترة من الصمت: "وإيم تنصحنى أن أفعل؟".

انحنى سيلدون إلى الأمام بشكل حماسي: "هناك الكثير من الأمور التي يمكنك فعلها، فلتفعل شيئاً واحداً؛ ابتعد عن لندن، وابحث عن "مدينتك الفسيحة المفتوحة"، فربما تتوقف الأحلام حينها".

قال هامر بسرعة: "لا يمكنني أن أفعل ذلك. لقد وصل الأمر إلى أنني لا أستطيع العيش دون هذه الأحلام. لا يمكنني العيش دونها".

فقال له سيلدون: "أه! هذا ما خمنتَه. إليك بديلاً آخر، ابحث عن هذا الرجل العاجز، فأنت تمنحه الآن كل أنواع السمات الخارقة للطبيعة، وتحدّث معه، وتخلص من هذا الأمر".

هزها مررأسه مرة أخرى بالنفي.

فسأله سيلدون: "ولم لا؟".

قال هامر ببساطة: "أنا خائف".

أوما سيلدون بإيماءة تدل على نفاذ الصبر، وقال: "لا تؤمن بكل هذه الأمور إيماناً مطلقاً أعمى! هل يمكنك أن تصف لي هذا اللحن الذي يسبب لك كل هذا القلق؟".

أخذ هامر يدندن باللحن، وسيلدون يستمع إليه وقد علت وجهه علامات العبوس والحيرة.

وقال سيلدون: "إنه يشبه قليلاً لحن أوبرا رينزي. هناك شيء في هذا اللحن يجعلك ترتفع إلى أعلى، وكأن له أجنحة، ولكنك لا تغادر الأرض! والآن أخبرني، هل كل هذه الرحلات الجوية الخيالية التي تشعر بها متشابهة؟".

انحنى هامر إلى الأمام في حماس قائلاً: "لا، لا، إنها تتطور وتزداد، ففي كل مرة أرى القليل من الأشياء الجديدة. وربما تعجز كلماتي عن وصف الأمر، فدائمًا ما أكون واعياً بالوصول إلى نقطة محددة، تحملني الموسيقى إلى هناك، ليس مباشرة، ولكن من خلال موجات متلاحقة، كل منها تكون مرتفعة عن الأخرى. إلى أن أصل إلى أعلى نقطة حيث لا يمكن الوصول إلى ما هو أعلى من ذلك. وأظل هناك حتى يتم جذبي إلى أسفل. إنها ليست نقطة في الواقع بل هي حالة. حسنًا، لا يحدث في

البداية، بل بعد فترة وجيزة أن أبدأ في استيعاب أن هناك أشياء أخرى من حولي تنتظرني حتى أتمكن من استيعابها، إن الأمر يشبه القطعة الصغيرة، عندما تولد تكون لديها عينان لكنها لا تستطيع أن ترى بهما في البداية، حيث تكون عمياء ولا بد أن تتعلم كيف ترى. حسنًا، هكذا كان الأمر معي. لم تكن العيون والآذان الفانية جيدة بالنسبة إليّ، بل كان هناك شيء مشابه لها لم يكن قد تطور على الإطلاق، وهو ليس شيئًا مجسمًا على الإطلاق. فهو ينمو شيئًا فشيئًا ... حيث يكون هناك شعور بالضوء ... ثم بالصوت ... ثم باللون ... تبدو كل هذه الأمور غامضة وغير مقبولة. كان الأمر متعلقًا أكثر بإدراك الأشياء أكثر من رؤيتها أو سماعها. ففي البداية كان هناك ضوء يزداد قوة ووضوحًا ... ثم رمال، مساحة واسعة من الرمال المائلة إلى الحمرة ... ثم توجد هنا وهناك خطوط طويلة ومستقيمة من المياه مثل القنوات".

التقط سيلدون نفسه بقوة، ثم قال: "قنوات! هذا رائع، استرسل".

أضاف هامر قائلاً: "لكن هذه الأمور لم تعد مهمة، لم تعد ذات قيمة. إن الأشياء الحقيقية هي الأشياء التي لم أتمكن من رؤيتها، ولكنني سمعتها ... إنها تشبه حفيف الأجنحة ... لا أستطيع أن أوضح السبب، ولكنها كانت رائعة! لا يضاهاها أي شيء هنا، ثم حدث شيء رائع آخر، لقد رأيتها، أعني الأجنحة! آه يا سيلدون لو رأيت هذه الأجنحة!"

فسأله سيلدون: "ولكن كيف كانت هذه الأجنحة؟ هل كانت لرجل، أم لملاك، أم لطيور؟".

فأجابه قائلاً: "لا أعرف، لم أستطع تمييزها، ولكن لونها لونها الأجنحة، ليس لدينا لون مثله هنا، إنه لون رائع!".

كرر سيلدون ما قاله: "لون الأجنحة، كيف كان شكله؟". رفع هامر يديه بنفاد صبر قائلاً: "كيف لي أن أخبرك؟ كيف يمكن أن أصف اللون الأزرق لشخص أعمى! إنه لون لم تره من قبل، لون الأجنحة!".

فقال سيلدون: "حسنًا؟".

فقال هامر: "حسنًا؟ هذا كل ما في الأمر. هذا كل ما وصلت إليه، ولكن في كل مرة كان الرجوع إلى الأرض أكثر سوءًا، فقد كان مؤلمًا للغاية. لا أستطيع أن أفهم هذا الأمر، فأنا مقتنع للغاية بأن جسدي لم يفارق السرير. كما أنني متأكد تمامًا من أنه لا يكون لي وجود جسدي في ذلك المكان الذي أذهب إليه. لماذا يكون ذلك مؤلمًا إلى نحو مريب هكذا؟".

هز سيلدون رأسه في صمت.

فقال هامر: "إن العودة إلى الأرض مرة أخرى أمر فظيع. ذلك الجذب، ثم الشعور بالألم، ألم في كل طرف من أطرافه وفي كل عصب لدي، كما أشعر بأن أذني ستنتفجران. إن كل شيء يضغط على هذا النحو، وزنهم جميعًا، ذلك الشعور الرهيب بالسجن، أريد الضوء والهواء والفضاء، وقبل كل شيء أريد مكانًا أتنفس فيه، أريد الحرية".

أجاثا كريستي

فسأله سيلدون: "وما الشيء بين هذه الأشياء الأخرى الذي يشكل أهمية كبرى لديك؟".

أجاب هامر قائلاً: "هذا هو أسوأ ما في الأمر، إنني أهتم بها جميعاً، إن لم يكن أكثر من أي وقت مضى. وهذه الأشياء هي الراحة والرفاهية والمتعة، ويبدو أن هذه الأشياء كلها تسير عكس اتجاه الأجنحة. إنه صراع دائم بينهما، ولا أستطيع أن أعرف كيف سينتهي".

جلس سيلدون صامتاً، كانت القصة التي يستمع إليها رائعة حقاً، فهل كان كل ذلك محض خيال، أم أنه هلوسة، أم من الممكن أن يكون حقيقة؟ وإذا كان كذلك، فلماذا يحدث لهامر دون الآخرين...؟ بالطبع إن الرجل المادي، ذلك الرجل الذي يعشق الجسد، وينكر الروح، هو آخر رجل يرى مشاهد من العالم الآخر.

كان هامر ينظر إليه من الجانب الآخر من الطاولة باهتمام بالغ.

قال سيلدون ببطء: "أعتقد، أنه ليس عليك سوى الانتظار ورؤية ما سيحدث".

قال هامر: "لا أستطيع، أقول لك إنني لا أستطيع! إن قولك هذا يوضح أنك لا تفهم الأمر، إنه يشطرنني إلى نصفين. هذا الصراع المريع، ذلك الصراع المميت طويل الأمد بين ... بين"، ثم أخذ يتلعثم.

فقال سيلدون: "صراع بين الجسد والروح، أليس كذلك؟".

حدّق هامر النظر أمامه، ثم قال: "أعتقد أنه يمكننا أن نقول هكذا. على أية حال فإنه أمر لا يحتمل ... لا أستطيع التحرر..."
 هز برينارد سيلدون رأسه، فلم يكن قادراً على تفسير الأمر، ولكنه اقترح عليه اقتراحاً آخر.
 وقال له: "لو كنت مكانك، لذهبت إلى ذلك الرجل العاجز".
 ولكنه وفي طريقه إلى المنزل أخذ يهتمهم بينه وبين نفسه قائلاً: "قنوات، إنني مندهش للغاية".

خرج سايلاس هامر من منزله في صباح اليوم التالي وقد عقد العزم على فعل شيء ما، وقرر أن يعمل بنصيحة سيلدون ويبحث عن ذلك الرجل العاجز، ولكنه كان يشعر بداخله أن هذا البحث سيكون دون جدوى، وأن هذا الرجل سيختفي وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتة.

كانت تلك الأبنية المظلمة على كلا جانبي الممر تحجب أشعة الشمس؛ ما جعل المكان يبدو مظلماً وغامضاً، ولكن كان يوجد مكان واحد مضاء فقط في منتصف الطريق بالضبط، حيث كانت هناك فجوة في الجدار، وكان ينفذ من خلالها شعاع من الضوء الذهبي يلقي بضوئه على شخص يجلس على الأرض؛ شخص؟ نعم، إنه الرجل!

وكان قد أسند الآلة التي يعزف عليها إلى الحائط بجوار عكازيه، وكان يرسم لوحات باستخدام الطباشير الملون على الرصيف، وكان قد انتهى من رسم لوحتين، مشاهد رائعة من الغابة فائقة الجمال والرقّة، أشجار تتمايل وجدول مياه مندفع.

أجاثا كريستي

وساور الشك هامر مرة أخرى، هل كان هذا الرجل مجرد رجل يعزف موسيقى في الشارع، فنان على الرصيف؟ أم أنه أكثر من ذلك...

ثم فقد المليونير القدرة على التحكم في نفسه فجأة وصاح بقوة وغضب قائلاً: "من أنت؟ بالله عليك من أنت؟".

التقت عيناه بعيني الرجل الذي كان يبتسم، ثم قال له: "لماذا لا تجيب؟ تحدث أيها الرجل، تحدث!".

لاحظ أن الرجل يرسم بسرعة كبيرة على لوح من الحجر، تابع هامر حركاته بعينه... بدأ يشكل خيوطاً عريضة وأشجاراً عملاقة، ثم جلس على صخرة كبيرة... رجل... يعزف على الناي. رجل ذو وجه جميل، وقدمي ماعز...

كانت يدا الرجل العاجز تتحركان بسرعة كبيرة، وكان الرجل لا يزال جالساً على الصخرة، ولكن لم تعد هناك قدما الماعز، والتقت عيناه بعيني هامر مرة أخرى.

ثم قال: "لقد كانتا شريرتين".

أخذ هامر يحدق إليه مفتوناً؛ فقد كان الوجه الموجود أمامه هو الوجه الموجود في الصورة، ولكنه كان أجمل على نحو غريب لا يصدق... كان يخلو من كل شيء باستثناء فرحة الحياة الشديدة والرائعة.

استدار هامر وانطلق في الممر الذي كانت تغمره أشعة الشمس، وهو يردد لنفسه: "هذا مستحيل، مستحيل... أنا مجنون، أنا أحمق"، لكن الوجه كان يطارده، ذلك الوجه المستدير...

ذهب إلى الحديقة وجلس على مقعد، لم يكن هناك الكثير من الأشخاص، كان هناك عدد قليل من مربيات الأطفال يجلسن مع أطفالهن في ظل الأشجار. وكان يتمدد على العشب الأخضر هنا وهناك بعض الرجال المتسكعين، وكان المشهد أشبه بجزيرة في البحر...

كانت كلمة "متشرد بائس" بالنسبة إلى هامر مثالاً على البؤس، لكنه شعر بالحسد تجاههما اليوم ...
فقد بدوا بالنسبة إليه أكثر الأشخاص حرية على وجه الأرض، فالأرض من تحتهم، والسماء من فوقهم، ويتجولون في العالم بحرية ... ليسوا مقيدين ولا مكبلين.

ثم خطرت على باله فجأة فكرة رائعة، إن ما يقيده بلا هوادة هو ذلك الشيء الذي يحبه كثيراً ويميزه عن الآخرين، الثروة! لقد كان يعتقد أنها أقوى شيء على وجه الأرض، أما الآن وهو محاط بقوته الذهبية، أدرك حقيقة كلماته. إن أمواله هي التي تقيده...

ولكن هل كانت هي؟ هل كانت حقاً هي؟ هل كانت هناك حقيقة أكثر عمقاً ووضوحاً، لكنه لم يرها؟ هل كان ما يقيده هو المال أم حبه للمال؟ لقد كان مقيداً بقيود من صنع يديه، لم تكن الثروة هي ذلك القيد، بل كان حبه للثروة.

لقد علم الآن بوضوح القوتين اللتين تمزقانه، تلك القوة المركبة من المادية التي تحيط به وتحاصره، وتلك القوة المقابلة لها، ذلك النداء المُلح والذي سمّاه نداء الأجنحة.

وبينما كانت إحداهما تقاتل بضراوة من أجل البقاء، كانت الأخرى تنظر إلى هذه الحرب بازدراء، ولا تريد الانخراط فيها، بل كانت تكتفي بإطلاق صيحة نداء بشكل متواصل ... كان يسمعها بوضوح شديد، وكأنها تقول له: "لا يمكنك إبرام صلح معي؛ لأنني أعلو فوق كل تلك الأشياء، إذا اتبعتني فلا بد أن تتحرر من كل القوى الأخرى التي تسيطر عليك، فالأحرار فقط هم من يتبعوني حيث أسير..."

صرخ هامر قائلاً: "لا أستطيع، لا أستطيع..."

استدار عدد قليل من الأشخاص لينظروا إلى ذلك الرجل الضخم الذي يجلس ويتحدث إلى نفسه.

إذن، فهو مطلوب منه أن يضحى، التضحية بأعز شيء لديه، وهو جزء منه.

جزء منه، تذكر حينها الرجل مبتور الساقين...

سأله بورو قائلاً: "ما الذي أتى بك إلى هنا؟"

فقد كان وجود هامر في دار العبادة أمراً غير مألوف على الإطلاق.

قال المليونير: "لقد استمعت إلى العديد من الخطب تدور كلها حول ما يمكن أن يحدث إذا توافر لديكم المال، ولقد أتيت لأخبركم بأنه يمكنكم الحصول على المال".

أجابه بورو وهو مندهش: "إنه للطف كبير منك، لقد تبرعت بكل ما لديك، أليس كذلك؟"

ابتسم هامر، قائلاً بنبرة حادة: "نعم، بكل قرش أملكه".

فقال له بورو: "ماذا؟"

شرح له هامر التفاصيل كلها بسرعة.

كان بورو في حيرة شديدة.

فسأله قائلاً: "أنت، أنت تقول إنك قد تبرعت بثروتك كلها من أجل مساعدة الفقراء في إيست إند وأكون أنا وصياً على ذلك؟".

فأجابه قائلاً: "بالضبط كذلك".

فسأل بورو: "ولكن لماذا، لماذا؟".

قال هامر ببطء: "لا يمكنني أن أشرح الأمر، هل تتذكر حديثنا حول الرؤى المهيمنة في فبراير الماضي؟ حسناً، لقد استحوذت عليّ إحدى هذه الرؤى".

انحنى بورو إلى الأمام، وقد لمعت عيناه، وقال: "إنه أمر عظيم!".

قال هامر بنبرة جادة: "لا يوجد شيء عظيم في هذا الأمر، فأنا لا أهتم مطلقاً بأمر الفقراء في إيست إند، فكل ما يحتاجون إليه هو المثابرة! لقد كنت فقيراً للغاية، ولقد تخلصت من ذلك، لكن كان لا بد أن أتخلص من المال، ويجب ألا تتمسك تلك المجتمعات الفقيرة بالأموال. إنني أثق بك، اعمل على تغذية الجسد أو الروح من خلالها ومن الأفضل أن تغذي الروح. لقد كنت جائعاً، لكن يمكنك أن تفعل ما يحلو لك".

تلعثم بورو قائلاً: "لم يكن هناك شيء معروف عنك من قبل".

تابع هامر قائلاً: "لقد انتهيت من جميع الأمور، لقد أتم المحامون كل شيء في النهاية، ولقد تبرعت بكل شيء، لقد

أجاثا كريستي

كنت مشغولاً بإنهاء هذا الأمر خلال الأسبوعين الماضيين، إن الاستغناء عن الثروة أصعب من تكوينها".

فسأله بورو: "ولكن ألم تترك لنفسك أي شيء؟"

قال هامر بمرح: "ولا بنسًا واحدًا، ليس كذلك بالضبط، لقد احتفظت ببئسسين في محفظتي"، ثم ضحك.

ودع صديقه الذي كان يشعر بالحيرة، وخرج من دار العبادة إلى تلك الشوارع الضيقة ذات الروائح الكريهة. لقد تذكر الآن تلك الكلمات التي قالها بمرح، وهو يشعر بشعور مؤلم بالخسارة، أخذ يردد: "لم يعد معي قرش واحد"، فلم يحتفظ لنفسه بأي شيء من بين ثروته الطائلة. شعر بالخوف الآن، الخوف من الفقر، والجوع، والبرد، فالتضحية لم تترك شعورًا طيبًا بداخله. ولكنه أصبح يدرك الآن بعد تخليه عن كل شيء أن الضغط والتهديد اللذين كان يشعر بهما نتيجة ما كان يملكه قد رُفعا عن كاهله، فلم يعد يشعر بأنه مرهق أو مقيد. لقد مزقته تلك القيود، ولكن الشعور بالحرية منحه القوة. قد تحاول احتياجاته المادية إخفاء نداء الأجنحة وكتبته، لكنها لن تستطيع إخراس صوتها وقتلها؛ فقد كان يعلم أن مثل هذا النداء من الأشياء التي لا يمكن أن تبنى.

كانت رياح الخريف الباردة تملأ الأجواء، كان يشعر بالبرد لدرجة أنه كان يرتعش، كما أنه كان يشعر بالجوع، فقد نسي تناول طعام الغداء. كان من غير المعقول أن يتخلى عن كل هذه الأشياء؛ الهدوء والراحة والدفء! كان جسده يصرخ في

عجز... ثم شعر مرة أخرى بالسعادة والارتياح اللذين خلفتهما الحرية في نفسه.

تردد هامر، لقد كان بالقرب من محطة مترو الأنفاق، لم يكن لديه سوى بنسين، فقرر أن يستقل القطار ويذهب إلى تلك الحديقة، حيث رأى هناك المتسكعين يفتشون الأرض منذ أسبوعين. وبخلاف ذلك الأمر لم يخطط للمستقبل، لقد صدق الآن تمامًا أنه أصبح مجنونًا، فالأشخاص العقلاء لا يتصرفون على هذا النحو. حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فإن الجنون أمر رائع ومثير.

حسنًا، إنه سيذهب الآن إلى المكان المفتوح الذي دائمًا ما أراد، سيذهب إلى الحديقة، وكانت هناك دلالة خاصة بالنسبة إليه في الوصول إليها عبر مترو الأنفاق؛ حيث كان النفق يمثل بالنسبة إليه أهوال الحياة المظلمة المليئة بالقيود... كان سيهبط إلى النفق المظلم ليخرج منه حرًا إلى المساحة الخضراء الواسعة والأشجار التي تبعد خناق المنازل المتكدسة. حملة المصعد إلى أسفل بسرعة وبلا هواده، وكان الهواء ثقيلًا وباردًا للغاية. وقف عند أقصى طرف من رصيف المحطة بعيدًا عن تجمعات الأشخاص، وكان يقع على يساره مدخل النفق الذي كان ينطلق منه القطار الذي يشبه الأفعى، وكان يشعر بأن الشر يحيط بالمكان، ولم يكن هناك أي أحد بالقرب منه سوى صبي يجلس منحنياً على المقعد الخاص به غارقاً في التفكير وكأنه في حالة ذهول شديد.

أجاثا كريستي

وعلى بعد مسافة سمع صوت القطار الخافت معلناً وصوله،
فنهض الولد من مقعده وتحرك وهو يترنح باتجاه هامر، حيث
كان يقف على حافة الرصيف يحدق النظر إلى النفق.
ثم حدث شيء ما في لمح البصر وبشكل لا يصدق، إذ فقد
توازنه وسقط ...

اندفعت مئات الأفكار معاً إلى رأس هامر، حيث تذكر كومة
اللحم المتكدسة تحت عجلات الحافلة، ثم سمع صوتاً أجش
يقول: "لا تلم نفسك يا سيدي، فما كان بإمكانك أن تفعل أي
شيء من أجله"، وفي أثناء ذلك أدرك أنه لا يمكن إنقاذ حياة أي
شخص، إلا إذا أنقذها هو بنفسه. لم يكن هناك أحد آخر على
مقربة منه، وكان القطار قريباً للغاية ... مر كل ذلك في عقله
بسرعة كبيرة، وشعر بوضوح غريب في أفكاره.

كانت لديه ثانية واحدة ليقرر فيها، وعرف في هذه اللحظة
أن خوفه من الموت لم ينته بعد، فقد كان مرعوباً للغاية، فهل لا
يوجد أي أمل إذن؟ أليس هناك طائل من انتهاء حياة شخصين؟
وقف المتفرجون المرعوبون على الجانب الآخر من
الرصيف يشاهدون وقوع ذلك الصبي على القضبان والرجل
الذي قفز خلفه على الفور لينقذه، ثم اندفع القطار نحو منعطف
النفق، وهو عاجز تماماً عن التوقف في الوقت المناسب.

وبسرعة أمسك هامر بالصبي بين يديه، ولم يفعل ذلك
بدافع من الشجاعة، بل كان جسده المرتعش يطيع أوامر الروح

الغريبة التي دعتة للتضحية. وبجهد كبير رفع الفتى على الرصيف، وسقط ...

ثم اختفى الرعب الذي كان يملأ جسده فجأة، لم يعد العالم المادي يسيطر عليه أكثر من ذلك. لقد تخلص من قيوده، فقد تخيل لحظة أنه يسمع صوت روح مبتهجة، ثم سمع الصوت وقد أصبح أكثر وضوحاً واقتراباً، يغطي على كل الأصوات الأخرى، ثم جاء الاندفاع السعيد للعديد من الأجنحة التي لا تعد ولا تحصى... تلفه وتطوقه ...

مذهب جديد

"أعتذر بشدة لتطفلي على هذا النحو يا سيد بوارو".
أحكمت الأنسة كارنابي قبضتها حول حقيبة يدها وانحنت
نحو الأمام بعد أن قالت هذه الجملة، ثم أخذت تنظر بقلق إلى
وجه بوارو.

فرفع هيركيول بوارو حاجبيه.

قالت بنبرة قلقة: "ألا تتذكرني؟".

تلاأت عينا هيركيول بوارو، ثم قال: "إنني أتذكرك بوصفك
واحدة من أمهر المجرمين الذين التقيت بهم".

فقالت له: "يا إلهي! أوجب عليك أن تقول شيئاً كهذا يا
سيد بوارو؟ لقد كنت عطوفاً معي للغاية، فكثيراً ما أتحدث أنا
وإميلي عنك، وعندما نقرأ أي خبر عنك في الصحف، نقصّه من
الصحيفة على الفور، ونلصقه في كتاب خصصناه لذلك. أما
بالنسبة إلى أوجست، فقد علمناه لعبة جديدة، حيث نقول له:
"مت من أجل شيرلوك هولمز، مت من أجل السيد فورتشن، مت
من أجل السيد هنري ميريفال، ثم نقول له في النهاية مت من
أجل السيد هيركيول بوارو"، فيرقد على الأرض مثل الكتلة
الخشبية، يرقد دون حراك حتى نقول له الكلمة".

قال بوارو: "أنا ممتن للغاية لذلك، كيف حال عزيزي
أوجست؟".

شبكت الآنسة كارنابي يديها، وأخذت تمتدح كلبها بأسلوب بليغ قائلة: "أه يا سيد بوارو، لقد أصبح أكثر ذكاءً من أي وقت مضى. إنه يعرف كل شيء، فمنذ أيام كنت ألاعب طفلاً صغيراً في عربته، وفجأة شعرت بجذبة عنيفة، وعندما التفت وجدت أوجست يحاول جاهداً أن يقطع لجامه، ألا يعد ذلك ذكاءً؟".

تلاأت عينا بوارو، وقال لها: "يبدو لي أن أوجست يشاركك ميولك الإجرامية التي كنا نتحدث عنها منذ قليل!".

لم تضحك الآنسة كارنابي، بل بدا وجهها الممتلئ قلقاً وحزيناً، ثم قالت وهي تلهث قليلاً: "أه يا سيد بوارو أنا قلقة للغاية".

قال بوارو بعطف: "ماذا هناك؟".

فأجابته قائلة: "أنا خائفة يا سيد بوارو؛ أنا خائفة للغاية من أن أكون مجرمة عاتية الإجرام، إن كان بإمكانني أن أستخدم مثل هذا المصطلح، فالأفكار تراودني طوال الوقت".

فسألها: "أي نوع من الأفكار؟".

فقالت له: "الأفكار الغربية للغاية! على سبيل المثال طرأت بذهني خطة محكمة للغاية لسرقة أحد مكاتب البريد. لم أكن أفكر فيها، لقد طرأت على ذهني فحسب! وفكرة عبقرية أخرى للتهرب من سداد الرسوم الجمركية... وبتُّ على يقين بأن هذا الأمر سيفلح".

قال بوارو بنبرة حادة: "قد يفلح بالفعل، فهذا هو مكنم الخطر في أفكارك".

فقالت: "إن هذا ما يقلقني بشدة يا سيد بوارو، فلقد ترعرعت في ظل مبادئ صارمة، وتفكيرني في مثل هذه الأفكار

الشريفة الخارجة عن القانون يشعرني بالانزعاج الشديد، وترجع المشكلة بشكل جزئي إلى أن لدي الآن الكثير من أوقات الفراغ. فقد تركت خدمة السيدة هوجين، وأعمل الآن في خدمة سيدة مسنة أقرأ لها الكتب وأكتب لها الخطابات كل يوم، وأنتهي من كتابة الخطابات بسرعة كبيرة، وفي اللحظة التي أبدأ فيها بقراءة الكتب لها، تكون قد استغرقت في النوم، وأظل جالسة في مكاني بعقل خامل، وكلنا نعلم كيف يسكن الشر عقل الكسالى". قال بوارو: "بالطبع، بالطبع".

استرسلت قائلة: "لقد قرأت أخيراً كتاباً معاصراً مترجماً من اللغة الألمانية يلقي الضوء على الميول الإجرامية، وقد فهمت منه أن المرء يجب عليه أن يترفع عن دوافعه لهذا السبب جئت إليك".

قال بوارو: "ثم ماذا؟".

فقالت: "كما ترى يا سيد بوارو، إنني أعتقد أن هذا ليس شراً بقدر ما هو رغبة شديدة في الإثارة والمتعة! للأسف لقد عشت حياة رتيبة للغاية لدرجة أنني أشعر أحياناً بأن حملة العناية بالكلاب التي اشتركت فيها كانت أفضل وقت عشته في حياتي. هذا أمر يستحق الاستهجان بالتأكيد، ولكن كما يقول الكتاب الذي قرأته له، ينبغي ألا يدير المرء ظهره للحقيقة. لقد جئت إليك يا سيد بوارو؛ لأنني أمل أن أتمكن من الترفع عن تلك الرغبة في الإثارة من خلال توظيفها والاستفادة بها، إن جاز لي الانضمام إلى جانب الأخيار"، فقال بوارو: "أها، إذن فقد أتيت إلي اليوم بوصفك زميلة؟".

فاحمر وجه الآنسة كارنابي خجلاً، ثم قالت له: "أعرف أن هذه جراءة كبيرة مني، لكنك كنت عطوفاً للغاية..."

وتوقفت عن الكلام، وقد لاح بعينيها الزرقاوين الباهتتين شيء أشبه بتوسل كلب يأمل أن يأخذه صاحبه في نزهة. قال هيركيول بوارو بتأن: "إنها فكرة جيدة".

قالت الآنسة كارنابي: "لكنني بالطبع لست ذكية على الإطلاق، ولكن قدراتي في الخداع والإخفاء جيدة. ولا بد لها أن تكون جيدة، والا كنت قد طردت من وظيفتي كمرافقة على الفور. وكثيراً ما وجدت أن التظاهر بمظهر أكثر غباء مما أنا عليه يعود عليّ بنتائج جيدة".

ضحك هيركيول بوارو، ثم قال: "أنت تفتنيني يا آنسة". قالت: "أه يا عزيزي بوارو، أنت رجل عطوف للغاية، إذن أنت تشجعني على أن آمل في توظيف مهاراتي، أليس كذلك؟ ما حدث أنني قد ورثت إرثاً صغيراً للغاية، لكنني أتمكن من خلاله أن أعيش أنا وشقيقتي بطريقة مقتصدة؛ لذا لا أعتد بشكل كامل على ما أكسبه".

قال بوارو: "لا بد أن أفكر في أي الطرق يمكن استغلال مواهبك على النحو الأمثل، ليس لديك فكرة عن الأمر على ما أعتقد، أليس كذلك؟".

قالت له: "كما تعلم يا سيد بوارو، لا بد أنك تقرأ الأفكار. لقد كنت قلقة أخيراً بشأن صديقة لي، وكنت أريد أن أستشيرك في هذا الأمر، قد تقول إن الأمر كله ما هو إلا تخيلات خادمة

عجوز، مجرد تخيل، فقد يبالغ المرء ويرى المؤامرة في شيء ما، في حين أنه لا يكون الأمر سوى مجرد مصادفة".

قال بوارو: "لا أعتقد أنك تبالغين يا آنسة كارنابي، أخبريني بما يدور في رأسك".

"حسنًا، لديّ صديقة؛ صديقة عزيزة للغاية رغم أنني لم أرها كثيرًا في السنوات الأخيرة، اسمها إيميلين كليج، لقد تزوجت رجلًا من إنجلترا توفي منذ بضع سنوات وتركها في رغد من العيش، وشعرت بالتعاسة والوحدة بعد وفاته، وانني آسفة أن أقول إنها حمقاء، بل ساذجة في بعض النواحي، فالتدين يا سيد بوارو هو خير معين".

فسألها بوارو قائلًا: "هل تقصدان دار العبادة اليونانية؟". فبدت الدهشة على ملامح الأنسة كارنابي، وقالت له: "لا بالطبع، بل أقصد دار عبادة إنجلترا، وعلى الرغم من أنني لا أستحسن مذهبها، فإنه مذهب معترف به على الأقل، وكذلك الأمر مع بقية المذاهب المحترمة والمعروفة، ولكن ما أتحدث عنه هو تلك المذاهب الغريبة، حيث تظهر فجأة ويكون لها نوع من الجاذبية العاطفية، ولكن في بعض الأحيان تراودني شكوك خطيرة للغاية حول إذا ما كان وراءها شعور ديني حقيقي".

سألها بوارو قائلًا: "هل تعتقدين أن صديقتك قد وقعت ضحية لأحد هذه المذاهب الغريبة؟".

"نعم، بالطبع أعتقد ذلك، إنهم يطلقون على أنفسهم قطيع الرعاة، ومقرهم في ديفونشاير؛ مكان رائع يطل على البحر، ويذهب أتباع هذا المذهب إلى هناك لممارسة ما يسمونه

الاعتكاف، وهي مدة تصل إلى أسبوعين، يمارسون خلال هذه المدة طقوساً دينية، ويقدمون فيها خدمات دينية كذلك، ولهم ثلاثة أعياد كبرى في العام: مجيء المرعى، واكتمال المرعى، وحصاد المرعى".

قال بوارو: "يا للحماقة! لا يوجد شيء اسمه حصاد المرعى".

قالت الآنسة كارنابي بحماس: "إن الأمر برمته يتسم بالحماقة؛ حيث تتمركز الطائفة بأكملها حول رئيس الطائفة الذي يسمونه الراعي العظيم، وهو يُدعى الدكتور أندرسون، وهو رجل وسيم للغاية، ويتمتع بحضور طاغ كذلك".

سألها بوارو قائلاً: "وهذا ما يجذب النساء إليه، أليس كذلك؟"

تنهدت الآنسة كارنابي قائلة: "وهذا أمر مؤسف، لقد كان والدي وسيماً للغاية، وكان الأمر مُحرجاً للغاية في دار العبادة عندما يتعلق بالتنافس في تطريز الملابس وتقسيم العمل الخدمي..."

هزت رأسها وكأنها تتذكر شيئاً ما.

سألها بوارو قائلاً: "هل غالبية أعضاء هذه الطائفة من النساء؟"

أجابت قائلة: "أعتقد أن النساء يشكلن ثلاثة أرباع العدد على الأقل، أما الرجال فهم من المهووسين، ويعتمد نجاح الحركة على النساء بما يوفرنه من تمويل".

قال بوارو: "حسناً، لقد وصلنا إلى حقيقة الأمر الآن، هل تعتقدين صراحة أن الأمر برمته مجرد نصب واحتيال؟"

أجاثا كريستي

قالت له: "أعتقد ذلك يا سيد بوارو، والشيء الآخر الذي يقلقني أنني علمت أن صديقتي المسكينة مرتبطة بهذه الطائفة ارتباطاً شديداً، حتى إنها تركت مؤخراً وصية بأن تؤول كل ثروتها إلى هؤلاء المحتالين حال وفاتها".

قال بوارو بنبرة حادة: "هل اقترح عليها أحدهم هذا الأمر؟".
"لكي أكون صادقة، لا، فهذه كانت فكرتها هي. لقد عرفت من خلال هذه الطائفة أسلوباً جديداً للحياة؛ لذا كان يجب أن يذهب كل ما تملكه بعد وفاتها إلى هذه القضية العظيمة من وجهة نظرها، لكن الأمر الذي يقلقني حقاً هو ..."

قال بوارو: "نعم، استرلي".

فاسترسلت قائلة: "إن العديد من المتحمسات لهذه الطائفة سيدات ثريات، وقد توفي ما لا يقل عن ثلاث منهن العام الماضي".

فقال بوارو: "وقد أوصين بالطبع بأن تذهب أموالهن إلى هذه الطائفة الدينية، أليس كذلك؟".

فأجابت قائلة: "بلى".

فقال بوارو: "ألم يكن هناك اعتراض من أقاربهن على هذا الأمر؟ لا بد من أنهم رفعوا دعاوى قضائية".

فقالت: "كما تعلم يا سيد بوارو، فإن من ينتمين إلى مثل هذه الطوائف عادة ما يكن نساء وحيدات ممن ليس لديهن أقارب أو أصدقاء مقربون".

أوما بوارو متأملاً، وأسرعت الآنسة كارنابي قائلة: "بالطبع لا يحق لي أن أخمن أي شيء، ولكن من خلال كل ما تمكنت

من التوصل إليه، لم يكن هناك أي شيء غير طبيعي في هذه الوفيات، وأعتقد أن إحداها كانت نتيجة الإصابة بالتهاب رئوي عقب الإصابة بالإنفلونزا، وأخرى نتيجة الإصابة بقرحة في المعدة. لم تكن هناك أية ملابس مثيرة للشك على الإطلاق، إذا كنت تفهم ما أقصد، كما أن الوفيات لم تحدث في أماكن تجمع أعضاء هذه الطائفة، ولكن وقعت في منازل هؤلاء السيدات، ولا يساورني شك في أن الأمور تبدو طبيعية تمامًا، ولكن على أية حال، لا أحب أن يصيب إيمي أي مكروه."

شبكت يديها وتطلعت بعينيها إلى بوارو.

ظل بوارو نفسه صامتًا بضع دقائق، وعندما تحدثت كانت هناك نبرة غريبة في صوته، فقد كانت حادة وعميقة، وهو يقول لها: "فلتعطيني أو فلتبحتي من أجلي عن أسماء وعناوين عضوات الطائفة اللائي قضين نحبهن مؤخرًا؟" فقالت: "حسنًا يا سيد بوارو."

قال بوارو بتأن: "أنستي، أظن أنك امرأة شجاعة، وتحلين بالإصرار والعزيمة، وتمتعتين بمواهب تمثيلية رائعة، فهل تمانعين في المشاركة في عمل قد يكون محفوفًا بالكثير من المخاطر؟"

قالت الأنسة كارنابي المغامرة: "لا شيء أحب إلي من ذلك." قال بوارو بنبرة تحذيرية: "إذا كانت هناك مخاطر، فستكون مخاطر جسيمة للغاية، أتفهمين، فإما أن يكون ذلك مجرد وهم، وإما أنه أمر خطير للغاية. ولكي نستكشف حقيقة الأمر لا بد أن تصبحي أنتِ بنفسك واحدة من أعضاء هذه الطائفة، وأريد

أجاثا كريستي

منك أن تبالغى فى قيمة الإرث الذى ورثته أخيراً، فأنت الآن امرأة ميسورة الحال ليس لديها هدف محدد فى الحياة، وجادلى صديقتك إيميلين بشأن هذا المذهب، وأقنعها بأنه مجرد هراء، فستكون متحمسة لتغيير وجهة نظرك، ثم تتظاهرين أمامها باقتناعك بما تقول؛ ومن ثم تذهبين إلى مكان تجمع هذه الطائفة، وهناك تقعين ضحية لقدرات الدكتور أندرسون على الإقناع والتأثير، وأعتقد أن بإمكانى أن أعتد عليك فى القيام بهذا الدور دون أن أشعر بالقلق، أليس كذلك؟".

ابتسمت الأنسة كارنابي بتواضع، وهممت قائلة: "أعتقد أن بإمكانى تولى هذا الأمر على خير وجه".

"حسناً يا صديقى، ماذا لديك من أجلى؟".

نظر كبير المفتشين جاب بعناية إلى ذلك الرجل القصير الذى طرح السؤال. وقال له فى أسف: "شئ لا أحبذ على الإطلاق يا بوارو، فأنا أكره هؤلاء المجانين ذوي الشعر الطويل الذى يدعون التدين قدر كرهى للسم، فهم يقنعون النساء بأفكار تافهة، لكن هذا الرجل حذر للغاية، ولا يمكن لأى أحد أن يمسك عليه أى دليل، فجميع ما يصدر منه يبدو مريباً، ولكنه لا يدينه".

فسأله بوارو: "هل علمت أى شئ عن ذلك الذى يدعى الدكتور أندرسون؟".

فقال المفتش: "لقد ألقى نظرة على تاريخه الماضى، فقد كان كيميائياً واعداءً، وطُرد من إحدى الجامعات الألمانية، وعلى ما يبدو أن أمه كانت تدين بإحدى المعتقدات الشرقية، كما أنه

كان مهتمًا بدراسة الأساطير والمعتقدات الشرقية، وقد قضى أغلبية وقت فراغه في هذا، كما كتب مقالات متعددة حول هذا الموضوع، وبدا بعض هذه المقالات جنونًا بالنسبة إليّ".
فقال بوارو: "إذن من الممكن أن يكون متعصبًا حقيقياً لهذا المذهب؟".

فقال المفتش: "لا بد أن أقول إن هذا الأمر محتمل للغاية".
فسأله بوارو: "وماذا عن تلك الأسماء والعناوين التي أعطيتك إياها؟".

فقال: "لم تضيف أي جديد على الإطلاق، فقد توفيت الأنسة إيفريت نتيجة التهاب القولون التقرحي، كما أن الطبيب متأكد من عدم وجود شبهة جنائية. أما السيدة لويد فقد توفيت نتيجة التهاب رئوي شعبي، والسيدة ويسترن توفيت نتيجة مرض السل، فقد كانت تعانيه منذ عدة سنوات، قبل أن تنضم حتى إلى هذه الطائفة. وقد توفيت الأنسة لي بالتيفود نتيجة تناولها بعض السلطات الملوثة في مكان ما بشمال إنجلترا، وثلاث منهن مرضن ومتن في منازلهن، أما السيدة لويد فقد توفيت في فندق بجنوب فرنسا. وفيما يتعلق بهذه الوفيات، فلا يوجد ما يربطها بتلك الطائفة العظيمة أو بمقر أندرسون في ديفونشاير، فلا بد أنها مجرد مصادفة، فكل ما حدث يبدو طبيعياً".

تنهّد هيركيول بوارو، ثم قال: "ولكنني يا عزيزي يراودني شعور بأن هذه القضية هي القضية العاشرة لهيركيول، وأن أندرسون هذا هو الوحش الذي يجب عليّ أن أدمره".

أجاثا كريستي

نظر إليه جاب بقلق، وسأله قائلاً: "اسمعي يا بوارو، هل قرأت أية أعمال أدبية غريبة أخيراً؟"
قال بوارو بكبرياء: "إن ملاحظاتي دائماً ما تكون مناسبة وعميقة وفي صميم الموضوع."
قال جاب: "يمكن أن ينشأ مذهب جديد يكون شعاره: "لا أحد أذكى من هيركيول بوارو"."

قالت الأنسة كارنابي وهي تلهث بشدة وحماس: "إن السلام الذي أشعر به هنا رائع للغاية".

قالت إيميلين كليج: "لقد قلت لك ذلك يا إيمي".

كانت الصديقتان تجلسان على منحدر تل يطل على نهر أزرق عميق وجميل، وكان العشب أخضر زاهياً، والأرض والمنحدرات ذات لون أحمر داكن متوهج. وكان ذلك المكان الصغير الذي يعرف باسم محراب التلال الخضراء يتكوّن من ستة أفدنة يصل بينها وبين البر الرئيسي مساحة ضيقة بحيث تكاد تكون جزيرة.

هممت السيدة كليج بنبرة عاطفية قائلة: "تلك الأرض الحمراء، أرض النور والبشرى؛ حيث تتحقق الأقدار الثلاثية".
تنهدت الأنسة كارنابي بعمق قائلة: "أعتقد أن الراعي قد أوضح هذا الأمر بطريقة رائعة للغاية في الخدمة الليلية الماضية".

قالت لها صديقتها: "انتظري، فهناك احتفال الليلة بعيد اكتمال نمو المرعى".

قالت الأنسة كارنابي: "إنني أتطلع إلى ذلك".

فقالت لها صديقتها وهي تعدها: "ستجدين أنها تجربة روحية رائعة".

وصلت الأنسة كارنابي إلى محراب التلال الخضراء قبل أسبوع، وكان لسان حالها لدى وصولها: "والآن ما كل هذا الهراء؟ حقاً يا إيمي، هل يجوز لامرأة عاقلة مثلك أن ...".

وقد أوضحت موقفها بجلاء في أول مقابلة أولية مع الدكتور أندرسون، قائلة: "لا أريد أن أشعر بأنني هنا تحت ادعاءات زائفة يا دكتور أندرسون، كان والدي أحد رجال الدين، ولم أتردد قط في إيماني، كما أنني لا أؤمن بأية مذاهب غير سماوية".

ابتسم لهذا ذاك الرجل الضخم ذو الشعر الذهبي ابتسامة ساحرة تنم عن فهمه لمقصدها، وكان قد تأمل باهتمام تلك المرأة الممتلئة الجريئة التي كانت تجلس بشجاعة على مقعدها.

ثم قال لها: "عزيزتي الأنسة كارنابي، أنت صديقة السيدة كليج؛ ولذا فإننا نرحب بك، وصدقيني إن مذهبنا سماوي، فنحن هنا نحترم المذاهب كافة، ونجلها جميعاً على قدم المساواة".

قالت الابنة المخلصة لرجل الدين الراحل توماس كارنابي: "لا ينبغي فعل ذلك إذن".

أجاثا كريستي

قال الراعي بصوته القوي وهو يستند إلى الخلف في مقعده:
"يوجد في منزل والدك العديد من الغرف، أليس كذلك يا آنسة
كارنابي؟".

وبينما كانتا تغادران الحضور، قالت الآنسة كارنابي
لصديقتها: "إنه رجل وسيم للغاية".
قالت إيميلين كليج: "نعم، كما أنه رجل روحاني إلى حد
كبير كذلك".

اتفقت معها الآنسة كارنابي، وكان هذا صحيحًا، فقد شعرت
بهالة من النقاء والروحانية...

حاولت السيطرة على نفسها، خشية الوقوع فريسة لجاذبية
الراعي العظيم أو لروحانيته أو غير ذلك، واستحضرت صورة
هيركيول بوارو، بدا بعيدًا عنها للغاية، وثنويًا بشكل غريب...
تحدثت إلى نفسها قائلة: "إيمي! سيطري على نفسك،
تذكري هدف وجودك هنا..."

ولكن مع مرور الأيام وجدت نفسها تستسلم بسهولة شديدة
لسحر محراب التلال الخضراء، حيث كان يوجد السلام
والبساطة والطعام اللذيذ وإن كان بسيطًا، وجمال الخدمات مع
ترديد أناشيد الحب والعبادة، وكلمات الراعي البسيطة المؤثرة
التي تناشد الجميع بما هو أفضل وأسمى شيء في الإنسانية.
هنا مكان منعزل عن قبح العالم والفتنة السائدة فيه، فهنا لا
يوجد سوى السلام والحب...

وكانت الليلة على موعد مع الاحتفال بمهرجان الصيف العظيم؛ عيد اكتمال نمو المرعى، أما بالنسبة إلى إيمي كارنابي فكان هو اليوم المحدد لبداية انضمامها إلى هذه الطائفة.

وكان هذا الاحتفال يُقام في المبنى الخرساني الأبيض اللامع الذي يطلقون عليه اسم الحظيرة المقدسة، حيث يتجمعون فيه قبل غروب الشمس، وكانوا يرتدون عباءات من جلد الغنم، وينتعلون صنادل في أقدامهم، وكانت أذرعهم عارية، وكان الدكتور أندرسون يقف على منصة مرتفعة وسط الحظيرة، ولم يكن ذلك الرجل الضخم ذو الشعر الذهبي والعينين الزرقاوين واللحية الشقراء والوجه الجميل يجبر أي أحد على فعل أي شيء على الإطلاق، وكان يرتدي رداءً أخضر اللون، ويحمل عصا الراعي التي كانت مصنوعة من الذهب.

رفع هذه العصا عاليًا، فخيم الصمت التام على الحضور. فقال: "أين خرافي؟"

أجاب الحشد قائلين: "نحن هنا أيها الراعي."

ثم قال: "املأوا قلوبكم بالفرح والحمد، فهذا هو عيد الفرحة."

فقالوا: "إنه عيد الفرحة، ونحن فرحون للغاية."

فقال: "لن تشعروا بالأسف ولا بالألم بعد اليوم، فلن يكون هناك إلا الفرحة!"

فرددوا قائلين: "لن يكون هناك إلا الفرحة..."

فسألهم قائلًا: "كم عدد الرؤوس التي يمتلكها الراعي؟"

أجاثا كريستي

فأجابوا قائلين: "ثلاثة رؤوس، رأس من ذهب، ورأس من فضة، ورأس من النحاس اللامع".

فسألهم: "كم عدد أجزاء أجساد الخراف؟".

فقالوا: "ثلاثة أجزاء؛ اللحم، والفساد، والنور".

فسألهم: "كيف ستثبتون أقدامكم في القطيع؟".

فقالوا: "بما تأمرنا به".

فسألهم: "هل أنت مستعدون لذلك؟".

فقالوا: "نعم مستعدون".

فقال لهم: "أعصبوا أعينكم، ومدوا أذرعكم اليمنى".

أخذ الحشد يعصبون عيونهم طواعية باستخدام أوشحة خضراء قُدمت إليهم من أجل هذا الغرض، وقد مدت الآنسة كارنابي ذراعها اليمنى مثل البقية.

أخذ الراعي العظيم يسير بين صفوف قطيعه، وكانت هناك صرخات خافتة وأنين نتيجة الألم أو النشوة.

قالت الآنسة كارنابي محدثة نفسها بعنف: "ما كل تلك الأمور إلا ضلال مبين! يجب أن نشجب هذا النوع من الهستيريا الدينية، سأبقى هادئة تمامًا، وأراقب ردود فعل الآخرين، ولن أنجرف معهم، لن أنجرف معهم..."

جاء الراعي إليها ووقف أمامها، فشعرت بأن أحدًا يمسك بذراعها ويرفعها ثم شعرت بوخزات حادة مثل وخز الإبر، بينما كان الراعي يهمهم قائلًا: "إنه ذلك الطقس الذي يجلب الفرح..."

ثم تخطاها.

ووجه إليهم أمراً آخر في الحال قائلاً: "أزيلوا العصابات عن أعينكم، واستمتعوا بملذات الروح".

كانت الشمس قد بدأت في الغروب، أخذت الأنسة كارنابي تنظر حولها، وغادرت الحظيرة ببطء مع الآخرين على الفور، وشعرت فجأة بأنها منتشية وسعيدة للغاية، وبأنها هبطت على قطعة من الأرض ناعمة للغاية ومليئة بالأعشاب. لماذا كانت تفكر في أنها امرأة وحيدة في منتصف العمر غير مرغوب فيها على الإطلاق؟ إن الحياة رائعة، إنها شخصياً تبدو رائعة! لديها القدرة على التفكير، والقدرة على الحلم. لا يوجد شيء لا يمكنها تحقيقه!

شعرت بموجة شديدة من البهجة تغمرها، ولاحظت وجود زملائها المخلصين من حولها، بدوا وكأنهم قد ارتقوا فجأة إلى مكانة عالية.

حدثت الأنسة كارنابي نفسها بوقار قائلة: "وكانهم أشجار تسير..."

رفعت يدها، وكانت هذه الحركة حركة هادفة يمكنها من خلالها أن توجه أي أمر إلى أي شخص في العالم. إن يوليوس قيصر ونابليون وهتلر أشخاص بائسون، بل أقزام! لا يعرفون شيئاً عما يمكنها هي إيمي كارنابي أن تفعله! فهي ستخطط غداً لنشر السلام والإخاء في العالم، ويجب ألا تكون هناك حروب بعد الآن، ولا فقر، ولا أمراض، فستشكل آمي كارنابي عالماً جديداً.

أجاثا كريستي

لكن لا حاجة إلى العجلة، فالوقت ممتد ولا نهاية له،
فالدقيقة تتبع الدقيقة، والساعة تتبع الأخرى! شعرت الآنسة
كارنابي بأن أطرافها ثقيلة، لكن عقلها كان متحرراً على نحو
مبهج. يمكنه أن يتجول في العالم بأسره بكل حرية، استغرقت
في النوم، ثم حلمت ... مساحات شاسعة ... أبنية واسعة ... عالم
جديد ورائع ...

أخذ هذا العالم الفسيح ينكمش شيئاً فشيئاً ... فتناوبت
الآنسة كارنابي، وحركت أطرافها المتيبسة، وأخذت تفكر ماذا
حدث منذ البارحة؟ لقد رأت حلمًا الليلة الماضية ...

كان القمر قد بزغ، وقد تمكنت الآنسة كارنابي في ضوءه أن
تميز الأرقام في ساعة يدها، وما أثار دهشتها أن الساعة كانت
تشير إلى العاشرة إلا الربع، وكانت الشمس على حد علمها قد
غربت في الثامنة وعشر دقائق، أي منذ ساعة وخمس وثلاثين
دقيقة فقط، مستحيل، ولكن ...

قالت السيدة كارنابي لنفسها: " هذا أمر مدهش للغاية "

قال هيركيول بوارو: " يجب أن تتبعي التعليمات بعناية شديدة،
هل تفهمين؟ "

فقالت " حسناً يا سيد بوارو، يمكنك الاعتماد عليّ "

فقال لها: " لقد تحدثتِ عن نيتك في دعم الطائفة، أليس
كذلك؟ "

قالت: " بلى يا سيد بوارو، لقد تحدثت مع الراعي ...
معدرة ... مع الدكتور أندرسون بنفسني، وقد أخبرته بحماس

شديد كيف مثل لي هذا الأمر برمته اكتشافاً رائعاً، وكيف أنني ذهبت إلى هناك من أجل السخرية، ولكنني أصبحت مؤمنة به. بدا من الطبيعي أن أقول كل هذه الأمور، فالدكتور أندرسون يتمتع بالكثير من السحر والجادبية".

قال هيركيول بوارو بنبرة حادة: "أعي ذلك".

تابعت قائلة: "لقد كان أسلوبه مقنعاً تماماً، ويجعلك تشعر وكأنه لا يهتم بالمال على الإطلاق. فهو يقول دائماً: "تبرع بما يمكنك التبرع به من المال، وإن لم تستطع، فلا بأس، فأنت فرد من القطيع على أية حال" فقلت له: "آه يا دكتور أندرسون، إن حالتي المادية ليست سيئة إلى هذا النحو، لقد ورثت مبلغاً كبيراً من المال من أحد أقاربي غير المباشرين، ورغم أنني لا يمكن أن أتصرف في هذه الأموال بشكل فعلي حتى أنهى بعض الإجراءات القانونية، فإن هناك شيئاً واحداً أريد تحقيقه على الأرض"، ثم وضحت له أنني أريد أن أترك وصية، وأنتي أريد أن أترك كل أموالى للطائفة، فليس لدي أقارب مقربون مني". فسألها بوارو: "وبالتأكيد قبل الوصية بكل لطف؟".

فقالت: "لم يكن مرحباً بهذا الأمر، وقال لي إن أمامي سنوات طوياً لأعيشها، وأن بانتظاري حياة طويلة مليئة بالفرح والهدوء الروحي. لقد كان حديثه مؤثراً للغاية".

فقال بوارو: "إذن هكذا بدا لك الأمر".

ثم واصل بوارو حديثه بنبرة جافة قائلاً: "هل ذكرت له حالتك الصحية؟".

أجاثا كريستي

فأجابت قائلة: "نعم يا سيد بوارو، لقد أخبرته بأنني أعاني مشكلة في الرئتين تظهر بين الحين والآخر، ولكنني أمل أن يكون العلاج النهائي الذي تلقيته في إحدى المصححات منذ عدة سنوات مضت قد قضى عليها تمامًا".

فقال بوارو لها: "رائع!".

"رغم ذلك إنني لا أستطيع أن أفهم لماذا يتوجب علي أن أقول إنني أعاني مرض السل، في حين أن رثتي سليمتان".

فقال لها بوارو: "أنا أؤكد لك أن هذا الأمر ضروري للغاية. هل تحدثت عن صديقتك؟".

فقالت له: "نعم، لقد أخبرته (بسرية تامة) أن صديقتي العزيزة إيميلين سترث، إلى جانب الثروة التي ورثتها عن زوجها، مبلغًا أكبر من المال من عمته التي كانت مرتبطة بها بشدة".

فقال: "رائع، هذا من شأنه أن يحافظ على حياة السيدة كليج في الوقت الحالي".

فسأته قائلاً: "آه يا سيد بوارو، هل تعتقد حقًا أن هناك شيئًا غير طبيعي؟".

قال بوارو: "هذا ما أسعى لاكتشافه، هل قابلت السيد كول في ذلك المحراب؟".

فقالت: "كان هناك رجل يدعى السيد كول في آخر مرة كنت فيها هناك، وهو رجل غريب للغاية، يرتدي سروالًا قصيرًا ذا لون أخضر، ولا يأكل سوى الملفوف. إنه مؤمن متحمس للغاية".

فقال بوارو: "حسنًا، إن كل شيء يسير على خير ما يرام، أقدم لك تحياتي على العمل الذي قمت به، فكل شيء جاهز الآن لمهرجان الخريف".

"آنسة كارنابي، دقيقة من فضلك".

قالتها السيد كول وهو يمسك بها، وكانت عيناه لامعتين ومتقدتين.

ثم قال: "لقد رأيت رؤيا، رؤيا عجيبة للغاية، لا بد أن أخبرك بها".

فتهدت الأنسة كارنابي، وكانت خائفة من السيد كول ومن رؤاه، وكانت هناك بعض الأوقات التي ظنت فيها أن السيد كول مجنون.

وقد رأت في بعض الأحيان أن هذه الرؤى مخجلة للغاية، وقد ذكّرتها ببعض الفقرات الموجودة في ذلك الكتاب الألماني المعاصر الذي يتحدث عن العقل الباطن، والذي كانت قد قرأته قبل مجيئها إلى ديفون.

بدأ السيد كول يتحدث في إثارة وعيناه تلمعان، وشفته تترتشان، قائلاً: "كنت أتأمل، وأفكر في مدى اتساع الحياة وفي الفرح العظيم للوحدانية، وفجأة اتسعت عيناى ورأيت ..."

تمالكت الأنسة كارنابي نفسها، وأعربت عن أملها في ألا يكون ما رآه كول هو ما شاهده في المرة الأخيرة التي كانت على ما يبدو طقوس الزواج السومرية القديمة.

أجاثا كريستي

انحنى السيد كول نحوها وهو يلهث بشدة، ويبدو الجنون في عينيه (نعم بالفعل كان كذلك)، وقال لها: "لقد رأيت جسداً نورانياً يهبط من السماء في موكبه الناري".

تنفست الأنسة كارنابي الصعداء، فهذا الحلم أفضل مما سبقه، فهي لا تمانع أن تستمع إليه.

واصل السيد كول حديثه قائلاً: "وكان أسفلهُ المئات والمئات من الطاولات الرائعة، وصرخ في صوت يقول لي: "انظر، واكتب، واشهد بما ستراه ..."

توقف عن الكلام فقالت الأنسة كارنابي بأدب: "وماذا بعد؟". فأضاف قائلاً: "كانت هناك على الطاولات الكثير من الضحايا المقيدة العاجزة التي تنتظر السكين، وكانت عبارة عن مئات من الشابات العذارى الجميلات".

ضغط السيد كول على شفتيه، واحمرت وجنتا الأنسة كارنابي.

ثم استطرد قائلاً: "ثم أتت غربان تطير من الشمال، واجتمعت مع غربان هذا الجسد النوراني، وأخذت تحوم في الجو بسرعة كبيرة، ثم انقضت على العذارى واقتلعت أعينهن، ثم صدر صوت نحيب وصرير أسنان، وصاح صوت قائلاً: "ها هي الذبيحة، فالיום تُوَقَّع أخوةُ الدم!"، ثم انقض العمال على ضحاياهم، ورفعوا سكاكينهم ... وشوهوا ضحاياهم ..."

ابتعدت الأنسة كارنابي بعد عناء عن معذبها الذي كان اللعاب يسيل من فمه في نوع من أنواع الحماس السادي، وقالت له: "اعذرني دقيقة واحدة".

ثم أسرع متوجهة نحو ليبسكومب، الرجل الذي كان يجلس في الكوخ الصغير الذي يمنح التصريح بدخول التلال الخضراء، والذي صادف أنه كان يمر بهما.

قالت له: "إنني أتساءل إذا كنت قد وجدت دبوسًا مزخرفًا خاصًا بي، لقد سقط مني في مكان ما على الأرض".

اكتفى ليبسكومب - الذي كان رجلًا محصنًا ضد الجمال والضوء الموجودين في التلال الخضراء - بالتذمر والقول بأنه لم ير أي دبوس مزخرف، وأن ليس من عمله أن يبحث عن الأشياء، وحاول الابتعاد عن الآنسة كارنابي، ولكنها ظلت تمشي إلى جواره تتحدث معه حول الدبوس المزخرف الخاص بها، حتى ابتعدت بشكل كبير عن السيد كول المتحمس.

وفي تلك اللحظة، خرج الراعي نفسه من الحظيرة العظيمة، وقد شجعتهما ابتسامته الجميلة على المغامرة والتحدث معه عن رأيها.

هل كان يعتقد أن السيد كول كان ... كان ...

ربت الراعي كتفها، وقال لها: "ينبغي أن تطردي عنك الخوف، فالحب الحقيقي يحررنا من الخوف..."

فقالت: "لكنني أعتقد أن السيد كول مجنون، فتلك الرؤى التي يراها..."

قال الراعي: "ولكنه يرى بشكل غير واضح من خلال زجاج طبيعته الجسدية، ولكن سيأتي اليوم الذي يرى فيه من خلال روحه مباشرة".

أجاثا كريستي

شعرت الآنسة كارنابي بالإحراج، وحاولت نتيجة ذلك تقديم اعتراض بسيط، وقائلة: "وهل يجب أن يكون السيد ليبسكومب وقحاً إلى هذا الحد الكبير؟".

ابتسم إليها الراعي ابتسامته الجذابة مرة أخرى، وقال لها: "إن ليبسكومب حارس أمين، إنه رجل بسيط، وبدائي، ولكنه مخلص، مخلص للغاية".

واصل الراعي السير، فرأته الآنسة كارنابي يلتقي بالسيد كول ثم توقف وربت كتفه، وتمنت في تلك اللحظة أن يغير تأثير الراعي عليه من نطاق رؤاه المستقبلية.

على أية حال لم يبق سوى أسبوع فقط على مهرجان الخريف.

في ظهر اليوم الذي يسبق الاحتفال، قابلت الآنسة كارنابي هيركيول بوارو في مقهى صغير في بلدة نيوتن وودبري الصغيرة الهادئة، وكانت متوردة الوجنتين، وتلهث أكثر من المعتاد. جلست تحتسي الشاي وتفرك كعكة صغيرة بين أصابعها.

سألها بوارو العديد من الأسئلة، وأجابت عنها باقتضاب. ثم سألها قائلاً: "كم عدد الأشخاص الذين سيحضرون الاحتفال؟".

أجابت قائلة: "أعتقد أنهم مائة وعشرون، وإميلين ستكون هناك، وكذلك السيد كول - لقد أصبح غريباً للغاية مؤخراً. إنه يرى العديد من الرؤى، ويقص بعضها عليّ، إنها الأكثر غرابة، وإنني أتمنى، أتمنى حقاً ألا يكون قد أصيب بالجنون. وسيكون هناك العديد من الأعضاء الجدد، ما يقرب من عشرين".

"جيد، هل تعرفين ما يجب عليك فعله؟".

سادت دقيقة من الصمت قبل أن تقول الآنسة كارنابي بنبرة غريبة: "أعرف ما قلته لي يا سيد بوارو..."
فقال بوارو: "رائع!".

ثم قالت إيمي كارنابي بنبرة واضحة لا لبس فيها: "لكنني لن أفعل ذلك".

أخذ هيركيول بوارو يحدّق إليها، فهبت الآنسة كارنابي واقفة، وقالت بنبرة سريعة: "لقد أرسلتني إلى هناك للتجسس على الدكتور أندرسون، ووجهت إليه جميع أنواع التهم، لكنه رجل رائع، ومعلم عظيم. وأنا أوّمن به تمامًا ولن أقوم بالتجسس عليه أكثر من ذلك يا سيد بوارو! فأنا فرد في القطيع، والراعي يحمل رسالة جديدة للعالم، ومن الآن فصاعدًا أنا أنتمي إليه بجسدي وروحي، وسأدفع ثمن فنجان الشاي الخاص بي من فضلك".

وبعد أن انتهت من قول ذلك وضعت فجأة جنيهاً وثلاثة قروش، وخرجت مندفعة من المقهى.

قال هيركيول بوارو: "ياللهول! ما هذا؟!"

تحدثت إليه النادلة مرتين قبل أن يدرك أنها تقدم إليه الفاتورة، ثم وقعت عيناه المحدثتان على رجل ذي مظهر فظ يجلس على الطاولة المجاورة له، وقد توردت وجنتاه، ودفع الفاتورة، وانصرف.

وأخذ يفكر في الأمر بغضب شديد.

أجاثا كريستي

تجمعت الخراف مرة أخرى في الحظيرة الخضراء، وأخذوا يرددون الأسئلة والأجوبة الشعائرية.

سألهم الراعي قائلاً: "هل أنتم مستعدون لما نحن مقبلون عليه؟".

قالوا: "نعم مستعدون".

فقال لهم: "أعصبوا أعينكم وارفعوا أذرعكم اليمنى أمامكم؟".

أخذ الراعي العظيم يسير بين الصفوف المترتبة مرتدياً رداءه الأخضر الرائع، وأصدر السيد كول - الذي يأكل الملفوف ولا ينفك عن رؤية الأحلام - صرخة نشوة متألمة بعد أن اخترقت الإبرة جسده.

وقف الراعي العظيم أمام الأنسة كارنابي، وما إن لمست يده ذراعها ... قال السيد كول: "لا، لا لن تفعل شيئاً كهذا..."

إنها كلمات لا تصدق وغير مسبوقة، فساد الشجار وصيحات الغضب، فأزاح الجميع العصابات الخضراء عن أعينهم لتقع على مشهد لا يصدق، كان الراعي العظيم يتشاجر مع السيد كول في لباسه المصنوع من جلد الغنم بمساعدة أحد الأتباع الآخرين.

وفي نبذة احترافية سريعة، كان من يدعى في السابق أنه السيد كول يقول: "لديّ هنا أمر بالقبض عليك، وأحذرك من أي شيء قد تتفوه به من الممكن أن يستخدم دليلاً ضدك عند محاكمتك".

كان هناك أشخاص آخرون يقفون الآن على باب حظيرة الخراف، يرتدون زياً أزرق اللون.

صاح شخص ما قائلاً: "الشرطة، لقد قبضوا على الراعي، لقد قبضوا على الراعي..."

صُدم الجميع، وشعروا بالخوف الشديد... واعتبروا الراعي العظيم شهيداً يعاني، فجميع المعلمين العظماء قد عانوا كثيراً جهل العالم الخارجي واضطهاده...

في هذه الأثناء كان المفتش كول يتحفظ على الحقنة التي كان تُحقن تحت الجلد والتي سقطت من يد الراعي العظيم. "صديقتي الشجاعة!"

قالها السيد بوارو وهو يصافح الأنسة كارنابي بحرارة ويقدمها إلى رئيس الشرطة جاب.

قال السيد جاب رئيس الشرطة: "أداء متميز يا آنسة كارنابي، ما كنا لنفعل ذلك دون مساعدتك، وهذه حقيقة".

شعرت الأنسة كارنابي بالإطراء الشديد، وقالت: "يا إلهي، إنه للطف منك أن تقول هذا... وأخشى أن تعرفاً أنني كنت أستمتع بهذا العمل كثيراً. استمتعت بهذه الإثارة التي كنت أشعر بها، وبأداء دوري كذلك. لقد اندمجت في هذا الأمر في كثير من الأحيان حتى إنني شعرت بأني واحدة من هؤلاء النسوة الحمقاوات".

قال جاب: "وهذا هو سر نجاحك، لقد كنت أداة حقيقية، لم يكن هناك أي شيء آخر يمكن أن يوقع بهذا الرجل إنه وغد ذكي للغاية"، استدارت الأنسة كارنابي إلى بوارو، قائلة له: "لقد كان

أجاثا كريستي

ذلك الوقت في المقهي صعباً للغاية، لم أكن أعرف ما يتوجب عليّ فعله، كان عليّ أن أتصرف بشكل ارتجالي".

قال السيد بوارو بحرارة: "لقد كنت رائعة، لقد ظننت للحظة أن أياً منا قد تخلى عن صوابه، لقد ظننت للحظة أنك تعين ما تقولين".

قالت الأنسة كارنابي: "لقد كانت بمنزلة صدمة بالنسبة إليّ، فبينما كنا نتحدث بسرية، رأيت في المرأة السيد ليبسكومب الذي كان يقوم على حراسة المرعى، كان يجلس على الطاولة المجاورة لي. لم أكن أعرف إن كانت هذه مجرد مصادفة أم أنه كان يراقبني. وكما قلت كان يجب عليّ حينها أن أفعل ما بوسعي، وكنت واثقة بأنك ستفهم الموقف".

ابتسم بوارو.

ثم قال: "لقد فهمت بالفعل، فقد كان هناك شخص يجلس على مقربة من طاولتنا ليستمع إلى كل ما نقوله، وبمجرد أن غادرت المقهى، رتبت لأن يتبعه أحدهم، وعندما ذهب مباشرة إلى المرعى، أدركت حينها أن بإمكانني الاعتماد عليك، وأنت لم تتخلي عني، ولكن ازداد خوفي عليك؛ لأن هذا من شأنه أن يزيد الخطر من حولك".

فقالت: "هل ... هل كان هناك خطر حقيقي، ماذا كان هناك في هذه الحقنة؟".

فقال جاب: "هل ستوضح لها الأمر، أم أتولى أنا ذلك؟".

قال بوارو بنبرة تنم عن الخطورة: "يا آنستي إن الدكتور أندرسون هذا قد أعد مخططاً متقناً للاستغلال والقتل؛

القتل بطرق علمية، فقد قضى معظم حياته في البحوث البكتريولوجية، وكان له معمل كيميائي في شيفيلد تحت اسم آخر، حيث يعمل هناك على تحضير مجموعة كبيرة من البكتيريا المختلفة، وكان يقوم في هذه الاحتفالات بحقن أتباعه بكمية صغيرة، ولكنها كافية، من القنب الهندي، الذي يعرف أيضاً باسم الحشيش أو البانج. وهذا يسبب حدوث أوهام ومنتعة عظيمة؛ ما جعل أتباعه مؤيدين ومخلصين له للغاية، فتلك هي السعادة الروحية التي وعدهم بها.

قالت الأنسة كارنابي: "إنه شعور رائع للغاية، رائع للغاية بالفعل".

أوما هيركيول بوارو، وقال: "هذا هو رصيده العام في التجارة؛ الشخصية المهيمنة، وقوة خلق هيسستيريا جماعية وردود فعل ينتجها هذا العقار، ولكن كان لديه هدف ثان".

وواصل بوارو حديثه قائلاً: "لقد أوصت النساء الوحيدات في لحظات امتنانهن وحماستهن بترك أموالهن لهذه الطائفة، وقد ماتت هؤلاء النساء الواحدة تلو الأخرى، متن في منازلهن وعلى ما يبدو لأسباب طبيعية، وسأحاول أن أشرح هذا الأمر دون استخدام مصطلحات متخصصة، فمن الممكن عمل مزارع مكثفة لبعض البكتيريا، فبكتيريا كولي كوميانس، على سبيل المثال، تسبب التهاب القولون التقرحي، كما يمكن إدخال بكتيريا التيفود في الجسم، كما هي الحال بالنسبة إلى المكورات الرئوية، وهي غير ضارة لأي شخص سليم، لكنها تحفز ظهور مرض السل لدى أي شخص كان مصاباً به من قبل. هل تدركان

مدى ذكاء هذا الرجل؟ ومن ثم تحدث هذه الوفيات في أماكن مختلفة من البلاد، وفي حضور أطباء مختلفين ودون إثارة أي نوع من الشكوك. وعلى ما أعتقد أنه تمكن من ذلك بتحضير مادة لها القدرة على تأخير عمل البكتيريا، ولكنها تكثف من قدرة البكتيريا المختارة في الوقت نفسه."

قال رئيس الشرطة جاب: "يا له من شرير ملعون!"

استكمل بوارو قائلاً: "لقد أخبرته كما طلبت منك بأنك مريضة سل، وكان في الحقنة التي أراد أن يحقنك بها عندما ألقى كول القبض عليه التوبركولين القديم المسبب للسل. ونظراً لأنك سليمة وذات صحة جيدة؛ لم يصبك هذا العقار بأي ضرر، وهذا ما جعلني أطلب منك أن تؤكد لي عليه إصابتك بالسل، وكنت خائفاً من أنه قد يختار جرثوماً آخر ولكنني احترمت شجاعتك، وتركتك تخوضين المخاطرة."

قالت الأنسة كارنابي في ابتهاج: "أه، كل شيء على خير ما يرام، أنا لا أمانع في أن أخاطر، فقد كنت خائفة فقط من الثيران الموجودة في الحقول، وأشياء من هذا القبيل، ولكن هل لديك أدلة كافية لإدانة هذا الشخص الحقيقير؟"

ابتسم جاب، وقال: "لدينا العديد من الأدلة، لدينا المعمل الخاص به، والبكتيريا التي عمل على تحضيرها وكل تصميماته."

قال بوارو: "أعتقد أنه من الممكن أن يكون قد ارتكب العديد من الجرائم، وأستطيع أن أقول إن فصله من الجامعة الألمانية كان بسبب أمر عنصري، ولكن هذه القصة كانت مناسبة بالنسبة

إليه ليعود مرة أخرى إلى العمل ويكسب تعاطف الآخرين معه.
أعتقد أنه من أصل آري خالص".

تنهدت الأنسة كارنابي، فسألها بوارو قائلاً: "ماذا هناك؟".
أجابت الأنسة كارنابي قائلة: "كنت أفكر في هذا الحلم
الرائع الذي رأيته في المهرجان الأول، أعتقد أنه كان نتيجة
تأثير الحشيش، لقد قمت بتنظيم العالم بطريقة رائعة!
لا وجود لحروب أو فقر أو مرض أو قبح..."
قال جاب بنبرة تنم عن غبطته لها: "لا بد أنه كان حلمًا
جميلًا".

نهضت الأنسة كارنابي وقالت: "لا بد أن أذهب إلى المنزل،
إن إيميلي قلقة للغاية. وعزيزي أوجست يفتقدني بشدة".
قال هيركيول بوارو مبتسمًا: "ربما هو خائف أن تموتي أنت
كذلك من أجل هيركيول بوارو!".

الإشارة الحمراء

قالت السيدة إيفرسلي وهي تفتح عينيها الجميلتين اللتين تخلوان من أي تعبير: "لا، ولكن يا له من أمر مثير، إنهم يقولون دائماً إن المرأة لديها حاسة سادسة، فهل تعتقد أن هذا الأمر صحيح يا سيد ألينجتون؟".

ابتسم الطبيب النفسي الشهير بسخرية، فهو يحتقر إلى حد كبير هذا النوع من السيدات الجميلات الحمقاوات من أمثال ضيفته، فكان ألينجتون ويست متخصصاً ضليعاً في الأمراض العقلية والنفسية، وكان مدركاً تماماً مكانته وأهميته، فقد كان رجلاً ذا شخصية مهيبة.

فقال لها: "هناك الكثير من الهراء الذي يقال فيما يتعلق بهذا الموضوع على حد علمي يا سيدة إيفرسلي، فما الذي يعنيه مصطلح الحاسة السادسة؟".

فقالت له: "أنتم أيها العلماء دائماً ما تكونون صارمين للغاية، فتلك الطريقة التي يمكن للمرء من خلالها أن يعرف بعض الأشياء ويشعر بها هي طريقة غير طبيعية أعني أنها غريبة للغاية. إن كلير تعرف ما أعنيه، أليس ذلك يا كلير؟".

انتظرت رد مضيفتها وهي متجهمة قليلاً وتميل بكتفها إلى الأمام.

لم تجب كليبر ترنت على الفور، وقد كان حفل العشاء محدوداً للغاية، حيث كان مقتصرًا عليها هي وزوجها، والسيدة فيوليت إيفرسلي، والسيد ألينجتون ويست، وابن أخيه ديرموت ويست الذي كان صديقًا قديمًا لجاك ترنت وهو رجل بدين بعض الشيء ذو وجه متورد وابتسامة تدل على تمتعه بروح الفكاهة، وضحكة جميلة، فتولى هو الرد قائلاً: "هذا هراء يا سيدة فايلت! فقد تموت صديقتك المقربة في حادث قطار، فتتذكرين على الفور أنك قد حلمت بقطة سوداء يوم الثلاثاء الماضي... أمر عجيب... فقد شعرت طوال هذه الفترة بأن شيئاً ما سيحدث!"

فقالت له: "أه! لا يا جاك أنت تخلط بين الهواجس والحدس الآن، يجب عليك أن تعترف الآن يا سيد ألينجتون بأن الهواجس أمر حقيقي؟"

أجاب الطبيب بحرص قائلاً: "ربما إلى حد كبير، ولكن المصادفة تلعب دوراً كبيراً في هذا الأمر، كما أن هناك دائماً ميلاً كبيراً إلى تحقيق أقصى استفادة من القصة بعد ذلك، ويجب عليك أن تضعي هذا في اعتبارك دائماً".

قالت كليبر ترنت بشكل مفاجئ: "لا أعتقد أن هناك شيئاً يسمى هاجساً أو حدساً أو حتى حاسة سادسة، ولا أي من هذه الأشياء التي نتحدث عنها جزافاً، فنحن نسير في هذه الحياة مثل القطار المندفع في الظلام نحو وجهة مجهولة".

قال ديرموت ويست وهو يرفع رأسه للمرة الأولى ليشاركهم الحديث: "هذا التشبيه غير صحيح يا سيدة ترنت"، وكان هناك

أجاثا كريستي

لمعان غريب في عينيه الرماديتين اللتين تتألقان بشكل غريب في ذلك الوجه أسمر اللون، وأضاف قائلاً: "أرأيت؟ فقد نسيت الإشارات".

فقال متسائلة: "الإشارات؟".

فأجاب: "نعم، الإشارة الخضراء تعني أن كل شيء على ما يرام، والإشارة الحمراء تعني أن هناك خطراً".

قالت السيدة فيوليت إيفرسلي متنهدة: "الأحمر يعني الخطر، يا له من أمر مثيراً".

أشاح ديرموت بنظره عنها بنفاد صبر.

وقال: "إنها طريقة فقط لوصف ما تقصدينه بالطبع، الخطر أمامك! الإشارة حمراء! احذري!".

حدقت إليه في فضول قائلة: "أنت تتحدث كأنك قد مررت بهذه التجربة بشكل فعلي أيها الولد العجوز ديرموت!".

فقال لها: "نعم، لقد مررت بتجربة كهذه بالفعل".

فقالت له: "أرو لنا القصة إذن".

فقال: "يمكنني أن أعطيك مثلاً لذلك: عندما كنت في أحد البلاد بعد عقد الهدنة بها، دخلت خيمتي ذات ليلة وهناك شعور قوي يسيطر عليّ، وكأنه يقول لي هناك خطراً انتبه! ولم أكن أعرف على الإطلاق ما سبب هذا الشعور! فقامت بجولة حول المعسكر وأخذت أحدث ضجة بلا داع، واتخذت جميع الاحتياطات ضد أي هجوم من الأعداء، ثم عدت إلى خيمتي، وبمجرد أن دخلت الخيمة، تملكني هذا الشعور مرة أخرى أكثر

من أي وقت مضى؛ شعور بالخطر! وفي النهاية أخذت بريطانية وخرجت من الخيمة ولففت بها نفسي ونمت."

فسألته قائلة: "حسنًا، وماذا بعد؟"

فاستطرد قائلاً: "وفي صباح اليوم التالي، عندما دخلت الخيمة، كان أول شيء رأيته هو سكين طويل يصل طوله إلى نصف المتر مغروسًا في سريري في المكان نفسه الذي كنت سأنام فيه، وسرعان ما اكتشفت حقيقة الأمر، فمن فعل ذلك هو أحد الخدم، فقد أعدم ابنه رمياً بالرصاص بتهمة التجسس، فماذا تقول بشأن هذا الأمر يا عم ألينجتون باعتباره مثالاً لما أسميه الإشارة الحمراء؟"

ابتسم الطبيب وهو يشعر بالتباس الأمر قائلاً: "قصة مثيرة للغاية يا عزيزي ديرموت؟"

فقال له: "ولكنها ليست القصة التي يمكنك أن تتقبلها دون تحفظ، أليس كذلك؟"

فقال الطبيب: "نعم، نعم، لم يكن لدي أي شك بأنه كان لديك هاجس بوجود خطر يحيق بك، بالضبط كما ذكرت، ولكن الشيء الذي أعترض عليه هو مصدر هذا الهاجس. وفقاً لما تقوله، فإنه يأتي من العدم وتكون تحت تأثير مصدر خارجي يؤثر في عقليتك، ولكننا في هذه الأيام نجد أن كل شيء تقريباً ينبع من الداخل من اللاوعي."

صاح جاك ترنت قائلاً: "يا لهذا العقل الباطن الجيد، فهو المحرك الأساسي لكل الأمور هذه الأيام."

استطرد السيد ألينجتون دون أن يلقي بالآ لهذه المقاطعة، قائلاً: "أعتقد أنه عند تأملنا هذه القصة، فسنجد أن هذا الخادم كان خائناً، لكن عقلك الواعي لم يلحظ ذلك أو يتذكره، لكن الأمر مختلف تماماً مع عقلك الباطن، فالعقل الباطن لا ينسى أبداً، فنحن نؤمن أيضاً بأن بإمكانه التفكير وعمل الاستنتاجات بشكل مستقل تماماً عن العقل الواعي؛ فعقلك الباطن يؤمن بأنك ربما تتعرض لمحاولة اغتيال، ونجح في فرض خوفه على إدراكك الواعي".

قال ديرموت مبتسماً: "أعترف بأن كلامك مقنع للغاية".

عبست السيدة إيضرلي: "لكنه ليس مثيراً".

استطرد السيد ألينجتون قائلاً: "من المحتمل أيضاً أن عقلك الباطن كان مدركاً تلك الكراهية التي كان يكنها لك هذا الرجل، فما كان يُطلق عليه في الماضي توارد خواطر موجود بالفعل رغم أن الشروط التي تحكمه غير مفهومة بشكل كامل". سألت كليير ديرموت قائلة: "هل لديك أية أمثلة أخرى؟".

فقال: "أوه! نعم، ولكن لا تفسير لها على ما أظن، وأعتقد أنه يمكن إدراجها جميعاً تحت بند المصادفة، فقد رفضت دعوة لزيارة أحد المنازل الريفية لا لسبب سوى شعار "الإشارة الحمراء"، وقد احترق المكان خلال ذلك الأسبوع، بالمناسبة يا عم ألينجتون، أين دور العقل الباطن هنا؟".

قال ألينجتون مبتسماً: "أسف أن أقول إنه ليس له أي دور على الإطلاق".

فسأله قائلاً: "ولكن لديك أيضاً تفسيراً جيداً، هيا فلتقله الآن، فلا داعي لأن تكون متكلفاً مع أقاربك المقربين".
فقال الطبيب: "حسناً يا ابن أخي، إنني أرى أن سبب رفضك للدعوة هو سبب عادي للغاية وهو أنك لا تريد أن تذهب، وبعد وقوع الحريق، قلت ل نفسك إنك قد تلقيت إنذاراً بوقوع الخطر، وهو التفسير الذي تعتقده ضمناً".

ضحك ديرموت قائلاً: "لا أمل في، فدائماً ما تتفوق علي".
صاحت السيدة فيوليت إيفرسلي: "لا عليك يا سيد ويست، إنني أو من بما تسميه الإشارة الحمراء، هل كانت الإشارة التي تلقيتها وأنت في خارج البلاد هي آخر مرة شعرت فيها بهذه الإشارة؟".

مكتبة

t.me/soramnqraa

فقال ديرموت: "نعم... حتى...".
فسألته: "حتى ماذا؟".
فقال: "لا شيء".

جلس ديرموت صامتاً، فقد كانت الكلمات التي فارقت شفثيه تقريباً هي: "نعم، حتى هذه الليلة"، لقد باغته هذا الشعور في هذه اللحظة، ولكن السبب لم يدركه الوعي حتى الآن، لكنه أدرك على الفور أن تلك الإشارة الحمراء كانت صحيحة، فقد كانت تلوح في الأفق من الظلام، تقول إن هناك خطراً! إن هناك خطراً قريباً!

ولكن لماذا؟ ما الخطر الذي يمكن تخيل حدوثه هنا؟ فهذا هو منزل أصدقائه؟ ولكن في النهاية هناك نوع من الخطر. نظر إلى كليتر ترنت بوجهها الجميل، وجسدها النحيل، وشعرها

الذهبي الجميل المنسدل، ولكن ظل هذا الخطر موجوداً فترة من الوقت، لكن كان من المستبعد بالنسبة إليه أن يكون هذا الخطر جسيماً، فقد كان جاك ترنت هو أفضل صديق لديه، فهو الرجل الذي أنقذ حياته في مقاطعة فلانديرز، وقد رُشِح للحصول على وسام رفيع بسبب ذلك؛ إنه صديق جيد، بل من أفضل الأصدقاء، ويا لهذا الحظ الذي جعله يقع في حب امرأة متزوجة! ولكنه يعتقد أنه سيتخطى هذا الأمر يوماً ما بلا شك، فلا يوجد شيء يمكنه أن يستمر في إيذائه إلى الأبد هكذا، فبإمكانه التغلب على هذا الأمر، وهذا هو المطلوب، أن يتغلب على هذا الأمر وينسأه تماماً، ولم تكن كليبر لتخمن مثل هذا الأمر، وحتى إن خمنتها، فلن يكون هناك خطر؛ لأنها لن تكثر. إنها تشبه تمثالاً جميلاً مصنوعاً من الذهب والعاج والحجر المرجاني الوردي الشاحب ... ليست امرأة حقيقية بل هي حورية ...

كليبر ... كان مجرد التفكير في اسمها وترديده في صمت أمراً يؤلمه للغاية، لا بد من أن يتغلب على هذا، وعادة ما كان يهتم بالنساء من قبل ... حتى تردد صوت بداخله يقول: "لكن ليس هكذا"، حسناً، هذا هو الأمر، ولا يوجد هناك أي خطر، فالأمر يكمن في لوعة القلب، لكنه ليس خطراً؛ ليس خطر الإشارة الحمراء، فهذا يشير إلى أمر آخر.

نظر إلى المائدة المستديرة وخطر بباله للمرة الأولى بأن هذا التجمع صغير وغير مألوف؛ فعمه على سبيل المثال نادراً ما يتناول العشاء في تجمعات صغيرة غير رسمية كهذا التجمع،

ورغم أن الزوجين ترنت كانا صديقين قديمين له، فإن ديرموت لم يكن يشعر بأنه كان يعرفهما قبل هذه الليلة.

وقد تأكد أن هناك مبرراً لذلك، فقد كان من المفترض أن يحضر بعد تناول العشاء وسيطروحاني من أجل إقامة جلسة تحضير الأرواح، فقد اتضح أن السيد ألينجتون يهتم كثيراً بمثل هذه الأمور الروحانية. نعم، هذا مبرر بكل تأكيد.

لقد فرضت هذه الكلمة نفسها عليه، مثل مبرر، فهل كانت جلسة تحضير الأرواح مبرراً لجعل حضور الوسيط الروحاني على العشاء أمراً طبيعياً؟ إذا كان الأمر كذلك، فما الهدف الحقيقي من وجوده هنا؟ تسارعت مجموعة من التفاصيل إلى ذهن ديرموت - مجرد هراء لا يجدر ملاحظته في ذلك الوقت، أو كما قال عمه، أفكار لم يلحظها العقل الواعي.

لقد كان الطبيب العظيم ينظر بشكل غريب للغاية إلى كبير، أكثر من مرة، وبدا وكأنه يراقبها، فشعرت بعدم الارتياح نتيجة تدقيقه فيها على هذا النحو، فأصدرت بيديها بعض الحركات التي تدل على عصبيتها، فقد كانت متوترة؛ متوترة للغاية، هل من الممكن أن تكون خائفة؟ لماذا تشعر بالخوف إذن؟

طرد هذه الأفكار من رأسه وعاد إلى الحديث الذي كان يدور على المنضدة، فكانت السيدة إيفرسلي تستمع إلى الرجل العظيم الذي كان يتحدث عن تخصصه.

كان يقول: "سيدتي العزيزة، ما الجنون؟ يمكنني أن أؤكد لك أنه كلما ازدادت دراستنا لهذا الموضوع عمقاً، وجدنا صعوبة في إبداء الرأي فيه، فنحن جميعاً نمارس قدرًا معيناً من خداع

أجاثا كريستي

الذات، وعندما يحملنا بعيداً عن الواقع لدرجة أننا نعتقد أننا أصبحنا قياصرة روسيا، فإننا نقلع عن هذا الأمر، أو نشعر بأننا مقيدون، حيث يكون أمامنا طريق طويل حتى نصل إلى هذه النقطة، ولكن عند أي نقطة محددة ينبغي لنا أن نضع حداً ونقول: "هذا هو الصواب، وهذا هو الجنون؟"، ولعلك تعلمين أننا لا يمكننا فعل ذلك؛ لذا أقول لك إذا تمكّن الرجل الذي يعاني الوهم من أن يمسك لسانه، فلن نتمكن في جميع الاحتمالات من أن نميز بينه وبين الإنسان الطبيعي، فالسلامة العقلية الاستثنائية للمجنون هي الموضوع الأكثر إثارة".

أخذ السيد ألينجتون يرتشف كوب العصير الخاص به، وينظر بتقدير إلى الحضور.

قالت السيدة إيفرسلي: "كثيراً ما سمعت أنهم ماكرون للغاية، أعني المجانين".

قال الطبيب: "إنهم كذلك إلى حد كبير، إن كبت المرء لأوهامه له تأثير كارثي في كثير من الأحيان، فجميع حالات الكبت خطيرة للغاية، كما علمنا التحليل النفسي، فالرجل الذي يعاني انحرافاً معتدلاً غير ضار يمكنه التعايش مع هذا الأمر، ونادراً ما يتخطى حدوده"، وتوقف لحظة، ثم استطرد قائلاً: "أو المرأة التي تبدو للعيان طبيعية للغاية، قد تكون في الحقيقة مصدر خطر للمجتمع".

نظر خلسة إلى كليير عبر المنضدة، ثم تحول بنظره عنها، وارتشف بعض العصير مرة أخرى.

شعر ديموت بخوف شديد، فهل كان هذا هو ما يعنيه؟ هل كان هذا هو ما يود الوصول إليه؟ مستحيل، ولكن...
 تنهدت السيدة إيفرسلي قائلة: "بما أن كل هذا ينبع من كبت الشخص لنفسه، فأعتقد أنه يجب على المرء دائماً أن يكون حريصاً على... التعبير عن شخصيته، وإلا فإن المخاطر حينها تكون جسيمة للغاية".

احتج الطبيب قائلاً: "عزيزتي السيدة إيفرسلي، لقد أسأت فهم ما قلته. إن الخلل يكون ناتجاً عن حدوث مشكلة عضوية يتعرض لها المخ، وقد تنشأ في بعض الأحيان عن مؤثر خارجي مثل التعرض لضربة، وقد يكون في بعض الأحيان نتيجة تشوهات خلقية للأسف".

تنهدت السيدة على نحو غريب قائلة: "إن الأمراض الوراثية أمر محزن للغاية، مثل مرض السل وغيره من الأمراض".
 قال السيد ألينجتون بنبرة جافة: "إن السل ليس مرضاً وراثياً".

فقالت: "هل الأمر كذلك بالفعل؟ لطالما اعتقدت أنه وراثي بالفعل، ولكن الجنون هو أمر وراثي! يا له من أمر مروّع، وماذا أيضاً؟"

قال السيد ألينجتون مبتسماً: "النقرس، وعمى الألوان، وهذا الأخير مثير للاهتمام للغاية، حيث يظهر بشكل مباشر عند الذكور، ويكون غير ظاهر عند الإناث؛ لذلك نجد أن معظم المصابين بمرض عمى الألوان من الرجال، أما بالنسبة إلى السيدات فلا بد أن تكون هذه الصفة كامنة في والدتها، ولكن

أجاثا كريستي

ظاهرة لدى والدها، ولكن قد تحدث أمور أخرى تشذ عن هذه القاعدة، وهذا ما يُسمى بالوراثة المحددة للجنس".

فقالت له: "يا له من أمر مثير، لكن الجنون لا ينطبق عليه هذا الأمر، أليس كذلك؟".

قال الطبيب بنبرة جادة قائلاً: "يمكن أن يصيب الجنون كلاً من الرجل والمرأة على حد سواء".

وقفت كليز فجأة وهي تدفع مقعدها للخلف لدرجة أنه انقلب ووقع على الأرض، وكان وجهها شاحباً للغاية، وكانت الحركات الانفعالية لأصابعها واضحة للغاية.

ثم قالت بنبرة لم تخلُ من الالتماس: "لعلك لن تمكث هنا أكثر من ذلك، أليس كذلك؟ ستحضر السيدة تومسون إلى هنا خلال دقائق".

قال السيد ألينجتون: "سأتناول كوباً من العصير، وسأكون معكم على الفور، فلم آتِ هنا إلا من أجل رؤية ذلك الأداء الرائع للسيدة تومسون، أليس كذلك؟ هاها! فلست في حاجة إلى أي التماس"، ثم انحنى من باب الاحترام.

فابتسمت كليز ابتسامة باهتة تعبر عن الشكر والتقدير وخرجت من الغرفة وهي تمسك بذراع السيدة إيفرسلي.

قال الطبيب: "أنا آسف لأنني أتحدث عن أمور تخص العمل في غير مكان العمل"، ثم عاود الجلوس على مقعده مرة أخرى، ثم قال: "سامحوني أيها الأعزاء".

قالت ترنت في فتور: "كلا، على الإطلاق".

بدا متوترًا وقلقًا، لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها ديرموت بأن هناك شخصًا غريبًا بصحبة صديقه، يبدو أن بينهما سرًا لن يبوحا به حتى لصديق قديم مثله، ولكن الأمر برمته بدا خياليًا ولا يمكن تصديقه، فما الذي يبني عليه شكوكه؟ لا شيء سوى بضع نظرات وامرأة عصبية للغاية.

توقفوا عن تناول المشروبات ولكن لفترة قصيرة، وتوجهوا على الفور إلى غرفة الجلوس بمجرد الإعلان عن وصول السيدة تومسون.

كانت الوسيطة الروحانية امرأة ممتلئة الجسم في منتصف العمر، ترتدي ثيابًا بشعة من المخمل الأرجواني، وكان صوتها مرتفعًا عن المألوف.

قالت في مرح: "أتمنى ألا أكون قد تأخرت، لقد حددت موعداً وهو الساعة التاسعة، أليس كذلك؟"

قالت كليز بصوتها العذب ذي البحة البسيطة: "أنت منضبطة في مواعيدك دائماً يا سيدة تومسون، وهذه هي مجموعة صغيرة من أصدقائنا".

لم تكن هناك أية مقدمات كما هو معتاد، بل أخذت الوسيطة الروحانية تتفحصهم بنظراتها الحادة الثاقبة.

قالت بنبرة سريعة: "أتمنى أن نحصل على نتائج جيدة، لا يمكنني أن أصف لك مدى كراهيتي لأن أنصرف دون أن أحقق نتائج مرضية لمن استدعوني، إن هذا الأمر يصيبني بالجنون، لكنني أعتقد أن شيروماكو (وهو مساعدي الياباني كما تعلمون)

قادر على إنجاز الأمر الليلة. أشعر بأنني على خير ما يرام، فقد رفضت تناول الفطائر الويلزية التي أحب تناولها مع الجبن والخبز المحمص".

كان ديرموت يستمع، ولكنه لم يكن مستمتعاً بالأمر كثيراً، وكان يشعر ببعض الاشمئزاز، فكم كان الأمر مبتدلاً للغاية! لكن ألم يكن حكمه أحق؟ على أي حال كان كل شيء يبدو طبيعياً، فالقوى التي يستدعيها الوسطاء الروحانيون هي قوى طبيعية للغاية، كما هو مفهوم حتى الآن. فقد يخاف أي جراح عظيم من حدوث عسر هضم له عشية إجرائه لعملية دقيقة، فلماذا لا تبدو السيدة تومسون كذلك؟

وُضعت الكراسي على شكل دائرة، وكذلك المصابيح بحيث يمكن رفعها أو خفضها بسهولة. ولاحظ ديرموت أنه لم يكن هناك أي سؤال لاختبار مدى كفاءة السيدة تومسون، ولا حتى من السيد ألينجتون الذي كان يفعل ذلك من أجل إرضاء نفسه فيما يتعلق بهذه الجلسة، فما تفعله السيدة تومسون مجهول تماماً، فلقد كان السيد ألينجتون موجوداً هنا لهدف مختلف تماماً. لقد تذكر ديرموت أن والدته كليرك قد توفيت خارج البلاد، وقد كان هناك بعض الأمور الغامضة بشأنها... ربما عوامل وراثية.

أجبر عقله بسرعة على العودة إلى ما يحدث من حوله في تلك اللحظة.

جلس الجميع في أماكنهم، أطفئت جميع المصابيح، فيما عدا مصباحاً صغيراً ذا ظلال حمراء فوق منضدة بعيدة.

لم يسمع لبعض الوقت أي صوت سوى صوت النفس الخفيض للوسيلة الروحانية، ثم ازداد هذا الصوت شيئاً فشيئاً حتى صار أشبه بالشخير، ثم فجأة حدث شيء جعل ديرموت يقفز من مكانه، دوى صوت طرق من أقصى نهاية الغرفة، ثم تكرر من الجانب الآخر، ثم دوت أصوات متعددة لهذه الطرقات التي كانت مرتفعة للغاية، ثم تلاشت هذه الأصوات، ثم دوت أصوات ضحكات ساخرة في جميع أنحاء الغرفة، ثم ساد صمت شقّه صوت مختلف تماماً عن صوت السيدة تومسون، وهو صوت عالٍ وغريب للغاية.

قال هذا الصوت: "أنا هنا أيها السادة، نعم أنا هنا، أنتم ترغبون في توجيه بعض الأسئلة إليّ، أليس كذلك؟".
فقالت الوسيلة له: "من أنت؟ شيروماكو؟".
قال: "نعم، أنا شيروماكو، فأنا لا أعمل منذ فترة زمنية طويلة، أنا أعمل الآن، أنا سعيد للغاية".

ثم أخذ هذا الصوت يتحدث عن بعض التفاصيل الأخرى عن حياة شيروماكو، وكانت جميعها سطحية وغير مثيرة على الإطلاق، وقد سمعها ديرموت قبل ذلك. كان الجميع سعداء؛ سعداء للغاية. كانت الرسائل موجهة من بعض الأقارب الذين ذُكروا أوصافهم بشكل غامض، وكانت هذه الأوصاف عامة للغاية لدرجة أنه من الممكن أن تنطبق على أية أقارب، وكانت من حضرت هي سيدة مسنة وهي والدة أحد الحضور، وقد ترأست الجلسة بعض الوقت، وأخذت تقول بعض الحكم المأثورة المعاصرة، رغم أنها لم يكن لها علاقة بالموضوع.

فقالت كليبر: "بلى، وللآخرين كذلك".

تثاءبت السيدة تومسون قائلة: "أنا مرهقة للغاية. لقد بذلت قصارى جهدي بالفعل، لكي أنال رضاكم، على أية حال أنا سعيدة للغاية لهذا النجاح، فكنت خائفة ألا يتحقق، أو أن يحدث شيء مزعج، فلديّ إحساس غريب بشأن هذه الغرفة الليلة".

أخذت تنظر خلسة إلى الحضور جميعاً، ثم ارتعشت على نحو غير مريح، ثم قالت: "لا أحب الخوض في مثل هذه الأمور، ولكن هل حدثت وفاة بين أي أحد من أقاربكم أخيراً؟".

فقالت كليبر: "ماذا تعنين بأقارب أحدنا؟".

أجابت قائلة: "أقارب مقربون يا صديقتي العزيزة. حسناً، إن كان لي أن أكون أكثر إثارة فيمكنني أن أقول إنني أشم رائحة الموت في أجواء هذه الليلة، وربما قد يكون هذا مجرد هراء. إلى اللقاء يا سيدة ترنت، أنا سعيدة أنني نلت رضاك".

انصرفت السيدة تومسون بردائها المخملي الأرجواني.

همهمت كليبر قائلة: "أتمنى أن تكون قد استمتعت يا سيد ألينجتون".

قال لها: "لقد كانت أمسية مثيرة للغاية بالنسبة إلي سيدتي العزيزة، أشكرك شكراً جزيلاً لمنحي هذه الفرصة. أتمنى لك ليلة سعيدة. ستذهبين لاستكمال سهرتك، أليس كذلك؟".

فسألته: "ألن تأتي معنا؟".

فقال: "لا، لا فإنني ملتزم بالذهاب إلى النوم في الحادية عشرة والنصف، طابت ليلتك ... طابت ليلتك يا سيدة إيفرسلي.

أما ديرموت، أريد أن أتحدث معك. هل يمكنك أن تأتي معي الآن؟
ويمكنك أن تلحق فيما بعد بالآخرين في جرافتون جالاريز".
فقال ديرموت: "حسنًا يا عمي، سألتقي بكم هناك إذن يا
ترنت".

وتبادل العم وابن الأخ القليل من الكلمات خلال سيرهما في
ذلك الطريق القصير المؤدي إلى شارع هارلي ستريت، حيث قدم
السيد ألينجتون إلى ديرموت شبه اعتذار لإبعاده عن أصدقائه،
وأكد له أنه لن يؤخره سوى بضع دقائق فقط.
سأله بينما كانا ينزلان من السيارة: "أتريدني أن أترك لك
السيارة يا بني؟".

فأجابته: "لا تزعج نفسك يا عمي، سأستقل سيارة أجرة".
فقال له: "حسنًا، لا أحب أن أترك تشارلسون متيقظًا لوقت
متأخر أكثر من اللازم. طابت ليلتك يا تشارلسون، والآن أين
وضعت مفاتيحي؟".

تحركت السيارة بعيدًا، بينما كان السير ألينجتون يقف على
درجات السلم يبحث في جيبه عن المفتاح، ولكن دون جدوى.
ثم قال بعد فترة: "لا بد من أنني قد تركته في المعطف
الآخر، اقرع الجرس، إن جونسون مازال متيقظًا، على ما أظن".
فتح جونسون الهادئ الباب في غضون ستين ثانية.
شرح له السيد ألينجتون الأمر قائلًا: "لم أجد مفاتيحي،
فلتحضر لنا كأسين من العصير إلى المكتبة؟".
فقال جونسون: "حسنًا يا سيد ألينجتون".

دخل الطبيب المكتبة وأضاء المصابيح، وأشار إلى ديرموت بإغلاق الباب خلفه بعد دخوله.

قال له: "لن أؤخرك كثيراً يا ديرموت، ولكن هناك شيئاً ما أريد أن أقوله لك، إنني أظن، أنك لديك بالفعل مشاعر رقيقة - إن أمكننا قول ذلك - تجاه زوجة جاك ترنت؟".

اندفعت الدماء إلى وجه ديرموت، ثم قال: "إن جاك ترنت صديقي المقرب".

فقال له عمه: "معدرة، ولكن هذه ليست الإجابة عن سؤالي. أستطيع أن أقول إنك تعرف آرائي بشأن الطلاق ومثل هذه الأمور المعقدة للغاية، ولكن يجب أن أذكرك بأنك من تبقى لي من أقاربي؛ ومن ثم أنت وريثي الوحيد".

قال ديرموت بغضب: "ليس هناك طلاق".

فقال له عمه: "بالطبع لن يحدث هذا، لسبب ما أفهمه بشكل أفضل منك. ولا يمكنني أن أبوح لك به الآن، ولكنني أردت أن أحذرك. كليتر ترنت ليست لك".

واجه الشاب الصغير نظرات عمه بثبات، وقال له: "أنا أفهم ذلك، واسمح لي بأن أقول إنني أفهمه على نحو أفضل منك، فأنا أعرف سبب حضورك إلى العشاء هذه الليلة".

بدت علامات الدهشة بوضوح على وجه الطبيب، وقال له: "ماذا؟ كيف عرفت ذلك؟".

فأجابه قائلاً: "يمكنك أن تسميه تخميناً يا سيدي، هل أنا محق أم لا عندما أقول أنك كنت موجوداً هناك بصفتك المهنية؟".

أخذ السيد ألينجتون يذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

أجاثا كريستي

ثم قال له: "أنت محق تمامًا يا ديرموت، لم أكن أستطيع أن أخبرك بهذا الأمر بنفسى، رغم خوفاى من أن يعرف الجميع هذا الأمر".

انقبض قلب ديرموت.

وسأله: "هل تعنى أنك قد توصلت إلى الحل الصحيح؟".

فأجاب: "نعم، هناك حالة جنون فى العائلة من ناحية الأم، حالة محزنة، حالة محزنة للغاية".

فقال ديرموت: "لا أستطيع تصديق هذا الأمر يا سيدي".

فقال عمه: "يمكننى أن أقول لك إن هذا الأمر صحيح، فالرجل العادى لا يستطيع تمييز إلا بعض العلامات القليلة حال ظهورها".

فسأله: "وما الأمر الذى يعرفه المتخصص؟".

فأجابه قائلاً: "هناك دليل قاطع، فى مثل هذه الحالة يجب وضع المريض تحت الملاحظة قدر الإمكان".

قال ديرموت وهو يلتقط أنفاسه: "يا إلهى! لكن لا يمكنك أن تقيد أى شخص لم يفعل أى شىء على الإطلاق".

فقال له عمه: "عزيزى ديرموت، إن هذه الحالات لا توضع فى المصححة إلا عندما تكون مصدر خطر على المحيطين بها".

فسأله: "أتقول خطأ؟".

فقال الطبيب: "خطر شديد للغاية، فهو فى جميع الاحتمالات نوع غريب من الهوس بالقتل، كان الأمر كذلك فى

حالة أمها".

ابتعد ديرموت عن عمه، ودفن وجهه بين يديه، وأخذ يردد في نفسه: "كلير الجميلة ذات الشعر الذهبي!".
استطرد الطبيب بنبرة تنم عن الراحة: "في مثل هذه الظروف، أشعر بأنه من واجبي أن أحذرك".
همهم ديرموت قائلاً: "كلير، كلير المسكينة".
فقال عمه: "نعم، لا بد أن نشفق جميعاً عليها".
رفع ديرموت رأسه فجأة، ثم قال: "لا أستطيع تصديق هذا الأمر".

فقال عمه: "ماذا؟".

قال ديرموت: "أقول إنني لا أصدق ذلك، فالأطباء يخطئون، والجميع يعرف ذلك، إلى جانب أنهم حريصون على إثبات كفاءتهم في مجال تخصصهم".

صاح السيد ألينجتون بغضب قائلاً: "عزيزي ديرموت".

فقال ديرموت: "لقد أخبرتك بأنني لا أصدق ذلك، وعلى أية حال إن كان الأمر كذلك، فإنني لا أهتم على الإطلاق. أنا أحب كلير، وإذا وافقت على المجيء معي، فسأخذها بعيداً، بعيداً للغاية عن متناول الأطباء من متوسطي الكفاءة، سأحرسها، وأهتم بأمرها، وأظلمها بحبي وأسكنها قلبي".

فقال عمه: "لن تفعل أي شيء من هذا القبيل، هل جننت؟".
ضحك ديرموت بازدراء، قائلاً: "كنت أعرف أنك ستقول هذا".

قال السيد ألينجتون وقد احمر وجهه لما يكنه من عاطفة مكبوتة تجاه ابن أخيه: "أفهمني يا ديرموت، إذا فعلت شيئاً

أجاثا كريستي

كهذا، مثل هذا الأمر المشين، فستكون هي النهاية. سأحرمك من الميراث الذي أضعه الآن بين يديك، وسأكتب وصية جديدة أتبرع بموجبها بكل ما أملك إلى المستشفيات المختلفة".

قال ديرموت بصوت عالٍ: "افعل ما يحلو لك بمالك اللعين، أما أنا فسأتزوج المرأة التي أحبها".

فقال ألينجتون: "المرأة التي..."

صاح ديرموت قائلاً: "إن نطقت بكلمة أخرى تشينها، فسأقتلك!".

كان هناك صوت طقطقة بسيطة على الزجاج؛ ما جعلهما يتوقفان عن الكلام، حيث دخل جونسون الغرفة وهو يحمل صينية بها أكواب العصير، ولكنهما لم يلحظا دخوله لانخراطهما في جدالهما المحموم. كان ذلك الهدوء البادي على وجهه يدل على أنه خادم مخلص، ولكن ديرموت سأله عن قدر ما سمعه من حديثهما.

لكن السيد ألينجتون قال له بنبرة لطيفة: "شكراً لك يا جونسون، يمكنك أن تذهب لتنام".

فقال له: "شكراً يا سيدي، طابت ليلتك".

غادر جونسون.

وأخذ الرجلان ينظر كل منهما إلى الآخر، فقد أخذت مقاطعة حديثهما للحظة تلك العاصفة.

قال ديرموت: "لم يكن ينبغي لي أن أتحدث إليك بهذه الطريقة التي تحدثت إليك بها يا عماء، أستطيع أن أتفهم وجهة نظرك في هذا الأمر، لكنني أحب كليتر ترنت منذ فترة طويلة،

لكن لأن جاك ترنت صديقي المقرب؛ فقد منعتني ذلك من الحديث إلى كليير عن حبي لها، ولكن في ظل هذه الظروف لم تعد تهمني هذه الحقيقة. إن فكرة كون أي ظروف مادية رادعة لي هي فكرة سخيصة للغاية، أعتقد أننا قلنا كل ما يمكن قوله في هذا الصدد، طابت ليلتك".

فقال ألينجتون: "ديرموت..."

ولكن ديرموت بادره قائلاً: "من الأفضل ألا نتجادل أكثر من ذلك، طابت ليلتك يا عمي ألينجتون، أنا آسف، ولكن هذه هي حقيقة الأمر".

خرج بسرعة وأغلق الباب خلفه، كان الظلام يعم أرجاء الصالة، فتح الباب الأمامي وخرج إلى الشارع بعد أن أغلق الباب بشدة خلفه.

في هذه اللحظة، كانت هناك سيارة أجرة تُنزل راكباً عند منزل يبعد قليلاً عن المنزل، فأشار إليها ديرموت، وتوجه إلى جرافتون جالاريز.

وقف عند باب القاعة لدقيقة وهو يشعر بالحيرة وعدم الاتزان، حيث تصدر موسيقى الجاز الصاخبة، والنساء المبتسمات، وشعر كأنه قد دخل في عالم آخر.

هل كان يتخيل أن يحدث كل هذا؟ من المستحيل أن يتخيل وقوع مثل هذه المحادثة المروعة بينه وبين عمه، ومررت بجانبه كليير وكأنها زهرة سوسن في ثوبها الأبيض المتألئ الذي يتلاءم مع قوامها المشقوق، فابتسمت له، كان وجهها هادئاً ورقيقاً. إن هذا كله هو حلم بالتأكيد.

توقف الرقص، وكانت هي الآن بالقرب منه تبتسم له، وكما يحدث في الأحلام، طلب منها أن ترقص معه، وهي بين ذراعيه الآن، وبدأت الموسيقى الصاخبة مرة أخرى. شعر بأنها متعبة.

فقال لها: "هل أنت متعبة، أتريدين أن نتوقف؟".

فقالت له: "إذا لم يكن لديك مانع. هل يمكن أن نذهب إلى مكان نتحدث فيه قليلاً؟ هناك شيء أريد أن أقوله لك".

لم يكن هذا حلمًا، فقد أعادته الصدمة إلى الواقع، هل كان يمكن أن يظن أن وجهها هادئ ورقيق هكذا؟ كان يشعر بالقلق الشديد، فإلى أي مدى تعرف عن حقيقة الأمر؟

وجد مكانًا هادئًا، وجلسا فيه بجوار بعضهما، ثم قال وهو يتصنع الهدوء الذي لم يكن يشعر به: "حسنًا، لقد قلت إن هناك شيئًا ما تودين قوله لي؟".

فقالت وهي تخفض عينيها وتعبث بانفعال بحواف ثوبها: "إن الأمر صعب".

فقال لها: "أخبريني يا كليز".

فقالت: "إن كل ما في الأمر أنني أريدك أن تبتعد فترة من الوقت".

اندهش كثيرًا، فلم يكن يتوقع ذلك على الإطلاق.

وسألها قائلًا: "تريديني أن أبتعد عنك، لماذا؟".

قالت له: "من الأفضل أن أكون صريحة، أليس كذلك؟ أنا... أنا أعرف أنك رجل نبيل وأنتك صديقي كذلك، وأريدك أن تبتعد؛ لأنني لم أتحكم في نفسي وأحببتك".

فقال ديرموت: "كلير...".

عقدت كلماتها لسانه، فلم يستطع أن يتحدث.

فقالت: "أرجو ألا تعتقد أنني المرأة المغرورة للغاية للدرجة التي تجعلني أتخيل أنك... أنك قد تقع في حبي، بل إن كل ما في الأمر أنني لست سعيدة، و... أه! أود منك أن ترحل بعيداً عن هنا".

فقال: "كلير، ألا تعلمين أنني أحببتك... أحببتك للغاية منذ أن قابلتك؟".

رفعت عينيها المندهشتين إلى وجهه.

وقالت له: "هل أحببتني؟ هل كنت تحبني منذ فترة طويلة؟".

فقال: "منذ اللحظة الأولى التي قابلتك فيها".

فصاحت قائلة: "أه! لماذا لم تخبرني؟ وماذا بعد؟ ها قد أتيت إليك وأخبرتك بحبي لماذا تخبرني الآن بعد أن فات الأوان. لا، أنا مجنونة، أنا لا أعرف ما أقوله. لم يكن يجدر بي أن آتي إليك وأقول لك ذلك".

فسألها قائلاً: "كلير، ماذا تقصدين بقولك: "الآن بعد أن فات الأوان؟" هل هذا... هل هذا بسبب عمي؟ ماذا يعرف؟ ماذا يعتقد؟".

أومأت برأسها بلهفة، والدموع تسيل على وجهها.

قال لها: "اسمعي يا كلير، يجب عليك ألا تصدقي هذا، ينبغي لك ألا تفكري في هذا الأمر، بل يجب عليك أن تذهبي معي بعيداً، سنذهب إلى جزر ساوث سيز، حيث الجزر التي

أجاثا كريستي

تشبه الجواهر الخضراء، ستكونين سعيدة هناك، وسأعتني بك،
وسأجعلك في مأمن إلى الأبد".

طوقها بذراعيه، وجذبها إليه، وشعر بأنها ترتجف عندما
لمسها، ثم حررت نفسها منه فجأة.

وقالت له: "أه، لا من فضلك. ألا ترى؟ لا أستطيع الآن.
فسوف يكون ذلك أمرًا بشعًا، بشعًا، بشعًا. فلطالما أردت أن أكون
امرأة صالحة، أما الآن فسيصبح فعل ذلك أمرًا بشعًا كذلك".
تردد، وأصابه الارتباك بسبب كلماتها، ثم نظرت إليه نظرات
جذابة.

قالت له: "من فضلك، أريد أن أكون امرأة صالحة..."
ودون أن ينطق بأية كلمة، نهض واقفًا، وتركها، فقد تأثر
للفتنة بكلماتها، والتقط قبعته ومعطفه وتوجه نحو ترنت في
أثناء ذلك.

قال ترنت: "أهلاً يا ديرموت، هل ستغادر مبكرًا هكذا؟"
فقال ديرموت: "نعم، لست في حالة مزاجية جيدة للرقص
هذه الليلة".

قال ترنت بتجهم: "إنها ليلة سيئة، لكن ليس لديك ما لدي
من الهموم".

انتاب ديرموت رعب مفاجيء من أن يثق به ترنت، فهو لا
يريد ذلك ... لا يريد ذلك على الإطلاق!

قال بسرعة: "حسنًا، أنا ذاهب إلى المنزل، إلى اللقاء".
فقال له: "ماذا؟ المنزل؟ ماذا عن تحذير تلك الوسيطة
الروحانية؟".

فقال ديرموت: "سأتحمل هذه المخاطرة، طابت ليلتك يا جاك".

لم يكن منزل ديرموت يقع بعيداً، ففضل أن يمشي إلى هناك؛ فقد كان في حاجة إلى هواء الليلة البارد ليهدئ رأسه المحموم بالأفكار.

أدار المفتاح في الباب، ثم أضاء مصباح غرفة النوم. وعلى الفور وللمرة الثانية في تلك الليلة انتابه، ذلك الشعور الذي أطلق عليه الإشارة الحمراء، وقد تملَّكه هذا الشعور تماماً، حتى إنه نسي في هذه اللحظة أمر كبير تماماً. خطراً إنه في خطر. في تلك اللحظة، وفي هذه الغرفة، يحيق به خطر شديد.

لقد حاول أن يحرر نفسه من هذا الخوف ولكن دون جدوى. ربما لأن جهوده كانت غير صادقة تماماً. إذن فقد منحته تلك الإشارة الحمراء تحذيراً في الوقت المناسب لكي يتجنب وقوع الكارثة، وأخذ يسخر قليلاً من تلك الخرافات التي تدور في رأسه، وأجرى جولة حذرة في شقته، فمن الممكن أن يكون أحد المجرمين قد دخل الشقة واختبأ في مكان ما هناك، لكن بحثه لم يسفر عن شيء، فلم يكن خادمه ميلسون موجوداً في الشقة، وكانت الشقة خالية تماماً.

عاد إلى غرفة نومه وخلع ملابسه ببطء وهو يشعر بالتعاسة، كان شعوره بالخطر أكبر من أي وقت مضى. ذهب إلى أحد الأدراج ليلتقط منديلاً، وفجأة تجمَّد في مكانه. فقد كانت هناك كتلة في منتصف الدرج؛ شيء ما غير مألوف.

أجاثا كريستي

أخذ يزيل المناديل من الدرج بسرعة، وبأصابع مرتعشة أخرج الشيء المدسوس تحتها، لقد كان مسدسًا.

أخذ ديرموت يتفحصه بعناية وهو مندهش للغاية، كان من النوع غير المألوف، وقد أطلقت رصاصة منه مؤخرًا، ولم يتمكن من معرفة أي شيء عن المسدس بخلاف ذلك. لقد وضعه أحدهم في هذا الدرج هذا المساء، فلم يكن في هذا المكان عندما كان يرتدي ملابسه ليذهب إلى حفل تناول العشاء، إنه على يقين بذلك.

كان على وشك إعادته إلى مكانه مرة أخرى، عندما سمع جرس الباب يرن، وأخذ يرن مرارًا وتكرارًا بصوت غير معتاد في هدوء تلك الشقة الخالية.

من قد يأتي إليه في هذه الساعة؟ وكان هناك جواب واحد لهذا السؤال، وهو جواب غريزي ومؤكد.

"خطر، خطر، خطر..."

وعلى الفور عمد ديرموت مدفوعًا بغريزته ودون أن يفكر في عاقبة ذلك إلى إطفاء مصابيح شقته، وارتدى بسرعة المعطف الذي كان موجودًا على المقعد، ثم فتح الباب.

كان هناك رجلان يقفان بالخارج، ورأى ديرموت رجلًا يرتدي رداءً أزرق يقف خلفهما؛ إنه شرطي!

سأل أقرب رجل منهما إلى الباب قائلاً: "هل أنت السيد ويست؟"

شعر ديرموت بأنه استغرق دهرًا كاملاً قبل أن يجيب، ولكن في الحقيقة لم تمر إلا بضعة ثوان ليجد نفسه يقلد صوت

خادمه قائلاً: "لم يأت السيد ويست بعد، ماذا تريدون منه في هذا الوقت المتأخر من الليل؟".

فقال الرجل: "لم يأت حتى الآن؟ حسناً، أعتقد أنه من الأفضل أن ننتظره بالداخل".

فقال لهم: "لا، لا يجب عليكم فعل ذلك".

فقال أحدهم: "اسمعي أيها الرجل، أنا أدعى المفتش فيرال من شرطة إسكوتلاند يارد، ولديّ أمر بالقبض على سيدك، يمكنك الاطلاع عليه إذا أردت".

قرأ ديرموت الورقة بتمعن أو ربما تظاهر بفعل ذلك، وسأله بصوت ينم عن الدهشة: "بأي تهمة؟ ماذا فعل؟".

فقال المفتش: "بتهمة القتل، لقد قتل السيد ألينجتون ويست الذي يسكن في شارع هارلي ستريت".

شعر ديرموت بدوامة تقحّم رأسه، وتقهقر أمام زائريه المرعبين، وذهب إلى غرفة الجلوس وأضاء مصباحها، وتبعه المفتش.

التفت المفتش إلى الرجل الآخر وقال له: "فتش الشقة"، ثم التفت إلى ديرموت، وقال له: "اجلس هنا أيها الرجل، لن نتسلل إلى الخارج لتحذر سيدك، بالمناسبة ما اسمك؟".

فقال: "اسمي ميلسون يا سيدي".

فسأله: "في أي وقت تتوقع وصول سيدك إلى هنا يا ميلسون؟".

فقال له: "لا أعرف يا سيدي، لقد ذهب إلى حفلة في جرافتون جالاريز حسبما أعتقد".

أجاثا كريستي

فقال المفتش: "لقد غادر ذلك المكان منذ ساعة، هل أنت متأكد من أنه لم يأتِ هنا؟".

فقال: "لا أعتقد يا سيدي، فلو عاد لكنت قد سمعت صوته وهو يدخل".

في هذه اللحظة دخل الرجل الآخر من الغرفة المجاورة، وهو يحمل في يده مسدسًا، وأخذه إلى المفتش وقد بدا الحماس على وجهه، بينما اعتلى وجه الضابط الشعور بالرضا.

فقال: "هذا يحسم الأمر، لا بد أنه دخل البيت متسللاً وخرج منه دون أن تشعر به، بعد أن ترك المسدس هنا، ابق هنا يا كاولي، فلا بد أنه سيعود إلى هنا مرة أخرى. وأبق هذا الرجل تحت نظرك، فربما يعرف عن سيده أكثر مما يدعي".

خرج المفتش مسرعًا، وحاول ديرموت الحصول على المزيد من تفاصيل القضية من كاولي الذي كان على استعداد تام للتحدث باستفاضة معه.

بدأ حديثه قائلاً: "إنها قضية واضحة للغاية، لقد اكتشفت الجريمة على الفور، لم يلبث جونسون الخادم أن ذهب لينام حتى سمع صوت طلقة رصاص، فهبط إلى الأسفل بسرعة، فوجد السيد ألينجتون قد فارق الحياة، بطلقة في القلب، فاتصل بنا على الفور، وتوجهنا إليه واستمعنا إلى قصته".

سأله ديرموت: "وما الذي جعلها قضية واضحة؟".
فأجاب: "هي قضية واضحة بالطبع، لقد أتى السيد ويست الشاب مع عمه، وكانا يتشاجران عندما دخل جونسون بالعصير، وكان السيد ألينجتون يهدد ابن أخيه بأن يحرر وصية جديدة،

وكان سيدك يهدده بالقتل، وبعد خمس دقائق دوى صوت طلقة الرصاص. آه! نعم إن الأمر واضح للغاية. يا له من شاب أحمق! إن الأمر واضح للغاية حقًا، فقد بدأ قلب ديرموت يخفق بشدة عندما أدرك أن الدليل الموجه ضده واضح للغاية ولا يقبل أي شك. خطر بالفعل! خطر فظيع! ولا يوجد سبيل للنجاة، فأخذ يُعمل تفكيره للخروج من هذا المأزق. اقترح على الرجل أن يعد له كوبًا من الشاي، فوافق كاولي بسهولة، فقد فتش بالفعل الشقة وعلم أنه لا يوجد باب خلفي.

سُمح لديرموت بالذهاب إلى المطبخ، وبمجرد أن دخل المطبخ وضع الغلاية على النار، وأخذ يجعل الفناجين تصطك بالصحون، ثم تسلل بخفة إلى النافذة، ورفع اللوح الزجاجي للنافذة، وكانت الشقة في الطابق الثاني وكان خارج النافذة مصعد سلكي صغير كان بعض الأفراد يستخدمونه في الصعود والهبوط على الجزء المعدني منه.

قفز ديرموت من الشباك إلى الخارج بسرعة البرق، ثم هبط إلى أسفل باستخدام الحبل السلكي، وجُرحت يداها، حتى إنهما نزفتا، لكنه واصل هبوطه رغم ذلك.

وبعد عدة دقائق أخذ ينظر بحذر من خلف المبنى، وبعد أن اتجه نحو إحدى الزوايا، تظاهر بأنه مجرد شخص يقف بجانب الرصيف، وما جعله يشعر بالدهشة الشديدة أنه رأى جاك ترنت الذي كان يدرك تمامًا مدى خطورة الموقف.

فقال له: "يا إلهي! ديرموت! أسرع، لا تبقَ مكانك هنا".

أجاثا كريستي

أمسك به من ذراعه، ثم قاده إلى شارع جانبي، ثم إلى شارع آخر، كانت هناك سيارة أجرة وحيدة، أوقفها وقفزا فيها، وأعطى ترنت السائق عنوانه الخاص، ثم قال: "هذا هو أكثر الأماكن أمنًا في الوقت الحالي، فهناك يمكننا أن نقرر ما سنفعله بعد ذلك لكي ندحض تلك التهم الحمقاء الموجهة لك. لقد أتيت إلى هنا أملًا أن أحذرك قبل أن تتمكن الشرطة من الوصول إليك، ولكنني وصلت في وقت متأخر".

قال ديرموت: "لم أكن أعلم أنك قد سمعت بالأمر، جاك أنت لا تصدق ..."

فقال ترنت: "بالطبع لا أصدق ذلك يا صديقي الصدوق، لم يساورني الشك ولو لدقيقة واحدة، إنني أعرفك جيدًا، على أية حال، هذا عمل شرير، لا يمكن أن تقترفه، لقد أتوا إليّ وسألوا بعض الأسئلة، عن الوقت الذي أتيت فيه إلى جرافتون جالاريز، ومتى غادرت، في رأيك يا ديرموت من الذي فعلها؟".

أجاب: "لا يمكنني أن أتخيل، فمن فعل ذلك وضع المسدس في الدرج الخاص بي. وأعتقد أنه كان يراقبنا من كذب".

قال ترنت: "لقد كانت جلسة تحضير الأرواح هذه مجرد مزحة، لقد قالت له الوسيطة: "لا تذهب إلى المنزل". لقد كانت تقصد ذلك العجوز المسكين إلينجتون ويست، ولكنه ذهب إلى المنزل ليلقى مصيره".

قال ديرموت: "وهذا الأمر ينطبق عليّ أنا أيضًا، فقد عدت إلى المنزل ووجدت مسدسًا مدسوسًا وسط ملابسني، ووجدت مفتش شرطة كذلك".

قال ترنت: "أتمنى ألا يحدث لي أي شيء أنا الآخر، ها قد وصلنا".

دفع الأجرة، ثم فتح الباب الذي كان مغلقًا بالمزلاج، ثم قاد ديرموت إلى أعلى عبر سلالم مظلمة، حيث يوجد وكره، والذي كان عبارة عن غرفة صغيرة في الطابق الأول.

فتح الباب ودخل ديرموت، وأشعل ترنت المصابيح ثم تبعه. قال له: "إنك هنا الآن في مأمن في الوقت الحالي، والآن يمكننا أن نفكر معًا ونقرر ما أفضل ما يمكن فعله".

قال ديرموت فجأة: "لقد أخطأت في حق نفسي، كان لا بد لي من مواجهة الأمر، فالأمور تتضح لي الآن، إن كل الأمور تشير إلى أنها مؤامرة، علام تضحك؟".

أما ترنت فكان ينحني إلى الخلف بكرسيه يرتعش في متعة، فقد كان هناك شيء مرعب في صوته، كان هناك شيء مرعب بخصوص هذا الرجل كذلك، كان هناك بريق غريب في عينيه. وقال: "مؤامرة لعينة يا عزيزي ديرموت، وقد وقعت فريسة لها".

ثم جذب الهاتف نحوه.

فسأله ديرموت قائلًا: "ماذا ستفعل؟".

فأجابه قائلًا: "أتصل بشرطة إسكوتلاند يارد، وأقول لهم إن الطائر الذي يبحثون عنه عندي هنا في مأمن محبوس في قفصه ومعني المفتاح، نعم لقد أغلقت الباب عندما دخلت والمفتاح موجود معي في جيبتي. ليس من الجيد أن تنظر إلى الباب من خلفي، فهو يؤدي إلى غرفة كبير، وهي تغلقها من

جانبها، فهي تخاف مني، أنت تعرف أنها تخاف مني طوال الوقت، فهي تعلم دائماً عندما أفكر في ذلك السكين؛ السكين الطويل الحاد، أما أنت فلا، لا، لا... "

كان ديرموت على وشك أن ينقض عليه، لكن الآخر قام فجأة بإشهار مسدس قبيح الشكل في وجهه.

قال ترنت: "هذا هو الثاني، أما الأول فقد وضعته في درجك، بعد أن أطلقت النار منه على العجوز ويست؟ إلام تنظر من خلفي؟ إلى الباب؟ ليس له أية فائدة، حتى إن فتحته كبير، وقد تفعل ذلك من أجلك؛ فسأطلق النار عليك قبل أن تصل إليه، فلن أسدد الطلقة إلى قلبك، فلن أقتلك، سأصيبك فقط حتى لا تستطيع الهرب، فأنا أطلق النار ببراعة كبيرة، كما تعلم، لقد أنقذت حياتك ذات مرة، كم كنتُ أحمق. لا، لا أنا أريدك أن تُعدم، نعم لا بد أن تُعدم. ليس أنت من أريد أن أطعنه بالسكين، إنها كبير، الجميلة الرقيقة. كان العجوز ويست يعرف هذا، ولذلك قد أتى إلى العشاء هذه الليلة؛ فقد كان يريد أن يعرف إذا كنتُ مجنوناً أم لا. كان يريد إبعادي عن هذا المكان حتى لا أطعن كبير بالسكين، لكنني كنت ماکراً للغاية، أخذت مفتاحه ومفتاحك وتسليت من الحفل الراقص بمجرد أن وصلت إلى هناك، ورأيتك تخرج من منزله، فدخلت، وأطلقت عليه الرصاص وخرجت على الفور، ثم ذهبت إلى شقتك وتركت المسدس، وذهبت إلى جرافتون جالاريز مرة أخرى، وكنت هناك بمجرد وصولك، ثم وضعت المفتاح مرة أخرى في جيب معطفك بينما

كنت أتمنى لك ليلة سعيدة. لا أمانع أبداً في إخبارك بكل هذا الآن، فلا يوجد أحد آخر يسمعنا، وعندما تُعدم، أود أن تعرف أنني من فعلت بك هذا ... لا يوجد منفذ للهروب... يا إلهي! كم يضحكني هذا الأمر! فيم تفكر؟ هل تقول ما هذا الشيطان الذي أنظر إليه؟".

فقال ديرموت: "أفكر في بعض الكلمات التي اقتبستها الآن، من الأفضل يا ترنت ألا تذهب إلى البيت".
فسأله قائلاً: "ماذا تقصد؟".

فقال له ديرموت: "انظر خلفك!"، فالتفت ترنت حوله، فوجد كلاً من كليير والمفتش فيرال يقفان عند مدخل الغرفة المتصلة.

تحرك ترنت بسرعة، وأطلق المفتش فيرال رصاصة واحدة أصابت الهدف، فوق ترنت بمحاذاة المنضدة، وأسرع المفتش نحوه، بينما كان ديرموت يحدّق النظر إلى كليير وكأنه يحلم، فقد تبادرت الأفكار إلى ذهنه كل على حدة، عمه وشجارهما وسوء التفاهم الكبير، وقوانين الطلاق في إنجلترا التي لن تحرر كليير أبداً من زوج مجنون "ينبغي لنا جميعاً أن نشفق عليها"، وتلك الحيلة التي دبرتها كليير مع السيد ألينجتون، والتي استطاع ترنت בזكائه أن يكتشفها، وصراخها وهي تقول له: "بشعة، بشعة، بشعة!"، نعم ولكن الآن...

نصب المفتش قامته واعتدل قائلاً في غضب: "لقد مات".
سمع ديرموت صوت نفسه وهو يقول: "نعم، لقد كان دائماً قناصاً بارعاً...".

دمية الخياطة

كانت الدمية ملقاة على المقعد الكبير المغطى بقماش مخملي، وكان ضوء الغرفة خافتاً، فقد كانت سماء لندن مليدة بالغيوم، وقد امتزج معاً كل من العتمة الرمادية التي يخالطها اللون الأخضر والأغطية والستائر والسجاد ذات اللون الرمادي المخضر، وقد امتزجت الدمية بكل ذلك، فكانت ترقد مُمددة رخوة ومفتوحة الذراعين ترتدي ملابس مخملية خضراء، وقبعة مخملية، وقناعاً مرسوماً على وجهها، ولم تكن مثل الدمى المألوفة للأطفال، بل كانت دمية متحركة تتمنى كل امرأة ثرية امتلاكها؛ تلك الدمية التي تلصق بجانب الهاتف أو بين وسائد الأريكة. كانت تتمدد هناك، مشلولة تماماً ورغم ذلك كانت تبدو حية على نحو غريب، كأنها أحد المنتجات الرخيصة للقرن العشرين.

دلفت سايبيل فوكس مسرعة إلى الداخل وهي تحمل مجموعة من نماذج الخياطة، وبعض الرسوم التخطيطية، وأخذت تنظر إلى الدمية وقد اجتاحتها شعور غامض من الدهشة والحيرة، وأخذت تتساءل بشأنها، ولكن كل هذه الأسئلة لم تجد لها صدى في عقلها الواعي، ولكنها بدلاً من ذلك أخذت تسأل نفسها قائلة: "والآن؛ ما الذي حدث لنموذج المخمل الأزرق؟ أين وضعته؟ أنا

متأكدة من أنني وضعته هنا منذ قليل؟"، ثم خرجت إلى مقدمة الدرج ونادت باتجاه المشغل.

صاحت قائلة: "إليزابيث، إليزابيث، هل النموذج الأزرق عندك؟ إن السيدة فيلوز براون على وشك الوصول".

دخلت الغرفة مرة أخرى، وأضاءت المصباح، ونظرت إلى الدمية مرة أخرى، وقالت: "والآن أين وضعته؟ حسناً، ها هو".

التقطت النموذج من حيث سقط من يدها، وكان هناك بالخارج صوت الصرير المعتاد حيث توقف المصعد. وخلال دقيقة أو دقيقتين دخلت السيدة فيلوز براون برفقة بيكينيز، وكانت تلتقط أنفاسها لاهثة كأنها قطار محلي وصل إلى محطة على جانب الطريق.

ثم قالت: "ستمطر، ستمطر بشدة!".

وخلعت قفازيها ومعطف الفراء الذي كانت ترتديه، فدخلت أليسيا كومب، ولم تكن عادتها أن تدخل في هذه الأيام إلا عندما يأتي زبائن مهمون، وكانت السيدة فيلوز براون زبونة مهمة للغاية.

نزلت إليزابيث، المشرفة على المشغل، إلى الأسفل وهي تحمل الفستان، وألبسته سايبيل للسيدة فيلوز براون.

قالت: "ها هو، إنه يناسبك للغاية، كما أن لونه رائع للغاية، أليس كذلك؟".

جلست أليسيا على مقعدها، تتفحص الفستان.

وقالت: "أعتقد أنه جيد، لقد نجح تصميمه بكل تأكيد".

أخذت السيدة فيلوز براون تلتفت يميناً ويساراً وهي تنظر إلى المرأة.

وقالت: "لا بد أن أقول إن ملابسك تجعل مظهري رائعاً للغاية".

قالت سايبيل بنبرة تأكيدية: "تبدين أنحف كثيراً مما كنت عليه منذ ثلاثة أشهر".

قالت السيدة فيلوز براون: "لست أنحف، ولكن يجب أن أقول إنني أبدو هكذا وأنا أرتدي هذا الفستان. هناك شيء ما في طريقة تفصيلك إياه، إنها تجعلني أبدو أنحف بالفعل؛ أبدو أنحف كثيراً مما أكون عليه عندما أرتدي أي فستان آخر"، ثم تنهدت وأخذت تتحسس الجزء النحيل من جسدها قائلة: "عادة ما كنت أشعر بالضيق من هذا الجزء، كنت في الماضي أصنع حيلة تجعل هذا الجزء يبدو أنحف، لكن هذا لم يعد ممكناً الآن، لقد أصبحت ممتلئة الجسم للغاية ولم تعد أية حيلة تجدي. أعني ألا يمكنك أن تجعلني جسدي كله يبدو نحيفاً؟".

قالت لها أليسيا كومب: "عليك أن تري بعضاً من زبائني!". قامت السيدة فيلوز براون بتجربة هذا الثوب وأخذت تمشي جيئة وذهاباً، ثم قالت: "أبدو أنحف من الخلف أكثر من الأمام، أم أنك تظنين أن ذلك أفضل، على أية حال سأتولى هذا الأمر"، ثم التفتت برأسها، وقالت فجأة: "آه، هذه هي دميتك! إنها تخيفني، منذ متى وأنت تحتفظين بها؟".

نظرت سايبيل بتردد إلى أليسيا كومب التي بدت متحيرة وبائسة على نحو غامض.

فقلت: "لا أعرف بالضبط... أعتقد أنني أحضرتها منذ بعض الوقت، لا يمكنني تذكر الأشياء بالضبط على الإطلاق، إنه أمر مريع هذه الأيام، لا أستطيع أن أتذكر. منذ متى ونحن لدينا هذه الدمية يا سايبيل؟".

قالت سايبيل باقتضاب: "لا أعرف".

قالت السيدة فيلوز براون: "حسنًا، إنها تخيفني للغاية، إنها غريبة! أتعرفين، إنها تبدو كأنها تشاهدنا جميعًا، وربما تضحك علينا سرًا، لو كنت مكانك لتخلصت منها"، وارتجفت قليلاً، ثم عادت مرة أخرى إلى تفاصيل حياكة الفستان. وأخذت تفكر إذا كان لا بد من تقصير الأكمام بعض السنتيمترات أم لا، وأخذت تفكر في طوله، وبعد الانتهاء من كل هذه الأمور على نحو مُرضٍ بالنسبة إليها، ارتدت ملابسها واستعدت للرحيل، وبينما كانت تمر بجوار الدمية، أدارت رأسها مرة أخرى قائلة: "لا، هذه الدمية لا تروقني، إنها تبدو كأنها تنتمي إلى هذا المكان، إنه أمر غير طبيعي".

تساءلت سايبيل بينما كانت السيدة فيلوز براون تهبط الدرج: "والآن، ماذا تعنين بذلك؟".

وقبل أن تتمكن أليسيا كومب من الإجابة، عادت السيدة فيلوز براون وأطلت برأسها من الباب قائلة: "يا إلهي، لقد نسيت فولينج، أين أنت أيها الكلب؟ حسنًا، أنا لن...!"

أخذت هي والسيدتان الأخريان أيضًا يحدقن أمامهن، فقد كان الكلب يجلس بجوار الكرسي المخملي الأخضر، يحدق إلى تلك الدمية المترهلة التي كانت ممددة عليه، وقد خلا وجهه ذو

العينين الجاحظتين من أية تعبيرات، فلا متعة ولا استياء، فقد كان ينظر إليها فقط.

قالت السيدة فيلوز براون: "تعال إلى هنا يا عزيزي"، ولكن كلبها العزيز لم ينتبه إليها.

قالت السيدة فيلوز براون كأنها تتحدث عن فضيلة من فضائله: "إنه يزداد عصياناً لي يوماً بعد يوم، هيا يا فو لينج. هيا يا عزيزي".

التفت إليها فو لينج التفاتة بسيطة، ثم عاد يتأمل الدمية بازدياء.

قالت السيدة فيلوز براون: "لا بد أنها تركت لديه انطباعاً ما، لا أعتقد أنه قد لاحظ وجودها من قبل، ولا حتى أنا، هل كانت موجودة في المرة الأخيرة التي جئت فيها إلى هنا؟".

نظرت كل من المرأتين إلى الأخرى، وبدا التجهم على وجه سايل، وقالت أيسيا كومب وقد قطبت حاجبيها: "لقد أخبرتك بأنني لا أستطيع تذكر أي شيء هذه الأيام، منذ متى ونحن نمتلك تلك الدمية يا سايل؟".

فتساءلت السيدة فيلوز براون قائلة: "من أين أتت إلى هنا؟ هل اشتريتها؟".

اندهشت أيسيا بشكل ما من هذه الفكرة، وقالت: "آه، لا، أعتقد أن شخصاً ما أعطاني إياها"، فهزت رأسها وقالت: "هذا أمر يثير الجنون! بالفعل إنه يثير الجنون، عندما تنسين كل شيء هكذا بعد حدوثه بفترة قصيرة".

قالت السيدة فيلوز براون بنبرة حادة: "والآن، لا تكن أحمق يا فو لينج، هيا، سأتي لحملك".

التقطته من الأرض، فأخذ فو لينج ينبح نباحاً قصيراً ينم عن احتجاجة المؤلم، وخرجا من الغرفة، ولكن الكلب كان يلتفت بعينه الجاحظتين إلى الخلف، وكان لا يزال منتبهاً بشكل كبير لتلك الدمية الموجودة على الكرسي ...

قالت السيدة جروفز: "إن هذه الدمية تصيبني بالرعب الشديد".

كانت السيدة جروفز هي الخادمة، وكانت قد انتهت من فورها من تنظيف الأرضية كلها، أما الآن فكانت تقف وتنظف أثاث الغرفة من الغبار بتأن.

قالت السيدة جروفز: "شيء غريب، إنني لم ألحظ وجودها قط حتى الأمس، لقد تفاجأت بوجودها أمامي". فسألها سايبيل: "ألا تروك؟".

قالت الخادمة: "لقد قلت لك يا سيدة فوكس إنها تشعرني بالخوف الشديد، إنها ليست طبيعية، إن كنت تفهمين ما أعنيه، ساقاها المتعلقتان، والطريقة التي تستلقي بها وتلك النظرة الماكرة في عينيها، لا تبدو جيدة، وهذا هو رأيي".

قالت سايبيل: "أنت لم تقولي أي شيء عنها من قبل".

قالت الخادمة: "لقد قلت لك إنني لم ألحظ وجودها حتى صباح اليوم ... بالطبع كنت أعرف أنها موجودة هناك منذ بعض الوقت، ولكن ..."، وتوقفت عن الكلام، وبدت ملامح الحيرة على وجهها ثم استطردت قائلة: "إنها مثل هذه الأشياء التي

قد تحلمين بها ليلاً"، ثم جمعت أدوات التنظيف وغادرت غرفة القياس وسارت عبر مقدمة الدرج إلى الغرفة المقابلة.

أخذت سايبيل تنظر إلى تلك الدمية التي تجلس في استرخاء، وأخذت ملامح الحيرة تبدو أكثر على وجهها، دخلت أليسيا كومب واستدارت سايبيل بشكل حاد.

وقالت: "أنسة كومب، منذ متى وأنت تمتلكين هذا المخلوق الغريب؟".

فقالت لها: "ماذا، الدمية؟ عزيزتي أنت تعرفين أنني لا يمكنني تذكر هذه الأشياء، فبالأمس حدث معي أمر سخيف للغاية! كنت ذاهبة إلى المحاضرة، لم أكن قد تجاوزت منتصف الطريق في الشارع عندما اكتشفت فجأة أنني نسيت تمامًا إلى أين كنت ذاهبة. فأخذت أفكر وأفكر، وفي النهاية قلت لنفسني لا بد أنني كنت ذاهبة إلى متجر فورتنام، لن تصدقني أنني لم أتذكر أمر المحاضرة إلا عندما وصلت إلى المنزل وتناولت بعض الشاي. بالطبع أسمع كثيرًا بهؤلاء الأشخاص الذين يخرفون بينما يتقدمون في العمر، لكن هذا يحدث لي بسرعة كبيرة. لقد نسيت الآن أين وضعت حقيبة يدي ونظارتني أيضًا. أين وضعت هذه النظارة؟ لقد كانت معي منذ قليل، كنت أقرأ شيئًا ما في جريدة التايمز".

قالت سايبيل وهي تسلمها النظارة: "إن النظارة هنا على رف المدفأة، من أين حصلت على تلك الدمية؟ من أعطاك إياها؟".
قالت أليسيا كومب: "لا أتذكر هذا الأمر أيضًا، لقد أعطاني إياها شخص ما على ما أعتقد... رغم أنها تبدو متماشية مع الغرفة تمامًا، أليس كذلك؟".

قالت سايبيل: "أعتقد أنها تنسجم مع الغرفة للغاية، لكن الشيء الغريب أنني لا أستطيع أن أتذكر متى لاحظت وجودها للمرة الأولى".

حذرتها أليسيا كومب قائلة: "لا تكوني مثلي، فأنت ما زلت شابة على أية حال".

قالت سايبيل: "ولكنني لا أتذكر بالفعل يا آنسة كومب، أعني أنني نظرت إليها البارحة وأعتقدت أن هناك شيئاً ما، حسناً، إن السيدة جروفز محقة تماماً، فإن هذه الدمية مخيفة، لقد تذكرت أنه تشكل لدي مثل هذا الاعتقاد بشأن هذه الدمية، ثم حاولت أن أتذكر متى تشكل لدي هذا الانطباع، ولكنني لم أستطع أن أتذكر أي شيء! لقد بدا الأمر بطريقة ما أنني لم أرها من قبل، لكنني لم أشعر بذلك. شعرت كأنها كانت موجودة هنا منذ زمن طويل، ولكنني لم ألاحظ وجودها هنا إلا منذ فترة قصيرة للغاية".

قالت أليسيا كومب: "ربما طارت ذات يوم عبر النافذة على عصا مكنسة، على أية حال هي موجودة هنا في هذا المكان، لا يمكنك تخيل المكان دون وجودها، أليس كذلك؟".

قالت سايبيل وهي تشعر بقشعريرة بسيطة تسري في جسدها: "لا، لكنني أتمنى لو كنت أستطيع".

فسألتها: "تستطيعين ماذا؟".

فقالت: "أن أتخيل الغرفة من دونها".

فسألتها أليسيا كومب بنفاد صبر قائلة: "هل سنجن جميعاً بهذه الدمية؟ ما المشكلة في هذه الدمية المسكينة؟ إنها تبدو

كرأس ملصوف متعفن بالنسبة إليّ، ولكنها قد تبدو كذلك لي لأنني لا أرتدي النظارة"، ثم وضعت نظارتها على أنفها وأخذت تنظر بتمعن إلى الدمية قائلة: "نعم، أتفهم ما تقولين، إنها تبدو مرعبة قليلاً ... حزينة، لكنها تبدو ماكرة وحازمة أيضاً".

قالت سايبيل: "من الغريب أنها لم ترق السيدة فيلوزبراون".

قالت أليسيا كومب: "إنها لا تجد حرجاً في التحدث عما يجول بخاطرها".

أصرت سايبيل على رأيها قائلة: "لكن من الغريب أن تترك لديها هذه الدمية مثل هذا الانطباع".

قالت: "حسنًا، فالأشخاص يكرهون فجأة بعض الأشياء أحياناً".

قالت سايبيل وهي تضحك قليلاً: "ربما لم تكن هذه الدمية هنا حتى أمس ... ربما أنها قد طارت من خلال النافذة، كما قلت، واستقرت بنفسها هنا".

قالت أليسيا كومب: "لا، أنا متأكدة من أنها كانت موجودة هنا منذ بعض الوقت. ربما لم تصبح مرئية للجميع إلا بالأمس فقط".

قالت سايبيل: "هذا ما أشعر به أيضاً، أنها كانت موجودة هنا منذ بعض الوقت... ولكن على أية حال أنا لا أتذكر أنني رأيتها حقاً إلا بالأمس".

قالت أليسيا كومب: "والآن يا عزيزتي، توقي عن هذا، أنت تجعليني أشعر بشعور غريب، فالعرشة تسري في جسدي كله. لن تستطيعي نسج قصة رائعة عن الأمور الخارقة للطبيعة من

خلال هذا المخلوق، أليس كذلك؟"، والتقطت الدمية، وهزتها وعدلت ذراعها وأجلستها على كرسي آخر، ولكن الدمية نزلت قليلاً إلى الأسفل وارتخت.

قالت أليسيا كومب وهي تحدق إلى الدمية: "لا يبدو أن بها حياة على الإطلاق، ولكنها على نحو غريب تبدو كأنها حية، أليس كذلك؟".

قالت السيدة جروفز وهي تنتقل في غرفة العرض: "يا إلهي! إنها تخيفني حقاً، أخافتني لدرجة أنني صرت لا أحب أن أدخل غرفة القياس".

سألته الآنسة كومب التي كانت تجلس إلى مكتب في الزاوية وكانت مشغولة بعمل الحسابات المختلفة: "ما الذي أخافك؟"، ثم أضافت وهي تحدث نفسها أكثر مما تحدث السيدة جروفز: "هذه المرأة تظن أن بإمكانها الحصول على فستاني سهرة وثلاثة فساتين للحفلات وبذلة كل عام دون أن تدفع لي ولا قرشاً واحداً حقاً، بعض الناس يتذكرون!".

قالت السيدة جروفز: "إنها الدمية".

فقلت أليسيا: "ماذا؟ هل تتحدثين عن دميتنا مرة أخرى؟".

فقالت: "نعم، إنها تجلس هناك إلى المكتب وكأنها إنسان، يا إلهي! لقد أخافتني حقاً".

فسألته أليسيا: "عم تتحدثين؟".

نهضت أليسيا كومب من مكانها، وعبرت الغرفة ثم عبرت مقدمة الدرج ودخلت الغرفة المقابلة، وهي غرفة القياس، وكان

أجاثا كريستي

هناك مكتب صغير في أحد الأركان، حيث كانت الدمية تجلس هناك بالقرب من الطاولة ويدها الطويلتان المرتخيتان موضوعتين على المكتب.

قالت أليسيا كومب: "يبدو أن إحداهن كانت تمزح ورأت أن تُجلسها هكذا، إنها تبدو طبيعية للغاية".

كانت سايبيل فوكس تهبط الدرج في هذه اللحظة، وتحمل فستانًا ستجربه صاحبه في الصباح.

فقالت لها أليسيا: "تعالى إلى هنا يا سايبيل، انظري إلى الدمية وهي تجلس إلى مكتبي الخاص وتكتب الخطابات الآن". ثم نظرت المرأتان.

قالت أليسيا كومب: "حقًا، إن هذا سخيف للغاية! إنني أتساءل من الذي وضعها هناك، هل أنت من فعلت ذلك؟".

قالت سايبيل: "لا، لست أنا. لا بد أنها فتاة من الفتيات الموجودات في الطابق العلوي".

قالت أليسيا كومب: "إنها مزحة سخيفة بالفعل"، التقطت الدمية من المكتب وألقته مرة أخرى على الأريكة.

وضعت سايبيل الفستان على الكرسي بحرص شديد، ثم خرجت وصعدت الدرج إلى المشغل.

قالت: "هل تعرفن الدمية، تلك الدمية المخملية الموجودة في غرفة الآنسة كومب في الطابق السفلي في غرفة القياس؟".

نظرت المشرفة وثلاث من الفتيات العاملات إلى سايبيل.

وقالت إحداهن: "نعم، يا آنسة، نعرفها بالطبع".

فسألت سايبيل قائلة: "من التي أجلسها على مكتب الأنسة كومب هذا الصباح على سبيل المزاح؟".

نظرت الفتيات الثلاث إليها ثم قالت إليزابيث المشرفة: "أجلسها على المكتب؟ لا، لم أفعل هذا".
وقالت إحدى هؤلاء الفتيات: "ولا أنا... هل فعلت هذا يا مارلين؟".

هزت مارلين رأسها بالنفي.

فقالت سايبيل: "هل هي مزحة من مزحاتك يا إليزابيث؟".
قالت إليزابيث: "لا"، وكانت امرأة صارمة يمتلئ فمها بالدبابيس دائماً، وقالت: "إن لدي الكثير من الأعمال التي تشغلي عن اللعب بالدمى وإجلاسها إلى المكاتب".

قالت سايبيل وقد اندهشت لأنها وجدت صوتها قد ارتعش قليلاً: "اسمعيني، لقد كانت مزحة جيدة، لكنني أريد الآن فقط أن أعرف من فعل ذلك".

غضبت الفتيات الثلاث، وقالت إحداهن: "لقد أخبرناك يا سيدة فوكس بأننا لم نفعل ذلك، أليس كذلك يا مارلين؟".

قالت مارلين: "أنا لم أفعل ذلك، وإذا كانت كل من نيلي ومارجريت قد قالتا إنهما لم تفعل ذلك، فإذن لم يفعل ذلك أي منا".

قالت إليزابيث: "لقد سمعت ما قلته، فما سبب كل هذا يا سيدة فوكس؟".

قالت مارلين: "ربما تكون السيدة جروفز هي التي فعل ذلك؟".

أجاثا كريستي

هزت سايبيل رأسها بالنفي قائلة: "ليست السيدة جروفرز، فقد كانت هذه الدمية تبث الخوف في نفسها".

قالت إليزابيث: "سأنزل لأرى بنفسي".

قالت سايبيل: "إنها ليست هناك الآن، لقد أخذتها السيدة كومب من المكتب ووضعتها مرة أخرى على الأريكة، حسناً..." ثم توقفت، واسترسلت قائلة: "ما أعنيه أنه لا بد من أن يكون هناك من وضعها على المكتب، معتقداً أن هذا الأمر مسل، أعتقد ذلك، ولا أعرف لماذا لا يعترف من فعل هذا الأمر؟".

قالت مارجريت: "لقد قلت لك مرتين يا سيدة فوكس، لا أفهم لماذا تواصلين اتهامنا بقول الأكاذيب. فليس منا من يمكن أن تقوم بمثل هذه الأمور السخيفة".

قالت سايبيل: "أنا آسفة، لم أكن أقصد أن أزعجكن، ولكن... من يمكن أن يكون قد فعل ذلك؟".

قالت مارلين وهي تقهقه: "ربما تكون هي التي نهضت من مكانها ومشت إلى هناك بنفسها".

لم تحب سايبيل مثل هذا الاقتراح لسبب ما.

وقالت: "آه، على أية حال هذا كله مجرد هراء".

ثم هبطت الدرج مرة أخرى.

كانت أليسيا كومب تدندن بمرح، وأخذت تنظر إلى جميع أنحاء الغرفة، وتقول: "لقد فقدت نظارتي مرة أخرى، لكن هذا لا يهم، فأنا لا أريد أن أرى أي شيء الآن. بالطبع إن المشكلة بالنسبة إلى الشخص ضعيف البصر مثلي، عندما يفقد نظارته، إذا لم يكن لديه نظارة أخرى ليرتديها ويبحث عن النظارة

المفقودة، فلن يتمكن من إيجاد نظارته؛ لأنه لا يستطيع الرؤية لبحث عنها".

قالت سايبيل: "سأبحث عنها بدلاً منك، لقد كنت ترتدينها منذ قليل".

ذهبت إلى الغرفة الأخرى.

قالت أليسيا كومب: "يا له من أمر مزعج، أريد أن أستكمل مراجعة الحسابات، كيف يمكنني فعل ذلك إذا لم تكن معي نظارتي؟".

قالت سايبيل: "سأصعد وأحضر لك النظارة الأخرى من غرفة النوم".

قالت أليسيا كومب: "ليس لدي نظارة أخرى".

فقالت سايبيل: "وماذا حدث لها؟".

فقالت لها: "حسنًا، أظن أنني تركتها بالأمس عندما خرجت لتناول الغداء في أحد المطاعم، ولقد اتصلت بالمطعم هاتفياً، واتصلت بمحليين آخرين ذهبت إليهما أيضاً".

قالت سايبيل: "أوه، يا عزيزتي، أعتقد أنه لا بد أن يكون لديك ثلاث نظارات".

قالت أليسيا كومب: "لو كان لدي ثلاث نظارات كنت لقضيت حياتي كلها بحثاً عن كل واحدة على حدة، أظن حقاً أنه من الأفضل أن تكون لدي واحدة فقط، وعندها سأضطر إلى البحث عنها، حتى أجدها".

أجاثا كريستي

قالت سايبيل: "حسنًا، يجب أن تكون في مكان هنا، أنت لم تخرجي من هاتين الغرفتين، إذا لم تكن في إحداهما، فلا بد أنك قد وضعتها في غرفة القياس".

عادت إلى غرفة القياس مرة أخرى وأخذت تبحث في كل مكان من كذب، وفي النهاية رفعت الدمية من الأريكة، وصاحت قائلة: "لقد وجدتها".

فقالت لها أليسيا: "أين وجدتها يا سايبيل؟".

أجابت: "أسفل دميتنا الغالية، أظن أنك لا بد أنك قد تركتها تحتها عندما أعدتها إلى الأريكة".

فقالت أليسيا: "لم أفعل ذلك، أنا متأكدة من أنني لم أفعل ذلك".

قالت سايبيل بنظرة حادة: "أه! إذن أعتقد أن الدمية قد أخذتها وأخفتها منك".

قالت أليسيا وهي تنظر إلى الدمية بتأمل: "حقًا، أتعرفين أنا لم أضعها تحتها، إنها تبدو ذكية للغاية، ألا تعتقدين ذلك يا سايبيل؟".

قالت سايبيل: "لا أعتقد أنني أحب وجهها، إنها تبدو أنها تعرف شيئًا ما لا نعرفه نحن".

قالت أليسيا كومب وهي تناشدها ولكن دون أن تكون مقتنعة بذلك: "ألا تظنين أنها تبدو حزينة وجميلة؟".

قالت سايبيل: "لا أعتقد أنها تبدو جميلة على الإطلاق".

فقالت أليسيا: "لا... ربما تكونين محقة في ذلك... أوه، حسناً، فلنواصل عملنا، ستكون السيدة لي هنا خلال عشر دقائق، أريد فقط إنهاء هذه الفواتير وإرسالها عبر البريد".

"سيدة فوكس، سيدة فوكس؟"

قالت سايبيل: "نعم، يا مارجريت، ماذا هناك؟"

كانت سايبيل منحنية على الطاولة، تقص قطعة من قماش الساتان.

فقالت مارجريت: "آه، يا سيدة فوكس، إنها الدمية مرة أخرى، لقد أخذتُ الفستان البني كما طلبت مني، فوجدت هذه الدمية تجلس إلى المكتب مرة أخرى، لم أكن أنا من فعل ذلك، ولا أي واحدة منا، من فضلك يا سيدة فوكس، نحن لم نفعل شيئاً كهذا".

انزلق مقص سايبيل من يدها قليلاً.

ثم قالت في غضب: "انظري ما الذي جعلتني أفعله. حسناً، أعتقد أن كل شيء سيكون على ما يرام، والآن ماذا عن تلك الدمية؟"

فقالت مارجريت: "لقد رأيتها تجلس إلى المكتب ثانية".

نزلت سايبيل، وذهبت إلى غرفة القياس، ثم وجدت الدمية تجلس إلى المكتب في المكان نفسه بالضبط الذي كانت تجلس فيه من قبل.

قالت سايبيل وهي تتحدث إلى الدمية: "أنت مصرة، أليس كذلك؟" والتقطتها بعنف، وأعادتها إلى الأريكة مرة أخرى، وقالت لها: "هذا هو مكانك يا عزيزتي، فلتبقي هنا".

أجاثا كريستي

وذهبت إلى الغرفة الأخرى.

وقالت: "آنسة كومب".

فردت أليسيا: "نعم يا سايبيل، ماذا هناك؟".

فقالت: "يبدو أن هناك شخصاً ما يمزح معنا، إن هذه الدمية

كانت تجلس إلى المكتب مرة أخرى".

فسألته أليسيا: "برأيك من فعل ذلك؟".

قالت سايبيل: "لا بد أنها واحدة من هؤلاء الفتيات الثلاث

في الطابق الأعلى، يعتقدن أنه أمر مسل، وبالطبع سيُقسمن

أنهن لم يفعلن ذلك".

فسألته مرة أخرى: "وبرأيك من التي فعلت ذلك منهن، هل

هي مارجريت؟".

فقالت سايبيل: "لا، لا أعتقد أنها مارجريت، لقد بدت

متعجبة للغاية وخائفة عندما أتت لتخبرني، أظن أن مارلين

التي تفهقه دائماً هي من فعل ذلك".

فقالت لها: "على أية حال، إنه أمر سخيف أن تفعل ذلك".

قالت سايبيل بنبرة جادة: "بالفعل، بلهاء، لكنني سأضع حداً

لهذا؟"

فسألته: "ماذا ستفعلين؟".

قالت سايبيل: "سترين".

وعندما غادرت في تلك الليلة، أغلقت غرفة القياس من

الخارج.

وقالت: "لقد أغلقت غرفة القياس، وأخذت المفتاح معي".

قالت أليسيا كومب بقليل من المرح: "أه، لقد فهمت، لقد بدأت تعتقدين، أنني من يفعل هذا، أليس كذلك؟ أنت تعتقدين أنني شاردة الذهن لدرجة أنني أذهب إلى هناك وأفكر في الجلوس إلى المكتب لأكتب شيئاً ما، ولكنني بدلاً من ذلك أجلب الدمية وأضعها هناك لتكتب بدلاً مني. هل هذا ما تفكرين فيه؟ ثم أنسى كل شيء في النهاية؟".

اعترفت سايبيل، وقالت لها: "حسناً، ربما فعلت ذلك، فعلى أية حال يجب أن أتأكد أنه لن تكون هناك أية مزحة سخيفة هذه الليلة".

وفي صباح اليوم التالي عندما وصلت سايبيل كانت تبدو متجهمة، وكان أول ما فعلته هو أن فتحت باب غرفة القياس ودخلت، وكانت السيدة جروفز تمسك الممسحة ومنفضة الغبار في يديها وقد رُسمت على وجهها علامات السخط، وهي تنتظر على مقدمة الدرج.

قالت سايبيل: "والآن سنرى!".

ثم تراجعت إلى الخلف وهي تشهق شهقة خافتة. فقد كانت الدمية تجلس إلى المكتب.

قالت السيدة جروفز من خلفها: "يا إلهي! هذا أمر غريب للغاية! هكذا إذن. أه يا سيدة فوكس، تبدين شاحبة للغاية، وكأنك رأيت شيئاً غريباً، هل تريدني شيئاً لتشربيه؟ هل لديك علم إذا كانت الآنسة كومب قد نزلت من الطابق العلوي أم لا؟".

قالت سايبيل: "أنا على ما يرام".

توجهت نحو الدمية والتقطتها بتأن وعبرت الغرفة وهي تحملها.

قالت السيدة جروفز: "لا بد أن أحدهم يمزح معك مرة أخرى".

قالت سايبيل ببطء: "لا يمكنني أن أفهم كيف تمكن أحدهم من فعل ذلك هذه المرة، لقد أغلقت هذا الباب الليلة الماضية، وأنت تعرفين أنه لا يمكن لأحد الدخول".

قالت السيدة جروفز وهي تحاول أن تساعد في إيجاد حل: "ربما يكون هناك شخص آخر لديه مفتاح للغرفة كذلك".

قال سايبيل: "أنا لا أعتقد ذلك، فنحن لم نغلق الباب من قبل. إنه مفتاح من الطراز القديم، ولا يوجد منه إلا نسخة واحدة".

فقالت السيدة جروفز: ربما هناك مفتاح آخر يمكنه أن يفتح هذه الغرفة، ربما يكون مفتاح الباب المقابل".

قامتا حينها بتجربة كل المفاتيح الموجودة في المحل، لكن لم يفتح أي منها باب غرفة القياس.

قال سايبيل بعد ذلك وهي تتناول الغداء مع الأنسة كومب: "إنه أمر غريب يا آنسة كومب".

بدأت أليسيا كومب مسرورة بعض الشيء، وقالت: "إنني أظن أن هذا الأمر خارق للطبيعة يا عزيزتي، أظن أن علينا أن نكتب خطاباً إلى أولئك الذين يعملون على حل هذه الألغاز الخارقة للطبيعة، فقد يرسلون إلينا محققاً، أو وسيطاً روحانياً، أو شخصاً ما لمعرفة ما إذا كان هناك شيء غريب في الغرفة".

قال سايبيل: "يبدو أنك لا تهتمين بالأمر على الإطلاق".
 قالت أليسيا كومب: "إنني أستمتع بهذا الأمر بطريقة ما،
 أعني أنه في مثل عمري من الممتع أن تحدث أشياء كهذه! ولكن
 على أية حال... لا"، ثم أضافت وهي تفكر ملياً: "لا أعتقد أنني
 أحب هذا الأمر، أعني أن هذه الدمية قد تجاوزت حدودها، أليس
 كذلك؟".

وفي هذه الليلة، قامت سايبيل وأليسيا كومب بإغلاق الباب
 مرة أخرى من الخارج.
 قالت سايبيل: "ما زلت أعتقد أن هناك شخصاً ما يمزح معنا،
 رغم أنني لا أعرف لماذا..."
 سألتها أليسيا: "هل تعتقدين أنها ستكون جالسة إلى المكتب
 مرة أخرى غداً؟".
 قالت سايبيل: "نعم، أعتقد ذلك".

لكنهما كانتا مخطئتين، فلم تكن الدمية جالسة إلى المكتب
 في اليوم التالي، بل كانت تجلس على النافذة، تنظر إلى الشارع.
 ومرة أخرى كانت تجلس بشكل طبيعي، ولكن بصورة غريبة.
 قالت أليسيا كومب لسايبل بينما كانتا تتناولان كوباً سريعاً
 من الشاي بعد ظهر اليوم: "إنه أمر سخيف للغاية، أليس
 كذلك؟"، وكانتا قد اتفقتا على عدم تناول الشاي في غرفة
 الشاي كعادتهما، ولكن في غرفة أليسيا كومب الخاصة في
 الجهة المقابلة.

فقالت سايبيل: "كيف يبدو هذا الأمر سخيفاً؟".

أجاثا كريستي

فقال أليسيا: "أعني لا يوجد شيء يمكننا الإمساك به، مجرد دمية تغير من مكانها في كل مرة".

ويومًا بعد يوم، أصبح الأمر جديرًا بالملاحظة والاهتمام، فلم تكن الدمية تتحرك في الليل فقط، ففي أي وقت عندما كن يدخلن غرفة القياس، حتى إن غبن بضع دقائق، كنَّ يجدها في مكان مختلف. فقد يتركها على الأريكة ويجدها بعد ذلك على الكرسي، ثم يجدها بعد ذلك على كرسي مختلف، وقد يجدها تجلس على مقعد بجوار النافذة، وفي بعض الأحيان تجلس إلى المكتب مرة أخرى.

قالت أليسيا كومب: "إنها تتحرك إلى المكان الذي تحبه، وأعتقد يا سايبيل، أعتقد أنه أمر مسلٌ بالنسبة إليها".

وقفت المرأتان تنظران إلى الدمية المترهلة في رداها المخملي الناعم ووجهها الحريري المصبوغ.

قالت أليسيا كومب بنبرة متوترة: "إنها ليست سوى دمية من القماش المخملي والحرير وبعض الألوان، إنها ليست سوى ذلك، يمكننا... أن نتخلص منها".

تساءلت سايبيل بنبرة مندهشة: "ماذا تعنين بالتخلص منها؟".

قالت أليسيا كومب: "حسنًا، يمكننا أن نضعها في النار، أعني نحرقها... أو بالطبع" ثم أضافت بهدوء: "أو يمكننا أن نضعها في سلة المهملات".

قالت سايبيل: "لا أعتقد أن هذا الأمر مجد، فقد يأخذها أحدهم من سلة المهملات ويعيدها إلينا".

قالت أليسيا كومب: "أوقد نرسلها إلى مكان ما - إلى إحدى الجمعيات التي تنشر دائماً إعلانات يطلبون فيها أشياء للبيع أو لعرضها في إحدى الأسواق الخيرية. أعتقد أن هذه هي أفضل فكرة".

قالت سايبيل: "لا أعرف... إنني خائفة من فعل ذلك".
فسألتها: "خائفة؟".

قالت سايبيل: "حسناً، أعتقد أنها ستعود مرة أخرى".
فقالت أليسيا: "أتقصد أن ستعود إلى هنا؟".
فقالت سايبيل: "نعم".

فقالت أليسيا: "مثل الحمام الزاجل، أليس كذلك؟".
فقالت سايبيل: "نعم، هذا ما أعنيه".

قالت أليسيا كومب: "أعتقد أننا لن نفقد عقولنا، أليس كذلك؟! ربما أهذي قليلاً، وأنت تسخرين مني، أليس كذلك؟".
قالت سايبيل: "لا، ولكن انتابني شعور مرعب بغيض؛ شعور بأنها أقوى منا كثيراً".

فقالت أليسيا: "ماذا؟ كتلة القماش هذه؟".

فقالت سايبيل: "نعم، تلك الكتلة المرعبة المصنوعة من القماش؛ لأنها كما ترين مصرة".

فسألتها أليسيا: "مصرة على ماذا؟".

فأجابتها سايبيل: "على فعل ما تريده! أعني أن هذه هي غرفتها الآن".

قالت أليسيا كومب وهي تنظر حولها: "نعم، إنها غرفتها، أليس كذلك؟ بالطبع، لقد كانت غرفتها دائماً، فإذا ما فكرت في

أجاثا كريستي

الألوان وفي كل شيء ... لقد كنت أعتقد أنها تناسب الغرفة، ولكنني اكتشفت أن الغرفة هي التي تناسبها"، ثم أضافت بنبرة حماسية: "لا بد أن أقول إنه أمر سخيف للغاية أن تأتي دموية وتسيطر على الأغراض مثلما فعلت هذه الدمية، أتعرفين أن السيدة جروفز لن تأتي إلى هنا للتنظيف بعد الآن".

فسألته سايبيل: "هل قالت إنها خائفة من الدمية؟".

قالت أليسيا كومب بنبرة تنم عن الفزع: "لا، لقد قدمت بعض الأعدار، لكن ماذا سنفعل يا سايبيل؟ إن هذا الأمر يحبطني، لم أستطع تصميم أي فستان منذ أسابيع".

قالت سايبيل: "إنني لا أستطيع تركيز انتباهي على قص القماش بشكل صحيح، لقد ارتكبت كل أنواع الأخطاء الساذجة"، ثم أضافت بنبرة لم تخل من الشك: "قد تكون فكرتك بإرسال خطاب إلى من يعملون في حل الغاز القوي الخارقة فكرة جيدة".

قالت أليسيا كومب: "إنها تجعلنا نبدو من الأغبياء، لا أعني هذا بشكل جدّي، أعني أن علينا الاستمرار لحين...".

فسألته: "لحين ماذا؟".

ضحكت بشكل غامض، وقالت: "أه، لا أعرف".

وعندما وصلت سايبيل في اليوم التالي وجدت باب غرفة القياس مغلقاً.

فقالت: "هل معك المفتاح يا آنسة كومب؟ هل أغلقت الباب الليلة الماضية؟".

قالت أليسيا كومب: "نعم، لقد أغلقتة وسيظل مغلقاً".

فسألتها سايبيل: "ماذا تقصدين؟".

فقالت أليسيا: "أعني أنني لم أعد في حاجة إلى هذه الغرفة، يمكننا أن نتركها للدمية، لا نحتاج إلى غرفتين، يمكننا أن نفعل كل ما نريد هنا".

فقالت سايبيل: "لكنها غرفة الجلوس الخاصة بك".

فقالت أليسيا: "حسنًا، لم أعد أريدها بعد الآن، لديّ غرفة نوم جميلة للغاية، يمكنني أن أستخدمها كغرفة نوم وغرفة جلوس، أليس كذلك؟".

قالت سايبيل في عدم تصديق: "هل تعنين أنك لن تدخل ثانية غرفة القياس هذه مرة أخرى؟".

فقالت أليسيا: "بالضبط، هذا ما أقصده".

فقالت لها سايبيل: "ولكن، ماذا عن تنظيفها؟ ستكون في حالة مزرية للغاية".

قالت أليسيا كومب: "فلتكن! إذا كانت هذه الغرفة تخضع لسيطرة الدمية، حسنًا، فلتستحوذ عليها، وتنظفها بنفسها"، ثم أضافت: "إنها تكرهنا كما تعلمين".

سألتها سايبيل: "ماذا تعنين؟ هل الدمية تكرهنا بالفعل؟".

قالت أليسيا: "نعم، ألا تعرفين ذلك؟ لا بد أن تكوني قد عرفت ذلك. لا بد أن تكوني قد رأيت الكره في عينيها عندما نظرت إليها".

قالت سايبيل وهي تفكر بامعان: "نعم، أظن أن رأيت ذلك، أظن أنني كنت أشعر بذلك طوال الوقت؛ بأنها تكرهنا وتريد أن تخرجنا من هنا".

أجاثا كريستي

قالت أليسيا كومب: "إنها مجرد كائن صغير خبيث، على أية حال، يجدر بها أن تكون راضية الآن".

سارت الأمور بسلام بعد ذلك، وأعلنت أليسيا كومب للعاملات لديها أنها لن تستخدم غرفة القياس بعد الآن في الفترة الحالية، وقد بررت ذلك بأنها تجعل الغرف التي تحتاج للتنظيف كثيرة.

ولكن ما أزعجها أنها سمعت إحدى الفتيات العاملات تقول للأخرى مساء ذلك اليوم: "لقد جُنت الآنسة كومب الآن، دائماً ما كنت أظن أنها غريبة الأطوار، فقد كانت تفقد الأشياء وتنسى مكانها. لكن الأمور قد وصلت إلى ذروتها، أليس كذلك؟ فهي تتصرف بشكل غريب تجاه تلك الدمية التي توجد في الطابق السفلي".

قالت الفتاة الأخرى: "يا إلهي! أعتقدين أنها ستجن حقاً، أمن الممكن أن تطعننا بسكين أو شيء من هذا القبيل؟".

مرتا وهما تتحدثان، فانتصبت أليسيا بسخط على مقعدها، وقالت: "أنا أصاب بالجنون!"، ثم أضافت بنبرة حزينة: "أعتقد أنه لولا سايبيل، لظننت نفسي مجنونة؛ لكنني أنا وساييل والسيدة جروفز أيضاً نرى أنه يوجد شيء ما في هذه الدمية، ولكن ما لا أستطيع فهمه هو، كيف سينتهي هذا الأمر؟".

وبعد مرور ثلاثة أسابيع، قالت سايبيل لأليسيا كومب: "لا بد من أن ندخل الغرفة أحياناً".

فسألته أليسيا: "لماذا؟".

فقالت سايبيل: "أعني، لا بد أنها في حالة مزرية، سيسكن العث في الأثاث، يجب أن ننظفها من التراب ونمسحها ونغلقها مرة أخرى".

قالت أليسيا كومب: "من الأفضل أن نبقئها مغلقة، وألا ندخل هناك مرة أخرى".

قالت سايبيل: "حقاً، أنت تؤمنين بالخرافات أكثر مني".
قالت أليسيا كومب: "أعتقد أنني كذلك، لقد كنت أكثر استعداداً للاعتقاد في كل هذه الأمور أكثر منك، ولكنني في البداية وجدت أن الأمر مثير بشكل غريب ... لا أعرف ... ولكنني خائفة، وأفضل ألا أدخل هذه الغرفة مرة أخرى".

قالت سايبيل: "حسنًا، أريد أنا أن أفتح هذه الغرفة، وسأفعل ذلك".

فقالت أليسيا كومب: "هل تعرفين ما مشكلتك؟ أنك فضولية للغاية وهذا كل ما في الأمر".

فقالت سايبيل: "حسنًا، أنا فضولية، وأريد أن أعرف ماذا فعلت الدمية".

قالت أليسيا: "ما زلت أعتقد أنه من الأفضل أن نتركها بمفردها. لقد شعرت بالرضا عندما خرجنا من الغرفة، ومن الأفضل أن نتركها تشعر بالرضا"، ثم تنهدت بغضب قائلة: "ما هذا الهراء الذي نتحدث عنه".

فقالت سايبيل: "نعم، أنا أعرف أن كل ما نقوله محض هراء، ولكن هل يمكن أن تخبريني بطريقة نتفادى بها عدم التحدث عن هذا الهراء، هيا، أعطيني المفتاح الآن".

أجاثا كريستي

فقالت لها: "حسنًا، حسنًا".

قالت سايبيل: "أظن أنك خائفة من أن أخرجها من الغرفة أو أي شيء من هذا القبيل، أعتقد أنها من النوع الذي يمكن أن يمر من خلال الأبواب والنوافذ".

فتحت سايبيل الباب ودخلت.

وقالت: "يا له من أمر غريب للغاية!".

قالت أليسيا كومب وهي تختلس النظر من خلف سايبيل: "ما الشيء الغريب؟".

أجابت: "ليس هناك غبار في الغرفة على الإطلاق، أليس كذلك؟ فقد يعتقد المرء بعد إغلاق الغرفة طيلة هذا الوقت أن..."

فقالت أليسيا: "نعم إنه أمر غريب".

قالت سايبيل: "ها هي".

كانت الدمية على الأريكة، ولم تكن مستلقية وهي مترهلة كعادتها، بل كانت تجلس منتصبية ووراء ظهرها وسادة، حيث بدت كأنها سيدة المنزل تنتظر استقبال الضيوف.

قالت أليسيا كومب: "حسنًا، إنها تبدو كأنها في منزلها تمامًا، أليس كذلك؟ إنني أشعر بأن عليّ الاعتذار إليها لدخولنا عليها".

قالت سايبيل: "ها بنا نذهب".

تراجعت وسحبت الباب، وأغلقتة مرة أخرى.

وأخذت كل من المرأتين تنظر إلى الأخرى.

قالت أليسيا كومب: "أتمنى لو كنت أعرف، لماذا تخيفنا هذه الدمية إلى هذا الحد..."

فقالت سايبيل: "يا إلهي! من لا يخاف مثل هذا الأمر؟"

فقالت أليسيا: "حسنًا، أعني ما الذي سيحدث في نهاية الأمر؟ لا شيء على الإطلاق، مجرد دمية تتحرك في أرجاء الغرفة. أعتقد أنها ليست دمية، بل هي روح شريرة."

فردت عليها سايبيل قائلة: "إنها فكرة جيدة."

فقالت أليسيا: "نعم، ولكنني لا أؤمن بذلك، أظن أن الأمر كله يتعلق بالدمية نفسها."

فسألته سايبيل: "هل أنت متأكدة من أنك لا تعرفين من أين جاءت؟"

قالت أليسيا: "ليس لديّ أدنى فكرة على الإطلاق، وكلما فكرت في الأمر، ازددت يقينًا أنني لم أشتريها، ولم يعطني إياها أي شخص، أعتقد أنها ... حسنًا، لقد أتت فحسب."

فسألته سايبيل: "هل تعتقدين أنها ... ستذهب؟"

قالت أليسيا: "في الحقيقة، لا أرى سببًا يجعلها تغادر ... لقد حصلت على كل ما تريد."

لكن يبدو أن الدمية لم تحصل على كل ما تريد، ففي اليوم التالي عندما ذهبت سايبيل إلى غرفة العرض، شهقت شهقة مفاجئة، ثم نادى باتجاه الطابق العلوي، وقالت: "آنسة كومب، آنسة كومب، انزلي إلى هنا."

فسألته: "ما الأمر؟"

أجاثا كريستي

نزلت أليسيا كومب التي استيقظت من نومها متأخرة إلى الطابق السفلي، وكانت تعرج قليلاً فقد كانت تعاني الروماتيزم في ركبته اليمنى.

وقالت: "ما الذي حدث لك يا سايبيل؟"

قالت سايبيل: "انظري، انظري، ماذا حدث الآن".

وقفتا عند مدخل غرفة العرض، وكانت الدمية تجلس على الأريكة وتتكئ في استرخاء على ذراعها.

قالت سايبيل: "لقد خرجت، لقد خرجت من الغرفة الأخرى إنها تريد الحصول على هذه الغرفة أيضاً".

جلست أليسيا كومب بجوار الباب قائلة: "في النهاية، أعتقد أنها ستريد الحصول على المكان بأكمله".

قالت سايبيل: "ربما".

قالت أليسيا مخاطبة الدمية: "أنت أيتها الدمية الشريرة الخبيثة المتوحشة، لماذا تريدين أن تأتي وتزعجينا هكذا؟ نحن لا نريدك".

بدا لها وكذلك لـ سايبيل أن الدمية تحركت قليلاً، وبدت أطرافها كأنها ارتخت أكثر، فكانت تضع ذراعها الطويلة الرخوة على ذراع الأريكة، وكان وجهها نصف المختبئ يبدو كأنها تطل من تحت ذراعها، فقد كانت نظرتها خبيثة مآكرة.

قالت أليسيا: "مخلوقة مرعبة، لا أستطيع تحملها! لا أستطيع تحملها أكثر من ذلك".

وفجأة اندهشت سايبيل للغاية عندما رأت أليسيا تندفع عبر الغرفة نحو النافذة وتفتحها وترمي بالدمية إلى الشارع، فشهقت سايبيل وصرخت صرخة مكتومة من الخوف.

وقالت: "أم، أليسيا، ما كان يجدر بك أن تفعلي ذلك! أنا متأكدة من أنه لم يكن يجدر بك أن تفعلي ذلك!"

قالت أليسيا كومب: "كان لا بد أن أفعل شيئاً ما، لم أستطع تحمل الأمر أكثر من ذلك".

تبعها سايبيل عند النافذة، ونظرت إلى الرصيف بالأسفل حيث كانت الدمية ملقاة هناك مسترخية تماماً ووجهها إلى الأسفل.

قالت سايبيل: "لقد قتلتها".

فقالت أليسيا: "لا تكوني سخيفة... كيف يمكنني أن أقتل شيئاً مصنوعاً من المخمل والحرير ومجموعة من القماش؟ إنها ليست حقيقية".

قالت سايبيل: "إنها تبدو حقيقية إلى حد مخيف".

حبست أليسيا أنفاسها، وقالت: "يا إلهي! تلك الطفلة...". كانت هناك فتاة صغيرة ترتمي ثياباً رثة تقف فوق الدمية على الرصيف، ونظرت إلى الشارع يميناً ويساراً، ولم يكن الشارع مزدحماً على غير المعتاد في هذا الوقت من الصباح رغم وجود بعض السيارات، ثم انحنت الطفلة التي كانت مسرورة والتقطت الدمية وركضت عبر الشارع.

صاحت أليسيا قائلة: "توقفي، توقفي!".

التفتت إلى سايبيل، قائلة لها: "يجب ألا تأخذ هذه الطفلة تلك الدمية، يجب ألا تفعل ذلك! الدمية خطيرة، إنها شريرة. لا بد أن نمنعها".

لم تكونا هما اللتين أوقفناهما، بل حركة المرور، ففي تلك اللحظة كانت هناك ثلاث سيارات أجرة مقبلة من اتجاه ما، وعربتا نقل مقبلتان من الاتجاه الآخر، فأنحصرت الطفلة في منتصف الطريق، واندفعت سايبيل تهبط الدرج، وتبعتها أليسيا كومب، وتفادتا عربتي النقل والعربة الخاصة، وفي الحال وبشكل مباشر، كانت كل من أليسيا كومب وسايبل تقفان خلف الطفلة، وقد وصلتا إليها قبل أن تتمكن الطفلة من العبور إلى الجهة المقابلة.

قالت أليسيا كومب: "لا يمكنك أن تأخذي الدمية، أعيدها إليّ".

نظرت إليها الطفلة، وكانت طفلة صغيرة ونحيلة في حوالي الثامنة من العمر تقريباً، وكان في عينيها حول بسيط، وكانت الجرأة تبدو على وجهها.

فقالت: "لماذا يجب عليّ أن أعيدها إليك؟ لقد ألقيتها من النافذة لقد رأيتك تفعلين هذا، فعندما تلقينها من النافذة، فهذا يعني أنك لا تريدينها، ومن ثم فهي ملكي الآن".

قالت أليسيا بغضب: "سأشتري لك دمية أخرى، سنذهب إلى محل لعب الأطفال في أي مكان تحبينه، وسأشتري لك أفضل دمية نجدها هناك، ولكن أعيدي إليّ هذه الدمية".

قالت الطفلة: "لا".

ولفت ذراعها حول هذه الدمية المخملية بشكل دائري.

قالت سايبيل: "لا بد أن تعيدها، إنها ليست لك".

ومدت ذراعها لتأخذ الدمية من الطفلة وفي تلك اللحظة ضربت الطفلة الأرض بقدمها والتفتت إليها ثم صرخت في وجههما.

وقالت: "لا، لن أعطيكما إياها لالا لالا إنها ملكي. إنني أحبها، أنتما لا تحبانها، بل تكرهانها، فلو كنتما تحبانها، فلم ألقيتماها من النافذة. إنني أحبها وقد أخبرتكما بذلك، وهذا ما تريده هي. تريد أن تكون محبوبة".

ثم انسلت بين السيارات مثل الثعبان، وركضت عبر الشارع وسارت إلى نهاية الزقاق، وغابت بعيداً عن الأنظار قبل أن تقرر السيدتان المسنتان الانسلال من بين السيارات وملاحقة الطفلة.

قالت أليسيا: "لقد ذهبت".

قالت سايبيل: "إنها تقول إن الدمية تريد أن تكون محبوبة".

قالت أليسيا: "ربما، ربما كان هذا ما كانت تريده طوال

الوقت ... أن تكون محبوبة ..."

ووقفت السيدتان المرعوبتان وسط العربات السائرة في

أحد شوارع لندن تنظر كل منهما إلى الأخرى.

كلب الموت

لقد سمعت بهذه القصة للمرة الأولى من المراسل الصحفي الأمريكي ويليام بي. ريان بينما كنت أتناول العشاء معه في لندن عشية عودته من نيويورك، وحدث أن قلت له إنني ذاهب في الغد إلى فولبريدج.

فنظر إليّ قائلاً بنبرة حادة: "فولبريدج في مقاطعة كورنوال؟".

يوجد شخص واحد من بين كل ألف يعرف أن فولبريدج توجد في مقاطعة كورنوال، فالجميع يعتبرها تابعة لمقاطعة هامبشاير؛ لذا فقد أثار فضولي معرفة ريان هذا الأمر، فقلت له: "نعم، هل تعرفها؟".

فأجاب فقط بأنه يعرفها، ثم سألتني إن كنت أعرف منزلاً يدعى ترايارن.

فازدادت دهشتي.

وقلت له: "حسناً. في الحقيقة إنني ذاهب إلى منزل ترايارن؛ إنه منزل شقيقتي".

قال ويليام بي. ريان: "حسناً، يا للمصادفة!".

طلبت منه أن يكف عن قول تلك الكلمات الغامضة، وأن يشرح الأمر بمزيد من الوضوح، ويبين مقصده.

قال: "حسناً، لكي أفعل ذلك، لا بد من أن أعود إلى تلك التجربة التي مررت بها في بداية الحرب".

تنهدت، فقد وقعت تلك الأحداث التي أشير إليها في عام 1921، وقد كان تذكراً أيام الحرب هو آخر شيء يمكن أن يرغب فيه أي إنسان ... كنا قد بدأنا، والحمد لله، في نسيان ما حدث ... إلى جانب أن ويليام بي. ريان كان يسهب بشكل لا يصدق في سرد تفاصيل تجاربه في أثناء الحرب.

ولم يكن هناك أي شيء يمكن أن يوقفه الآن: حيث قال: "في بداية الحرب - كما تعلم - كنت أعمل مراسلاً لصحيفتي في بلجيكا، وكنت دائم الحركة، وكانت هناك قرية صغيرة سأسميها "س" بها حصان واحد للتنقل إن كان موجوداً من الأساس. ورغم ذلك كانت بها دار كبيرة للعبادة، وترتدي السيدات العاملات بها أردية بيضاء اللون، ولا أعرف ماذا تسمونه، وعلى أية حال، كانت تلك القرية الصغيرة تقع على الطريق الذي يتقدم نحو الألمان، وقد وصلت تلك الحشود ..."

سرت رعشة شديدة في جسدي، فرفع ويليام بي. ريان يده ليطمئنني.

وقال: "كل شيء على ما يرام، هذه ليست قصة عن التعذيب، ربما كان الأمر كذلك، ولكنه لم يعد كذلك الآن. في الواقع، لقد اختلف الوضع الآن. فلقد اتجه جنود العدو نحو دار العبادة، وبمجرد أن وصلوا إلى هناك، انفجر كل شيء".

قلت في ذهول: "أوه!".

فقال: "عمل غريب، أليس كذلك؟ لقد اعتقدت بالطبع أن جنود العدو يلهون بمتفجراتهم، لكن الأمر لم يكن كذلك، فهم لم يفعلوا هذا، حسناً إذن، فأنا أسألك ما الذي قد تعرفه هؤلاء السيدات المتدينات عن القنابل شديدة الانفجار؟ أقصد بعض هؤلاء السيدات اللائي يعملن في دار العبادة".

اتفقت معه قائلاً: "هذا أمر غريب بالفعل".

استرسل قائلاً: "لقد كنت مهتماً بسماع رواية الفلاحين لما حدث، فقد كانت وجهة نظرهم بسيطة وواضحة للغاية؛ فوفقاً لما قالوه، من المؤكد أن الأمر يرجع إلى وقوع إحدى المعجزات في العصر الحديث، وقالوا إن هناك سيدة متدينة كانت تشتهر بأنها قد غطت في النوم ورأت بعض الرؤى، وقالوا إنها كانت وراء ما حدث؛ حيث دعت بنزول صاعقة من السماء لتصعق بعض جنود الأعداء، وبالفعل أحرقتهم وأحرقت كل شيء في نطاقها - معجزة رائعة للغاية! أليس كذلك؟".

لم يتسن لي معرفة حقيقة الأمر على الإطلاق، فلم يكن لدي وقت، ولكن المعجزات كانت هي الأمر السائد في ذلك الوقت، وما إلى ذلك من الأشياء المماثلة. لقد كتبت كل شيء، وأضفت بعض الأشياء لإضفاء المزيد من الحبكة، وأوردت كل التفاصيل الدينية المذكورة، وأرسلت كل ذلك إلى الجريدة التي أعمل بها. ولقي هذا الأمر صدى جيداً في الولايات المتحدة، حيث يفضل المواطنون هناك مثل هذا النوع من القصص التشويقية.

"ولكنني (لا أعرف إن كنت ستفهمني أم لا)، أهتم بالأشياء المكتوبة اهتماماً شديداً؛ لذلك شعرت بأنني أريد أن أعرف حقيقة ما حدث، لم يكن هناك ما يمكن رؤيته في المكان نفسه، فكان قد تبقى من الانفجار جداران، كان على أحدهما آثار المسحوق الأسود، وكان على شكل كلب صيد ضخم، وكان الفلاحون يخافون، إلى حد الرعب، هذا الشكل لدرجة أنهم أطلقوا عليه اسم "كلب الموت"، وكانوا يتجنبون المرور بهذه المنطقة بعد حلول الظلام.

"إن الأمور الخارقة دائماً ما تكون مثيرة للاهتمام، فشعرتُ بأنني أود مقابلة تلك السيدة المتدينة التي وقعت على يديها المعجزة، ويبدو أنها كانت قد نجت من الحادث، وذهبت إلى إنجلترا مع مجموعة من اللاجئين، وقد تكبدت عناء تتبعها، ووجدت أنها قد أرسلت إلى مقاطعة ترايارن، فولبريدج، كورنوال." .

فأومات برأسي.

وقلت له: "لقد استقبلت أختي العديد من اللاجئين البلجيكين في بداية الحرب - نحو عشرين منهم".
 فقال: "حسناً، كنت أريد دائماً أن أبحث عن هذه السيدة إن توافر لدي وقت، وكنت أريد أن أسمع شهادتها عن الحادث منها هي، ومع انشغالي بالكثير من الأعمال، نسيت هذا الأمر، فمقاطعة كورنوال تقع في منطقة نائية، وفي الحقيقة كنت قد نسيت الأمر برمته إلى أن ذكرت أنت فولبريدج الآن؛ ما أعاد إلى ذاكرتي هذا الأمر".

أجاثا كريستي

فقلت له: "لا بد أن أسأل أختي، فقد تكون قد سمعت بأمر كهذا، فأنت تعلم أن البلجيكيين قد عادوا إلى أوطانهم منذ فترة طويلة".

فقال: "هذا أمر طبيعي. فعلى أية حال، سأكون سعيداً إذا أخبرتني بأي شيء تعرفه من خلال شقيقتك".
فقلت له بصدق: "بالطبع سأفعل ذلك".
وانتهى بيننا الحديث إلى هذا الحد.

وفي اليوم الثاني بعد وصولي إلى تاراين، أثرت القصة للمرة الثانية، حيث كنت أتناول أنا وأختي الشاي في الشرفة، قلت لها: "كيتي، ألم تكن هناك سيدة متدينة بين البلجيكيين الذين استقبلتهم؟".

فقلت: "هل تقصد الأخت ماري أنجيليك؟".
فقلت بحذر: "قد تكون هي، أخبريني بما تعرفينه عنها".
قالت: "أوه! يا عزيزي، لقد كانت أغرب مخلوق يمكن أن تقابله، فهل تعرف أنها لا تزال تعيش هنا".
فسألتها: "ماذا؟ هنا في المنزل؟".
فقلت: "لا، لا، أقصد في القرية. الدكتور روز، هل تتذكر الدكتور روز؟".

فهزرت رأسي قائلاً: "أتذكر رجلاً عجوزاً يبلغ من العمر ثلاثة وثمانين عاماً".

فقلت: "دكتور ليرد. أوه! لقد مات. إن الدكتور روز أتى إلى هنا منذ بضع سنوات، إنه شاب يافع، وهو مهتم للغاية بالأفكار

الحديثة. وكذلك يهتم اهتماماً كبيراً بالأخت ماري أنجيليك، فهي تعاني الهلاوس وما إلى ذلك من الأشياء في بعض الأحيان، وهي حالة جديرة بالدراسة الطبية بشكل كبير، يا للمسكينة! فهي لا تجد مكاناً لتسكن فيه، وكان هذا الأمر في رأيي غريباً للغاية، ومثيراً حقاً، إن كنت تفهم ما أقصد، فكما قلت لك لم يكن لديها مكان لتسكن فيه، وتفضل الدكتور روز وخصص لها مكاناً لتعيش فيه، وأعتقد أنه يكتب دراسة علمية أو - ما يكتبه الأطباء - عن حالتها".

توقفت لحظة، ثم تساءلت: "ولكن ما الذي تعرفه عنها؟".

أجبتها: "لقد سمعت قصة غريبة عنها".

وسردتُ لها القصة التي سمعتها من ريان، وكانت كيتي مهتمة بالأمر للغاية.

ثم قالت لي: "إنها امرأة يمكن أن تفجرك، إذا كنت تفهم ما أقصده".

فقلت لها وقد ازداد فضولي: "إنني أعتقد أنه لا بد أن أرى تلك السيدة".

فقالت: "لتفعل ذلك، أود أن أعرف ماذا تعتقد بشأن هذه المرأة، فلتذهب وتقابل الدكتور روز أولاً، لماذا لا نتمشى إلى القرية بعد تناول الشاي؟".

وافقت على هذا الاقتراح.

وجدت الدكتور روز في منزله وقدمت له نفسي، وكان شاباً لطيفاً، ولكن كان هناك شيء في شخصيته جعلني أشعر بالنفور تجاهه، فكان لا بد من أن تكون متوافقين تماماً فيما بيننا.

أجاثا كريستي

وفي اللحظة التي ذكرت فيها الأخت ماري أنجيليك، لاحظت أنه انتبه إليّ بشدة، فكان من الواضح أنه مهتم للغاية بأمرها، ورويت له ما قاله ريان.

قال وهو يفكر ملياً: آه! إن هذا يفسر الكثير من الأمور".
نظر إليّ نظرة سريعة، ثم استرسل قائلاً: "إنها قضية مثيرة للاهتمام حقاً. لقد وصلت السيدة إلى هنا وهي تعاني صدمة عقلية شديدة، وكانت في حالة من الإثارة العقلية أيضاً، كما أنها كانت تعاني الهلاوس. إن شخصيتها غير طبيعية، وربما تود أن تأتي معي وتحدث إليها. إنها تستحق المشاهدة".
وافقت على الفور.

انطلقنا معاً، وكان هدفنا هو الوصول إلى منزل صغير في ضواحي القرية، وكانت قرية فولبريدج مكاناً خلاباً للغاية يقع عند مصب نهر فول على الضفة الشرقية منه في الغالب؛ نظراً لأن الضفة الغربية شديدة الانحدار ووعرة ولا تصلح للبناء عليها، على الرغم من وجود بعض المنازل هناك. كان منزل الطبيب يوجد على حافة صخرة في الجانب الغربي، ومن الأسفل ترى الموجات العالية التي ترتطم بالصخور السوداء.
كان ذلك المنزل الصغير الذي كنا نتوجه إليه الآن يقع في الداخل بعيداً عن النهر.

قال الدكتور روز: "تقيم الممرضة المحلية هنا، لقد رتبت الأمر لكي تعيش الأخت ماري أنجيليك معها حتى تكون تحت الإشراف الطبي المتميز".

سألته بفضول: "هل هي شخصية طبيعية في تصرفاتها؟".

فأجابني مبتسماً: "يمكنك أن تحكم بنفسك خلال دقيقة".
كانت الممرضة المحلية قصيرة القامة وممتلئة الجسم،
وكانت على وشك أن تركب دراجتها فور وصولنا.

قال الطبيب: "مساء الخير أيتها الممرضة، كيف حال مريضتك اليوم؟".

قالت: "كعادتها أيها الطبيب، تجلس وهي تشبك ذراعيها
شاردة الذهن تماماً. لا تجيبيني عندما أتحدث إليها؛ ربما لأنها
لا تفهم اللغة الإنجليزية بشكل جيد حتى الآن".

أوماً روز برأسه، وبينما انطلقت الممرضة بدراجتها، صعد
إلى باب المنزل وفتح الباب بقوة ودخل.

كانت الأخت ماري أنجيليك ترقد على مقعد طويل بالقرب
من النافذة، وأدارت رأسها عندما دخلنا.

كان وجهها شاحباً وغريباً، وكانت عيناها واسعتين تنظران
نظرات شاحبة واضحة، كان يبدو أن هناك الكثير من المآسي
داخل هاتين العينين.

قال الطبيب باللغة الفرنسية: "مساء الخير يا أختي".

فقالت له: "مساء الخير سيدي الطبيب".

فقال لها: "اسمحي لي بأن أقدم إليك صديقي السيد
أنستروثر".

انحنيت لها، فمالت لي برأسها وهي تبسم لي ابتسامة
خافتة.

أجاثا كريستي

جلس الطبيب إلى جوارها وسألها قائلاً: "كيف حالك اليوم؟".

فقالت: "كالمعتاد" ثم توقفت، واسترسلت قائلة: "لا يبدو أي شيء حقيقياً بالنسبة إليّ، فهل تلك الأوقات التي تمر أيام أم شهور أم سنوات؟ لا أستطيع أن أعرف، إن أحلامي فقط هي التي تبدو حقيقية".

فسألها: "أما زلت تحلمين كثيراً إذن؟".

فقالت: "دوماً، دوماً، هل تدرك الأمر؟ إن الأحلام تبدو بالنسبة إليّ أكثر واقعية من الواقع نفسه".

فقال لها: "هل تحلمين ببلدك، بلجيكا؟".

هزت رأسها بالنفي، وقالت: "لا، أنا أحلم ببلدة غير موجودة على الإطلاق، على الإطلاق، ولكنك تعرف ذلك يا سيدي الطبيب، لقد أخبرتك بذلك أكثر من مرة... و"

توقفت ثم قالت فجأة: "لكن قد يكون هذا الرجل طبيباً هو الآخر، هل هو طبيب للأمراض العقلية؟".

قال روز مطمئناً إياها: "لا، لا"، ولكنه عندما ابتسم لاحظت أسنانه المدببة بشكل غير عادي، وخطر لي أنها تشبه أسنان الذئب، وأضاف قائلاً: "أعتقد أنك قد تودين مقابلة السيد أنستروثر، إنه يعرف بعض المعلومات عن بلجيكا، لقد سمع أخيراً أخباراً تتعلق بدار العبادة التي كنت تقيمين فيها".
تحولت بعينيها إليّ، وقد توردت وجنتاها قليلاً.

ترددت قليلاً ثم قلت: " ليس كذلك بالضبط، لكنني كنت أتناول العشاء مساء أمس مع أحد أصدقائي الذي كان يصف لي جدران دار العبادة التي التي دُمرت إثر الانفجار ".
فقلت: " لقد دُمرت إذن! "

كانت تعبر عن اندهاشها البسيط، ولكن يبدو أنها كانت تحدّث نفسها أكثر من حديثها لنا، ثم نظرت إليّ مرة أخرى، وسألته في تردد: " أخبرني يا عزيزي، هل أخبرك صديقك كيف دُمرت، وبأي طريقة حدث ذلك؟ "

قلت لها: " لقد تعرضت للتفجير، وصار الفلاحون يخشون المرور أمامها في الظلام ".
فقلت: " ولم يخافون؟ "

فقلت لها: " إنهم يخافون من ذلك الشكل ذي اللون الأسود الموجود على الجدار المدمر، فهم يخافون منه خوفاً نابغاً من الخرافة ".

فانحنت إلى الأمام.

وقالت: " أخبرني يا سيدي، بسرعة، بسرعة، أخبرني كيف كان شكل هذه العلامة؟ "

فقلت: " كانت تشبه كلب صيد، وكان الفلاحون يطلقون عليها اسم كلب الموت ".
فقلت: " أه! "

ثم انطلقت صرخة شديدة من بين شفثيها، وقالت: " فالأمر حقيقي إذن، الأمر حقيقي. كل ما ذكرته حقيقي، وليس مجرد كابوس مفرع، لقد حدث بالفعل! لقد حدث! "

سألها الطبيب بصوت خفيض: "ماذا حدث يا أختي؟".

استدارت إليه بحماس قائلة: "تذكرت، هناك على الدرج، لقد تذكرت، لقد تذكرت ما فعلته، لقد استخدمتُ القوة على النحو الذي اعتدنا استخدامها، فوقفت على طاولة دار العبادة، وحثرتهم ألا يتقدموا أكثر من ذلك، وأمرتهم بأن يغادروا في سلام، لكنهم لم يستمعوا إليّ، وتقدموا رغم تحذيراتي، ولذلك... " انحنى إلى الأمام وأصدرت إيماءة غريبة، ثم أكملت: "أطلقت عليهم كلب الموت..."

عادت إلى الخلف لتستند إلى ظهر مقعدها وجسدها يرتجف بشكل كامل، وقد أغلقت عينيها.

نهض الطبيب، وأحضر كأساً من خزانة المطبخ، وملاً نصفها بالمياه، وأضاف قطرة أو قطرتين من زجاجة صغيرة أحضرها من جيبه، ثم أخذ الكأس إليها. قال لها بنبرة أمرية: "اشربي هذه".

فأطاعته بشكل آلي كما بدا، ونظرت بعينيها بعيداً وكأنها تفكر في رؤيا داخلية خاصة بها.

وقالت: "إذن، فالأمر حقيقي. كل شيء... مدينة الدوائر وشعب البلورة... كل شيء، إذن فالأمر حقيقي".

قال روز: "إنه يبدو كذلك".

كان صوته منخفضاً وهادئاً حتى يشجعها على الاستمرار في الحديث ولا يقطع عليها تسلسل أفكارها.

وقال لها: "أخبريني بتلك المدينة، مدينة الدوائر، حسبما قلت على ما أعتقد؟".

أجابت بشكل آلي وهي شاردة الذهن: "نعم، لقد كانت هناك ثلاث دوائر؛ الدائرة الأولى للصفوة، والدائرة الثانية للمتديّنات، والدائرة الثالثة للمتديّنين".
فسألها: "وماذا عن مركز الدائرة؟"
أخذت نفساً بصعوبة، وامتزجت بنبرة صوتها رهبة شديدة، وقالت: "منزل البلورة..."

وبينما كانت تنطق هذه الكلمات بصعوبة، كانت تتحسس جبينها بيدها اليمنى، بينما تتحسس بإصبعها شيئاً ما هناك.
أخذ جسدها يتصلب أكثر، وأغلقت عينيها، وتمايلت قليلاً، ثم جلست منتصبّة فجأة وهي ترتعش، وكأنها قد استيقظت فجأة، وقالت في ارتباك: "ما هذا؟ ماذا كنت أقول؟"
فقال روز: "لا شيء، أنت متعبة، وتحتاجين إلى الراحة، سنتركك".

بدت وكأنها غاضبة قليلاً عندما غادرنا.
وعندما خرجنا، سألتني الدكتور روز: "حسناً؟ ما رأيك في هذا؟".

وقد رمقني بنظرة جانبية حادة.
قلت له ببطء: "أظن أن ذهنها مشوش".
فسألني: "هل هكذا بدا لك الأمر؟"
"لا، في الحقيقة لقد كانت... حسناً... إن كلامها مقنع للغاية، فعندما كنت أستمع إليها، تكوّن لديّ انطباع بأنها قد فعلت ما تدعي أنها قد فعلته؛ نوعاً من المعجزات الكبرى.

أجاثا كريستي

إن اعتقادها أنها فعلت ذلك هو اعتقاد حقيقي للغاية، وذلك هو السبب ..."

فقال روز: "هل هذا هو سبب قولك إن عقلها مشوّش، حسنًا، ولكن دعنا ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى. لنفترض أنها هي من فعل هذه المعجزة بالفعل، لنفترض أنها هي، وقد دمرت بنفسها مبنى وبضع مئات من البشر."

قلت مبتسمًا: "بممارسة قوة الإرادة فقط، أليس كذلك؟".
فقال روز: "لا أريد تصوير الأمر هكذا، يمكنك أن تتفق أن شخصًا واحدًا يمكن أن يدمر العديد من الأشياء والأشخاص بالضغط على الزر الذي يتحكم في نظام الألغام، أليس كذلك؟".
فقلت: "بلى، ولكن هذا أمر ميكانيكي".

قال الطبيب: "صحيح، هذا أمر ميكانيكي، ولكنه في الأساس عبارة عن سيطرة على القوى الطبيعية وتسخير لها، فالعاصفة الرعدية ومحطة توليد الطاقة هما في الأساس الشيء نفسه".
فقلت: "ولكن لكي نسيطر على العاصفة الرعدية، لا بد أن نستخدم الوسائل الميكانيكية".

ابتسم روز وقال: "سأحدثك عن شيء آخر الآن، هناك مادة تسمى وينترجرين، وتوجد هذه المادة في الطبيعة بشكل نباتي، ولكن يمكن للإنسان أن يُحضّرهما ويركبها في المعامل الكيميائية".

فقلت: "حسنًا، ثم ماذا؟".

فقال: "وجهة نظري هي أن هناك طريقتين للتوصل إلى النتيجة نفسها، ومن المؤكد أن الطريقة التي ننتهجها هي

التركيب، وربما تكون هناك طريقة أخرى، فتلك النتائج الغريبة التي توصل إليها الهنود الفقراء لا يمكن تفسيرها بسهولة، كما أن الأشياء التي نسميها خارقة ليست بالضرورة خارقة على الإطلاق؛ فالإنسان البدائي يرى المصباح الكهربائي خارقاً للطبيعة، فالشيء الخارق للطبيعة هو مجرد شيء طبيعي لم نتوصل إلى القوانين التي تحكمه بعد".

سألته مندهشاً: "ماذا تقصد؟".

فقال: "أعني لا يمكنني أن أستبعد احتمالية قدرة الإنسان على استغلال بعض القوى التدميرية الهائلة، واستخدامها لتحقيق أهدافه، وقد يبدو لنا أن الوسائل التي تحقق ذلك خارقة للطبيعة، لكنها ليست كذلك في الواقع".

حدقت إليه.

فأخذ يضحك.

وقال برفق: "هذا مجرد تخمين، وذلك كل ما في الأمر، أخبرني ... هل لاحظت تلك الإيماءة التي أصدرتها عندما ذكرت منزل البلورة؟".

فقلت: "لقد وضعت يدها على جبهتها".

فقال: "بالضبط، ورسمت دائرة بإصبعها، بالضبط كما يرسم المتدينون إشارات تدينهم، والآن سأخبرك بشيء ما أكثر تشويقاً يا سيد أنستروثر: لقد ترددت كلمة البلورة كثيراً على لسان المريضة في أثناء هلوستها، فأجريت تجربة ما؛ حيث استعرت بلورة من أحد الأشخاص، ووضعتها في أحد الأيام أمام مريضتي لأرى رد فعلها".

أجاثا كريستي

فسألته: "وماذا حدث؟".

قال: "كانت النتيجة غريبة وموحية للغاية، حيث تصلب جسدها تمامًا، وأخذت تنظر إلى البلورة كأنها لا تستطيع تصديق عينيها، ثم جثت على ركبتيها أمامها، وأخذت تهمهم ببعض الكلمات، ثم فقدت الوعي".

فسألته: "ما تلك الكلمات القليلة التي هممت بها؟".

فقال الطبيب: "كلمات غريبة للغاية، حيث كانت تقول: 'البلورة! إذن فالإيمان لا يزال موجودًا'".

فقلت: "يا للغرابة!".

فقال: "إنه أمر ذو دلالة، أليس كذلك؟ والشيء الأكثر غرابة هو أنها عندما عادت إلى وعيها كانت قد نسيت الأمر كله، فأريتها البلورة وسألتها إذا كانت تعرف ما هذا، فقالت إنها تعتقد أنها بلورة كتلك التي يستخدمها المنجمون، وسألتها إن كانت قد رأت واحدة مثلها من قبل؟ فأجابت: "لم أرها قط يا سيدي الطبيب"، لكنني رأيت نظرة متحيرة في عينيها، فسألتها: "ماذا بك يا أختي؟"، فأجابت: "إن الأمر غريب للغاية، إنني لم أر بلورة من قبل، ورغم ذلك يبدو لي أنني أعرف هذه البلورة خير معرفة، فهناك شيء أعرفه بشأنها، ليتني أتذكره... وكان من الواضح أنها تبذل جهدًا كبيرًا في عملية التذكر، حتى إنني منعتها من التفكير في الماضي بعد الآن. كان هذا منذ أسبوعين، وسأجري تجربة جديدة في الغد".

فسألته: "باستخدام البلورة؟".

فقال: "نعم، باستخدام البلورة، سأجعلها تنظر إليها، أظن أن النتيجة ستكون مثيرة للغاية".

فسألته في فضول: "ما النتيجة التي تتوقع الوصول إليها؟".

كنت أقول مجرد كلمات ساذجة، ولكن لم يكن لها وقع جيد عليه، فتصلب روز، واحمرت وجنتاه وتغير أسلوبه في الحديث وأصبح أكثر رسمية ومهنية، حيث قال: "بما أن بعض الاضطرابات النفسية غير مفهومة بشكل كامل، فإن حالة الأخت ماري أنجيليك تعتبر الدراسة الأكثر إثارة للاهتمام". فتعجبت، وتساءلت في قرارة نفسي قائلاً: "هل اهتمامك بها إذن لأسباب مهنية فقط؟".

وسألته: "هل تمانع أن أحضر معك هذه التجربة؟".

خُيل إليّ - وربما يكون هذا من وحي خيالي فحسب - أنه تردد قبل أن يجيب، وشعرت بحدسي الداخلي بأنه لا يريدني أن أحضر.

لكنه قال: "بالتأكيد، لا أرى مانعاً من ذلك".

وأضاف قائلاً: "أعتقد أنك لن تظل هنا طويلاً، أليس كذلك؟".

فقلت: "سأنتظر حتى الغد فقط".

تخيلت أن ردي هذا قد أسعده، فمسح العرق عن جبينه وبدأ يتحدث عن بعض التجارب الحديثة التي أجريت على بعض الحيوانات الأفريقية.

قابلت الطبيب في الوقت المحدد في الغد، وذهبنا معاً إلى الأخت ماري أنجيليك، وكان الطبيب اليوم غاية في اللطف، وكان متحمساً على ما أعتقد لأن يمحوا الانطباع الذي تركه لديّ عنه ليلة أمس، حيث قال وهو يضحك: "ينبغي ألا تأخذ ما قلته لك على محمل الجد، كما لا أحب أن تعتقد أنني هاوٍ لعلم البصريّات، فإنني مهووس باكتشاف ملابسات كل حالة".

فقلت: "حقاً؟".

فقال: "نعم، وكلما كانت رائعة، ازداد حبي لها"، وضحك كما يضحك الرجل من موطن ضعيف مسلّ لدى أحدهم.

عندما وصلنا إلى المنزل، كانت الممرضة المحلية تريد أن تستشير الطبيب روز بشأن شيء ما؛ لذا أصبحت أنا والأخت ماري أنجيليك بمفردنا.

بدأت تتحدث إليّ قائلة: "إن تلك الممرضة الطيبة التي تعمل على رعايتي أخبرتني بأنك شقيق امرأة طيبة القلب تسكن في المنزل الكبير، حيث استقبلتني عندما أتيت من بلجيكا، أليس كذلك؟".

فقلت لها: "نعم".

فقالت: "لقد كانت طيبة للغاية معي. إنها امرأة صالحة".

صمتت برهة، وكأنها تستجمع شتات أفكارها، ثم سألتني: "وهل الطبيب رجل طيب أيضاً؟".

كنت أشعر بالخرج قليلاً.

فقلت: "لماذا ... نعم، أعني، أنني أعتقد ذلك".

ثم قالت: "أه"، توقفت ثم أكملت قائلة: "بالطبع لقد كان عطوفاً للغاية معي".

فقلت: "أنا متأكد أنه كذلك".

نظرت إليّ بحدة، ثم قالت: "أنت... أنت يا عزيزي يا من تتحدث معي الآن، هل تعتقد أنني مجنونة؟".

فقلت: "أختي، إن هذه الفكرة لم..."

هزت رأسها ببطء، قاطعةً اعتراضى على ما قالت، حيث قالت: "هل أنا مجنونة، أنا لا أعرف، تلك الأشياء التي أتذكرها، والأشياء التي أنساها..."

تنهدت ودخل روز الغرفة في هذه اللحظة.

حياها بوجه بشوش، وشرح لها ما يريد منها فعله.

حيث قال لها: "إن بعض الأشخاص بالطبع، لديهم موهبة رؤية الأشياء عبر الكرة البلورية، وأعتقد أن لديك هذه الموهبة يا أختي، أليس كذلك؟".

بدا عليها البؤس، حين قالت: "لا، لا يمكنني القيام بذلك، فقراءة الغيب أمر محرم".

اندهش الطبيب، فقد كانت هذه هي وجهة نظر السيدة المتدينة، ولكنه لم يكن مقتنعاً بها، وحاول تغيير كلامه بطريقة ذكية ليحاول إقناعها.

فقال لها: "ينبغي للمرء ألا يقرأ المستقبل ويحاول معرفة ما في الغيب، أنت محقة تماماً، ولكن قراءة الماضي أمر مختلف تماماً".

فقالت: "الماضي؟".

أجاثا كريستي

قال: "نعم، لقد حدثت العديد من الأمور الغريبة في الماضي، تظهر للإنسان في صورة ومضات خاطفة سريعة لدقيقة، ثم لا تلبث أن تختفي مرة أخرى. لا تحاولي البحث عن أي شيء في هذه الكرة البلورية ما دام ذلك ليس مسموحًا به لك. أمسكيها بيديك فقط هكذا، وانظري إلى داخلها، انظري نظرات عميقة. نعم، أعمق، ثم أعمق. تذكرت، أليس كذلك؟ تذكرت. أنت تسمعينني أتحدث إليك، يمكنك أن تجيبي عن سؤالتي، هل يمكنك أن تسمعينني؟"

تناولت الأخت ماري أنجيليك البلورة بين يديها، وكانت تتعامل معها بوقار كبير، وبينما كانت تحدق إلى داخلها، أصبحت عيناها فارغتين وغير مرئيتين، وتدلّى رأسها، وبدت كأنها قد نامت.

أخذ الطبيب البلورة من بين يديها بلطف، ووضعها على الطاولة، ثم رفع طرف جفنها، وأتى ليجلس بجواري قائلاً لي: "لا بد أن ننتظر حتى تستيقظ، لن تمكث على هذه الحال طويلاً، على ما أظن".

كان محقًا، فبعد خمس دقائق، بدأت الأخت ماري أنجيليك تتحرك، وفتحت عينيها وكأنها تحلم، وقالت: "أين أنا؟"

فقال لها الطبيب: "أنت هنا، في المنزل، لقد أخذت غفوة بسيطة، لقد كنت تحلمين، أليس كذلك؟"

أجابت: "نعم، لقد كنت أحلم".

فقال: "هل كنت تحلمين بالبلورة؟"

فقالت: "نعم".

فقال: "أخبريني بذلك".

قالت: "ستعتقد أنني مجنونة يا سيدي الطبيب، فقد رأيت في حلمي البلورة وكأنها رمز مقدس، حتى إنني اكتشفت وجود رجل مؤمن، معلم للبلورة الذي مات من أجل إيمانه، وتعرض أتباعه للاضطهاد... لكن دعوته ظلت مستمرة..."

فسألها: "هل ظلت دعوته مستمرة؟"

فقالت "نعم، لخمس عشرة ألف قمر كامل، أعني خمسة عشر ألف عام".

فسألها: "ما مدة القمر المكتمل؟"

فقالت: "ثلاثون قمراً عادياً، نعم، لقد كان ذلك عند اكتمال القمر الخامس عشر ألفاً بالطبع. لقد كنت حافظة سر الإشارة الخامسة في منزل البلورة، كان ذلك في الأيام الأولى من ظهور الإشارة السادسة".

وقطبت حاجبيها، وبدت على وجهها نظرة خوف شديد.

وهممت قائلة: "قريباً، قريباً. خطأ... آه! نعم لقد تذكرت! الإشارة السادسة".

كانت تهم بأن تقفز لتقوم من مكانها، لكنها سقطت جالسة، وأخذت تمرر يديها على وجهها، وهي تهمهم قائلة: "لكن ما الذي أقوله؟ إنني أهذي. تلك الأشياء لم تحدث".

فقال لها الطبيب: "والآن، لا تضايقي نفسك".

ولكنها كانت تنظر إليه في حيرة مؤلمة، وقالت: "أنا لا أفهم يا سيدي الطبيب، لماذا أحلم هذه الأحلام، وهذه الخيالات؟"

أجاثا كريستي

لقد كنت في السادسة عشرة من عمري عندما دخلت الخدمة الدينية، ولم أسافر قط، ولكنني أحلم بالمدن والأشخاص الغرباء، والعادات الغريبة. لماذا؟"، وضغطت بكلتا يديها على رأسها.

فقال لها: "هل تعرضت للتنويم المغناطيسي يا أختي؟ أو دخلت في حالة من الغيبوبة؟".

أجابت: "أنا لم أتعرض للتنويم المغناطيسي من قبل يا سيدي الطبيب. ومن ناحية أخرى عندما أكون في دار العبادة، أشعر عادة كأن روعي قد خرجت من جسدي، وكأنتي أموت بضع ساعات، إنها بلا شك هبة من الله، هكذا كانت تقول راعيتنا الموقرة، آه، نعم" والتقطت أنفاسها ثم أضافت: "تذكرت، لقد كنا نطلق عليها اسم هبة من الله".

قال الدكتور روزنبيرة جادة قائلاً: "أود أن أجري تجربة يا أختي، فقد تساعدك على التخلص من هذه الذكريات الأليمة: سأطلب منك أن تحدقي مرة أخرى إلى داخل البلورة، وسأقول لك كلمة واحدة، وتجيبين بكلمة أخرى، وسنستمر بهذه الطريقة حتى تشعري بالإرهاق. ركزي أفكارك على البلورة، وليس على الكلمات".

وبمجرد أن أخرجت البلورة من صندوقها وسلمتها إلى الأخت ماري أنجيليك مرة أخرى، لاحظت أنها تلمسها بتوقير شديد، وكانت موجودة على القطيفة السوداء وأمسكت بها بين يديها النحيلتين، وأخذت تحدق بعينيها الرائعتين العميقتين إلى داخلها. وساد صمت لوقت قصير، ثم قال الطبيب: "كلب". فأضافت الأخت ماري أنجيليك على الفور قائلة: "الموت".

لا أريد أن أسرد بشكل كامل كل ما حدث في هذه التجربة، فقد قال الطبيب الكثير من الكلمات غير المهمة التي لا معنى لها، وأخذ يكرر كلمات أخرى لعدة مرات، وكانت تجيب عنها بالإجابة نفسها في بعض الأحيان، وبإجابة مختلفة في أحيان أخرى.

وفي ذلك المساء، ذهبت مع الطبيب إلى منزله الصغير عند الجرف نناقش نتيجة هذه التجربة.

تنحج، وقرب دفتر ملاحظاته إليه، ثم قال: "إن النتائج مثيرة وغريبة للغاية، فإجابتها عن كلمة "الإشارة السادسة" كانت مختلفة حيث قالت الدمار، أرجواني، كلب، قوة ثم كلمة الدمار مرة أخرى، وأخيراً كلمة القوة، ثم بعد ذلك وكما لاحظت عكست الأمر فقلت لها إجاباتها وانتظرت ردها، فكان ردها على كلمة الدمار هو الكلب، وردها على كلمة أرجواني هو القوة، وعلى كلمة كلب هو الموت مرة أخرى، وعلى كلمة قوة هو الكلب. وهذه الإجابات متعلقة ببعضها، ولكن عندما كررت كلمة الدمار للمرة الثانية كانت الإجابة هي البحر، والذي يبدو غير ذي صلة بالموضوع تمامًا، ورداً على كلمة "الإشارة الخامسة" حصلت على كلمات مثل أزرق، أفكار، طائر، أزرق مرة أخرى، وأخيراً العبارة الأكثر إيحاء وهي انفتاح عقل على عقل. أما بالنسبة لكلمة "الإشارة الرابعة"، فكانت الإجابات هي الأصفر ثم الضوء، و"الإشارة الأولى" كانت إجابتها الدم، لقد استنتجت أن كل إشارة لها لون خاص بها، وقد يكون لها رمز خاص بها، وهو بالنسبة إلى الإشارة الخامسة هو

أجاثا كريستي

الطير، وللسادسة هو الكلب، ورغم ذلك فإنني أخمن أن الإشارة الخامسة تمثل ما هو متعارف عليه باسم توارد الخواطر، أي انفتاح عقل على عقل، أما الإشارة السادسة فهي تشير بلا شك إلى قوة التدمير.

فسألته: "ما معنى كلمة بحر؟".

فقال: "إنني أعترف بأنني لا أستطيع تفسير هذه الكلمة.

عندما وجهت إليها هذه الكلمة بعد ذلك، أجابت عنها إجابة طبيعية وهي القارب، وبالنسبة إلى الإشارة السابعة تلقيت أول إجابة بكلمة الحياة، وفي المرة الثانية الحب، وبالنسبة للإشارة الثامنة كانت الإجابة لا شيء، واستنتجت من ذلك أن عدد تلك الإشارات هو سبع إشارات فقط".

لكنني قلت له في لحظة إلهام مفاجئة: "لكن الإشارة السابعة لا يمكن أن تكون موجودة من الأساس؛ نظراً لأن الدمار وقع في الإشارة السادسة".

فقال: "أه! أعتقد ذلك؟ لكننا نأخذ هذه الهلوسة على محمل الجد، فهي مهمة من الناحية الطبية فحسب".

فقلت: "بالتأكيد ستجذب انتباه المتخصصين النفسيين". ضاقت عينا الطبيب، ثم قال: "صديقي العزيز ليس لدي أي نية لنشر هذا الأمر أمام الجميع".

فقلت له: "وما سر اهتمامك بالأمر إذن؟".

فقال: "هو مجرد اهتمام شخصي، سوف أدون مذكرات عن هذه الحالة بالتأكيد".

قلت له: "أتفهم ذلك"، ولكنني للمرة الأولى أشعر كأنني رجل أعمى لا أستطيع أن أرى أي شيء على الإطلاق، فنهضت. وقلت له: "حسنًا، أتمنى لك ليلة سعيدة، سأغادر إلى المدينة غدًا".

قال: "أه"، أعتقد أنه كان يشعر بالرضا، بل ربما بالراحة عندما أطلق هذه الكلمة.

فواصلت حديثي معه بلطف قائلاً: "أتمنى لك التوفيق في أبحاثك، لا تطلق عليّ كلب الموت في المرة المقبلة التي أقابلك فيها!".

كنت أصافحه وأنا أحدثه، فشعرت بأن يده كانت ترتجف، لكنه استعاد هدوءه مرة أخرى، وافتّر ثغره عن ابتسامة؛ ما كشف عن أسنانه الطويلة المدببة، ثم قال: "بالنسبة إلى الرجل يحب القوة، فيا لها من قوة كبيرة أن تمسك بروح كل كائن حي بين يديك!".

واتسعت ابتسامته.

كان هذا هو آخر اتصال مباشر لي بهذه القضية.

وفي وقت لاحق، وصلت إلى حوزتي مذكرات الطبيب اليومية، ودفتر ملاحظاته، وسأعيد نشر جزء ضئيل مما جاء فيها هنا، وسوف تدرك بكل تأكيد أنها وصلت إلى حوزتي بعد مرور فترة طويلة من الوقت.

في 5 أغسطس اكتشفت أن الأخت ماري أنجيليك كانت تعني بكلمة "الصفوة" أولئك الذين أنجبوا

السلالة البشرية، ويبدو أنهم كانوا يتمتعون بمرتبة عالية، وأنهم كانوا مبجلين ومميزين عند رجال الدين. في 7 أغسطس، أقنعت الأخت ماري أنجيليك بأن تسمح لي بتنويمها مغناطيسيًا، وقد نجحت في تنويمها، ولكنني لم أستطع تحقيق أي اتصال بها من خلال هذا التنويم.

في 9 أغسطس، هل كانت ترى أن هناك حضارات تسبق حضارتنا؟ من الغريب أن يكون الأمر كذلك، وأن أكون أنا الرجل الوحيد الذي يعرف ذلك...

في 12 من أغسطس، كانت الأخت ماري أنجيليك غير مستجيبة تمامًا عندما تعرضت للتنويم مغناطيسيًا، رغم حدوث عملية التنويم المغناطيسي بسهولة، ولا أستطيع تبرير ذلك.

في 13 أغسطس، ذكرت الأخت ماري أنجيليك أنه في "حالة السموالروحاني" لا بد من إغلاق البوابة، خشية أن يسيطر شخص آخر على الجسد، وهو أمر مثير، لكنه محير.

في 18 أغسطس، إذن فالإشارة الأولى لم تكن سوى... (الكلمات محوطة هنا)... إذن، كم عدد القرون التي يجب المرور بها حتى الإشارة السادسة؟ ولكن إذا كان هناك طريق مختصر للقوة...

20 أغسطس، لقد رقت أن تأتي الأخت ماري أنجيليك إلى هنا مع المريضة، وأخبرتها بأنه يجب أن تظل المريضة تحت تأثير المورفين. هل أنا مجنون،

أم أنني سأكون الرجل الخارق الذي يملك بين يديه قوة الموت؟

(وهذه هي نهاية تلك الأجزاء المقتطفة من مذكرات الطبيب)

أعتقد أنه كان في 29 من أغسطس حين تلقيت رسالة كانت مرسلة إليّ أنا على عنوان شقيقتي، وكانت مكتوبة بخط غريب مائل، وفتحتها باهتمام شديد، وكانت كالآتي: سيدي العزيز، لم أرك سوى مرتين، ولكنني شعرت بأن بإمكانني أن أثق بك. وسواء أكانت أحلامي حقيقية أم لا، فقد ازدادت وضوحًا مؤخرًا. سيدي العزيز هناك شيء واحد من بين كل تلك الأشياء ليس حلمًا وهو كلب الموت ... في تلك الأيام التي حدثتلك عن هؤلاء الأشخاص (سواء أكانوا حقيقيين أم لا، لا أعرف) كشف الشخص القائم على حراسة البلورة الإشارة السادسة للناس قبل الموعد المحدد ... فتسلل الشر إلى قلوبهم، وكانت لديهم القدرة على القتل وقتما يشاءون، وكانوا يقتلون في غضب ودون عدالة، وقد أعمتهم شهوة القوة. وعندما رأينا ذلك نحن ذوي النفوس النقية، علمنا أنه يجب علينا مرة أخرى ألا نكمل الدائرة ونصل إلى الحياة الأبدية. وصدرت الأوامر لحارس البلورة الثاني بأن يتصرف، وأن يقتل الحارس القديم، فأطلق كلب الموت على البحر (وطلب منه أن يكون حريصًا على ألا تغلق الدائرة)، وارتفع البحر على شكل كلب، وابتلع الأرض بأكملها...

وقبل أن أتذكر ذلك، كنت على طاولة دار العبادة في

بلجيكا...

أجاثا كريستي

أما الدكتور روز فهو أحد الإخوة، كان يعرف الإشارة الأولى وشكل الإشارة الثانية، رغم أن معناها مخفي عن الجميع فيما عدا الصفة المختارة، وكان يريد أن يعرف مني بعض المعلومات عن الإشارة السادسة. وقد قاومت رغبته هذه بعض الوقت، ولكنني ضعفت، فليس من الجيد يا سيدي أن يحصل الإنسان على القوة قبل الوقت المحدد لها؛ يجب أن تمر قرون عديدة قبل أن يكون العالم مستعداً لامتلاك قوة الموت بين يديه... إنني أتمس منك أيها السيد الذي تحب الخير والحقيقة أن تساعدني... قبل فوات الأوان.

أختك في الله

ماري أنجيليك

سقطت الورقة من بين يديّ سهواً، وبدت الأرض الصلبة من تحتي أقل صلابة من المعتاد، ثم بدأت في استجماع قواي. لقد أثار فيّ إيمان تلك المرأة المسكينة؛ أثار فيّ كثيراً! كان هناك شيء واحد واضح، وهو أن الدكتور روز في أثناء حماسه للقضية، أساء استخدام مكانته المهنية بشكل صارخ. لا بد أن أسرع و...

فجأة لاحظت خطاباً من كيتي بين رسائل الأخرى، ففتحت هذا الخطاب، وقرأت ما فيه: "لقد حدث شيء فظيع، هل تتذكر منزل الدكتور روز الصغير الذي يقع على المنحدر؟ لقد دُمر نتيجة لانهيار صخري الليلة الماضية، ولقي الطبيب والمرضة المسكينة والأخت ماري أنجيليك حتفهم. إن شكل

الحطام على الشاطئ مرّوع للغاية فهو مكّوم في كومة واحدة عظيمة تبدو من بعيد أنها تأخذ شكل كلب...".

سقط الخطاب من بين يدي.

توصلت بعد ذلك إلى بعض الحقائق الأخرى التي ربما كانت من قبيل المصادفة، فاكتشفت أن شخصاً ما يدعى السيد روز، وهو أحد الأقارب الأثرياء للطبيب قد مات فجأة في الليلة نفسها، وقيل إنه مات نتيجة تعرضه لصاعقة من السماء. ولم تكن هناك صاعقة من السماء، على حد قول الجميع، في هذه المنطقة ولكن شخصاً أو اثنين قد قالوا إنها قد سمعا صوت صاعقة رعدية واحدة، لقد عثر في جسده على حرق "غريب الشكل" نتيجة تعرضه لشحنة كهربائية، وكان قد ترك كل ممتلكاته بموجب وصيته لابن أخيه الدكتور روز.

لنفترض الآن أن الدكتور روز قد نجح في معرفة سر الإشارة السادسة من الأخت ماري أنجيليك، كنت أشعر دائماً بأنه إنسان حقير منعدم الضمير؛ فهو لم يتردد لحظة واحدة في القضاء على حياة عمه ليرثه، حيث كان متأكداً من أنه لن يترك له إرثاً، ولكن هناك عبارة واحدة قالتها الأخت ماري أنجيليك، وما زالت تدوي في أذني ... "مع الحرص على ألا تغلق الدائرة..."، لكن الدكتور روز لم يكن حريصاً على ذلك، ربما لم يكن على دراية بالخطوات التي يجب عليه اتخاذها، أو حتى بالحاجة إليها؛ لذا فإن القوة التي سخرها، أكملت الدورة...

أجاثا كريستي

ولكن بالطبع كل هذا هراء! حيث يمكن إرجاع كل شيء إلى سبب منطقي. إن اعتقاد الطبيب بهلوسة الأخت ماري أنجيليك يثبت أن عقله لم يكن متوازنًا أيضًا.

ولكنني أحلم في بعض الأحيان بأن هناك قارة تحت البحار حيث كان يعيش فيها مجموعة من الأشخاص، ووصلوا إلى مرحلة كبيرة من الحضارة تفوق تلك المرحلة التي وصلنا نحن إليها... أم أن الأخت ماري أنجيليك كانت تتذكر أحداثًا وقعت في الماضي، ويقول البعض إن هذا الأمر من المحتمل حدوثه، وأن مدينة الدوائر هذه موجودة في المستقبل وليست من الماضي؟

هراء، فما هذا كله إلا مجرد هلوسة بالطبع!

المراجع

عادة ما تُنشر القصص القصيرة للكاتبة أجاثا كريستي في المجلات أولاً، ثم تُنشر بعدها في مجلد يضم مجموعة من القصص القصيرة من تأليفها، ثم تُنشر في مجموعات قصصية تحمل اسماً مختلفاً في كل من المملكة المتحدة والولايات المتحدة. وتهدف هذه القائمة التالية إلى ذكر المرة الأولى التي نُشرت فيها كل قصة من هذه القصص، وذكر العناوين البديلة لهذه القصص إن كانت قد نُشرت تحت عنوان آخر غير المذكور هنا.

الجلسة الأخيرة

نُشرت لأول مرة في الولايات المتحدة تحت اسم "المرأة التي سرقت شبحاً" في عدد نوفمبر لعام 1926 في مجلة جوست ستوريز، ونُشرت في المملكة المتحدة تحت اسم "الشبح المسروق" في العدد 87 من مجلة سوفيرجيان مجازين في شهر مارس عام 1927. وأعيدت طباعتها في كتاب يضم قصصاً قصيرة أخرى تحت عنوان كلب الموت وقصص أخرى في (المملكة المتحدة 1933)، والخطيئة المزدوجة وقصص أخرى في (الولايات المتحدة 1961).

في المرأة المظلمة

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في عدد ديسمبر 1934 من مجلة ومينز جورنال. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية لغز القوارب وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1939) والقضايا الأخيرة للآنسة ماربل وقصتان أخريان (المملكة المتحدة 1979).

استغاثة

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في العدد 252 من مجلة جراند مجازين في فبراير 1926 وفي الولايات المتحدة في مجلة إيليري كوينز ميستري مجازين مجلد 10 العدد 49 في ديسمبر 1947. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) وشاهد الادعاء وقصص أخرى في (الولايات المتحدة، 1948).

مغامرة المقبرة المصرية

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في العدد 1600 من مجلة ذا سكيثش نامبر مجازين في 26 سبتمبر 1923 وفي الولايات المتحدة تحت اسم "المغامرة المصرية" في مجلة بلوبوك مجازين المجلد 39 العدد 4 في أغسطس 1924. وأعيدت طباعتها تحت اسم تحقيقات بوارو (في المملكة المتحدة 1924، وفي الولايات المتحدة 1925).

الرجل الرابع

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في العدد 250 من مجلة ذا جرانند مجازين ديسمبر 1925 وفي الولايات المتحدة في مجلة إليري كوينز ميستري مجازين المجلد 10 العدد 47 في أكتوبر 1947. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) وشاهد الادعاء وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1948).

منزل عشثروت العجيب

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في العدد 351 من مجلة رويال مجازين في يناير 1928، وفي الولايات المتحدة تحت اسم "الحل السادس وساعة الشر" في مجلة ديتيكتيف ستوري مجازين المجلد 101 العدد 6 في 9 يونيو 1928. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية باسم ثلاثة عشر لغزا (المملكة المتحدة 1932) الملقب باسم جرائم القتل في نادي الثلاثاء (الولايات المتحدة 1933).

العجرية

نُشرت لأول مرة تحت اسم كلب الموت وقصص أخرى في (المملكة المتحدة 1933) والكرة الذهبية وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1971).

منزل فيلوميل

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في العدد 237 في مجلة *ذا جراند مجازين* في نوفمبر 1924. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *لغز ليستراد* وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1934) و*شاهد الادعاء* وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1948).

المصباح

نُشرت لأول مرة في المجموعة القصصية *كلب الموت* وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) و*الكرة الذهبية* وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1971).

الحلم

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في مجلة *ستراند مجازين* في العدد 566 فبراير 1938، وفي الولايات في مجلة *ذا ساترداي إيفيننج بوست* مجلد 210 العدد 17 في 23 من أكتوبر 1937. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية *لغز الزوارق* وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1939) و*مغامرة كعكة عيد الميلاد* وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1960).

المذياع

نُشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في *سنداي كرونيكال أنيوال* في خريف 1926 وفي الولايات المتحدة في مجلة *ميس تري مجازين* في 1 مارس 1926. وأعيدت طباعتها في

المجموعة القصصية تحت عنوان كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) ونشرت تحت عنوان "حين تكون هناك وصية" في المجموعة القصصية شاهد الادعاء وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1948).

المرأة المتدينة

نشرت لأول مرة في أستراليا في مجلة ذا هوم مجازين في سبتمبر 1922، وأعيدت طباعتها عام 1922 في المجموعة القصصية جثة في المكتبة (عمل على تحريرها توني مدور، المملكة المتحدة، 2018).

لغز الوعاء الأزرق

نشرت لأول مرة في المملكة المتحدة العدد 233 في مجلة جراند مجازين في يونيو 1924 وفي الولايات المتحدة في مجلة ميتروبوليتان مجازين في العام نفسه. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) وشاهد الادعاء وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1948).

حالة السيد آرثر كارمايكل الغريبة

نشرت لأول مرة تحت عنوان "حالة السيد آرثر كارمايكل الغريبة" في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) والكرة الذهبية وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1971).

زهرة الغرنوقي الزرقاء

نشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في العدد 272 في مجلة رويال مجازين في ديسمبر 1929 وفي الولايات المتحدة في بيكتوريال ريفيو المجلد 31 العدد 5 فبراير 1930. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية ثلاثة عشر لغزاً وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1932) ونشرت أيضاً تحت اسم منتدى الثلاثاء (الولايات المتحدة 1933).

نداء الأجنحة

نشرت لأول مرة في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) والمجموعة القصصية الكرة الذهبية وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1971).

مذهب جديد

نشرت لأول مرة في المملكة المتحدة في مجلة ستراند مجازين رقم 596 في أغسطس 1940 وفي الولايات المتحدة تحت اسم "الوحش الغريب" في مجلة نيس ويك في 26 مايو 1940، وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية أعمال هرقل (المملكة المتحدة 1947) وفي مجموعة قصصية تحمل الاسم نفسه في (الولايات المتحدة 1947).

الإشارة الحمراء

نشرت لأول مرة في العدد رقم 232 من مجلة ذا جراند مجازين في يونيو 1924 وفي الولايات المتحدة في مجلة إيلري كوينز

ميستري المجلد 9 العدد 43 في يونيو 1947. وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) وشاهد الادعاء وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1948).

دمية الخيطة

نُشرت لأول مرة في كندا في مجلة ستار ويكلي في 25 أكتوبر 1958 ثم في المملكة المتحدة في ديسمبر 1958 في ومنز جورنال وفي الولايات المتحدة في مجلة إيلري كوينز ميستري مجازين مجلد 33 العدد 6 في يونيو 1959 وأعيدت طباعتها في المجموعة القصصية الخطيئة المزدوجة وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1961) والقضايا الأخيرة للأنسة ماربل وقصتان أخريان (المملكة المتحدة 1979).

كلب الموت

نُشرت لأول مرة في المجموعة القصصية كلب الموت وقصص أخرى (المملكة المتحدة 1933) وفي المجموعة القصصية الكرة الذهبية وقصص أخرى (الولايات المتحدة 1971).

مكتبة

t.me/soramnqraa



«كانت تلك الصرخة المروعة العالية لا تزال تدوي من وراء الستارة؛ صرخة لم يسمع راؤول مثلها من قبل. وكانت تتلاشى تلك الصرخات مع حشرجة رهيبية، ثم دوى صوت جسم يسقط على الأرض...»

من رواية جلسة استحضر الأرواح الأخيرة

إلى محبي القمص الرعب وخوارق الطبيعة، نقدم هذه المجموعة من القمص المرعبة التي تتحدث عن الأشباح للكاتبة أجاثا كريستي المعروفة في جميع أنحاء العالم بلقب ملكة الجريمة بلا منازع. لقد بدأت رحلتها مع الكتابة بتأليف القمص الغامضة الخارقة للطبيعة التي تتميز بالروى الروحانية؛ حيث أشباح تظهر في الظلام، ولقاءات مع مخلوقات غير مرئية، ورسائل عجيبة من العالم الآخر، ورجل يبادل جسده مع قط...

إن هذه المجموعة القصصية الرائعة تجمع معًا القمص القصيرة الأكثر رعبًا في مسيرة أجاثا كريستي، ويظهر في بعضها محققها العبقري هيركيول بوارو، والآنسة ماربل؛ حيث يجتمعان معًا في مجلد واحد أخيرًا، وتلقي هذه المجموعة القصصية الضوء على الجانب الغامض من شخصية أجاثا كريستي؛ ذلك الجانب الذي تستمتع هي نفسها به، حيث تتحدث عن عشر قصص تحبها من هذه المجموعة قائلة: «إن القمص المفضلة لديّ كتبتها بعد وقت قصير من قصة القضية الغامضة في مدينة ستايلز، وبعضها قبل ذلك الوقت».

«إن قراءة قصص أجاثا كريستي ذات الحكمة الدرامية الرائعة تشبه تناول تفاحة ناضجة حيث تكون: طازجة، وناضرة، ومشبعة تمامًا».

تانا فرينش

استكشف المزيد على
الموقع الإلكتروني الرسمي
www.agathachristie.com

مكتبة
t.me/soramnqraa

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
est. 1982

ISBN 628-1072-11-482-4



6 281072 114824
282207667

100

عالم على أصوات وروايات

أجاثا كريستي

Agatha Christie®